



مجلة علمية دورية
مختصة في دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية

تصدر عن جمعية إنكي العلمية ومركز الأبحاث
والدراسات الإستراتيجية في العراق

مدير التحرير
الدكتورة
نور علي الكناني

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور
عامر حسن فياض

العدد (٣) - ٢٨ شباط ٢٠٢٢

ENKI إنكي

مجلة علمية دورية

مختصة في دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية
تصدر عن جمعية إنكي العلمية ومركز الأبحاث والدراسات
الإستراتيجية في العراق

الأيمل inky.publishing@gmail.com

الموقع الإلكتروني : www.enki.press

رقم الموبايل : 00964 783 6141 06

الرقم المعياري الدولي : ISBN:978- 9922- 91- 468- 8

© جميع الحقوق محفوظة

لدار إنكي للنشر والتوزيع

لا يُسمح بإعادة إصدار هذه المجلة ، أو أي جزء منها ، أو تخزينها في نطاق
استعادة المعلومات ، أو نقلها بأي شكل من الأشكال من دون إذن خطي
مسبق من جهة الإصدار .

تستند المجلة إلى ميثاق علمي و أخلاقي ومهني في ما تنشره
من بحوث ، وتعتمد تقويم اللجنة العلمية الاستشارية المشكلة من
داخل العراق وخارجه ، والمجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء
والمتبنيات الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها

ISBN:978- 9922- 91- 468- 8



9 789922 914688

هيئة التحرير:

- أ. د. كامل القيم - جامعة بابل / كلية الآداب
أ. د. قاسم محمد عبد - جامعة النهرين - كلية العلوم السياسية
أ. د. شيرزاد أحمد النجار - جامعة صلاح الدين - كلية العلوم السياسية
أ. د. جمال عبد المنعم الزوي - أستاذ الإعلام والعلاقات الدولية - ليبيا
أ. د. محمود حيدر - مفكر وباحث في الفلسفة السياسية ولاهوت الأديان - لبنان
أ. د. صابرين زغلول السيد شعبان - جامعة عين شمس - كلية البنات - مصر
أ. د. ثريا بن مسمية - جامعة الزيتونة - المعهد العالي لأصول الدين - تونس
أ. د. زهير محمد علي / جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد
أ. م. د. عادل بديوي - جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية
أ. م. د. علي فارس حميد - جامعة النهرين - كلية العلوم السياسية
أ. م. د. مصدق عادل طالب - جامعة بغداد - كلية القانون
أ. م. د. سهاد إسماعيل خليل - جامعة النهرين - كلية العلوم السياسية
أ. م. د. منتصر مجيد حميد - جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية
أ. م. د. فراس عبد الكريم محمد علي البياتي - جامعة النهرين - كلية العلوم السياسية
أ. م. د. سلام جبار شهاب / الجامعة التكنولوجية / قسم العلوم التطبيقية
م. د. أحمد كريم علوان العلباوي - مدير دار المخطوطات العراقية
م. د. علي عيسى اليعقوبي - كلية المنصور الجامعة - قسم القانون

التدقيق اللغوي:

- أ. د. زهير محمد علي / جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد (اللغة العربية)
أ. م. د. سلام جبار شهاب / الجامعة التكنولوجية / قسم العلوم التطبيقية (اللغة الإنكليزية)

مدير الإدارة:

كوثر حميد لطيف الغرابي

المشرف الإداري و المالي:

ضرغام محمد الجبوري

مارية بليغ ابو گلل

تصميم الغلاف:

نور فائز الأعرجي

مجلة (إنكي) للعلوم الإنسانية والاجتماعية

حرصاً منا على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي، ورغبةً في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن انطلاق المجلة العلمية (إنكي) المتخصصة بنشر البحوث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية على وفق الضوابط والمعايير المعتمدة عربياً ودولياً.

تسعى المجلة إلى توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة لهم لنشر بحوثهم مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجاً ولغةً في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها وصولاً إلى إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير (Impact Factor).

رؤيتنا

التغيير يبدأ من الإنسان، وينطلق من رؤية علمية واقعية قادرة على تصحيح المسارات وبناء قاعدة رصينة توصل إلى الأهداف وتحقق الطموحات.

رسالتنا

تقديم محتوى يجعل المجلة مرجعاً علمياً أصيلاً للباحثين، ومنهلاً ثراً لأبناء المجتمع.

أهدافنا

- استقطاب الباحثين المتميزين للنشر في المجلة، وتقديم نتائجهم العلمية، وما توصلوا إليه من نتائج تطور الرؤية العلمية وتلبي حاجات الباحثين على المستويات الوطنية والعربية والعالمية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر البحوث العلمية لمتخصصين رفيعي المستوى.
- توطيد العلاقة بين الأكاديميين وأبناء المجتمع، والإفادة من مخرجات البحث الأكاديمي في تطوير رؤية المجتمع وبنيتة الفكرية.
- ترسيخ الثقافات المجتمعية التي تتواءم مع مخرجات البحوث الأكاديمية، وتعزيز وجودها في المجتمع.

قواعد النشر

- لغة المجلة هي العربية والإنجليزية، على أن يراعى الوضوح وسلامة النص .
- تستقبل المجلة البحوث والدراسات الإنسانية النظرية والتطبيقية، المحلّية والخارجية التي تتناول قضايا تاريخية أو حالية أو مستقبلية على وفق الضوابط الآتية :
1. أن لا يقل عدد كلمات البحث عن (٥٠٠٠) ولا تزيد على (٨٠٠٠) مطبوعة بنسختين مرفقة مع قرص مرن (CD) بصيغة (word)
 2. أن تعتمد الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد البحوث والدراسات وكتابتها ولا سيما التوثيق بحيث تتضمن بالنسبة للكتاب الآتي : اسم المؤلف ، عنوان الكتاب ، مكان النشر، الاسم الكامل للناشر، تاريخ النشر، أرقام الصفحات، أما بالنسبة للمقالة : فتتضمن اسم الكاتب، عنوان المقالة، اسم الدورية، مكان صدورها، عددها، تاريخها، وأرقام الصفحات، ويجب أن تثبت الهوامش في نهاية البحث .
 3. أن تتصف البحوث والدراسات بالموضوعية والدقة العلمية .
 4. أن تعتمد الترقيم العشري للعناوين الأساسية والفرعية أو التصنيف المعياري العام .
 5. يرفق مع كل بحث مستخلصان، أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، على أن لا يزيد عدد كلمات كل منهما على (٢٥٠)
 6. يرفق مع كل بحث ودراسة سيرة ذاتية مختصرة للباحث .
 7. تخطر المجلة الباحثين بإجازة بحوثهم أو دراساتهم بعد عرضها على محكمين مختصين على نحو سري .
 8. يمكن للمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية أو شاملة على البحث أو الدراسة قبل إجازتها للنشر بما يتماشى مع أهدافها .
 9. لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث والدراسات التي تعتذر عن نشرها .
 10. ترحب المجلة بالمناقشات الموضوعية لما يُنشر فيها أو في غيرها من الدوريات وبأية ردود فكرية أو تصويب، وكذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات ذات العلاقة ومراجعات الكتب وملخصات الرسائل الجامعية التي تتم إجازتها على أن تكون من إعداد أصحابها .

المحتويات

قواعد النشر ٥

الافتتاحية

سؤال الموالاتة والمعارضة ٩
أ. د. عامر حسن فيّاض

بحوث العدد

منزلة العقل في الخطاب الديني (الطاهر بن عاشور أنموذجاً) ١٢
د. صابرين زغلول السيد الدين

الاستعمار الأكاديمي وأزمة إنتاج المعرفة ٤١
أ. د. ثريا بن مسمية

التقابل اللفظي في خطاب السيد عمّار الحكيم ٦١
الأستاذ الدكتور زهير محمد علي الأرنؤوطي

الإعلام الحكومي وتنمية القيم الديمقراطية لدى الفرد العراقي ١١٤
أ. م. د. علي عبدالهادي عبدالأمير

قواعد البتّ الإعلامي في العراق (معرفة وتطبيق) ١٢٨

أ.م.د. منتهى هادي التميمي - م.م. أحمد ستار العنزلي

أداء وإعادة بناء الثقافة السياسية في المجتمع العراقي
 (دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا السياسية)..... ١٥٣
 م. د. نصير فكري ذياب

محور العدد مستقبلات لعراق أمن

صورة الحشد الشعبي في مواقع التواصل الاجتماعي
 «الفيسبوك» نموذجاً ١٨٦
 أ.م.د. رباح حطان الحمداني

متغيرات الإعلام الرقمي وانعكاساته في قيم واستقرار البناء الأسري ٢٠٨
 ((دراسة ميدانية في إقليم كردستان العراق)) ٢٠٨
 أ.م.د. حسين حسين زيدان م.د. يسرى حامد ناصر الياسري

العمل التطوعي والتحصين الاجتماعي ضد الجريمة ٢٤٠
 م. د. معتز محي عبد الحميد

موازن القوى في ظل التهديدات اللاتماثلية في العراق ٢٦٧
 م. د. زينب ضياء عبود

مستقبل إدارة التنوع وآلياته في العراق ٢٨٥
 م.م. زهراء عبد الأمير الحربي

٣١٤ مستقبل الحكومة الذكية في العراق
هند شاكر محمود

مقالات

٣٣٤ دور الجامعات في تعزيز الأمن الفكري
أ. د طارق هاشم خميس

عرض كتاب

٣٣٨ توظيف القوة السيبرانية في استراتيجيات الدول الكبرى
تأليف: د. حازم جري الشمري

٣٤١ استرداد المطلوبين جزائياً في جرائم الفساد، العراق أنموذجاً
تأليف: طيف عدنان هادي

الترجمات

٣٤٤ الصين تصب الأموال في العراق مع انسحاب الولايات المتحدة من الشرق الأوسط
الفائنانشال تايمز/ أدوارد وايت واندرو انكيلند

٣٤٨ العراق بصدد تشكيل حكومة جديدة لكن الوصول إليها سيكون أمراً معقداً
أتالنتك كانسل/ بقلم عباس كاظم

سؤال الموالاتة والمعارضة

أ.د. عامر حسن فياض

إن المرحلة المقبلة في الحياة السياسية العراقية ينبغي أن تجيب عن سؤال الموالاتة والمعارضة للحكومة القادمة، والإجابة عنه قد تكون صحيحة أو غير صحيحة، فكيف تصبح تلك الإجابة صحيحة؟

ينبغي على كل جهة سياسية تحقق الأغلبية في ميدان الانتخابات النيابية أن تتفادى فكرة إطلاق يدها في شؤون البلاد والعباد لأنها فكرة تدميرية غير ديمقراطية. لهذا من الضروري وضع حدود على الأغلبية، وبالمقابل على المعارضة ألا تتطير من نجاحات الموالاتة عندما تنتهج الأخيرة نهجاً يخدم المستحقات الوطنية، وعلى المعارضة أيضاً ألا تشتمت بإخفاقات الموالاتة، بل تراقب الموالاتة وترصد وتنتقد إخفاقاتها وتحاسبها بالطرق المسموح بها دستورياً.

وإن المرحلة المقبلة للانتقال بالعراق من كيان سياسي إلى دولة حقة تؤكد مشاركة الجميع في إعادة تشييد البنى التحتية الأساسية السليمة للنظام السياسي بما في ذلك سن القوانين الدستورية التأسيسية وسد العوز التشريعي ومغادرة العجز الخدمي ومكافحة العبث بالأمن العام وإيقاف هدر المال العام وتقويم العوق المؤسساتي وترميم العطب المعرفي.

كما إن المرحلة المقبلة تقتضي إخراج المشترك الوطني من حلبة التنافس والصراع والاختلاف والخلاف ما بين الموالاتة والمعارضة، فلا يمكن السماح للطرفين بتوطین المشكالات الدولية ولا بتدويل المشكالات الوطنية .

ولعل أول المقتضيات وآخرها في المرحلة المقبلة أن تكون الغلبة لتنافس البرامج لا لتصارع الأشخاص، وعلى الموالاتة أن تتحاشى طرح برامج حكومية محشاة بشعارات وردية مثالية لتقدم وازدهار وانتصار مبالغ فيها، وتكتفي ببرنامج إنجاز بصمة عنوانه (إيقاف التدهور) وحشوته برامج عملية قابلة للتطبيق وغير قابلة للتطيل بعد أن تمزقت طبقات آذان العراقيين بالوعدود الوردية الانتخابية والحكومية .

إن طرح برنامج حكومة (إيقاف التدهور) وإنجازه سيجعل من الحكومة المقبلة حكومة أغلبية موالاتة حكيمة، وكما تكون حكيمة وقوية أيضا عليها أن تعمل على تقوية المعارضة تثبيتا لحقيقة مفادها أن قوة الأغلبية (الموالاتة) تتأتى من تقويتها للأقلية (المعارضة) وصولاً، بالنتيجة إلى انخراط المعارضة في المشروع الوطني العراقي بدلاً من الانعزال عنه أو تعطيله .

عندها سيكون من السهل على المعارضة بل من الواجب عليها أن تتجنب الانخراط في الأنشطة السياسية وغير السياسية المعطلة وتقدم نفسها بوصفها معارضة إيجابية تحمل هي الأخرى مشروعاً وطنياً بعيداً عن النزعات الشخصية والفئوية المتعارضة مع المشترك الوطني للموالاتة والمعارضة الإيجابية .

ولكن إذا عملت الأغلبية (الموالاتة) بعصبية قومية أو مذهبية وبثقافة إقصاء وتهميش تجاه الأقلية (المعارضة)، فإن النتيجة هي المزيد من تشبث الأقلية (المعارضة) بعزلتها كخط دفاع أخير عن الذات والتمايز عن الأغلبية .

وعلى الجانب المقابل فإن من الضروري بمكان أن تفتح الأقلية المعارضة على محيطها، وتتفاعل على نحو إيجابي مع الفضاء الوطني، وإن فعالية هذا الانفتاح مرهونة بقدرة الأغلبية على تجاوز عصبيتها والتعامل مع الأقلية المعارضة على قاعدة المواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات، تلك القاعدة الذهبية التي تؤكد بأن حكمة وقوة المعارضة

الإيجابية تتأتى من حكمة وقوة الموالاة وإن التنافس الإيجابي المتولد عن التقابل بين الموالاة والمعارضة هو مصدر الانطلاق لإيقاف التدهور.

أخيراً على الموالاة والمعارضة أن تدرك جيداً أن الشعوب الحقة هي الشعوب التي تدار من عقلاء يمتلكون الإرادة والقدرة على تحويل التهديدات إلى فرص نجاح. . والعراق أُبتلى بمصائب جمّة آخرها أنه بات مهدداً بمصيبة الزوال كدولة اسمها العراق، فلتجعل الموالاة والمعارضة من هذه المصيبة مشتركا وطنيا ويسعى الموالي والمعارض إلى تحويلها من مصيبة (تهديد) إلى فرصة بقاء وطن لا يستحق الزوال وبقاء مواطن يستحق العيش فيه بجدارة. .

منزلة العقل في الخطاب الديني (الطاهر بن عاشور أنموذجاً)

د. صابرين زغلول السيد الدين

أستاذ فلسفة / كلية البنات/ جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية

المستخلص

(منزلة العقل في الخطاب الديني الطاهر بن عاشور أنموذجاً)

لا شك أنوراء الحركات العنيفة والإرهابية- في مجتمعنا الراهن- إيديولوجيات، ومنظومات فكرية عديدة استعملت فيها أشكال مختلفة من الخطاب، ومن بينها الخطاب الديني؛ الذي اتخذته بعض الجماعات ستاراً ووسيلة لخدمة أغراضها، ومصالحها السياسية والاقتصادية، منحرفة عن أصل الدين، وحقيقته، وغاياته، وأضحت الحاجة ضرورية مع دخول عالمنا العربي في الثورات المختلفة المعروفة بثورات الربيع العربي، وتغيرت لهجة الخطابات الدينية لحشد أكبر فئة من الناس؛ من أجل مصلحة حزباً وفئة معينة، وكأن الدين محصور في ذلك، وأصبح الإيمان بالنص الديني إيماناً أعمى دون تعقل، فحدثت الفرقة بين طوائف المجتمع المختلفة، واشتدت الصراعات بأنواعها المختلفة، وباتت الحاجة ملحة للخروج من هذه الأزمة، ومن أجل ذلك كان لا بد من البحث عن الحلول المختلفة، والعلاج المناسب للشفاء من هذه الآفات الخطيرة.

ولعل تجربة العلامة التونسي (الشيخ الطاهر بن عاشور) «١٨٧٩-١٩٧٣م» في مشروعه الإصلاحية المتنوع- تعد نموذجاً من النماذج المعاصرة التي كلفت نفسها تحليل الواقع الديني، والاجتماعي، والسياسي، والتربوي، ونقد الخطابات السائدة فيه، فقد أراد الخروج بالدين وعلومه من حيز الجمود والتقليد إلى التجديد والإصلاح، داعياً إلى تحرير العقل الإنساني من كل قيوده، والتعامل مع كل المعطيات وفقاً للنظر الإنساني البعيد عن كل التصورات القبلية، والتفسيرات الجامدة، وذلك من خلال كتبه المتنوعة التي قامت

دعائها على إظهار مقاصد الشريعة الصحيحة؛ التي بُنِيَتْ على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي هي أصل الخلق الإنساني كما سيتضح من خلال هذا البحث .

The Status of Mental in Religious Discourse (Al-Taher bin Ashour as a model)

Abstract:

There is no doubt that behind the violent and terrorist movements especially “in our current society” are many ideologies and intellectual systems in which different forms of discourse have been used, including religious discourse; Which some groups took as a cover and a mean to serve their political and economic agenda, deviating from the its origin, its truth, and the goals of religion. The need became necessary with the entry of our Arab world into the various revolutions known as the Arab Spring, and the tone of religious discourses changed to mobilize the largest group of people; for the benefit of a particular party or group, as if the religion is limited to that, and belief in the religious text has become a blind belief without rationality; so division occurred between the different sects of society, and conflicts of all kinds intensified, and the need became urgent to exit from this crisis; thus, it was necessary to search for different solutions, and appropriate treatment; to cure these dangerous lesions.

Perhaps the experience of the Tunisian scholar Sheikh Al-Taher bin Achour (1879- 1973) in his various reform projects is a model of the contemporary models that have tasked themselves with analyzing the religious, social, political, and educational reality, and criticizing the discourses prevalent in it. And imitation to renewal and reform, calling for the liberation of the human mind from all its restrictions, and dealing with all data according to the human far view from all tribal perceptions, and rigid interpretations, through his various books whose pillars are based on showing the purposes of the correct Sharia;

which is built on the instinct that God created the people on it, which is the origin of human creation as we become clear through this research.

مقدمة:-

أصبح عالمنا المعاصر - في السنوات الأخيرة - مليئاً بالأيديولوجيات المختلفة؛ التي سلبت من الإنسان روحه وعقله وأفضت به إلى عبودية مطلقة يرسف في أغلالها وتسيطر بقواها على كل اتجاهاته وميوله، وأقحمته في وعود وهمية تدعي خلاصه، ومن بين الأيديولوجيات التي أثرت في الإنسان الأيديولوجيات الدينية؛ التي استعملت الخطاب الديني، وكيفته وفق مصالحها، وغاياتها.

ولا شك أن وراء الحركات العنيفة والإرهابية - في مجتمعنا الراهن - أيديولوجيات، ومنظومات فكرية عديدة استعملت فيها أشكال مختلفة من الخطاب، ومن بينها الخطاب الديني، الذي اتخذته بعض الجماعات ستاراً ووسيلة لخدمة أغراضها، ومصالحها السياسية والاقتصادية، منحرفة عن أصل الدين، وحقيقته، وغاياته، وأضحت الحاجة ضرورية مع دخول عالمنا العربي في الثورات المختلفة المعروفة بثورات الربيع العربي، وتغيرت لهجة الخطابات الدينية لحشد أكبر فئة من الناس؛ من أجل مصلحة حزب أو فئة معينة، وكأن الدين محصور في ذلك، وأصبح الإيمان بالنص الديني إيماناً أعمى دون تعقل؛ فحدثت الفرقة بين طوائف المجتمع المختلفة، واشتدت الصراعات بأنواعها المختلفة، وباتت الحاجة ملحة؛ للخروج من هذه الأزمة؛ ومن أجل ذلك كان لا بد من البحث عن الحلول المختلفة، والعلاج المناسب؛ للشفاء من هذه الآفات الخطيرة.

إننا بحاجة عاجلة إلى دراسة هذه الأيديولوجيات، وتحليلها، وتفكيكها، ونقدها، وبيان تهاافتها، وتناقضها مع النص الديني نفسه، خاصة أن القرآن الكريم يحث على استعمال العقل، ويعتبره أصلاً للإيمان - من جهة - والمعرفة - عموماً - من جهة أخرى؛ فجمع بين معرفة النص المقدس والتعقل، قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١) فالعقل هو الأمانة التي حملها الإنسان دون غيره من سائر المخلوقات، والتي تتمثل في الوعي والإدراك اللذين يميزان الإنسان عن سائر المخلوقات، ولا يوجد تناقض بين النصوص المقدسة، وتعقل الإنسان لها، خاصة أن النص الديني حق والعقل حق والحق لا يصاد الحق كما قال «ابن رشد».

ولعلَّ تجربة العلامة التونسيَّ (الشيخ الطاهر بن عاشور) «١٨٧٩ - ١٩٧٣ م»^(٢) والذي أطلق عليه الشيخ (محمد عبده) «١٨٤٩ - ١٩٠٥ م»^(٣) (سفير الدعوة) - في مشروعه الإصلاحية المتنوع - بأنَّه نموذجٌ من النماذج المعاصرة التي كلفت نفسها تحليل الواقع الدينيِّ، والاجتماعيِّ، والسياسيِّ، والتربويِّ، ونقد الخطابات السائدة فيه، واقتراح مشاريع فكريَّة تنويريَّة جديدة؛ لإنقاذ العالم الإسلاميِّ، وإعادة بنائه، وسوف نعرض في البحث لهذه التجربة كأحد الحلول القادرة على إخراجنا من آفات الخطاب الدينيِّ المعاصر ذي المنحى الإيديولوجيِّ والتي لها أضرارها على المجتمع الإسلامي، وتمثِّل عائقاً فعلياً أمام تطوُّر المجتمع الإسلاميِّ وتحريره.

محاور البحث : يتضمن عدة مطالب :

المطلب الأول : أهمية العقل

المطلب الثاني : علاقة العقل بالشرع عند ابن عاشور

المطلب الثالث : مفهوم الخطاب

المطلب الرابع : أساليب الخطاب الديني وأثر العقل فيها

المطلب الخامس : مفسد أدلجة الدين وأثرها في إنتاج مفاهيم العنف :

وأخيراً الخاتمة : وتحتوي أهم نتائج البحث والتوصيات .

المطلب الأول: أهمية العقل^(٤)

لقد جاءت دعوة الأديان موجهة لتلك التصورات المعطلة للعقل الإنساني والمتوقفة على جمود معتقدات الأجداد والآباء، فنزلت الرسالات السماوية تدعو إلى حقائق الإيمان متنوعة في خطاب الوحي، وتوجيهه إلى الاستدلال العقلي لإثبات المسائل الإيمانية.

والعقل «يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة»^(٥)، والمقصود من العقل المتهيئ لقبول العلم: «هو العقل الذي يوجد في الإنسان بالطبع ويدرك العلل والمعلولات بين الحوادث وهو قوة للإدراك وللتصور وللتفكير وهذا ما يسمى بالعقل والطبع السليم وبحسب ما يعرفه الفلاسفة المسلمون والغربيون على العموم هذا هو العقل النظري، العقل بالقوة»^(٦) أما العقل الثاني المستفاد من هذه القوة «هو الذي

يكتسبه الإنسان عن طريق الحواس والتجربة» العقل بالفعل «وهذا الأخير شائع بين الناس بالتجربة»^(٧). ومن منطلق المركزية التي يحتلها العقل في الإنسان فقد احتضن (ابن عاشور) البعد التنويري - في تفكيره - فأخذ على عاتقه تقريب المسائل الإسلامية من الزاوية الحضارية الفكرية بوصفها أنموذجاً ينظم حياة الدنيا والآخرة فتسلح بالنزعة العقلية النقدية ودورها في الإصلاح والتنوير، فانطلق من أن الله جعل الإنسان خليفة في الأرض وكلفه بإعمار أرجائها وتديير شؤون الحياة بما وهبه الله من ملكة العقل، فالعقل «هو الآلة الوحيدة لذلك التدبير»^(٨) وأصبح الإنسان بواسطة العقل متخذاً دوره الحقيقي بوصفه «سلطان العالم الأرضي»^(٩) بكل ما تحمله هذه العبارة من دلالات، كإعمال العقل والمسؤولية والفعل والتمكين وأسس هذه الحقيقة بناء على أن الخلافة هي «القيام بما أراد الله من العمران بجميع أحواله وشعبه . . . ولا شك أن ذلك لا يقوم إلا بالعلم»^(١٠) وذلك «دون احتياج إلى التوقيف في غالب التصرفات»^(١١)، ونلاحظ في ذلك استشراق (ابن عاشور) لما ظهر في واقعنا الحالي من أفكار متطرفة ربطت مفهوم الخلافة بالحاكمية^(١٢) والذي كان من أخطر نتائجه ظهور الجماعات التكفيرية التي نشرت الإرهاب في عالمنا المعاصر، فمسؤولية الحياة وشؤونها لا ينبغي أن ترجع إلى النص وحده بحجة احتوائه على الكلي لحلول كل المشكلات كما استقر في الثقافة التقليدية ومن ثم عكف (ابن عاشور) رد التأويل المتداول بأن الكتاب هو القرآن الكريم كما جاء في الآية القرآنية: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١٣) معتبراً أنه تأويل بعيد وأن «الكتاب- هنا- بمعنى المكتوب وهو المكني عنه بالقلم المراد به ما سبق في علم الله وإرادته الجارية على وفقه»^(١٤) في إشارة إلى أن القرآن الكريم لو كان مطلقاً عقدياً لانتفى دور العقل، الذي هو مناط التكليف وآلة التدبير في شؤون الاستخلاف، والقيام بمقتضيات الإعمار في هذه الحياة، فشؤون الحياة وتغييراتها أعقد وأدق من أن تكتمل داخل النص، فالإنسان مدعو دائماً للنظر والبحث والكشف عن نواميس الكون وقوانين العمران البشري فيقول (ابن عاشور) «كم في هذا العالم من نواميس مغلوبة عنها؟»^(١٥)، ولا شك أن «ابن عاشور» يستقي تأويله من نور العقل البشري ومن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي دعا إلى إعمال الإنسان لعقله في تدبير شؤون الحياة وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم «أنتم أعلم بأمر دنياكم»^(١٦)، وهذا الحديث يتضمن وعياً تاماً بأحوال الحياة وشؤونها، وإعمال العقل البشري بالبحث، والتحليل والاستقراء، وصولاً إلى استنباط الأحكام الضرورية لشؤون حياتنا، لذا يؤكد «ابن عاشور» أن «استقراء آيات كثيرة من الكتاب وأخبار

صحيحة من السنة اقتضى الاعتبار في أدلة الشريعة وبذل الجهد في استجلاء مراد المشرع، وذم أمماً في وقوفهم عند الظواهر وإعراضهم عن النظر والاستنباط وذم أيضاً الذين أخذوا يسألون التوقيف (النص) في كل مسألة^(١٧)، وفي ذلك نلاحظ اتفاق «ابن عاشور» مع أئمة المسلمين مثل «ابن القيم الجوزي»، «والشاطبي»، فيما ذهبوا إليه من عدم الوقوف على المنقول فقط لما يترتب عليه من جمود للعقل، وجمود في الدين، والجهل لمقاصد أئمة المسلمين، يقول ابن القيم «فالجُمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين، وجاهل مقاصد علماء المسلمين و السلف الماضيين . . . ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل»^(١٨)، فلا يحكم المجتهد على فعل من الأفعال الصادرة على المكلفين كما يقول الإمام الشاطبي «بالإقدام أو بالأحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل باعتباره مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب أو لمفسدة تدرأ»^(١٩)، ومن هنا دعا «ابن عاشور» إلى «استعادة دور العقل في البحث والفهم وفي تنزيل الأحكام على الأوضاع الملائمة لشؤون الحياة باعتبار العقل أقوى عنصر في تقويم البشر، فبالعقل يأتي للإنسان أن يتصرف في خصائصه وأن يضعها في موضع الحاجة إليها»^(٢٠)، ولهذا نقد «ابن عاشور» أي إعاقة للعقل للقيام بدوره المكلف به، وهذا أكبر عامل من عوامل سلب الذات المؤدي إلى خسران الإنسان لدوره المنوط به في هذه الحياة، وهو أعمال عقله. وفي ذلك يفسر «ابن عاشور» قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢١) «خسروا أنفسهم عدموا فائدة الانتفاع بما ينتفع به الناس وهو العقل والتفكير وحركة النفس في المعقولات لمعرفة حقائق الأمور»^(٢٢)، بل إن آفة تعطيل العقل بالخروج من دائرة الحياة يؤدي في الدخول إلى دائرة الموت، لما فيه من جمود وتعطيل مسار حركة الحياة، والحضارة التي لا تتوقف، وفي ذلك يفسر قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٢٣) يقول «الموتى استعارة لمن لا ينتفعون بعقولهم ومواهبهم»^(٢٤)، وبجانب ذلك يوجه نظرنا «ابن عاشور» إلى أن أكبر معوقات دفع الحياة في مسار تقدمها الارتكاز في المستوى التشريعي على مبدأ القياس الذي فهم على أنه قياس الشاهد على الغائب، وأصبح ذلك من مقومات العقل الفقهي القديم وشدد على أن فهم القياس على هذا النحو يؤدي إلى اختلاط الحقيقة بالوهم فهو «قياس يصادف الحق تارة ويخطئه تارات»^(٢٥)؛ لأنه يؤدي «في أحيان كثيرة إلى مذلة الخطأ بين التشريع العام والتشريع الخاص»^(٢٦)، ولذلك يؤكد «ابن عاشور»

بأن حقيقة القياس ، هي إعمال العقل والاجتهاد في «تأويل ظواهر الأحكام على محامل صالحة لمختلف أحوال الناس . . . فلا يجدر بحال أن يكون معنى صلوحية التشريع للبشر أن الناس يحملون على اتباع أحوال أمة خاص مثل أحوال العرب في زمن التشريع ولا على اتباع تفريعات الأحكام وجزئيات الأفضية المراعى فيها صلاح خاص ممن كان التشريع بين ظهرانيهم سواء لاءم ذلك أحوال بقية الأمم والعصور أو لم يلائم . . . إذ لو كان هذا هو معنى صلوحية الشريعة لكل زمان لما كان هذا من مزايا شريعة الإسلام وخصائصها فالشريعة ليست بنكاية . . . والأهم في نظرها إمكان تحصيل مقاصدها في عموم الأمة وخاصة الأفراد ولا يتم ذلك إلا بسلوك التيسير والرفق»^(٢٧)، ويشير «ابن عاشور» إلى سبب آخر من أسباب سلب الذات المسلمة ألا وهو «خطأ اللجوء إلى القدر في أعمارهم وخطأ التخلق بالتوكل في تقصيرهم وتكاسلهم»^(٢٨)، ويؤكد ذلك بتحليله لمفهوم المشيئة الإلهية التي تدور حول مسألة القضاء والقدر، باعتبار أن هذه المسألة تقع ضمن دائرة العقل حيث يحللها «ابن عاشور» من خلال «تأثير الزمان والمكان وتكوين الخلقة وتركيب الجسم والعقل ومدى قابلية الفهم، والتفهم، وتسلط المجتمع والبيئة والدعاية»^(٢٩) فعلى قدر تقدم العقل في الكشف عن القوانين المتحكمة في هذه العناصر المكونة للمشيئة الإلهية «الزمان-المكان - تكوين الخلقة - تكوين العقل - قابلية الفهم والتفهم - تسلط البيئة - الدعاية» وسيره وفق ما تقتضيه النتائج المتوصل إليها بعيداً عن التأثيرات الذاتية والخارجية، يتسنى للإنسان أن يكون معبراً عن المشيئة الإلهية، و مترجماً لها على أرض الواقع، هكذا يتحول مفهوم القدر من المجال المتعالي إلى المجال الطبيعي القابل للدراسة والفحص، حيث قوى الإنسان، وقدراته، والتي أساسها العقل ومن هنا تتحدد مركزية الإنسان في صنع حضارته وتاريخه من خلال مركزية إعمال العقل البشري .

ولا شك أن إشكالية «ابن عاشور» هنا هي إظهار سماحة الشريعة الإسلامية - في مقاصدها - بعيداً عن الغلو والتشدد الذي يلجأ إليه بعض أئمة المسلمين في خطاباتهم، ومسعى ابن عاشور في ذلك استعادة مكانة الإنسان التي منحها الله له في استخلاف الأرض، وإعمارها على خلاف التفسير الحرفي الذي مؤداه أن يأخذ الإنسان حق التصرف فيما هو من اختصاص الذات الإلهية . وهذا وهم لجمود التفسير للشريعة والعقيدة من أهل البدع والأهواء .

المطلب الثاني: علاقة العقل بالشرع عند ابن عاشور

إن «ابن عاشور» في تعرضه لمسألة علاقة العقل بالشرع من خلال منهج فلسفي لم يتعرض له كثير من فقهاء عصره و ذلك من خلال تحليله لبعض التيارات الفلسفية مدحاً لبعضها ومتخذاً من بعضها الآخر طريقاً في تفاسيره ، ويتضح ذلك من خلال وقوفه على معنى الفطرة وارتباطها الوثيق بالعقل والشرع ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَقِّمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣٠)

يوضح «ابن عاشور» أن الفطرة في الإسلام «فطرة عقلية ؛ لأن الإسلام عقائد وتشريعات ، وكلها أمور عقلية أو جارية وفق ما يدركه الحق»^(٣١) ، وقد اعتمد على تفسيره للفطرة على المفسرين أمثال (الزمخشري وابن عطية والبغوي) «والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الإنسان التي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه»^(٣٢) ، ويزيد «ابن عاشور» توضيحاً لمفهوم الفطرة بأنها «ما خلق الله عليه الإنسان ظاهراً وباطناً أي جسداً وعقلاً ، فسيره على رجليه فطرة جسدية ، ومحاولة مشيه على اليدين خلاف الفطرة ، وعمل الإنسان بيديه فطرة جسدية ، ومحاولة عمله برجليه خلاف الفطرة ، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية ، ومحاولة استنتاج الشيء من غير سببه المسمى هذا الاستنتاج في علم الجدل بفساد الوضع خلاف العقلية»^(٣٣) ويؤكد «ابن عاشور» بأن وصف الإسلام للفطرة «لا يقصد به أنه الفطرة الظاهرية الجسدية ؛ لأن الإسلام عقائد وتشريعات وكلها مدركة بالعقل ، وإنما المقصود أنه الفطرة الباطنية العقلية»^(٣٤) ويستشهد بما ذهب له «ابن سينا» في ربطه للفطرة بنور العقل والذي ذهب فيه «ومعنى الفطرة: أن يتوهم الإنسان نفسه حصل في الدنيا دفعة وهو عاقل ، لكنه لم يسمع رأياً ، ولم يعتقد مذهباً ، ولم يعاشر أمةً ، ولم يعرف سياسةً ، ولكنه شاهد المحسوسات وأخذ منها الحالات ، ثم يعرض على ذهنه شيئاً ويتشكك فيه ، فإن أمكنه الشك فالفطرة لا تشهد به ، وإن لم يمكنه الشك فهو ما توجهه الفطرة . وليس كل ما توجهه فطرة الإنسان بصادق ، إنما الصادق فطرة القوة التي تسمى عقلاً»^(٣٥)

ويرفض «ابن عاشور» ما ذهب إليه السفسطائية بإنكارهم الحسيات والبديهيات وغيرها واتخاذهم أقيسة مركبة من الوهميات لدحض آراء خصومهم فيقول «فإنكار السفسطائية ثبوت ذلك خلاف الفطرة العقلية»^(٣٦)

ومثل هؤلاء هم أشد خطراً على المجتمع لخطاباتهم المضللة لأننا لا نجدهم متفقيين - كما يذهب ابن عاشور - إلا في «الوهميات والتخيلات، بل تجد سلطان هذين الأخيرين أشد بمقدار شدة ضعف العقول وتجد أهل العقول الراجحة في سلامة منها»^(٣٧)، ذلك أن الوجدان الإنساني العقلي لا يدخل «تحت الفطرة منه إلا الحقائق والاعتباريات، ولا يدخل فيها الأوهام والتخيلات؛ لأنها ليست مما فطر عليها العقل»^(٣٨)، لذلك «تجد العقلاء متفقيين في الحقائق والاعتباريات، ولا تجدهم متفقيين في الوهميات والتخيلات، بل تجد سلطان هذين الأخيرين أشد بمقدار شدة ضعف العقول وتجد أهل العقول الراجحة في سلامة منها»^(٣٩). ومن الملاحظ أن اضطلاع «ابن عاشور» بمسائل الفلسفة والمنطق أعطت لتفسيراته بعداً شمولياً مرتكزاً على وعي تام بما تحمله نصوص الشرع من معان ومقاصد، ولذلك أكد على ارتباط العقل بالشرع فكل الحقائق التشريعية لن تجد لها طريقاً لحيز التطبيق بدون العقل فما «يدعو إليه القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من التعاليم، بأسمائها ومعانيها المرادة له أمور متميز بعضها من بعض، في الأمر والواقع نفسه».

«فالعقائد الإسلامية وشرائع الإسلام وقوانينه حقائق تدركها العقول، وتطبقها على الخارج فتجدها مطابقة للواقع»^(٤٠)، ومن أجل ذلك كان لزاماً معرفة مقصد الشرع حتى لا تختلط مسأله ببعضها، مما يؤدي للأوهام والضلال، فترسف الأمة في براثن الضلال ولذلك رفض «ابن عاشور» كل ما هو قطعي في أحكام الشريعة ما لم يتبين - بالدليل العقلي، - والبرهان أنه كذلك، ومن هنا فإعمال العقل - فيما يتعلق بالشريعة - هي الغاية التي تتحدد - من خلالها - مقاصد الشريعة. ويرى «ابن عاشور» أن قواعد الأصوليين من الفقهاء ليست قطعية وقد رد على الإمام الجويني في كتابه (البرهان) في قول الجويني «فإن قيل تفسير أخبار الآحاد والأقيسة لا تلقي إلا في أصول الفقه وليست قواطع قلنا: حظ الأصولي إبانة القواطع في وجوب العمل بها ولكن لا بُدَّ من ذكرها ليتبين المدلول ويرتبط بالدليل»^(٤١)

وقد علق الإمام «ابن عاشور» على ذلك بقوله: «لم يرَ علماء أصول الفقه قد دونوا أصولاً قواطع يمكن توقيف المخالف عند جريه على خلاف مقتضاها كما فعلوا في أصول الدين»^(٤٢)

فالمقاصد الحقيقية إذن هي قائمة في المعاني الباطنة، والتي لا تدل عليها ظواهر النصوص، لذا فإن معرفة هذه المقاصد ينبغي أن تلتبس في هذه المعاني الباطنة، ولا رجوع في ذلك إلى الألفاظ بحال، كذلك أنكر «ابن عاشور» ما ذهب إليه «أبو إسحاق الشاطبي» بوجود مسائل قطعية في الفقه، فيرى «ابن عاشور» «أنه لم يأت في هذه المسائل بطائل»^(٤٣) وقد حاول «ابن عاشور» «جمع القواطع الأصولية المتعارف عليها وتعبيرها بمعيار النظر والنقد بنفي الأجزاء الغريبة مع إعادة صوغ هذه المسائل صياغة مقصديه الغاية منها إظهار مدارك الفقه وأهدافه الجليلة لتأسيس علم مقاصد الشريعة ولقد سبقه في الكتابة في هذا الموضوع علماء أفذاذ من أجل الفقه والنظر»^(٤٤)، حاولوا البحث في مسائل هذا العلم وتعيد قواعده فجاءوا بفوائد كثيرة فكان ما فعله الشيخ هو اقتفاء آثار هؤلاء بتنقيح ما دونوه مع تجنب بعض التطويلات والخلط الذي وقع فيه بعضهم^(٤٥)، لذلك لا يؤيد «ابن عاشور» ربط العقيدة بالعقل ربطاً ظاهرياً شكلياً، بل يريد إعمال العقل للتفهم والتدبر، وهذا هو المقصد الأساسي لمقاصد الشريعة فيقول «إذا كان غرضنا ربط أحكام الشرع بمعاني أو مقاصد أو أوصاف فليس معنى ذلك أن نربطها بأوصاف شكلية أو أسماء صورية لا حقيقة لها ولهذا وقع بعض الفقهاء في أخطاء»^(٤٦)، ولذلك فهو دائماً يستعمل أدلة منطقية في البرهنة على مقاصد الشرع ويؤكد أن «استقراء أدلة أحكام معينة مشتركة في علة ما يؤدي إلي اليقين بأن تلك الحكمة مقصد قصد إليه الشرع وأراد»^(٤٧)، فحفظ نظام العالم واستدامة صلاحه فيما يري «يتوقف على صلاح الإنسان في عقله وعمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي نعيش فيه»^(٤٨)، إن إعمال العقل فيما يتفق مع الشرع هو أهم ما تبنى عليه الحضارات، بل إن فطرة الله تأمر بالتقاء العقول وتلاحمها من أجل النهوض بالحضارات، والتطور الحضاري، وفي هذا يقول «ابن عاشور»: «والحضارة والحق من الفطرة لأنها من آثار حركة العقل الذي هو من الفطرة، وأنواع المعارف الصالحة من الفطرة لأنها نشأت عن تلاقح العقول وتفاوضها والمخترعات من الفطرة؛ لأنها متولدة عن التفكير وفي الفطرة حب ظهور ما تولد عن الخلقة، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، فاستنتاج الشيء من غير سببه المسمى بعلم الاستدلال بفساد الوضع خلاف الفطرة العقلية»^(٤٩)

المطلب الثالث: مفهوم الخطاب

لقد تعددت الآراء حول تعريفات الخطاب الديني واختلفت، ومن الصعوبة التوصل لتعريف محدد لهذا المصطلح نسبياً وذلك أن الخطاب الديني يُعد من التعبيرات الحديثة في مجال العلوم الاجتماعية العامة واللغويات الاجتماعية حيث دخل هذا المصطلح في معارك إيديولوجية تنوّعت أبعادها مما أدى للابتعاد عن المفهوم العلمي لهذا المصطلح تعريف الخطاب لغةً: الخطاب في اللغة «مصدر خاطب، يخاطب، خطاباً ومخاطبة وهي يعني: الكلام بين اثنين»^(٥٠)، وقد توسع مدلول الخطاب في عرف الناس فأصبح يشمل كل كلام يوجه صاحبه نحو غيره سواء أكان شفهيّاً أو مكتوباً فأصبحوا يسمون الكتاب الموجه لشخص أو جهة خطاباً لقيامه مقام الكلام الموجه نحو الغير مع أن اللغة تفرق بين المعنيين، ووصف الخطاب بالديني نسبة إلى الدين، والدين في اللغة الجزاء والمكافأة، يقال دنته بفعله أي جزيته ويوم الدين: يوم الجزاء ومنه قوله تعالى: ﴿أَتُنَّا لَمَدِينُونَ﴾^(٥١) أي محاسبون مجزيون.

ويطلق بمعنى الطاعة، يقال دنت له أي أطعته وجمعه أديان^(٥٢)، وهذه المعاني جعلها «ابن فارس» ترجع إلى أصل واحد وهو جنس الانقياد والذل^(٥٣)، وسميت الأديان السماوية ديناً؛ لأنها تجعل أهلها مطيعين وخاضعين لتعليمها وأحكامها وتحملهم على أن يتخذوا أحكامها لهم يلتزمون بها.

«وينحصر الخطاب الديني في فهم الفقيه للإنسان والصيغة المعينة التي يعبر بها عن الإسلام بناءً على فهمه، كذلك يشير مفهوم الخطاب الديني إلى ذلك البناء من الأفكار والمعتقدات التي تتسم بأهميتها الاجتماعية التي تنبع من ارتباطها بدين ما، ومن ثم تأثيرها في تكوين تصور متلقي الخطاب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه وتحديد كيفية تصرفهم إزاءه»^(٥٤)، وينطوي مصطلح الخطاب الديني على العديد من التنوعات منها «خطاب ديني مغلق وهو الخاص بتفسيرات النصوص والشعائر وخطاب ديني مفتوح وله عدة مستويات قد يكون في إطاره إبداء القيادة الدينية في أسئلة تتعلق بقضايا شخصية توجه إليه وهو يختلف عن الخطاب الشرعي «خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاعتداء أو التخيير أو الوضع»^(٥٥)، ولذلك يغفل بعض المثقفين الفرق بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني فيخلط بين المصطلحين.

تعريف الخطاب اصطلاحاً: «هو كل نطق أو كتابة تحمل وجهه نظر محددة من المتكلم أو الكاتب وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها»^(٥٦)

ولم يُعرف هذا الاصطلاح من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنه ليس مصطلحاً له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج . . . الخ، ونظراً لما يطرأ على الأمة من تغيرات وتقلبات عبر العصور المختلفة ومن منطلق صلاح الأمة وجّه «ابن عاشور» عنايته للوقوف على مفهوم الخطاب لماله من تأثير على أذهان الناس فأخذ علي عاتقه رسم الطريق الذي ينبغي على خطباء الأمة اتباعه بداية من تعريف الخطاب وصولاً إلى منهج الخطيب الواجب الالتزام به، من أجل البعد عمّا يدرأ على المجتمع من مفاسد، وقد عرّف «ابن عاشور» الخطاب موضحاً أهميته بقوله بأنه: «ركن عظيم من آداب الاجتماع البشري، فيها يحصل تهذيب الجمهور وحملهم على ما فيه صلاحهم، وتسكين جأشهم عند الروع، وبث حماسهم عند اللقاء، وبها تحصل محاجة المموهين عليهم، والمعنتين لهم، إذ الجمهور إنما يتألف من أفراد لا تبلغ عقولهم بسرعة إلى إدراك البراهين النظرية، ولا تهتدي من تلقاء نفسها إلى الغايات الحقيقية، فناسب أن يعدل عند خطابه إلى الأمور الإقناعية وهي المشهورات الموصلة إلى ما يوصل له البرهان ولو خالفته في الطريق، وقد يخاطب الخطيب قومًا من الخاصة إلا أن المقام يكون نايباً عن سلوك طريقة البرهان، إما لقصر الوقت واحتياج البرهان إلى طول، وإما لأن في البرهان خفاء»^(٥٧)، ويؤكد «ابن عاشور» أن النصوص الشرعية تؤكد على منفعة الخطابة وتشرعها لما فيها من مصلحة الفرد والمجتمع فيقول «وحسبك من منفعة الخطابة أن الله تعالى شرع لنا الخطبة عند كل اجتماع مهم من جمعة وعيد وحج؛ وذلك أن النفوس تميل في طباعها إلى متابعة الشهوات وتتجهم الاتباع لمقتضى الأخلاق الفاضلة، فإذا لم تتكرر عليها الدعوة إلى الفضائل بالخطب غلبت عليها أضداد الفضائل والعدالة»^(٥٨)، فـ «ابن عاشور» يستوحي أهمية الخطاب من النص الشرعي وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ﴾^(٥٩)، كما يستوحي مما بلغت عليه النفس البشرية من شر وخير كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٦٠).

ويضع «ابن عاشور» أركاناً للخطاب أهمها:

١ - الديباجة: ويشترط فيها الإيجاز والارتباط بالمقصود ويسمي ذلك ببراعة الاستهلال.

٢ - المقدمة : وهي مبدأ الخطبة ونعني بها الكلام الذي يقصد منه تهيئة نفوس السامعين لتلقي ما سيلقي إليهم بالتسليم .

٣ - الغرض : وهو الذي لأجله انتصب الخطيب ليخطب .

البيان : بيان الغرض وإيضاحه وذلك بالاستدلال والتمثيل ، و التمثيل يكون بذكر الأمثال ، وقد استقي ذلك أيضاً من النص القرآني .

الغاية : وهي التحريض والتحذير وشأنها أن تقع آخر الخطبة بعد ما تقدم وقد يقدمها الخطيب ثم يأتي بعدها بغيرها ثم خاتمة الخطبة ويحسن فيها أن تكون كلاماً جامعاً لما تقدم^(٦١) .

وقد انتقد «ابن عاشور» ما ذهب إليه بعض الفقهاء من أن النصوص تحتوي على كل الحلول لكل المشاكل وينتهي إلى «تعطيل الدين وإفضائه عن أن يكون عاملاً أساسياً لإمداد الحياة بما به تتقدم الحياة ، أو هو ضلال على حد قول ابن القيم - كما يقول ابن عاشور - والتعويل في تعامل الفقيه مع أفضية الناس ، وما يحدث في المجتمع البشري من تحولات وتغيرات ينبغي أن يقوم على اعتبار التشريع في حقيقته وجوهره عملية اجتهادية متواصلة مؤسسة على المصالح وعلى جعل حياة الناس دون حواجز أو موانع فاستقراء الشريعة دل على أن السماحة واليسر من مقاصد الدين «ولذلك قام مقصد الشريعة عند ابن عاشور وما يبنى عليه من خطاب ديني هو العقل كآلة للتشريع من أجل الوصول إلى الهدف الذي يسعى إليه التشريع وهو الإنسان نفسه»^(٦٢)

المطلب الرابع: أساليب الخطاب الديني وأثر العقل فيها

ينحو «ابن عاشور» منحى «الغزالي» في تقسيمه للخطاب الديني الذي ميزه في ثلاثة أشكال «القول البرهاني والقول الخطابي والقول الجدلي» وذلك حسب التصنيف الذي أورده «الغزالي» والذي استقاه حسب قوله من القرآن الكريم^(٦٣) ، ويفطن «ابن عاشور» لطريق الدعوة الصحيح والخطاب الديني الهادف من خلال الإعجاز العلمي الموجود في القرآن الكريم وقد فصل في تفسيره التحرير والتنوير آية ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٦٤) ، ليوجه خطباء الأمة للإعجاز العلمي في هذه الآية بما تحمله من أساليب للخطاب الديني لتبليغ الدعوة وانقسمت كما جاءت في الآية السابقة إلى ثلاثة أساليب :

الأسلوب البرهاني: وهو متضمن في الحكمة وهي «شمولية وكلية يرجوها كل طالب الكمال»^(٦٥)، والحكمة لا تأتي بأي صورة، سوى أنها حسنة لشمولها على أوجه الإقناع، إذا نظرنا لغاياتها المرجوة فيقول «ابن عاشور»: «و أما الحكمة فهي تعليم لمتطلب الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه فلا تكون إلا في حالة حسنة فلا حاجة إلى التنبيه على أن تكون حسنة»^(٦٦)، ولا شك أن الأسلوب البرهاني بما يحتويه من حجج وأدلة هو فطري؛ لشموله على الحكمة والتي هي فصل الخطاب والكلمة النهائية بما تحمله من استدلالات عقلية التي لا مجال فيها للاحتمال فهي المعرفة المحكمة الصائبة المجردة عن الخطأ فلا تطلق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء، وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم، ولذلك عرفت الحكمة بأنها «معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية»^(٦٧)، وقد استقى الإمام هذا التعريف من اصطلاحه الواسع للفلسفة ولا سيما عند فلاسفة اليونان الذين ذهبوا إلى هذا التعريف للحكمة والفلسفة.

الأسلوب الخطابي: وهو الأسلوب الحسن الذي يشمل صوراً بلاغية وبيانية تليين من قلب السامع لشموله على نصائح وعظات من شأنها تليين ما في الصدور من غلظة وقسوة وقد تضمن هذا الأسلوب الموعظة الحسنة، فلكي يصل الخطيب إلى قلب الناس لا بد له من الكلام الحسن غير الغليظ، وإلا أعرض الناس عنه ولذلك قيدت الموعظة - كما يقول ابن عاشور - بالحسنة ولم يقيد الحكمة بمثل ذلك؛ لأن الموعظة لما كان المقصود منها غالباً ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة أو عن توقع ذلك كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ «فالموعظة من شأنها أن تليين القلوب وتذرف الدمع، ويوجه «ابن عاشور» نظر فقهاء الأمة والقائمين على الخطاب الديني بأن الموعظة قد تأتي بأسلوب غير مباشر للنصح والإرشاد، بطريقة غير مباشرة وهي الطريقة التي يحث عليها علماء النفس المعاصرون، وهذا ما نجده من خلال الأمثال في النص القرآني يقول تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٦٨)

ويوضح «ابن عاشور» هنا أن الموعظة جاءت بطريقة «ضرب المثل بحالي فريقين في تلق شيء واحد انتفع فريق بما فيه من منافع وتعلق فريق بما فيه من مضار. وجيء بذلك التمثيل بحالة فيها دلالة بديع تصرف الله تعالى ليحصل التخلص من ذكر دلائل القدرة إلى

ذكر عبر الموعظة، فالمركب مستعمل في التشبيه التمثيلي بقرينة قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٦٩)، ويتضح من ذلك أن الإمام «ابن عاشور» يريد من الخطيب الوصول إلى قلب المخاطبين من أجل حسن استماعهم وبالتالي التأثير فيهم بردعهم عن فعل السيئات وحثهم على عمل الخير لما فيه من صالح للفرد والمجتمع.

الأسلوب الجدلي: المجادلة كما يوضحها «ابن عاشور» لا تكون إلا مع المعارضين فهي «الاحتجاج لتصويب رأي، وإبطال ما يخالفه أو عمل كذلك»^(٧٠)، ويجعل «ابن عاشور» الأسلوب الجدلي متداخلاً مع الأسلوبين الآخرين البرهاني والخطابي لأهميته في الوصول لإقناع السامعين وخاصة المخالفين منه فيقول «والمجادلة لما كانت بحاجة في فعل أو رأي لقصد الإقناع بوجه الحق فيه فهي لا تعدو أن تكون من الحكمة أو من الموعظة، ولكنها جعلت قسماً لها هنا بالنظر إلى الغرض الداعي إليه»^(٧١) ويؤكد «ابن عاشور» احتواء المجادلة لأداب الخطاب الواجب توفرها كما نبه لذلك الشرع من خلال القرآن الكريم والذي دعا إلى الحوار والجدل الحسن للمسلمين وغيرهم من الأديان الأخرى فيقول «... وهذا موجب تغيير الأسلوب بالنسبة إلى المجادلة إذ لم يقل والمجادلة الحسنة بل قال وجادلهم، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٧٢)، وفي هذا دعوة للحوار والتسامح بين الأديان لبث السلام بين الأفراد والمجتمع فلا مجال للعصبية والتعصب من قبل فقهاء الأمة ودعاتها في الخطاب الديني ولذلك حثهم على الجدل الهادف الذي يؤدي إلى إيقاظ الأذهان لا إيهامها ولذلك عمل «ابن عاشور» على توجيه خطباء الأمة لوجود جدلية رائعة في الخطاب الموجه للناس من خلال التشويق للأحداث والأمثال، وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٧٣) فيقول: «فقوله أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا، إيقاظ للذهن ليقرب ما يرد بعد هذا الكلام، وذلك مثل قولهم: أَلَمْ تَعْلَم. ولم يكن هذا المثل مما سبق ضربه قبل نزول الآية بل الآية هي التي جاءت به، فالكلام تشويق إلى علم هذا المثل. وصوغ التشويق إليه في صيغة الزمن الماضي الدال عليها حرف لم التي هي لنفي الفعل في الزمن الماضي والدال عليها فعل ضرب بصيغة الماضي لقصد الزيادة في التشويق لمعرفة هذا المثل وما مثل به»^(٧٤) كذلك يحذر «ابن عاشور» من الاعتماد

على الجدل المضلل بضرب الأمثال الباطلة من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾^(٧٥)

لأن ضرب الأمثال بالباطل ربما يضل السامع للخطاب ويؤثر على العقل بالإيهام، فليس كل مثل يضرب يساعد على العقل على البحث الصحيح. بل الصحيح أن المثل الصحيح والحق هو الذي يساعد العقل والمثل الباطل يوهم العقل ويضله. ومن خلال هذه الأساليب الثلاثة نجد الارتباط الوثيق بين الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة والتي لا ينفك عنها الخطاب الديني، فأراد أن يبين ارتباط الحكمة والموعظة الحسنة بالخطاب الديني مباشرة وأنهما من أساليب الخطاب الديني ثم فرق بين الحكمة والموعظة الحسنة، حيث رأى أن الحكمة أعم من الموعظة الحسنة في تفسيره التحرير والتنوير قائلاً: «والموعظة: القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير، وهي أخص من الحكمة لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها»^(٧٦)، وهذا الأسلوب الخاص للموعظة يكون منه حكمة أو خطابة أو جدل وعنه فإن الحكمة والموعظة يوجد بينهما تباين لأن الحكمة وإن كانت أعم من الموعظة، فهذا لأن الموعظة خصوص وجهي لعموم الحكمة ففيها من الحكمة التي يستخدمها الخطيب في الخطاب الديني كما أشار «ابن عاشور» في تفسيره للآية قائلاً: «وعطف الموعظة على الحكمة لأنها تباين الحكمة بالعموم والخصوص الوجهي فإنه قد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع، فمن الموعظة حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل»^(٧٧)، ونجد «ابن عاشور» يؤكد على تقييد الموعظة بالحسنة، وذلك لأن الموعظة تكون لحث نفس الموعوظ على ترك الفعل السيئ أو الأفعال السيئة جملة، أو توقع صدورها منهم، فلعل الواعظ يأتي بأسلوب فيه غلظة في وعظه مثل التعنيف وهذا ما يترتب عليه نفور الموعوظ من الواعظ بل من الخطاب الديني ذاته فيترب عليه منكر أشد مما أراد الخطاب الديني بلوغه من نفس الموعوظ، لذا يقول ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة «أرشد الله رسوله أن يتوخى في الموعظة أن تكون حسنة بإلانة القول الموعوظ في الخير»^(٧٨)، وكما ذكر من قبل «ابن عاشور» أن الموعظة تأتي خطابة أو جدلاً أو تأتي بحكمة فيبدو لنا من النظر في كلام ابن عاشور لزوم ارتباط الموعظة بالحسنة، وارتباط الخطابة بالموعظة، فينتج أن الخطاب الديني يلزمه الحسنة في أساليبه وترك الغلظة والابتعاد عما ينفر المخاطب من شدة وتعنيف وما أشبهه، لذا يقول «ابن عاشور» «وإلى الموعظة ترجع صناعة الخطابة لأن الخطابة تتألف من مقدمات ظنية لأنها مراعى فيها ما يغلب عند أهل العقول المعتادة. وكفى بالمقبولات العادية موعظة»^(٧٩)، وهنا يظهر لنا من ناحية أن

الخطاب الديني والمخاطب والخطيب يلزم حضور العقل لفهم المراد ولتتحصل الغاية من أسلوب حسن في الخطاب الديني، ومن ناحية أخرى انتصر «ابن عاشور» لمكانة العقل والبرهان بإعطائه المكانة الأولى في الخطاب كما فعل «الغزالي» الذي أكد على البرهان وانتصر له «انتصاراً كاملاً يجعله مستعداً لتكذيب نبوة نبي أو حكاية مروية عن نبي، إذا كان قوله مناقضاً للبرهان ولليقين الذي لديه، فالعقل أولى بالاتباع لأنه الغريزة الإنسانية بل إن علمنا بأن هذا نبي أو قوله هو قول نبي اتفاق قوله وحال مع نتائج البرهان وحقيقة اليقين»^(٨٠)، ولذلك تبنى «ابن عاشور» العمل على هدم الانقياد الأعمى وراء آراء الآخرين - مهما كانت مكانتهم - بدون حجة أو برهان يستند إلى العقل الذي هو فطرة الله في الإنسان ومن أجل هذا وضع حلولاً استشرافية قوامها بناء الثقة بين أطراف المجتمع فهو ضرورة من ضروريات مواجهة العنف ذلك أن التشكيك بتوجه الحكومات والأفراد سواء على مستوى القادة أو من يمثلهم والتشكيك في الأحزاب أو الجماعات أو الأفراد هو من أهم العوامل المولدة للعنف في مجتمعاتنا وقد أكد «ابن عاشور» على تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع من أجل استقرار أحواله، ولذلك فلا بُدَّ من إعمال العقل من أجل درء أي أدلجة للدين بحجب مقاصده التي جاءت لإصلاح حال الإنسان.

المطلب الخامس: مفسد أدلجة الدين وأثرها في إنتاج مفاهيم العنف:

يرفض «ابن عاشور» أي قناع للدين ويرفض كل ما من شأنه أن يسيء للدين ولا سيما توظيف النص لأغراض تخدم مصالح جهة ما أو أفراد على وجه الخصوص، ويفسر «ابن عاشور» من خلال قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٨١)، ويوضح من خلالها كيف أساء البعض عبر التأريخ توظيف بعض الأحكام الشرعية كما هو الحال بالنسبة إلى (الحجاج بن يوسف الثقافي) «توفي ٩٥ هـ - ٧١٤ م» الذي أسرع يوماً مهرولاً إلى الإمام مالك بن أنس يسأله عن أقصى عقوبة عاقب به النبي صلى الله عليه وسلم فأجابته بأنه صلى الله عليه وسلم حكم بقطع الأيدي والأرجل وسمل العين والترك في الحرة حتى الموت فما كان من الحجاج إلا أن حكم على بعض مخالفين السياسة بذلك في حين أن ما وجه إليهم من تهم - إن صحت - لا تستوجب ذلك»^(٨٢) ويقول «ابن عاشور» مبرراً لخطورة توظيف الدين والنصوص القرآنية توظيفاً خسيساً «وحرف أقوام آيات بالتأويل البعيد ثم سمو ذلك بالباطن زعموا أن للقرآن ظاهراً وباطناً فكان ذلك لبس كثير ثم نشأت عن ذلك نحلة الباطنية ثم تأويلات المتفلسفين في

الشريعة كأصحاب الرسائل الملقين بإخوان الصفاء ثم نشأ تلبس الواعظين والمرغبين والمرجئة فأخذوا بعض الآيات فأشاعوها وكتموا ما يفيدها ويعارضها»^(٨٣)، ولذلك فعند تعرضه لتفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٨٤)، نجده بذهن متقد برؤية علماء النفس المعاصرين مستشرفًا لمشاكل الأفراد والجماعات من إسقاطات نفسية انعكست من البعض لنشر الشك والريبة بين أفراد المجتمع، فيقول: «أي كنتم كفارًا فدخلتم الإسلام بكلمة الإسلام، فلو أن أحدًا أبى أن يصدقكم في إسلامكم أكان يرضيكم ذلك. وهذه تربية عظيمة، وهي أن يستشعر الإنسان عند مؤاخذته غيره أحوالًا كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذه المعلم التلميذ بسوء إذا لم يقصر في أعمال جهده. وكذلك هي عظة لمن يمتحنون طلبة العلم فيعتادون التشديد عليهم وتطلب عثرتهم، وكذلك ولاة الأمور وكبار الموظفين في معاملة من نظرهم من صغار الموظفين، وكذلك الآباء مع أبنائهم إذا بلغت بهم الحماقة أن ينتهروهم على اللعب المعتاد أو على الضجر من الآلام»^(٨٥) وهذه الآية كما يقول تدل «على حكمة عظيمة في حفظ الجامعة الدينية وهي بث الثقة والأمان بين أفراد الأمة ما من شأنه إدخال الشك؛ لأنه إذا فتح هذا الباب عسر سده وكما يتهم غيره أن يتهم من اتهمه وبذلك ترتفع الثقة ويسهل على ضعفاء الإيمان المروق إذ قد أصبحت التهمة تظل الصادق والمنافق»^(٨٦)، ومن أبرز المخاطر التي تصدى لها «ابن عاشور» الناتجة من أدلجة الدين والنتاج عنها العنف مقولة التكفير التي اتخذت سلاحًا في وجه المخالفين وتبريرًا لإشهار السيف في وجوههم استنادًا إلى ذرائع ظاهرها ديني وباطنها سياسي عشائري نفسي، ذلك أن التكفير ناتج عن قلة تأمل بإحاطة بمواد الشريعة والتوسل بهذه المقولة دليل قاطع على ضعف حجة أصحابها وتصورهم عن إقامة الحق مما يؤدي إلى صراع وتقاتل وتصبح فئات المجتمع مشحونة ضد بعضها البعض.

ويستشهد بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين فيقول «وانظر إلى معاملة النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين فقد عاملهم معاملة المسلمين، على أن الدين سريع السريان في القلوب فيكتفي أهله بدخول الداخلين فيه من غير مناقشة إذ لا يلبثون أن يألفوه بالقوة وتخالط بشاشته قلوبهم، فهم يقتحمونه على شك وتردد فيصير إيمانًا راسخًا ومما يعين على ذلك ثقة السابقين فيه باللاحقين»^(٨٧).

إن عمليات التكفير للأفراد والأحزاب والجماعات التي تدعي أنها إسلامية منتشرة في عالمنا المعاصر استشرفها «ابن عاشور» منذ أكثر من قرن من الزمان دعا فيها رجال الدين ممن يتولون مهمة الخطاب إلى أن يلتزموا الحيطة والحذر في تفسيراتهم وأقوالهم حتى لا يقع الخلاف فيما بينهم فيؤدي إلى تفسير الدين بصورة خاطئة مما يتولد عنه كثير من أدلجة الدين وما ينتج عنها من عنف فيقول «وأنا أقول كلمة أربابها عن الانحياز إلى نصره، وهي أن اختلاف المسلمين في أول خطوات مسيرهم وأول موقف من مواقف أنظارهم، وقد مضت عله الأيام بعد الأيام وتعاقبت الأقسام بعد الأقسام يعد نقصاً علمياً لا ينبغي البقاء عليه ولا أعرفني بعد هذا اليوم ملتفتاً إليه»^(٨٨).

إن ما يسعى إليه «ابن عاشور» هو مصلحة العالم التي تتمثل «في احترام بقاء النفوس في كل حال وتأمين له من التساهيل في حزم أصوله»^(٨٩).

فهذا «هو حق الحياة الذي هو حق من حقوق الإنسان وحرية، فإن الاجتهاد الحقيقي إنما هو الذي يحدد هذه الغايات وهذه الحقوق للحفاظ عليها والدفاع عنها. . ما يؤدي إلى العدوان عليها مما يناقضها ويكون الموقف كله موقفاً وسطاً لا يعطل النصوص ويؤله الإنسان على حسب هواه كما يفعل بعض المتغربين ولا يأخذها على ظاهرها حرفياً كما يفعل أهل الظاهر المحدثون بالتمسك بالألفاظ والانغلاق فيهادون المعاني والمقاصد ويكون هذا المنهج الوسطي العقلي مستنداً إلى رد الفروع إلى أصولها والجزئيات إلى الكلليات والمتشابهات إلى المتحكمات»^(٩٠) ويقدم لنا «ابن عاشور» نموذجاً للفقهاء والخطيب الذي لا يمنعه تشبته بالنصوص من التوقف وإبداء الرأي فيما يستوجب من أمور تحتاج ذلك فنجد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَانَ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٩١)، فيرفض «ابن عاشور» وينتقد كل التفاسير المتعلقة بسحر الرسول صلى الله عليه وسلم رافضاً أن «ليبد ابن الأعصم» سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول «وينبغي الثبوت في عبارته ثم تأويله، ولا شك أن ليبدًا حاول أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان اليهود السحرة في المدينة وأن الله أطلع رسوله على ما فعله ليبد

لتكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم في إبطال سحر لبيد وليعلم اليهود أنه نبي لا تلحقه أضرارهم وكما لم يؤثر سحر السحرة على موسى كذلك لم يؤثر سحر لبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرض للنبي عارض جسدي شفاه الله منه فصادف أن كان مقارناً لما عمله «لبيد ابن الأعصم» من محاولة سحره وكانت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم من الله بما صنع لبيد»^(٩٢)

ومن هنا أكد «ابن عاشور» بتجنب قدر المستطاع حمل النص ما لا يحتمل دون الإعراض في الآن نفسه عما تقتضي الضرورة البوح به لا سيما فيما يتعلق ببعض المسائل التي يكثر الجدل في شأنها والتي غالباً ما كانت مبعث تشكيك في مدى احترام هذا الدين لحرية الفرد والجماعة، وحمایته لها كما هو الحال في اختيار من يحكمها، يقول «ابن عاشور» «ولما كان اتفاق جميع الأمة عسراً في الغالب تعين أن يكفي باتفاق ورضى جمهور الأمة فلذلك كانت الديمقراطية ملازمة للجمهور فلا يكون حاكم الأمة في الحكومة الديمقراطية إلا من اختاره جمهور الأمة ليكون حاكماً»^(٩٣)، وببصيرة فائقة وعقل راجح يضع «ابن عاشور» يده على أهم القضايا التي نعاني منها في وقتنا الراهن والتي أدت إلى كثير من العنف من قبل بعض الجماعات التي تضع ساترا على الدين من خلال مفهوم الحاكمية وأن الحاكم خليفة لله على الأرض مما أدى إلى وجود بعض الجماعات المسلحة العنيفة لتمكين الخليفة من الحكم، ففي رده على «علي عبد الرازق» التي ضمنها في كتابه الإسلام وأصول الحكم والتي من بينها قوله «إن علماء الإسلام لم يبينوا مصدر القوة التي للخليفة وأنه استقرأ من عبارات القوم أن للمسلمين في ذلك مذهبين منهم من يرى أن الخليفة يستمد قوته من قوة الله تعالى ومنهم من يرى أن مصدر قوته هو الأمة»^(٩٤)

يقول الشيخ «ابن عاشور»: «هذا الكلام بعيد عن التحقيق ولم يقل أحد من علماء الإسلام أن الخليفة يستمد قوته من الله، وإنما أطبقت كلمتهم على أن الخلافة لا تنعقد إلا بأمرين: إما البيعة من أهل الحل والعقد من الأمة، وإما بالعهد ممن بايعته الأمة لمن يراه صالحاً ولا يخفى أن كلا الطريقتين راجع للأمة، فمصدر السلطة إذاً هو الأمة، وأن الخليفة لا يستمد سلطته من الله لا بوحى ولا باتصال روحاني ولا بعصمة»^(٩٥)، إن أهلية الأمة بدخول عصر التنوير تمر عبر التربية على احترام الآراء والتسامح عند الاختلاف مما يؤدي إلى قيام الحضارات وعمران الأرض وإصلاحها. ذلك «أن الله خلق الإنسان على أصول فطرية لعمران العالم وهي إذن الصالحة بانتظام هذا العالم على أكمل وجه وهي

إذن ما احتوى عليه الإسلام الذي أراده الله لإصلاح العالم بعد اختلاله»^(٩٦)، ولا نجد لهذه الرؤية مثيلاً إلا عند «ابن الطفيل» الذي «دعا إلى الحفاظ على الحياة في النبات بالأ ترمي بذور الفواكه حين استهلاكها، وإنما يحتفظ بها لأنها أصول لهذه النباتات والأشجار التي تلد ثمراتها»^(٩٧)، ومن أجل ذلك دعا «ابن عاشور» إلى عدم تحميل النص الديني أكثر من معناه المنوط به كما حذر «من انتحال الأفكار، وفي المقابل دعا إلى احترام الأفكار المختلفة من دون سخرية أو استهزاء؛ لأن احتقار أفكار الآخرين وعدم احترامها مدخل إلى دمور الإبداع والقدرة على الإفصاح عنها فتموت تحت أفعال الأسر في سبها قبل أن تبلغ أشدها وتستطيع مقاومة الزمان ولي أيدي المضطهدين»^(٩٨).

وقدّم لنا حلاً تطبيقياً لذلك من خلال جمع شمل خطباء الأمة وعلمائها فيقول «إن أقل ما يجب على العلماء في هذا العصر أن يبتدئوا به من هذا الغرض العلمي أن يسعوا إلى جمع مجمع علمي يحضره أكبر العلماء بالعلوم الشرعية في كل قطر إسلامي على اختلاف مذاهب المسلمين في الأقطار، ويسطوا حاجات الأمة ويصدروا فيها عن وفاق فيما يتعين عمل الأمة عليها ويعلموا أقطار الإسلام بمقرراتهم»^(٩٩)

الخاتمة

من كل ما سبق نلاحظ أنّ أعمال العقل في الدين، ليس إصلاحاً للدين حاشا لله - وإنما هو طريق للنظر في جوانب إصلاح المنهجية التي عُرض فيها الدين، وللطريقة التي يفهم بها الدين، لذلك كان لا بُدَّ أن يأتي إصلاح الخطاب الديني في صدارة العقل لكل الأمور الدينية والدينية باعتبارها فطرة الله التي وضعها في الإنسان فاستخلفه في الأرض يتبوا منها حيث يشاء، ولذلك وجب علينا النظر إلى الطريقة التي يعرض بها الدين وإلى منهجية الخطاب الموجه للفرد والمجتمع حتى لا ينشغل الناس بقضايا تلبس عليهم دينهم وتبعدهم كل البعد عن مغزى الخطاب الديني الذي يحث على تعليم الناس أمور دينهم وديناهم، فيخرج الخطاب من مجال الدعوة التي تركز على العقل إلى تشيته، فجاء منهج «ابن عاشور» الإصلاحية معتمداً على قدرة العقل البشري وفطريته في تفسير النص الديني وتأويله فيما هو أبعد من ظاهره مع الاجتهاد فيما استحدثت من الأمور للفرد والمجتمع من خلال محاولة النظر لكل جوانب الإصلاح المنهجية التي عُرض بها الدين، وللطريقة التي يُفهم من خلالها لذا بنى «ابن عاشور» منهجه في تجديد الخطاب

الديني من خلال مقاصد الشريعة الصحيحة الحقيقية الموجودة في معاني الألفاظ التي لا تدل عليها ظواهر النصوص والتي تعتمد على الاستنباط الصحيح لعقل مستنير ولذلك فإن معرفة هذه المقاصد ينبغي أن تلتبس في هذا التأويل الصحيح وليس الرجوع للألفاظ الظاهرة، وقد تذرّع في ذلك باستخدام اللغة والمنطق والفلسفة كمنهج من مناهج الحوار والخطاب الديني لما يحملونه من راية العقل وأساليب للإقناع في كل عصر وزمان، مما أعطى لتفسيراته بعداً شمولياً مرتكزاً على وعي تام بما تحمله نصوص الشرع من مقاصد صحيحة تخدم صالح الفرد والجماعة، مستخدماً الجدل الهادف من أجل إيقاظ الأذهان لا إيهامها، ومن هنا نبه «ابن عاشور» على توجيه خطباء الأمة بضرورة وجود الجدل المقنع - الذي لا يبتغي مرأاً أو سفسطة - في الخطاب استقاه «ابن عاشور» من وجود جدلية رائعة في الخطاب الإلهي الموجه للناس وتبنى العمل على هدم الانقياد الأعمى وراء آراء الآخرين - مهما كانت مكانتهم - بدون حجة أو برهان يستند إلى العقل الذي هو فطرة الله في الإنسان، والذي جعله أيضاً مناصباً للتكليف مع عدم الوقوف على المنقول فقط لما يترتب عليه من جمود للعقل وجمود في الدين، والجهل بمقاصد أئمة المسلمين والعلماء الربانيين كما نبّه «ابن عاشور» الخطباء والفقهاء على استمرارية فتح باب الاجتهاد وإعمال العقل المنوط بالشرع وفقاً لاختلاف الأزمنة والأمكنة، حيث إن الأحكام تدور مع عللها وجوداً وعدمها، وإن اختلاف الزمان والمكان والوقائع المحدثة ترفض الجمود في النصوص، وقد انتصر «ابن عاشور» لمكانة العقل والبرهان بإعطائه المكانة الأولى في الخطاب، ويظهر ذلك من خلال الخطاب الديني والمخاطب والخطيب حيث إن اختلاف الوقائع على مدار العصور أدى إلى اختلاف طبيعة الإنسان - المخاطب - لذا كان يلزم على الخطيب تجديد الخطاب الديني ليلبغ الدين بأسلوب مقبول لهذه الطبيعة المتجددة لهذا يلزم حضور العقل لفهم المراد، ولكي تتحصل الغاية من أسلوب حسن في الخطاب الديني يجب على الخطيب اعتماده على هذا الأسلوب الحسن، والذي لا يتأتى إلا بما أمر به الشارع من حكمة وموعظة حسنة وجدل لا يخرج عن جميل القول والمثل، من أجل ذلك تصدى «ابن عاشور» لكل المسائل التي تؤدي إلى أدلجة الدين والتي لا ينتج عنها إلا العنف كمنهج التكفير، وتلك المسائل التي اتخذت سلاحاً في وجه المخالفين وتبريراً لإشهار السيف في وجوههم استناداً إلى ذرائع ظاهرها ديني وباطنهما سياسي عشائري نفسي، ذلك أن التكفير كما وضحه «ابن عاشور» ناتج عن قلة تأمل بإحاطة بمواد الشريعة والتوسل بهذه المقولة دليل قاطع على ضعف حجة أصحابها وتصورهم عن إقامة

الحق مما يؤدي إلى صراع وتقاتل وتصبح فئات المجتمع مشحونة ضد بعضها البعض، إن مناهج التكفير والتطرف التي تدعي نسبتها للدين منتشرة في عالمنا المعاصر استشرفتها «ابن عاشور» من أكثر من قرن من الزمان دعا فيها رجال الدين ممن يتولون مهمة الخطاب إلى أن يلتزموا الحيطة والحذر في تفسيراتهم وأقوالهم حتى لا يقع الخلاف فيما بينهم فيؤدي إلى تفسير الدين بصورة خاطئة مما يتولد عنه كثير من أدلجة الدين والتي لا ينتج عنها من عنف، ولذلك تنوع الخطاب لدى «ابن عاشور»، فجدده يوجه خطابه الإصلاحية للإصلاحي للعلماء، وللأفراد والجماعة من خلال إثبات معقولية الشريعة، لتقوية الإيمان لزيادة الإقبال على العبادة، فكانت هذه إحدى وسائل الترغيب الإصلاحية للخطاب عنده من أجل هذا وضع «ابن عاشور» عدة حلول استشرافية تطبيقية أهمها جمع شمل خطباء الأمة وعلمائها فيقول إن أقل ما يجب على العلماء في هذا العصر أن يتخذوا من هذا الغرض العلمي مسعى إلى جمع مجمع علمي يحضره أكبر العلماء بالعلوم الشرعية في كل قطر إسلامي على اختلاف مذاهب المسلمين في الأقطار، ويسلطوا حاجات الأمة ويصدروا فيها عن وفاق فيما يتعين عمل الأمة عليها ويعلموا أقطار الإسلام بمقرراتهم والتي يكون من أهم أولوياتها ضرورة مواجهة العنف الناتج من التشكيك بتوجه الحكومات والأفراد سواء على مستوى القادة أو من يمثلهم أو التشكيك في الأحزاب أو الجماعات أو الأفراد؛ لأن التشكيك هو أحد العوامل المولدة للعنف في مجتمعاتنا، وفي هذا دعوة للحوار والتسامح بين الأديان لبث السلام بين الأفراد والمجتمع فلا مجال للعصبية والتعصب من قبل فقهاء الأمة ودعاتها في الخطاب الديني وقد أكد «ابن عاشور» على تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع من أجل استقرار أحواله. ولذلك فلا بُدَّ من إعمال العقل من أجل درء أي أدلجة للدين بحجب مقاصده التي جاءت لإصلاح حال الإنسان.

التوصيات:

١- مراجعة الخطاب الديني وتوحيده تحت منهجية فكرية وسطية تحاول إنشاء جيل متفق الأفكار فليس من المعقول أن يترك الأمر لفكر إمام المسجد وخطيبه يفسر ويؤول بلا رؤية دينية متفق عليها.

٢- محاولة تجاوز المعوقات التي كبلت أيدي المصلحين ، وذلك من خلال إعادة قراءة التراث بأعين النقد التقويمي لتجاوز مرحلة التقليد الأعمى والجمود التي أخرجت المسلمين كثيراً .

٤- شمول الجانب الإصلاحي ، لأهم قضايا الأمة ، كإصلاح العلوم الإسلامية ، بما أن العلوم هي أهم مصادر الفكر المعرفي فلا بُدَّ من النظر إليها بأكثر من جانب .

٥- ربط الجانب النظري للخطاب بالوقائع المحدثة خاصة التي تشغل الأمة وذلك ما يترتب عليه خدمة الفرد والمجتمع بمنهج تطبيقي .

المصادر والمراجع:

أولاً المصادر :-

- ١ . القرآن الكريم
- ٢ . كتب الصحاح
- ٣ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: أليس الصبح بقريب ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ١٩٦٧
- ٤ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٧
- ٥ . ابن عاشور «حمد الطاهر»: تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤
- ٦ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: مقاصد الشريعة ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ١٩٢٨
- ٧ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي ، عمان الأردن ، دار النفائس ٢٠٠١
- ٨ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم ، القاهرة . المطبعة السلفية ، ١٣٤٤ هـ
- ٩ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: احترام الأفكار ، مجلة السعادة العظمى ع ١٨ رمضان ١٣٢٢ هـ

- ١٠ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة ، الطبعة الثانية ، دار السلام ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م
- ١١ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ ، ضبط ونصه وعلق عليه وخرج أحاديثه د/ طه بن علي بوسريج التونسي ، ط ٢ ، طبعة مشتركة بين دار سحنون بتونس ودار السلام بالقاهرة ، ٢٠٠٧
- ١٢ . ابن عاشور «محمد الطاهر»: أصول الإنشاء والخطابة ، مطبعة النهضة ، عدد ١١ ، الطبعة الأولى ، تونس ، ١٣٣٩
- ١٣ . ابن فارس: مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ج ٢ ، ١٩٧٩
- ١٤ . ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ج ١

ثانياً: - المراجع

- ١ . ابن الخوجة ، محمد الحبيب : شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ، الدار العربية للكتاب ، تونس (٢٠٠٨) ، الجزء الأول
- ٢ . أحمد عبد الله الطيار : تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد ، حولية كلية أصول الدين ، القاهرة ، العدد ٢٢ ، المجلد الثالث ،
- ٣ . بلقاسم الغالي : شيخ الجامع لأعظم» مجمد الطاهر بن العاشور «حياته وآثاره دار بن حزم ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ ص ١٢٢
- ٤ . الجوزية «ابن القيم»: أعلام الموقعين عن رب العالمين ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٨٠
- ٥ . الجويني : نقلاً عن مقاصد الشريعة مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ٢٥٦
- ٦ . الرازي «فخر الدين»: المحصل ، دراسة وتحقيق طه جابر العلواني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧
- ٧ . الريسوني «أحمد»: نظرية التقريب والتغليب و تطبيقها في العلوم الإسلامية ، تحقيق الناشر: دار الكلمة المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧

- ٨ . الشاطبي «أبو إسحاق»: الموافقات، دار المعرفة، بيروت
- ٩ . عثمان قرّة دنيّز: علاقة الوحي بالعقل، التجديد عدد ٤، الجامعة الإسلامية، ماليزيا ١٩٩٨
- ١٠ . العلامات التنويرية في تفكير الشيخ الطاهر بن عاشور، ندوة التنوير عند علماء الزيتونة في النصف الأول من القرن العشرين، جريدة الشرق الأوسط، آفاق إسلامية، الثلاثاء مايو ٢٠٠٨ ع ١٠٧٥٩
- ١١ . محمد يونس: الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، الإمارات، دار القلم للنشر والتوزيع
- ١٢ . نور الدين السافي: نقد العقل «منزلة العقل العملي والعقل النظري في فلسفة الغزالي» الطبعة الأولى، مكتبة علاء الدين، تونس، صفاقص، ٢٠٠٣ .

الهوامش:

- ١ - البقرة: ١٢٩
- ٢ - هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور عالم وفقه تونسي أسرته منحدرّة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار الأساتذة فيه، تولى عدة مناصب أهمها شيخ الجامع الأعظم «الزيتونة» (وفروعه وكان أول من حاضر بالعربية في تونس في القرن العشرين، أما كتبه ومؤلفاته فقد وصلت إلى الأربعين وهي غاية في الدقة العلمية وتدل على تبحر الشيخ في شتى العلوم ومن أشهرها كتابه في التفسير» التحرير والتنوير «وكتابه «مقاصد الشريعة» وكتابه «أليس الصبح بقريب» وكتابه «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام» - للمزيد عن سيرته: انظر: محمد الحبيب بن الخوجة: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨ م.
- ٣ - محمد عبده: عالم دين وفقه ومجدد إسلامي مصري؛ يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي
- في العصر الحديث، ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي، وقد التقى بالإمام ابن عاشور عندما زار تونس (١٩٠٣م)، وتوطدت العلاقة بينهما؛ ليلهما إلى الإصلاح التربوي والاجتماعي .
- ٤ - جاءت مادة (ع ق ل) في القرآن الكريم (تسعاً وأربعين مرة) كلها - إلا واحدة - جاءت بصيغة الفعل المضارع وخصوصاً ما اتصل به واو الجماعة: تعقلون ويعقلون، ففعل (تعقلون) تكرر ٢٤٩ مرة ويفعل (يعقلون) تكرر (٢٢) مرة وفعل (عقل) و (نعقل) و (يعقل) جاء كل منها مرة واحدة صيغة (أفلا تعقلون) وقد تضمنت آيات القرآن الكريم بوجوب التعقل .
- ٥ - عثمان قرّة دنيّز: علاقة الوحي بالعقل، التجديد عدد ٤، الجامعة الإسلامية، ماليزيا ١٩٩٨، ص ٣١٣
- ٦ - المرجع السابق: ص ٣١٣
- ٧ - المرجع السابق ٣١٤
- ٨ - ابن عاشور «محمد الطاهر»: أليس الصبح بقريب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٦٧، ص ١٠٣

- ٩ - ابن عاشور «محمد الطاهر»: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٧، ص ١٠٣
- ١٠ - ابن عاشور «محمد الطاهر»: تفسير التحرير والتنوير، ج ١، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ ص ٤
- ١١ - المرجع السابق ص ٤١٣
- ١٢ - ظهر هذا المفهوم عند أبي الأعلى المودودي «١٩٠٣-١٩٧٩ م «وسيد قطب» ١٩٠٦-١٩٦٦ م «وهو من أكثر المفاهيم التي ارتبطت بمفهوم الجاهلية والطاغوت بمعنى: إذا غابت حاكمية الله ظهرت الجاهلية وساد الطاغوت واعتبار الحاكم بغير الشريعة الإسلامية حاكماً كافرًا
- ١٣ - الأنعام: ٣٨
- ١٤ - ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٢١٧
- ١٥ - المرجع السابق ج ٢ ص ٣٣٥
- ١٦ - صحيح مسلم: ح ٢٣٦٣، باب امثال ما قاله شرعاً
- ١٧ - ابن عاشور «محمد الطاهر»: مقاصد الشريعة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٢٨، ص ١٤٠
- ١٨ - الجوزية، ابن القيم: أعلام الموقعين عن رب العالمين، مكتبة الكليات الأزهرية، لقاها، ١٩٨٠، ج ٣، ص ٧٨
- ١٩ - الشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ١٩٤
- ٢٠ - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢ ص ٣٠
- ٢١ - الأنعام: ٢٠
- ٢٢ - ابن عاشور: التحرير والتنوير ج ٧، ص ١٥٤
- ٢٣ - الأنعام ٣٦
- ٢٤ - ابن عاشور: التحرير والتنوير ج ٧، ص ١٥٤
- ٢٥ - المرجع السابق: ج ٢٢، ص ٢١٣
- ٢٦ - ابن عاشور: مقاصد الشريعة، ص ٩٢
- ٢٧ - المرجع السابق: ص ٩٣
- ٢٨ - المرجع السابق: ص ١٠٠
- ٢٩ - ابن عاشور: التحرير والتنوير ج ٢٢، ص ٢١٣
- ٣٠ - الروم: ٣٠
- ٣١ - ابن عاشور: مقاصد الشريعة، الجزء الثالث ص ١٨٥
- ٣٢ - ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي، ص ١٣
- ٣٣ - المرجع السابق: ص ١٧
- ٣٤ - المرجع السابق: ص ٢٠
- ٣٥ - ابن عاشور: مقاصد الشريعة الجزء ٣ ص ١٨١
- ٣٦ - المرجع السابق: ص ١٨٠
- ٣٧ - المرجع السابق: ١٨٥
- ٣٨ - المرجع السابق: ص ١٨٤
- ٣٩ - المرجع السابق: ص ١٨٥
- ٤٠ - ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٢٦
- ٤١ - الجويني: نقلا عن مقاصد الشريعة مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ٢٥٦
- ٤٢ - ابن عاشور: مقاصد الشريعة ١٢٥
- ٤٣ - المرجع السابق: ص ١٢٥
- ٤٤ - لعل أول من ألف في مقاصد الشريعة أبو محمد عز الدين ابن عبد السلام «توفي ٦٦٠ هـ في كتابه المسمى «قواعد الأحكام في مصالح الأنام ثم تلاه شهاب الدين القرافي أبو العباس أحمد ابن إدريس «توفي ٦٨٤ هـ في كتابه الفروق وفي القرن الثامن الهجري كان الشاطبي «أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي «في كتابه المعروف بالموافقات وقد نقده ابن عاشور بقوله إنه تطوح في مسائله إلى تطويلات وخلط وغفل عن مهمات المقاصد بحيث لم يحصل منه الغرض المقصود راجع: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره. بلقاسم الغالي ص ١٢٢
- ٤٥ - بلقاسم الغالي: شيخ الجامع لأعظم» محمد الطاهر بن العاشور «حياته وآثاره دار بن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ ص ١٢٢
- ٤٦ - ابن عاشور: مقاصد الشريعة، جزء ٣ ص ٨
- ٤٧ - المرجع السابق: ص ٣
- ٤٨ - المرجع السابق: ص ٣
- ٤٩ - المرجع السابق: ١٨٠-١٨٥
- ٥٠ - ابن فارس: مقاييس اللغة ٢ / ١٩٨ وابن منظور: لسان العرب ١ / ٣٦١ مادة (خطب)
- ٥١ - الصافات: ٥٣
- ٥٢ - ابن منظور: لسان العرب ١٣ / ١٦٩ مادة (دين)
- ٥٣ - مقاييس اللغة: ٢ / ٣١٩-٣٢٠ مادة (دين)

- ٥٤ . - محمد يونس: الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، الإمارات، دار القلم للنشر والتوزيع، ص ٣٠.
- ٥٥ . - الرازي «فخر الدين»: المحصل، دراسة وتحقيق طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧، ١٠٧/١/.
- ٥٦ . - أحمد عبد الله الطيار: تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائشي الجديد، حولية كلية أصول الدين، القاهرة، العدد ٢٢، المجلد الثالث، ص ١٢.
- ٥٧ . - ابن عاشور: أصول الإنشاء والخطابة، مطبعة النهضة، عدد ١١، الطبعة الأولى، تونس، ١٣٣٩ ص ٤٧.
- ٥٨ . - المرجع السابق ص ٤٧.
- ٥٩ . - الذاريات: ٥٥.
- ٦٠ . - الشمس: ٧.
- ٦١ . - ابن عاشور: أصول الإنشاء والخطابة، ص ٤٨.
- ٦٢ . - المرجع السابق: ص ٤٩.
- ٦٣ . - نور الدين السافي: نقد العقل «منزلة العقل العملي والعقل النظري في فلسفة الغزالي» الطبعة الأولى، مكتبة علاء الدين، تونس، صفاقص، ٢٠٠٣، ص ٣٩، ٤٠.
- ٦٤ . - النحل: ١٢٥.
- ٦٥ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٣٢٥.
- ٦٦ . - المرجع السابق ص ٣٢٥.
- ٦٧ . - المرجع السابق: ص ٣٢٦.
- ٦٨ . - الرعد: ١٧.
- ٦٩ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٣٢٦.
- ٧٠ . - المرجع السابق: ص ٣٢٦.
- ٧١ . - المرجع السابق: ص ٣٢٧.
- ٧٢ . - العنكبوت: ٤٦.
- ٧٣ . - ابراهيم: ٢٤ - ٢٦.
- ٧٤ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٢٢٤.
- ٧٥ . - الفرقان: ٩.
- ٧٦ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٣٢٧.
- ٧٧ . - المرجع السابق: ص ٣٢٨.
- ٧٨ . - المرجع السابق: ص ٣٢٨.
- ٧٩ . - المرجع السابق: ص ٣٢٨.
- ٨٠ . - نور الدين السافي: نقد العقل «منزلة العقل النظري والعقل العملي في فلسفة الغزالي»، ص ١٠٨.
- ٨١ . - البقرة: ١٦٠.
- ٨٢ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٧٠.
- ٨٣ . - المرجع السابق: ص ٤٧٠.
- ٨٤ . - النساء: ٩٤.
- ٨٥ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٢٧.
- ٨٦ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٢٧.
- ٨٧ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٢٧.
- ٨٨ . - المرجع السابق: ج ١، ص ٢٧٠.
- ٨٩ . - ابن عاشور: المقاصد الجزء الثالث ص ٢٠٤.
- ٩٠ . - المرجع السابق: ص ١٣.
- ٩١ . - البقرة: ١٠٢.
- ٩٢ . - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٦١٤.
- ٩٣ . - المرجع السابق: ص ٦١٤.
- ٩٤ . - ابن عاشور «محمد الطاهر»: نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم، القاهرة. المطبعة السلفية، ١٣٤٤ هـ، ص ٧٧.
- ٩٥ . - المرجع السابق: ص ٧٧.
- ٩٦ . - ابن عاشور: مقاصد الشريعة، الجزء الثالث ص ١٨٣.
- ٩٧ . - المرجع السابق: ١٨٣.
- ٩٨ . - ابن عاشور «محمد الطاهر»: احترام الأفكار، مجلة السعادة العظمى ع ١٨ رمضان ١٣٢٢ هـ، مج ١، ص ٢٧٣-٢٨١.
- ٩٩ . - ابن عاشور: مقاصد الشريعة ص ٣٠٢.

الاستعمار الأكاديمي وأزمة إنتاج المعرفة

أ.د. ثريا بن مسمية

باحثة وأستاذة فلسفة الجمال بكلية أصول الدين - جامعة الزيتونة - تونس .

المستخلص

الاستعمار الأكاديمي أو الاستتباع المعرفي للغرب يعتبر أحد أهم الإستراتيجيات الاستعمارية الأوروبية، فالحقل الأكاديمي باعتباره أهم مكونات الوعي الثقافي والحضاري للشعوب كان المدخل الأمثل لهيمنة الغرب على الشرق.

لذا كان خطاب حوار الحضارات مثلاً خطاباً لا متكافئاً بين شرق متأزماً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وغرب مستقطب له . . ماحياً لهويته وتقاليدته الثقافية بدعوى الانفتاح والتقدم . . . والحصيلة كانت شرقاً تابعاً مقابل غرب متبوع . . . وبان التغريب الثقافي كأشد أنواع الاستتباع للغرب . . فيه انسلاخ وذوبان في الآخر بطمس الهوية الفكرية والثقافية وحتى الدينية . . .

Academic Colonialism and the Crisis of Knowledge's Production

Academic colonialism or the knowledge subordination toward the west considered one of the most important European colonial strategies. The academic field, as the most important components of the cultural and civilizational awareness of peoples, considered the ideal entrance to the West's dominance over the East.

Therefore, the discourse of dialogue among civilizations, for example, was an unequal discourse between an economically, socially and politically crisis and a polarized West... erasing its identity and cultural traditions under the pretext of openness and progress... The result was a dependent East versus a subordinate West... and cultural Westernization as the most severe form of subordination to the West... The dissolution and dissolve of the other by blurring the intellectual, cultural and even religious identity

المقدمة:

إذا كان من تصنيف دقيق لإستراتيجيات التغريب التي وضعتها المركزية الأوروبية وهي تتعامل مع نخب الشرق العربي والإسلامي ابتداءً من مرحلة الاستعمار الجديد، فسيكون للتغريب الأكاديمي مكانة مركزية في تلك الإستراتيجيات. ويمكن القول إن البعثات الاستعمارية حتى تلك التي جرت قبل حملة (نابوليون بونابرت) على مصر، قد أقامت للحقل الأكاديمي أهمية استثنائية، باعتباره الحقل الذي من خلاله تعيد صناعة الوعي، وإطاحة التقاليد الثقافية التي تشكل في الحقيقة خط الدفاع الأول عن قيم شعوب المنطقة المعنوية والأخلاقية والدينية.

ولقد بدا واضحًا كيف تعاملت البعثات الاستشرافية مع المدارس والمعاهد والجامعات في العالمين العربي والإسلامي في سبيل تحقيق هذه الغاية الاستعمارية. وعلى آية حال فقد تعددت التيارات التغريبية ذات الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية والفنية. ومن بينها نلفي تيار التغريب الأكاديمي الضارب بجذوره في عصور الاستعمار القديم والمستحدث، كما يتموضع بقوة في مسار الحياة الإنسانية الرأهنة المتنوعة من جهة مكوناتها الثقافية. أما غايته الكبرى فهي طبع الحياة المعنوية والثقافية في بلادنا بطابع الغرب وأسلوب حياته تحقيقًا لأبرز الأهداف وهي الدوران بلا هوادة في فلك المركزية الغربية.

وإذا كان المشغل العام الذي تندرج فيه دراسة هذا التيار، هو حوار الحضارات، فإن اللأفت للانتباه هو طبيعة هذا الحوار اللأ متكافئ. فهو يدور بين شرق يعاني مختلف الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وغرب تجاوز الذات إلى ما يحصنها ويجعل منها مركزًا مستقطبًا. فالتنمية عند أغلب النخب العربية تنهض على ربط المصير العربي

الإسلامي بمسالك التّقدّم الغربي اعتباراً لوحدة المصير الإنساني . وهو توجّه يضحّي بالفوارق الهويّة والخصوصيّات الحضاريّة .

١- عوامل التّغريب وعلاماته التّأسيسية

لقد وجد هذا التّيار التّغريبي جذوره في المحاولات الإصلاحية التي رام أصحابها، منذ القرن التاسع عشر، تحقيقها بالأخذ عن الغرب ما يلائم الشريعة من التّنظيمات المدنيّة مثل «خير الدّين باشا التونسي» (ت ١٨٩٠ م) في مقدّمة كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال ممالك» و «رفاعة رافع الطّهطاوي المصري» (ت ١٨٧٣ م) في كتابه «تخليص الإبريز في تلخيص باريس». ولكنّ الفارق التّوعويّ بين هذه المنطلقات الإصلاحية وجوهر التّيار التّغريبي هو أنّ الوجه الحقيقي للغرب والتمثّل في الاستعمار والنزعة التّوسّعية . لم يكن جلياً أمام المصلحين على عكس أصحاب التّيار التّغريبي الذين جاؤوا تاريخياً بعد حروب ماديّة وثقافيّة .

وبصفة إجمالية، يظلّ التّغريب معبراً عن صيرورة لإحداث التّشابه الهجين بين طرفين . والمهمّ أنّ التّغريب تيار يتّسم بالقهرية والإجبارية، سواء وعى المتغرب العربي والمسلم ذلك أم لم يع . فالتّغريب يبدأ بالإعجاب ثمّ الانبهار ثمّ التّعلّق ثمّ الاندماج والانصهار . وهو ما يفرضي إلى أن يكون الشّرق تابعاً والغرب متبوعاً في المستوى الثقافيّ أساساً؛ لأنّه يتضمّن أساليب العيش وطرائق التّفكير . وما من شكّ في أنّ أخطر أنواع التّغريب هو التّغريب الثقافيّ؛ لأنّه هو الضّامن لتحقيق التّلاعب بالعقول وإنجاز الانسلاّب والانبثاق عن الجذور . وهو ما يندرج ضمن إستراتيجية محو كلّ القوى الحيويّة المضادة والمقاومة لإرادة المسخ والدّوبان من قبيل الدّين واللّغة . فما هي أهمّ العوامل الدّاعية لدوران بعض النّخب الأكاديميّة العربيّة في فلك التّغريب؟

قبل الخوض في عوامل التّغريب تجدر الإشارة إلى أنّ المقصود بهذا المصطلح هو العمل على خلق عقليّة تنهض على مقاييس الفكر الغربي وتوجّهاته المختلفة من أجل تحقيق هدف أساسي هو محاصرة المنتوجات الفكرية الإسلاميّة ومناوأتها ومصادمة القيم الشّرقية بصفة عامّة . والعمل على تهديمها لفسح المجال أمام سيادة الحضارة الغربيّة . وهكذا تتعمّق المركزيّة الغربيّة التي تعمل على تحقير مكّونات الحياة الشّرقية ونبذ المكوّنات الهويّة وإبعادها عن مراكز الضّغط والتّأثير . فالأرضيّة النّظريّة لتّيار التّغريب الأكاديمي هو

تحطيم معالم الشخصية المميّزة للحضارة الإسلاميّة، وهذا التيار يستعمل أدوات التّريب والترهيب في استمالة أنصاره. وهو يعمد إلى تحقير الآخر وتهجينه، وإلى تمجيد الغرب وتعظيمه. وبذلك يقضي على الاختلاف البناء. علماً أنّ البحث العلمي أبعد ما يكون عن العاطفة والتّجيش والحماسة.

ولمّا كانت العوامل تتظافر بصفة طبيعيّة في بلورة أيّة ظاهرة اجتماعيّة وثقافيّة، فإنّ العوامل الكامنة وراء ظاهرة التّريب عديدة ومتنوّعة، لعلّ من أبرزها العامل النفسي الذي ضبطه «ابن خلدون» وحدّد معالمه في قوله الشهيرة «المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب»^١ وقد توسّع المفكّر الجزائري «مالك بن نبي» في تحليل هذا العامل وعبر عنه بطريقته الخاصّة عندما أطلق عليه عبارته المميّزة وهي «القبليّة للاستعمار». وحسب رأيه يتظافر جفاف الرّوح وضبايية الرّؤية وانفصام الشخصية وتهرؤ النّسيج الاجتماعي لتكريس تخلف المجتمع الإسلامي الذي انطمست فعاليته الحضاريّة لتحلّ محلّها القبليّة للاستعمار. ولا شكّ في أنّ ضعف الحصانة الحضاريّة والاجتماعيّة مهّد بتغلّب الآخر مؤذّن باختراقه الذات.^٢

وفي فضاء هذا العامل الدّاخلي، كانت الحياة العقليّة والثّقافيّة في العالم الإسلامي تتسم بالجمود والتّحلّل والتّقليد، ولا سيّما في أواخر عهد الخلافة العثمانيّة. وهذه الحالة يسمّيها «مالك بن نبي» بتهرؤ شبكة العلاقات الاجتماعيّة، حيث التّكلس الفكري والتّأخّر الثّقافي وغلبة التّقليد وعدم الاهتمام بالوقت والإنسان والتراب، وعلى نقيض ذلك يقترح حلولاً نهضويّة من قبيل توجيه الثّقافة وتوجيه العمل وتوجيه رأس المال^٣. وهو ما جعل إمكانيّة اختراقها من الثّقافة الغربيّة المتصاعدة أمراً ميسوراً.

إنّ هذا العامل يجعل الأكاديميين العرب في وضع لا يحسدون عليه لأنّهم ينوسون بين تراث يجهلونّه وحضارة غربيّة يعيشون على هامشها ولا يفعلون فيها. وعليه فهم يحيون في ما هويّة تُزهق روح الإبداع، وتحنّط علاقة الإنسان بالحياة وتقودهم إلى خارج العصر حسب عبارة أبي القاسم حاج حمد^٤.

والجدير بالملاحظة هو أنّ العامل الدّاخلي المشار إليه آنفاً قد تتظافر مع عامل آخر خارجي يتمثّل في أنّ القوى الاستعماريّة لمّا يئست من جدوى البقاء على أرض المستعمرات تحت وطأة حركات المقاومة المتصاعدة وتزايد الخسائر الماديّة والمعنويّة في صفوف جنودها والإضرار بمصالحها، قد أثرت الخروج من باب ما سُمّي بالتحرر الوطني وأحقّيّة الشعوب

في تقرير المصير، لتعود من نوافذ الاستعمار الجديد الناعم في أساليبه والمغلف بغلاف العولمة التي تروم سير كل الشعوب في سبيل الفلك الواحد. وهو ما اصطلاح على تسميته بالاستعمار الجديد أو الإمبريالية حيث الحروب بين أصحاب رؤوس الأموال على افتك المراكز واحتلال أكبر قدر ممكن من المستعمرات لضمان الأسواق واليد العاملة، وهكذا تمّ التسويق لبعض المفاهيم وتسويغ بعض الاصطلاحات من قبيل العلمانية والفردانية ففرضت أنماطا من التفكير تحصّن الدين في الزاوية باعتباره عنصر تخلف لا علاقة له بالفضاء العام ولا بالحياة المشتركة، وقد انبرت جهود كثيفة لكسر الكثير من البنى الذهنية بدلاً من معالجتها ونقدها وتطويرها فأضحت الازدواجية هي الطابع المميز للحياة في كل مستوياتها العمرانية والتعليمية واللغوية والذوقية.

والنتيجة أن البرامج التعليمية صُنعت على عين هذه الدوائر التغريبية المنحازة لطرف من طرفي الثنائيات المتحكمة في تصورات الأجيال وعقولهم على طرف آخر. فصرنا أمام تقليديّ مقابل حدثي، وتقدمي إزاء رجعي، ومتقدم مقابل متخلف، والذي زاد الطين بلة والمريض علّة أن هذه البرامج التعليمية قُدت بشكل يعمّق الفجوة بين طرفي الازدواج ما أدى إلى تفكك الروابط الثقافية والأسرية والاجتماعية بصفة عامّة. إنّ التغريب الأكاديمي مرض حضاري مركّب؛ لأنّه يبني في جوهره على سلب الذات والتأسيس له بأدوات تبدو علمية منضبطة بمنهج، وهي في حقيقة الأمر تركز على مقولة الكمّ بدلاً من الكيف، ومن ثمّ تعمل الموجّهات التغريبية على تشجيع نزعات الاستهلاك بدلاً من التركيز على التسلّح بأدوات المعرفة المنتجة للعلوم والتكنولوجيا.

جليّ، حينئذ، أن التغريب يصدر عن معرفة استشراقية تعتبر أن التعليم هو المجال الحيوي الذي يصنع العقول ويدرب النفوس ويبني الذات الإنسانية. وعليه فهو الفضاء الكبير الذي يراهن عليه التغريب الأكاديمي. إنّ قوّة العامل الخارجي تزداد صلابة عندما تتحوّل إلى قوّة ضاغطة تجعل الفكر السياسي حارساً لأهمّ أهدافها، والثقافة خادمة لأهمّ مراميها، وأهل الاجتماع أشبه ما يكون بالممثلين على مسرح التغريب.

لقد عرفت الثقافة العربية الإسلامية، بعد ازدهارها حيناً من الدهر جفّت فيه منابع الإبداع وتغلّب فيه النقل على العقل فأضحى الفعل انفعالاً، والإنجاز إعجازاً، والإبداع بدعة، والحديث محدثاً، وانغلقت السنّة الثقافية. وفي ذات اللحظة بدأت القارّة العجوز من نومها وتنفض عن نفسها غبار العصر المظلمة بالفقر والجهل والمرض والحروب الدنيّة،

وهذه الدورة الحضارية اللامتكافئة دعت إلى تنظيم رحلات استكشافية وبعثات علمية من بلدان عديدة كمصر والشام واليابان، فكانت الفرصة الذهبية أمام صانعي القرار الغربي لإحكام أدوات التحكم في مصائر الأجيال المتلاحقة عبر وضع أسس التغريب المتينة. وهكذا عادت البعثات العلمية بالتبشير العميق بحضارة التور الذي لا ينطفئ والتي سبقت إلى التقدم بأشواط.

٢- مظاهر التغريب:

إن اجتماع العاملين الأساسيين الداخلي والخارجي المذكورين آنفاً من شأنه أن ينجز برامج التغريب الشاملة لكل مستويات الاجتماع. إذ تدخل الإعلام المرئي والمسموع لتهيئة العزائم والتشكيك في القدرات، والإعلام يستعين بمحاورة الأكاديميين لإضفاء الصبغة العلمية والمعرفية على هذه البرامج المبطنة بالرغبة في خذلان القوى المحلية والوطنية على الجهود التي تبذلها النخبة في المدرجات الجامعية من الدعوات المجانية ومدفوعة الأجر لصناعة عقول مغتربة. إن التيار التغريبي يقوم أساساً على استقطاب الفرد ولا سيما إذا كان أكاديمياً بارزاً لاقتناعه المسبق بقدرته على الإشعاع والتأثير فيمن حوله. ولعل أبرز مثال على هؤلاء هو مجموعة المثقفين المسيحيين العرب ومنهم «سلامة موسى» القائل: «يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلحق بأوروبا، فإني كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني. وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقني بها وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها»^١. ومن هذا المنطلق الوجداني يظهر التغريب في أوضح تجلياته في المواقف ممجدة للغرب من جهة، ونابذة للتراث نبذاً صريحاً بما فيه من إيجابيات وسلبيات، من جهة أخرى. كما يتجلى في التعصب للغات الأجنبية وفي دعوات صريحة لمناصرة الفرنكفونية والإنجلوسكسونية، وفي اللباس وفي الأكل والأغاني والرسم والمسرح والسنيما. ومن ثم يتم العزوف الكلي على الاهتمام بمشاغل الدولة الوطنية والأمة بصفة عامة؛ لأن أهم مظهر للتغريب هو إلحاق الشلل بحركة التفاعل الحيوي مع مكونات الهوية الأصيلة التي تمثل الخزان الحضاري والمولد الحقيقي للقيم والأخلاق.

وإذا كان الثقافة بين الأفراد والجماعات أمراً ضرورياً وله فوائد لا تحصى، بحسب قانون التأثير والتأثر، فإن التغريب الأكاديمي لا يولي لهذا الجانب أية أهمية لأنه ينظر إلى

المسألة بعين واحدة باعتباره عدم صلاحية التراث للاستمرار، مقابل صلاحية الاستعمار لكل شيء. وهذه الرؤية الأحادية للقضايا جعلت من التغريب الأكاديمي يظهر بمظهر الجنين المشوه الذي يلحق الأذى بأوليائه، ولا هو يتمتع بدوره بسحر الحياة وجمال الوجود.

وعلى هذه الشاكلة تتم عملية هضم المنتجات الغربية واستهلاك القيم المصاحبة لها، فيتّم الترويج للكتاب الأجنبي والفلم الوافد والمجلة العابرة للآفاق. ولا سيّما ما أحدثته الثورة الاتصالية من قدرة على ترويج الأفكار والرؤى والقيم الغربية المدمرة لكل خصوصية وذاتية، والطريف في كل ذلك أنه يروج باسم الحرية وضرورة الانفتاح.

٣- مخاطر التغريب الأكاديمي

تحدّد قيمة كل ظاهرة اجتماعية أو ثقافية بحسب الحجم الذي تحتله، وبحسب النتائج المنجّرة عنها. ولما كان أهمّ رصيد تملكه المجتمعات العربية الإسلامية هو رأس مالها البشري، وما يحيل عليه من طاقات وذكاء وكفاءات، فإنّ هذا الرصيد قد ظلّ في مهبط التعرّض إلى الاهتزاز والتخريب. والملاحظ، أنّ التغريب الذي تسلّل من بوابة الأكاديمية يعمل بكلّ حزم على تنفيذ مخططاته وإرساء قواعدها عبر إنشاء مدارس ومعاهد عليا تضمن له الاستمرار. وهي شواهد عينية تشهد له بالتفوق والامتياز، بما يمتلكه من تجهيزات عصرية وإمكانات ماديّة وتكنولوجية كبيرة. وهي طريقة تنسجم تمام الانسجام مع المكافآت والتحفيزات التي ترصد لحراس أهداف التغريب، ما ينعكس سلبيًا على السلم الاجتماعية والانسجام بين الفئات المتنوعة والمتباينة في الانتماء.

إنّ الخطر الجاثم على كاهل الأوطان والبلدان التي تدعى بالسائرة، في طريق النّمّو من التغريب الأكاديمي هو النّقلة النوعية من الحوار بين الحضارات حيث العلاقة الأفقية ومعاملة النّد للنّد، إلى الغزو الحضاري المتجاوز لكلّ حدود الاحترام وتقدير الشعوب ومالها من مقدّرات. إنّ فعل الغزو الذي انجرّ عن تيار التغريب وجد له تحيزًا مشخّصًا من خلال الأجهزة الاصطلاحية والأرضية المفهومية التي عملت الأوساط الأكاديمية على الإقرار بها وإجرائها ضمن البحوث والدراسات. وهذا الجهاز النظري سهّل على الغزو بسط نفوذه بشكل متعيّن. وهكذا أصبح التغريب شاملاً لعديد التّواحي الاجتماعية والسياسية والثقافية.^٧

إنَّ مجتمعًا تقوده نخبة متغربة يعيش على شفا جرف هار، وتسود الفوضى مختلف أوساطه، ويعمُّ التوتّر مختلف علاقته، فلا غرو حينئذ أن يعيش شباب الأمة الغربية المضاعفة، والجفاف النفسي، ويشكو من ضعف الدفق الرّوحي، فتكثر موجات الانتحار فيه، ويعصف الموت بحياة الشباب الذي يفترض فيه الأمل والطموح، وحب الحياة والتعلّق بها، وتكتسحه موجات الهجرة غير النظامية، وضمنها يلاقي الشباب أشنع أنواع المصير، وتتعاظم موجات الإرهاب يومًا بعد يوم. وما ذلك إلا تعبير عن إفلاس البدائل النظرية وفراغ الطروحات الفكرية التي روجت لها النخب الأكاديمية المرتمية في أحضان التغريب.

إنَّ الذي حدا ببعض الدارسين لظاهرة التغريب وأخطارها مثل «طارق البشري» إلى القول: «يبدو لي أن الغلوّ يسمّى بدرجات شتّى وأشكال متنوّعة وعلى فترات ممتدّة أو متقطّعة، ما بقيت هيمنة التغريب ولن يضاف إلا بضعفها»^٨ هو أن الهيمنة التي يمارسها التغريب على المجتمعات المستهدفة بالعملية التغريبية لا تدع حركة النمو الاجتماعي يتطوّر بطريقة طبيعية، وإنما تجعل حركة هذه المجتمعات تخضع إلى مبدأ ردود الأفعال. وردّة الفعل متوتّرة بطبعها لأنها أبعد ما يكون عن التّعقل والحسابات المنطقية. فالأفكار التي يزرعها التغريب الأكاديمي هي أفكار قاتلة على حدّ عبارة «مالك بن نبي». وضرر هذه الأفكار القاتلة يتجسّد في خيانتها لنماذجها المثالية وتسربها إلى مجتمع غير قادر على هضمها وفاقده الحصانة ضدها بما هي عناصر وافدة. «إنَّ الأفكار الميّنة تنتقم بتجميد التّقدم والأفكار القاتلة تنتقم بتدمير التّقدم»^٩. لأنها تقتل كلّ الخلايا الحيويّة في جسم القيم والأخلاق والأفكار، وتقتل العقل والنفس على رأي «شلتاغ عبود»^{١٠}.

فلا يمكن، على هذه الصّورة، فصل التيار التغريبي على العلاقات الدّولية الجائرة التي ترتكز وفق علاقة الأطراف بالمركز، إذ ينجح هذا التيار إلى تغليب الصّوت الواحد لأنّه ينهض على تنفيذ استراتيجية مسطرة مسبقًا، ويروم تحقيق أهداف مقدّرة أولًا، وهي سوق العالم في اتجاه واحد ومعاملة مواطنيه على أنّهم مجرد أرقام يمكن تعليبهم والتحكّم فيهم عن بعد. ولا أدلّ على ذلك من توجّهات «هاملتن جب» في كتابه وجهة الإسلام حيث يحرص على معرفة حركة تغريب الشرق والوقوف على العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب. وهو ما يتناغم تمامًا مع جهود علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في بادئ الأمر إلى دراسة المجتمعات البدائية لا من أجل الأخذ بأيديها ومساعدتها على

تخطي الصعوبات ، وإنما ذلك لأجل التمكن منها والسيطرة عليها كما بدا ذلك في أعمال «لفي بريل» .

لقد تصدّى «عمر فروخ و مصطفى الخالدي» في كتابهما «التبشير والاستعمار»^{١١} إلى فضح المخططات التغريبية العاصفة بمقدّرات الحضارة المعنوية والأدبية ، وعليه يتّضح أنّ خطر التغريب أشدّ وأنكى على الحضارة الإسلامية من الاستعمار المباشر؛ لأنّ العدو المباشر يصرّح بوجوده ويعلن عن نفسه ، ومن ثمّ يسهل تجنّبه أو التصدي له . أمّا العدو الخفيّ المبطن فيصعب التّفطن إليه ، ولا سيّما من عموم النّاس ، وخاصّة إذا تغلّف بغلاف التّقدم والتّحضّر والرّقي . وتسربّ إلى المجتمع من بوابات الجامعة التي تُفترض فيها الموضوعيّة العلميّة ودقّة البحث الأكاديمي . وكلّ ذلك يسوّق تبعاً لتلقّي النّخبة لتكوينها وتعليمها في الجامعات الغربيّة . وعلى هذه الصّورة مثل المتخرّجون من الجامعات الغربيّة الأمتاء على مصالح الغرب بالوكالة وهم يقدّمون أنفسهم على أنّهم متشبّعون بالمنهج العصريّة وطرائق التّفكير الجديدة وهم في حقيقة الأمر ليسوا كذلك لأنّهم أبعد ما يكون عن الفصل بين الذات والموضوع .

٤- التغريب المعرفي ونقد الاستشراق

من أبرز المحاولات النقدية التي طاولت التغريب الأكاديمي والمعرفي ما تضمنه كتاب «إدوارد سعيد» «الاستشراق» (Orientalism) الصادر في العام (١٩٧٨م) ، وهو كتاب كان له أثر كبير وإسهام عظيم في إرساء أسس ودعائم نظرية ما بعد الاستعمار . يعالج «سعيد» في هذا الكتاب العلاقة بين الهيمنة الكولونيالية والثقافة ، ويقطع فيه شوطاً طويلاً في تحليل الخطاب الاستشراقي مبيّناً أنه ليس كما يدعى أنه مجرد فرع معرفي حيادي بل تخترقه حتى النخاع علاقات القوة والسلطة ، فدراسات المستشرقين عن (الشرق) خدمت إلى حدّ كبير المخطط الاستعماري الهادف إلى إخضاع الشعوب الشرقية لسيطرته واستغلالها لمصلحته^{١٢} . وهكذا يمضي «سعيد : لبيّن آليات الهيمنة والاستحواذ عبر إعادة تشكيل الوعي العام من خلال الإرساليات والجامعات والمعاهد الأكاديمية .

أما في كتابه «الثقافة والإمبريالية» (Culture and Imperialism) الصادر سنة (١٩٩٣) ، حيث يقوم بتوسيع إطار التحليل ليشمل أماكن أخرى أبعد من الشرق العربي والشرق الأدنى الإسلامي ، كالهند على سبيل المثال . وكذلك قام فيه بدراسة حركات المقاومة ،

و تحدث فيه عن إرادة الآخرين لمقاومة إرادة الإمبريالية، إضافة إلى الأعمال المعارضة التي قام بها مثقفون أوروبيون وأميريكيون وعلماء لا يمكن اعتبارهم جزءاً من بنية شيء مثل الاستشراق^{١٣}.

لقد هَدَفَ «سعيد» من خلال كتاباته المتعددة إلى اختراق حجب التقاليد الثقافية الغربية التي شُيدت على مدى عقود طويلة في القرنين الماضيين. وعالجت كتاباته بشكل موسع وعميق، الهيمنة الأكاديمية التي مارسها الغرب على الشرق والجنوب، وركزت هذه الكتابات بشكل خاص على دراسة العلاقة بين الشرق (وتحديداً الشرق الأدنى الإسلامي والعربي) وبين الغرب تحديداً (فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة). حيث تم رصد تلك العلاقة منذ غزو نابليون بونابرت لمصر في أواخر القرن الثامن عشر، مروراً بتناول الفترة الاستعمارية الرئيسة والتي تزامنت معها نشأة دراسات المستشرقين الحديثة في أوروبا، وانتهاءً بالهيمنة الإمبريالية البريطانية والفرنسية على الشرق بعد الحرب العالمية الثانية وظهور السيطرة الأميركية في الوقت نفسه. وعن طريق فرض هذا التمرکز الأوروبي، استطاع الغرب الكولونيالي فرض هيمنته وسيطرته على بقاع بعيدة عنه كإفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية. هذه السطوة من جانب المركزية الأوروبية ما كان لها أن تتم إلا على حساب تهميش كل ما يقع خارج محيط دائرة الحضارة الأوروبية، وما أنتجت هذه الأخيرة من معارف ورؤى وتصورات وقيم للموضوع الكلي المركب من ثلاثية الإنسان والعالم والله^{١٤}.

وعلى النسق المعرفي نفسه سنجد أن التغريب الأكاديمي أخذ مساحة مركزية في أعمال «إدوارد سعيد»، باعتباره العامل الأبرز والآخر في صناعة الغربي بين النخب العربية والإسلامية في الشرق. وفي سياق سعيه إلى ربط العملية التغريبية بالمنطق الأساسي الذي يحكم الغرب حيال الشرق راح يبيّن كيف قام التسويغ العقلي للإمبريالية على ما يسمى (عبء الرجل الأبيض)، وعلى مهمة نشر الحضارة، ونشر قيم التحضر والتمدن، وحقوق الإنسان، واليوم أصبح يتمثل في ما يدعى (الحرب على الإرهاب) و (النضال من أجل الديمقراطية)، ويستشهد «سعيد» بما ورد في بعض خطابات الرؤساء المتعاقبين على رئاسة الولايات المتحدة الأميركية، من أنهم يقاتلون لأجل نصره الخير في مقابل الشر، وأنهم لا يهدفون إلا لنشر القيم الديمقراطية، القيم الأميركية، في كل أنحاء العالم.

والخلاصة أنهم لا يتحدثون أبداً عن الهدم والتدمير، ولكنهم يتحدثون في الحقيقة عن إهداء التنوير والحضارة والسلام والتقدم للناس^{١٥}.

مثل هذا التطور في مسار العلاقة الهيمنية بين الغرب الاستعماري والشرق العربي الإسلامي سيفضي إلى ما يسميه «إدوارد سعيد» بـ (التشرد العرقي الأوروبي). وهو حالة غريبة لا شعورية كامنة خلف طرائق البحث الغربي ومناهجه والتي أدت، في محصلتها النهائية، إلى حشر كل الثقافات غير الأوروبية، والأدنى منها، إلى موقع من مواقع التبعية. وهكذا تبدو العملية التغريبية حاضرة في صميم الاستشراق وتحتل حيزاً يماثل تماماً موقع المستعمرة المفيدة للنصوص والثقافة الأوروبية^{١٦}.

في هذا المقام يوازي بين نشأة دراسات الاستشراق من جهة، وبين بداية الاستعمار الأوروبي للعالم، من الجهة الأخرى. ويرى أهمية الدور الكبير الذي قام به الباحثون الغربيون المشتغلون في حقل الاستشراق في تعزيز وإدامة مصالح الغرب الكولونيالي^{١٧}. ثم يضرب مثلاً بما قاله «ماكولي» عن التربية الهندية، عام (١٨٣٥م) في محضر اجتماع رسمي: «ليس لي أي معرفة لا بالسينسكريتية ولا بالعربية، ولكنني فعلت ما بوسعي لتكوين تقويم دقيق لقيمة كل منهما. لقد قرأت ترجمات لأشهر الأعمال العربية والسنسكريتية. ولقد تحدثت، هنا وفي الوطن، مع أناس متميزين بكفاءاتهم في اللغات الشرقية. بيد أنني ما وجدت واحداً منهم بمقدوره أن يدحض حقيقة كون رف واحد من مكتبة أوربية جيدة يساوي كل الأدب المحلي للهند والجزيرة العربية. إن السمو الجوهري للأدب الغربي محط الإقرار التام فعلاً من قبل أولئك الأعضاء الذين يشكلون اللجنة والذين يدعمون الخطة الشرقية في التعليم. وليس من المبالغة أن نقول إن كل المعلومات التاريخية المجموعة في اللغة السنسكريتية أقل قيمة مما قد يوجد في تلك المستخلصات المبتذلة والمستخدمه في المدارس الإعدادية في إنكلترا، وفي كل فرع من فروع الفلسفة الأخلاقية والمادية نجد أن المكان النسبي لهاتين الأمتين هو نفسه تقريباً»^{١٨}.

ذلك القول هو في الواقع - كما يقول سعيد - دليل على التشرد العرقي، بل أكثر من ذلك، لأن رأي «ماكولي» ما هو إلا تصور غارق في صميم التشرد العرقي وذو نتائج مؤكدة. إذ إن «ماكولي» كان يتحدث من موقع السلطة حيث كان بوسعه ترجمة تصوراته إلى قرار يأمر سكان شبه قارة بأسرها أن يذعنوا للدراسة بلغة غير لغتهم الأم. وهذا ما حدث في حقيقة الأمر»^{١٩}.

ويقدم «سعيد» مثلاً ثانيًا، من كتاب «إيريك ستوكس»: (النفيعون الإنكليز والهند)، حيث تحدث «ستوكس» عن أهمية الفلسفة النفعية للحكم البريطاني في الهند. يكتب «سعيد» معلقًا: «يتعجب المرء في كتاب ستوكس من الكيفية التي تمكن بها زمرة قليلة من المفكرين نسبيًا، من بينهم بينتام وجون ستوارت ميل، من الإتيان بالحجج لتعزيز مذهب فلسفي واستكمال له حكم الهند، مذهب ينطوي في بعض جوانبه على تشابه لا يرقى إليه الشك مع آراء آرنولد وماكولي في الثقافة الأوروبية من أنها أسمى من كل ما عداها. فهذا هو جون ستوارت ميل يحتل اليوم بين (نفعيي البيت الهندي) منزلة ثقافية مرموقة إلى الحد الذي جعل آراءه عن الحرية والحكومة التمثيلية تدور على ألسنة أجيال وأجيال على أنها المقولة الثقافية الليبرالية المتطورة حول هذه القضايا. ولكن عن ميل كان على ستوكس أن يقول ما يلي: (لقد أفاد جون ستوارت في كتيبه عن الحرية قائلًا بدقة متناهية أن مبادئ الحرية مقصود تطبيقها حصراً على تلك البلدان التي تطورت تطوراً كافياً في مضممار الحضارة ليكون بمقدورها تسوية شؤونها بالبحث العقلاني. وعلاوة على ذلك كان مخلصاً لأبيه في تشبته بالاعتقاد أن الهند ما كان بالإمكان حكمها وقتذاك إلا بشكل استبدادي. ولكن على الرغم من أنه كان يرفض، هو نفسه، تطبيق تعاليم الحرية والحكومة التمثيلية في الهند، فإن حفنة ضئيلة من الليبراليين الراديكاليين وجمهرة متكاثرة من المثقفين الهنود لم يضعوا أمثال هذه القيود). وكما يقول «سعيد»، فإن لمحة خاطفة على آخر فصل في «الحكومة التمثيلية» - ناهيك عن التطرق إلى المقطع الوارد في المجلد الثالث من «مقالات وبحوث» حيث يتحدث عن تغييب الحقوق بالنسبة للبرابرة - توضح بمتنهى الجلاء رأي ميل الذي قال فيه إن ما كان عليه أن يقوله عن هذا الأمر لا يمكن تطبيقه بالفعل على الهند، والسبب بالأساس أن رأي ثقافته بحضارة الهند هو أنها لم تكن وقتها قد بلغت بعد درجة التطور المطلوب^{٢٠}.

إن تأريخ الفكر الغربي بأسره إبان القرن التاسع عشر، حسب ما يذهب سعيد، مليء بأمثال هذه التخرصات والتمييزات بين ما هو مناسب لنا (أي الأوروبيين) وما هو مناسب لهم (غير الأوروبيين)، إذ إن الأوائل مصنفون بأنهم في الداخل، في المكان الصحيح، مألوفون، منتمون، وباختصار فهم فوق، والمثاني مصنفون على أنهم في الخارج، ثنوي، شواذ، تبع، وباختصار فهم تحت. فمن هذه التمييزات، التي حظيت بسطوتها من خلال الثقافة، ما كان بوسع أي امرئ أن يتفلسف منها حتى «ماركس» نفسه. إن النظرة للثقافة الأوروبية على أنها المعيار الممتاز حمل معه زمرة مرعبة من التمييزات بين ما لنا وما

لهم، بين الملائم وغير الملائم، وبين الأوربي وغير الأوربي، وبين الأعلى والأدنى، فهذه هي التمييزات التي يقع عليها المرء في أي مكان في موضوعات من أمثال علم اللغة والتأريخ ونظرية العرق والفلسفة والأنثروبولوجيا، لا بل حتى البيولوجيا^{٢١}.

هذا هو الوجه القبيح للكونيالية الثقافية والفكرية، والذي قام «سعيد» بتعريفه في مجمل كتاباته، وهو يرى أن الكولونيالية الثقافية نجحت في دمج منظور المستعمر (بكسر الميم) في رؤى الشعوب المستعمرة، حتى شعرت هذه الأخيرة بأنها غير قادرة على فعل أي شيء دون وصاية الأول ودعمه، وفهمت كذلك أن التشريع لا ينبغي أن يصدر من ثقافة وقيم مجتمعاتها، ولكن من مجتمع الأول وقيمه هو^{٢٢}.

٥- التغريب الأكاديمي في دراسات ما بعد الاستعمار

إذا أقررنا أن دراسات ما بعد الاستعمار هي: مرتبطة بدقة، بواقعة تاريخية محددة، أي الماضي الاستعماري للعالم الغربي، فإن هذه الدراسات ستأخذ مساحة واسعة في بيان وقائع التغريب الأكاديمي والمعرفي. وبالمقابل إذا رأينا أنها حقًا حجة فرعية، لنقد استبانات العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، فسنلاحظ إلى أي درجة لا تني تتجدد، بمقتضى عقل الزمن أو المسائل التي تنشأ، آنذاك، أعتقد أن الإجابة ستختلف. فأحد النقاشات الضخمة التي دارت داخل وحول دراسات ما بعد الاستعمار. في البلدان الأنكلوسكسونية، خلال العقد الأول من هذا القرن، كانت لمعرفة إذا ما كانت الإمكانيات النقدية والمردود الفكري لدراسات ما بعد الاستعمار، تستطيع أن تحافظ على بقائها مع العولمة، ومع التغييرات الكبيرة، لتوازن القوى في العالم، بحيث يبدو أن التوازن الاستعماري لم يعد من مكونات الواقع، إذ إن عددًا من مفكري مرحلة ما بعد الاستعمار لاحظوا ذلك بأنفسهم وتوقعوا أن تكون استبانات ما بعد الاستعمار، في طريقها إلى الاختفاء، وأنها ستخلي مكانها قريبًا لشيء آخر. ينبغي أن نرى جيدًا، من هذا الموقع، أن ثمة فكرة ما نسميه العولمة، التي هي ظاهرة جذرية بجذورها. وعليه فإن النقاش حول هذه المسألة، أبعد من أن يقفل، فالقاربة بين الاستعمار أو بالبحري مرحلة السيطرة الاستعمارية، وعولمة اليوم قد أوضحها عدد كبير من المحللين. والعولمة- استخدم الكلمة الإنكليزية -globalisation- ليست سوى التمدد الأقصى لما كانت عليه إمبريالية المرحلة الاستعمارية. وبالتأكيد لا يزال هناك الكثير، مما ينبغي فعله

لفهم العالم، الذي نعيش فيه اليوم، بالأدوات التي كانت بحوزتنا لشرح نظام العالم منذ قرن. ولكن هذا النقاش لم يقفل مرة أخرى، فدراسات ما بعد الاستعمار، هي بصدد دمج عدد كبير من الأبحاث (هي في الحقيقة مرتبطة بعمق بما كانت عليه في البداية) التي تأخذ في الحسبان ظاهرات معاصرة جداً. إذ إن عدداً من فروع دراسات ما بعد الاستعمار، غيرت اسمها من «ما بعد الاستعمار» (poscolonial) ليصير «عابر للاستعمار» (transcolonial). ويبدو أنها تطوّر استبانات متمحورة حول مسألة الهيمنة، باتجاه استبانات تتناول أكثر حقائق التنقل، التبادل، التعايش، وتدفع المهاجرين. إننا نسير باتجاه اندماج (fusion) هذين الحقلين: دراسات ما بعد الاستعمار ودراسات العولمة. ويمكن أن نفكر في هذا الوضع المتحرك، أن دراسات ما بعد الاستعمار، في طريقها إلى التحوّل باتجاه يعطيها عقد إيجار غير محدود، أو على أي حال، بأفق بعيد جداً. والمسألة بعد ذلك هي في معرفة إذا ما لا زلنا نستطيع تحديد حقل دراسات متقلب، إلى هذا الحد، والصحيح أن دراسات ما بعد الاستعمار، تتطور منذ البداية في مناخ متعدد الاختصاصات (transdisciplinaire)، وفي جوّ جدل مستمر، وكانت تطمح لأن تكون محل استبانات متقاطعة، ذات نزعة لاستثمار حقول الدراسات من الداخل، ولفتحها وخلع إطاراتها ثمة شيء متكافئ مع الدراسات من النوع نفسه. ويمكن اعتبارها حقل دراسات خاصا، ونستطيع أيضاً اعتبار أن مسألة النوع، تطرح في كل ميادين الدراسات، وأن ببساطة ثمة في كل حقل دراسة نمطاً من الاستبانات يجعل تكاملية الحقل المعني في موضع اتهام. وينبغي الاعتراف أن دراسات ما بعد الاستعمار نفسها، تتبدل بطريقة أخرى، هي على حدود المعقول: نرى راهناً من دراسات ما بعد الاستعمار، ما يُطبّق في الكرة الأرضية علي مناطق لم تعرف أبداً الاستعمار، مثل الشرق الأقصى الصيني أو الياباني. وكان أن أنشئت نشرة في جامعة استوكهولم «أوروبا ما بعد الاستعمار» وهي تُعنى بأوروبا الوسطى والشرقية، وتطبق دراسات ما بعد الاستعمار، على مراحل من التاريخ، هي خارج هذا الحقل كلياً. إنك تجد دراسات ما بعد استعمار، تُطبق على العصور القديمة، وفي مجالات لم يعد لها علاقة تَمَاهٍ مع ما عنته أصلاً، وعلى سبيل المثال، دراسات إنجيلية ما بعد استعمارية. ولديك نزعة ما بعد الاستعمار، في الدراسات البصرية، وفي دراسات الإعلام. وعلى هذا الشكل، فإن الدراسات ما بعد الاستعمارية، تملك كل المستقبل الذي يمكن أن تطمح إليه!^{٢٣}

وتظلّ العلاقات بين الثقافات والحضارات موضوعاً جذاباً للتفكير والتأمل . وإذا تنوّعت ضروب الاستعمار ، عسكري وسياسي ، فإنّ الاستعمار الأكاديمي والثقافي أكثر انتشاراً بين الناس لأنّه يسعى إلى السيطرة على العقول والأذواق تهدف إلى تغيير العلاقات بين الشعوب والدول وعندئذ تسهل الهيمنة وبسط النفوذ ، وعندما تُغرس القابليّة للاستعمار في الأنفس والأذهان اطمأن الاستعمار على مصالحه دون إسالة الدماء و تكبّد الخسارات الماديّة والمعنويّة .

إنّ الاستعمار الأكاديمي يهدف إلى ترويج برامجه وسياسته باسم العلم والمعرفة والتّقدم . وبالفعل يعمل على غرس أدوات إنتاج المعرفة ومناهجها فيتزيّا بزّي العلم والثقافة والفكر فيتحوّل إلى ظاهرة ناعمة ومرغوبة . لقد عمد الاستعمار الأكاديمي إلى ترويج فكرة أساسيّة هي أنّ العلم مسألة مشتركة بين الناس ولا جنسيّة له ، كما أنّ طريق التّقدم بين الخليقة واحد فالإنسانية ذات مصير مشترك وقد عمل الجنرال نابليون في حملته على مصر على التّركيز على دور النّخبة وأثرها في تغيير أنماط التّفكير والسلوك والذّوق . وكذلك فعل الإسكندر قبله حين عمل على ترويج الثقافة اليونانيّة في المستعمرات اليونانيّة . والملاحظ في مثل هذا الاستعمار الثقافي هو أنّه لا يرتبط بالضرورة بقوة الدّولة الغازيّة ، فقد تتدهور أصول الدّولة المتعاطمة ولكن النّخبة يتواصل تأثيرها في التّفكير . فالأثر الثقافي يستمرّ بعد زوال التأثير العسكري ؛ لأنّه أشدّ بقاءً واستمراراً وأكثر دواماً من السيطرة على الأرض ، ولأنّ الثقافة تستبدّ بالنّفوس والعقول . والمرء على ما يفكر فيه ، والعقل هو كل شيء ، وبه فضل الإنسان على كل المخلوقات .

إنّ الاستعمار الثقافي يستهدف قلوبه العالم في أنماط وقوالب تضمن تدجين الشعوب لغاية سوقها في وجهة أعدت سلفاً من الدوائر الإمبريالية العالميّة ، ولا فكاك للشعوب التّائفة إلى التحرر من العمل على إنتاج معرفة ذات مميّزات مخصوصة تضمن الحفاظ على الخصويّة والهوية من أجل النّفاذ الى إحداث نظام من خارج النّظام العلمي المسيطر . وإذ تبدو هذه المهمّة متشعبة وصعبة ولا سيّما في واقع بسطت فيه الثّورة الاتصالية يديها على كل المجالات الثقافيّة ، فإنّ الإرادة في كسر الطّوق إذا برمج لها تربويّاً وثقافيّاً فإنّ عنصر الزّمن كفيّل بتحقيقها وانظر إلى تجارب ألمانيا واليابان والصين كيف استطاعت نحت معالم الشخصية الوطنيّة ، فالأدب والفكر والفلسفة هي عوامل أساسية لإنتاج الهوية والخصويّة . وقد اهتمّ «مشال فوكو» بقيمة الإمبريالية الثقافيّة وسلطتها في تغيير معالم

الحقائق وإعادة تشكيل الواقع فعدد الموضوعات يتم إنشاؤها وإعادة إنشائها من خلال علاقات السلطة المحددة ثقافياً فهي التي تطبع بقيّة السلطات الأخرى .

لقد عمل الاستعمار الأكاديمي على تلميع صورته باسم «فلسفة الأنوار» من أجل التوغّل في النفوس والعقول ومعاداة الظلامية باعتبارها مصنوعاً استعماريّاً في حاجة إلى مراجعة نقدية وإلى مزيد التّمحيص ، لأنّها كلمة حقّ أريد بها المزيد من الهيمنة وبسط النفوذ . وهو ما يتجلى في تنفيذ البرامج التعليمية وترويج السلع . ولا فرق بين بضاعة اقتصادية أو بضاعة ثقافية في ميزان الرأسمالية والليبرالية . فالديمقراطية الأمريكية هي الوجه الآخر للسّلاح المدعّم للاستعمار في فلسطين المحتلة . وانظر إلى فعل الاستعمار الأكاديمي في الأوساط الإفريقية كيف عمل على محو مكونات الثقافة ومحتويات المعرفة كإبادة اللغات وطمس معالم الفنون الأصيلة والأفكار الأصليّة لتشويه الهوية وطمس الحقائق . وما زالت النيولبرالية تستنبط الوسائل الكفيلة بالتلاعب بالعقول عبر صناعة ما يسمّى بالرأي العام العالمي عبر مراكز الدّراسات المختصة وترويجها عبر المؤسسات العالمية .

لقد تلوّن الاستعمار الأكاديمي بألوان عديدة وتسمّى بمسميات متنوعة ، وآخر مظهر له هو النيولبرالية . وما ذلك إلا عزف على معنى الجدّة ، ولعب على وتر التطوّر ، طمعاً في الإقناع بمشاريعه التنموية في مجالات الاجتماع والاقتصاد والسياسة والثقافة والإعلام . وما زال الاستعمار الأكاديمي يعمل على تصدير مشاريعه في البلدان النامية باعتبار الهشاشة التي تسمّ مجالات الحياة في هذه المجتمعات .

لقد أدرك الاستعمار الأكاديمي منذ وقت مبكر أنّ التماسك الثقافي لدى الشعوب هو صمّام الأمان الحامي لكلّ أمة والضامن لسلامة مستقبلها . ومن ثمّ كرّست الجهود لإعداد برامج تعمل على بلبلة المفاهيم وتغيير الأفكار . وبالأفكار يمكن التّحكم في المجتمعات عن بعد وبأيسر الجهود والوسائل .

إنّ الجدير بالملاحظة هو أنّ تصدير الاستعمار الأكاديمي أصبح جزءاً من المقررات الرسميّة لدى الدوائر الدولية العالميّة ، وقد ساعدت الشبكة العنكبوتية على تعميق التفوق الثقافي الغربي . فلا غرو في أن تلمّع صورة الحروب والإبادة العرقية باسم مقاومة الإرهاب أو التّعصّب الديني .

والواضح أنّ التّوغل في الأوساط الثقافيّة باسم التّسامح الدّيني أو الحوار بيّن الحضارات أو التّقافات هوّ الميسم الأسمى للإقناع بأنّ كلّ مُعرض عن هذا الحوار أو دعوى التّسامح يُعتبر رجعيّاً غير مواكب لحركة التّقدّم والتّحضر.

إنّ الحلّ الجوهرى أمام المجتمعات النّاميّة هوّ تثوير التّعليم عبر إنتاج البرامج والمقرّرات التّعليميّة والمخططات الثقافيّة تقاوم الإمبرياليّة والتّصديّ لمشاريع الغرب الاستعماريّة المعمّقة للتّبعية والانسلاّب. فعملية فكّ الأسر من قيود العولمة والاستعمار الأكاديمي إنّما تتمّ بمقاومة النّمودج السّائد بالقوة والعلاقات الجائرة عبر التّعامل القسريّ. إنّ إنتاج المعرفة هوّ الحلّ الأساسى الموصل إلى التّحرر عبر تحرير العقول. فالإنسان الفّعال والمجتمع الحيّ هما الحلّ الجذريّ لصناعة مستقبل أمل وسعادة منشودة.

٦- خاتمة نقدية

آفاق جديدة للتّغريب الأكاديمي

لمّا كان الوجه الحقيقي للغرب مخفيّاً، كان دعاة الإصلاح بالاستفادة من الغرب معذورين في اعتبارهم أنّ طريق التّقدّم واحد يتمثّل في الإصلاح الزراعيّ، والتنظيمات السياسيّة، والفصل بين السّلطات، وتحديد المناهج التّربويّة والتّعليميّة. ولكنّ دعاة التّغريب غير معذورين لأنّ حقيقة أمر الغرب قد أصبحت واضحة جليّة. وعمادها حركات توسّع وإرادة هيمنة ورغبة في التّفوق لقيادة العالم بالقوّة والغطرسة. وهكذا تتعاظم المسؤوليّة على من أدرك الحقّ وأغضى عنه.

لقد كان حريّاً برجال التّربية والتّعليم في أرقى درجاتهما أن يحلّلوا أوجه الغرب الإيجابيّة، وأن يميّطوا اللثام على عيوبه ومساوئه بدلاً من الانضواء في حملات دعائيّة وإشهارية فجّة. كما كان عليهم أن يكشفوا عن حقيقة أفكار ومبادئ نمت وترعرعت في تربة ثقافيّة مختلفة وفي فضاء حضاريّ مغاير. والتّراث الذي ظلّ هدفاً لأصحاب الاستعمار الأكاديمي هوّ في حقيقة الأمر صمّام أمان وملجأ آمن لمن أراد التّزوّد منه ومراجعة ما بدا غير ملائم للعصر. لا أن يرمى به عرض الحائط كما يدّعي التّغريبون جملة وتفصيلاً وأنّى لهم ذلك. فالتّراث ليس بضاعة ماديّة فمنه ما هو ماديّ ومنه ما هو غير ماديّ ولا مرئيّ. وهو مخزون نفسى يشكّل أعماراً وماضياً يعيش حيّاً نابضاً في العصر. وأكثر

من ذلك أن محاولات التّقدّم التي تنهض على فهم التّراث وإعادة فهمه هي أكثر تجذراً والأكثر تأثيراً في المستقبل. فلا حاضر دون ماضٍ ولا مستقبل دون حاضر. ويبدو أن أفضل طريق لمقاومة التّغريب إنّما هو تشجيع حركة التّغريب نشرًا للسان العربي للقارئ بما يفكر فيه الآخر حتّى تتوسّع دوائر الاطلاع والحوار والنّقد.

لما ذُبل العطاء الفكري في الحضارة الإسلاميّة وسُدّت منافذ التّفكير، وأعلن عن غلق أبواب الاجتهاد عمّ التّقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد، على حدّ عبارة أبي حامد الغزالي في كتابه المستصفى من أصول الفقه. وعندئذ أذنت الدّورة الحضاريّة بالانتقال إلى الضّفة الشماليّة والغربيّة من الكرة الأرضيّة. وبتصاعّد هذه الحضارة عمل مؤسّسوها على إرساء دعائم تضمن استمرارها في التّاريخ. ولعلّ من أخطر هذه الدّعائم التّعويل على النّخب الأكاديميّة والتّرويج الفعّال لكلّ ما من شأنه أن يخرب بناء الذات الإنسانيّة في مجتمعاتنا العربيّة والإسلاميّة المعاصرة. ودعوى هذا وحدة المصير الإنساني المشترك، وأنّ طريق التّقدّم واحد، وأنّ الحداثة واحدة وأنها تيار جارف يدك كلّ من عارضه، وأنّ الماضي ومكوّناته أمور بالية تشدّ إلى الوراء وتعوق حركة التّقدّم. وكلّ ذلك دعاوى مجانبة للصّواب لأنّ الحضارة الغربيّة ذاتها تعود إلى قديم الحضارة اليونانيّة، وأنّ الماضي هو الحقل الثّقافي والفكري والمعرفي الذي لا ينضب، وأنّ الحداثة حداثات، وأنّ اشتراك الإنسانيّة في كثير من عناصر المصير المشترك لا يقضي بحال على الخصوصيّات الثّقافيّة والانتماءات المتنوّعة والمختلفة. وهكذا يتبيّن لنا أنّ التّغريب الأكاديمي هو مجرد أداة تحجب فعاليّة الرّغبة في الهيمنة والسيطرة ما يناقض جوهريّاً العمل الأكاديمي الذي يقوم أساساً على الموضوعيّة والجديّة والبحث الدّقيق والتّمحيص العميق من أجل إزاحة الحُجب عن الحقائق المخفيّة.

المراجع

١. انظر ناجي الحجلأوي، التّفكير الاجتماعي عند مالك بن نبي، الدّار التّونسيّة للكتاب، ط ١، تونس، سنة ٢٠١١،
٢. أبو القاسم حاج حمد، منهجيّة القرآن المعرفيّة، دار الهادي للنّشر والتّوزيع، ط ١، س ٢٠٠٣،

٣. انظر شلتاغ عبّود، في المصطلح الثقافي والتّغريب، مقال منشور بمجلة التّغريب، مجلة «أفاق الثقافة والتّراث» ع ٣٣، س ٩، أفريل ٢٠٠١،
٤. انظر محمّد مصطفى هدّارة، التّغريب وأثره في الشّعر، مقال في مجلة الأدب الإسلاميّة، مج ١، ٢٤، سنة ١٩٩٤.
٥. سلامة موسى، اليوم والغد، مؤسّسة هنداوي سي أي سي، سنة ١٩٩١.
٦. طارق البشري، سيبقى الغلو ما بقي التّغريب، مقال منشور بمجلة العربي، ع ٢٧٨، جانفي ٨٢،
٧. عبد الرّحمان بن خلدون، المقدّمة، دار عالم الثقافة للنّشر والتّوزيع، وبالتّحديد الفصل الثالث والعشرون: في أنّ المغلوب مولع أبداً بالاقْتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده.
٨. عمر فروخ ومصطفى الخالدي، التّبشير والاستعمار، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، سنة ١٩٥٣.
٩. مالك بن نبي، شروط النّهضة، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩ م.
١٠. مشكلة الأفكار في العالم الإسلاميّ، تعريب محمّد عبد العظيم علي، دار الحكمة للنّشر والتّوزيع، تونس، سنة ١٩٨٥،
١١. هاري ماجدوف، الإمبرياليّة من عصر الاستعمار حتّى اليوم، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، ط ١، س ١٩٨١

الهوامش:

- ١ - عبد الرّحمان بن خلدون، المقدّمة، دار عالم الثقافة للنّشر والتّوزيع، وبالتحديد الفصل الثالث والعشرون: في أنّ المغلوب مولع أبداً بالاقْتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، ص ١٨٤.
- ٢ - انظر ناجي الحجلأوي، التفكير الاجتماعي عند مالك بن نبي، الدّار التّونسيّة للكتاب، ط ١، تونس، سنة ٢٠١١، ص ص ١٠١، ١٠٢.
- ٣ - مالك بن نبي، شروط النّهضة، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩ م، ص ١٠٩ وما بعدها.
- ٤ - أبو القاسم حاج حمد، منهجيّة القرآن المعرفيّة، دار الهادي للنّشر والتّوزيع، ط ١، س ٢٠٠٣، ص ٢٤٨.
- ٥ - هاري ماجدوف، الإمبرياليّة من عصر الاستعمار حتّى اليوم، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، ط ١، س ١٩٨١ ص ١٠٠ وما بعدها.
- ٦ - سلامة موسى، اليوم والغد، مؤسّسة هندأوي سي آي سي، سنة ١٩٩١، ص ١٦.
- ٧ - انظر محمّد مصطفى هدّارة، التّغريب وأثره في الشّعر، مقال في مجلّة الأدب الإسلاميّة، مج ١، ع ٢، سنة ١٩٩٤، ص ٧ وما بعدها.
- ٨ - طارق البشري، سيقى الغلو ما بقي التّغريب، مقال منشور بمجلّة العربي، ع ٢٧٨، جانفي ٨٢، ص ٦١.
- ٩ - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلاميّ، تعريب محمّد عبد العظيم علي، دار الحكمة للنّشر والتّوزيع، تونس، سنة ١٩٨٥، ص ٢٠٧.
- ١٠ - انظر شلتاغ عبّود، في المصطلح الثّقافي والتّغريب، مقال منشور بمجلّة التّغريب، مجلّة «آفاق الثقافة والتّراث» ع ٣٣، س ٩، أفريل ٢٠٠١، ص ٥٤.
- ١١ - عمر فروخ ومصطفى الخالدي - التبشير والاستعمار - منشورات المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، سنة ١٩٥٣ - ص ٢٥.
- ١٢ - مجدي عز الدين حسن - نقد الكولونيالية من منظور إدوارد سعيد - مجلّة «الاستغراب» العدد الثاني عشر - صيف ٢٠١٨.
- ١٣ - إدوارد سعيد، السلطة والسّياسة والثّقافة، ترجمة نائلة قلقيلي حجازي، دار الآداب، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م، ص ٢٠٨.
- ١٤ - مجدي عز الدين حسن - المصدر نفسه.
- ١٥ - راجع: إدوارد سعيد، الثقافة والمقاومة، ترجمة علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، ص ١٦٦.
- ١٦ - مجدي عز الدين حسن - المصدر نفسه.
- ١٧ - إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٠، ص ٥٥-٥٦.
- ١٨ - إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، مصدر سابق الذكر، ص ١٧.
- ١٩ - المصدر السابق نفسه، ص ١٧-١٨.
- ٢٠ - إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، مصدر سابق الذكر، ص ١٨.
- ٢١ - نفس المصدر السابق، ص ١٨-١٩.
- ٢٢ - راجع: إدوارد سعيد، القلم والسيف، حوار دافيد بارساميان، ترجمة توفيق الأسدي، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٩٨ م، ص ١٣٤.
- ٢٣ - حوار مع المؤرخ الفرنسي جاك بوشبياداس - ترجمة: صلاح عبد الله - مجلّة «الاستغراب» العدد الثاني عشر - صيف ٢٠١٨.

التقابل اللفظي في خطاب السيد عمّار الحكيم

دراسة وصفية تحليلية

الأستاذ الدكتور زهير محمد علي الأرنؤوطي

جامعة بغداد-كلية تربية ابن رشد

المستخلص:

معلوم أن الخطاب السياسي يهدف في أغلبه إلى التأثير في المتلقين وإقناعهم بأفكار ورؤى منشئه، ولذلك لا بُدَّ للخطيب السياسي من أن يحشد كل الطاقات والإمكانات والحجج والبراهين التي تحقق غايته ومراده، ولا شك أن واحدة من أهم أدوات الخطيب هي اللغة وحسن اختياره للألفاظ والعبارات، وابتكار المصطلحات المناسبة، وقد تحدث أغلب الفلاسفة والمفكرين عن دور اللغة في التواصل ولا سيّما أفلاطون وأرسطو.

وقد تتبع البحث خطاب السيد عمار الحكيم رئيس (تيار الحكمة الوطني) فوجد أن واحدة من السمات الأسلوبية في خطابه هي استعمال التقابل اللفظي، فسماعته يعمد إلى الإتيان بكلمات متقابلة تكون في الغالب متعاكسة في المعنى، ويتم ذلك عبر التجنيس أو التسجيع أو بطرق أخرى، وهذه السمة الأسلوبية البارزة أضفت على خطابه لمحات جميلة تترك أثرها في المتلقين وتصبح في أغلب الأحيان (آيقونة) خاصة به وعلامة مميزة.

وقد قسمنا تلك الألفاظ على مبحثين، تناول الأول التقابل عن طريق الجناس، وتناول الثاني التقابل عن طريق السجع وحروف الجر وقلب الإضافة.

الكلمات المفتاحية

الخطاب السياسي، التقابل، الحكيم، السجع، الجناس

Verbal Harmonization in the Speech of Eminence Sayyid Ammar Al-Hakim

An analytical descriptive study

Abstract:

It is known that political speech aims mostly to influence on the recipients and convince them of the ideas and visions of the establisher of the speech. Thus, the political preacher must mobilize all the energies, capabilities, arguments, and proofs that achieve his goal and purpose. Undoubtedly, one of the most important tools of the preacher is the language, and good choice of words, phrases, and innovative appropriate terminology. Most philosophers and thinkers have talked about the role of language in communication, especially Plato and Aristotle.

This research has followed the speech of Sayyid Ammar al-Hakim "Head of Al-Hikma National Movement" and the research has found that one of the stylistic features in his speech is the use of verbal harmonization. As well as, the prominent stylistic feature added to his speeches beautiful glimpses that leave on their mark on the recipients and often become it as an (icon) and distinctive mark.

We have divided these words into two sections, the first dealt with correspondence through alliteration, and the second dealt with correspondence by means of assonance, prepositions, and inflection of addition.

Keywords:

Political Speech, correspondence, Al-Hakim, assonance, alliteration

المبحث الأول: التقابل عن طريق الجنس

الجناس : هو اتفاق اللفظين واختلاف المعنى ، فإذا كان الاتفاق في نوع الحروف وعددها وهيئاتها وترتيبها سُمي الجنس تاماً ، وإذا حصل اختلاف في إحدى تلك السمات الأربع سمي ناقصاً^(١)

ولم يرد الجنس التام في كلام السيد عمار الحكيم ، أما الجنس الناقص الذي يرد على أنواع مختلفة بحسب نقطة الانحراف عن الجنس التام ، فقد ورد بكثرة في خطابه ، وفيما يأتي بيان لأنواع الجنس الناقص الواردة في خطابه .

الأول: الجنس الاشتقائي

هو الجنس الحاصل بين كلمتين يجمعهما اشتقاق واحد^(٢)

وهذا النوع من الجنس هو الأكثر وروداً في حديث السيد عمار الحكيم ، إذ ورد ستاً وثلاثين مرة

١- (مؤثرين) و (متأثرين) و (مؤثرة) و (متأثرة)

قال سماحته : (إننا أمام خريطة جديدة لتحالفات الشرق الأوسط تتضح ملامحها يوماً بعد آخر ، ولا بُدَّ من أن نجد موقعنا في مجمل هذه الخريطة لتكون مؤثرين وفاعلين ، لا متأثرين ومنفعلين)^(٣)

وقال سماحته : (ولتكن علاقاتكم مؤثرة وغير متأثرة)^(٤)

فاللفظتان مشتقتان من جذر واحد هو (أثر) ، الأولى : اسم فاعل من (أثر) بمعنى ترك أثراً في الآخر ، والثانية اسم فاعل من (تأثر) التي هي مطاوع (أثر) ، بمعنى قبل أثر الآخر فيه .

فسماعته استعمل الجنس الاشتقائي لخلق تضاد بين اللفظتين ، فدعا إلى أن يكون للعراق دور مهم يترك أثره في الآخرين ولا يقبل تأثير الآخرين فيه .

٢- (البصرة) و (بصرنا) و (بصيرتنا)

قال سماحته : (البصرة بصرنا وبصيرتنا ، منحنتنا منذ نشأتها الأصالة)^(٥)

فالألفاظ الثلاث يجمعها جذر واحد هو (بصر)، فالأولى هي اسم لمحافظة عراقية معروفة، والثانية من (البصر) بمعنى الرؤية، والثالثة من (البصيرة)، التي هي اسم لما اعتقد في القلب^(٦) والمعنى السياقي أن البصرة هي في موقع أعيننا وقلوبنا.

٣- (جهاد) و (جهود)

قال سماحته: (لا يمكن أن تتناسى جهاد و جهود البعض)^(٧) فاللفظتان من جذر لغوي واحد هو (جهد)، ف (الجهاد) هو مصدر الفعل (جاهد)، و (الجهود) هي جمع (جُهد) بمعنى الطاقة أو المشقة^(٨). فقد جمع السيد الحكيم للممدوحين فضيلتي مجاهدة الأعداء وبذل الوسع في خدمة الوطن والمواطن، مستعملًا الجنس الاشتقاقي.

٤- (الاختلاف) و (الخلاف)

قال سماحته: (ونجدد التأكيد هنا مرة أخرى أننا متمسكون بمنهج (الاختلاف لا الخلاف) . . فنحن قد نختلف مع الآخرين ولكننا ننطلق في اختلافنا من قاعدة التكامل وليس من قاعدة التقاطع)^(٩)

(الاختلاف) مصدر الفعل (اختلف)، و (الخلاف) مصدر الفعل (خالف) وهما من جذر واحد (خلف)، و (الاختلاف) مبني على تعدد وجهات النظر وعكسه الإجماع^(١٠)، و (الخلاف) هو المضادة^(١١)

فقد استعمل السيد الحكيم الجنس الاشتقاقي بين كلمتين تعبر الأولى عن طرح رؤيتين متغايرتين من دون قصد إلى التضاد مع الآخر وإنما لتغاير وجهات النظر فحسب، وتعبّر الثانية عن قصد مواجهة الآخر، فأكد تمسكه بالأولى وابتعاده عن الثانية.

٥- (نختلف) و (نتخالف)

قال سماحته: (معاً تعني أن نتشارك ولا نتخاصم، معاً تعني أن نختلف ولا نتخالف)^(١٢)، فكلتا اللفظتين من الجذر الثلاثي (خلف) غير أن الأولى مضارع (اختلف) والثانية مضارع (تخالف) وبينهما جناس اشتقاقي وتضاد معنوي.

٦- (المختلفين) و (المتخلفين)

قال سماحته : (علينا أن ندرك أننا أمام جيل شبابي مختلف في فكره وسلوكه وعلاقاته ونظرته للأمور؛ جيل لا يهتم بتعقيدات الماضي ولا توازنات الحاضر، وعينه شاخصة نحو المستقبل بقوة، وقد حسمت خياره في أن أكون مع المختلفين لا المتخلفين)^(١٣) فـ (الاختلاف) و (التخلف) يشتركان في الاشتقاق غير أن الأول مصدر (اختلف) ويعني التباين في وجهات النظر، والثاني مصدر (تخلف) ويعني بقاء النمو العقلي^(١٤) غير أن اللفظة استعملت لمن يتأخر عن مواكبة التقدم والتطور وهو المقصود منها في هذا الموضوع .

٧- (ندافع) و (نتدافع)

قال سماحته : (نتابع ونقيّم ونصحح وندافع ولا نتدافع)^(١٥) (ندافع) مضارع الفعل (دافع) بمعنى ردّ السوء، و(نتدافع) مضارع (تدافع)، يقال (تدافع القوم) أي دفع بعضهم بعضاً^(١٦) .

فالسيد الحكيم يؤكد ثبوت صفة الدفاع وينفي صفة التزاحم مع الآخرين على المواقع والمناصب، مستعملاً الجنس الاشتقاقي ومستثمراً ما بين اللفظتين من تضاد معنوي .

٨- (متدينة) و (دينية)

قال سماحته : (أنا أجد أن أسميها الأحزاب المتدينة وليس الدينية؛ لأن الدين هو توجهات عامة وهذه القوة تحكم وتدير ضمن دستور نظر إلى حكم مدني يحترم الهوية الإسلامية . نحن لسنا في حكومة إسلامية إنما حكم مدني يحترم الحكومة الإسلامية كما أقر الدستور)^(١٧)

(المتدين) اسم فاعل من (تدين) بمعنى من يدين بالدين، أي يلتزم به^(١٨)

والدينيّ : هو المنسوب إلى الدين .

وهنا يفرق السيد الحكيم بين الحزب المتدين والحزب الديني، فالأول من يلتزم بتعليمات الدين، والثاني من يجعل نظامه الداخلي نظاماً دينياً ويرغب بإقامة حكم

دينيّ، وقد أثبت للأحزاب العراقية التي يتحدث عنها الصفة الأولى ونفى الثانية، واستثمر الجنس الاشتقاقي بين اللفظتين .

٩- (محاسبة) و (محمسوبة)

قال سماحته: (نريد حكومة قوية لا ضعيفة، حكومة نزهة لا فساد، حكومة محاسبة لا محسوبة، حكومة برامج لا شخص، حكومة محور لا محور، حكومة وحدة لا تفكك)^(١٩) (المحاسبة) هي مصدر الفعل (حاسب) بمعنى العدّ^(٢٠)، والمعنى المراد هنا المراقبة والتتبع، و(المحمسوبة) مصدر صناعي يعني تقديم العطاء على أساس النفوذ لا على أساس الكفاءة^(٢١) فسماحته يدعو إلى حكومة تراقب الأداء وتتابع المخالفات بصرف النظر عن كل الاعتبارات الأخرى، فبين اللفظتين جناس اشتقاقي وتخالف في المعنى جعل الأولى مرغوباً فيها والثانية مرغوباً عنها .

١٠- (محور) و (متمحور)

قال سماحته: (المصلحة الوطنية على المصالح الأخرى، فنحن نريد العراق محوراً لا متمحوراً، وجسراً يربط مصالح المنطقة ببعضها، من دون انحياز)^(٢٢) (المحور) في اللغة: العود الذي تدور عليه البكرة^(٢٣) ثم توسع حتى أُطلق على مدار كل شيء^(٢٤)، والمقصود منه في هذا السياق هو البلد الذي يأخذ موقعاً مهماً ويقوم بدور مهم يجعل الآخرين ترتبط مصالحهم بمصلحته فيكون مركزاً ينجذب نحوه الآخرون .

أما (المتمحور) فهو اسم فاعل من (تمحور) وهو استعمال حديث يعني من اتخذ محوراً وانجذب نحوه، والمعنى السياقي للفظ في هذا المقام هو البلد الذي يختار أحد الطرفين المتخاصمين فيتجه نحوه ويكون تابعاً له .

واستناداً إلى هذين المعنيين فإن السيد الحكيم يدعو إلى أن يكون العراق محوراً لا متمحوراً، وقد عبّر عن المعنى المرغوب فيه والمعنى المرغوب عنه بطريقة التقابل اللفظي عن طريق الجنس الاشتقاقي

١١- (نراجع) و (نتراجع)

قال سماحته: (فنحن نراجع ولا نتراجع ونصحح ولا نكابّر ونقوم ولا نبرر ونواصل المسير ولا نتعب أو نتردد)^(٢٥)

(راجع) من (المراجعة)، وتعني المعاودة، و(نتراجع) من (التراجع) وهو العودة إلى الخلف^(٢٦)، أو هو الرجوع إلى المحل الأول^(٢٧)

والمعنى السياقي هو أن سماحته يعود إلى قراراته السابقة ويعيد دراستها ويجري عليها ما يستوجب من تغييرات وفقاً لما يستجد من الظروف، وأنه لا يعود إلى الخلف وإلى نقطة الشروع الأولى ما دامت الأسس صحيحة وثابتة وما دام واثقاً من صحة مساره، فقد قابل بين لفظتين يجمعهما جناس اشتقاقي تناقض الثانية الأولى، فأثبت لنفسه الأولى ونفى عنها الثانية.

١٢- (مسؤولية) و (مسؤولين)

قال سماحته: (نحتاج إلى مسؤولية أكثر من الحاجة إلى مسؤولين)^(٢٨)

(المسؤول) اسم مفعول من (سأل) بمعنى من يُسأل عن عمله، قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصفات: ٢٤)، وتطلق اليوم على من تناط به مهمة من رجال الدولة ويسأل عن تبعاته^(٢٩)

(والمسؤولية) مصدر صناعي من (سأل) بمعنى الالتزام بإصلاح ما وقع من أخطاء^(٣٠)، ويبدو أن الناس في أيامنا يستعملون لفظة (المسؤول) لمن يتولى المنصب ويأخذ امتيازاته، متناسين ما يحمله الموقع من تبعات ينبغي الالتزام بها، فلم يبق من دلالة اللفظة إلا حقوق من تنطبق عليه. وبهذا المعنى استعملها السيد الحكيم، ولذلك قال (لا نريد مسؤولين)، فلا يعقل أن يكون المعنى أننا لا نريد من يتولى إدارة الأمور، بل المقصود أننا لا نريد من يأخذ مزايا المنصب من دون أن يتحمل التبعات والالتزامات التي يفرضها الموقع.

١٣- (التسليم) و (الاستسلام)

قال سماحته: (والتسليم إلى الله تعالى، التسليم وليس الاستسلام)^(٣١)

(التسليم) مصدر الفعل (سَلَّمَ) بمعنى الانقياد والإذعان والطاعة المطلقة^(٣٢) ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

أما (الاستسلام) فهو مصدر الفعل (استسلم)، وهو لا يختلف عن معنى (أسلم) بمعنى انقاد، قال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسَلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤): المعنى: استسلمنا^(٣٣)

غير أن اللفظة استعملت في اللغة الحديثة بمعنى الخضوع والإذعان المذل، وهذا هو المعنى الذي أراده السيد الحكيم في هذا السياق، فهو يتحدث عن الانقياد لأمر الله تعالى والقبول بما قدر وقسم وعدم الخضوع والإذعان لغيره ممن يريدون فرض إراداتهم، وبين اللفظتين جناس اشتقاقي وتضاد في المعنى، أثبت سماحته الأول ونفى الثاني.

١٤- (مستمعين) و (سماعين)

قال سماحته: (أيها الأحبة كونوا مستمعين جيدين ولا تكونوا سمّاعين، وفرق كبير بين السّمَاع وبين المستمع، السّمَاع هو الذي يسمع كل شيء ويأخذ به ولا يقول هذا صحيح أو هذا كذب، هذا حق وهذا باطل، السّمَاع هو الذي له رد فعل على كل كلمة يسمعها فيغضب بسرعة ويفرح بسرعة، لا يدقق ولا يتعمق وهذه سمة غير صحيحة أو غير دقيقة، أما المستمع فهو الذي يستمع من الآخر ويدقق في ما يقول، إن كان حقاً أخذ به وإن كان غير حق ناقشه ووضح وبين وشرح له، وإذا كان غير مقتنع تحمله كراي آخر فليس كل الناس يأخذون بكلامنا)^(٣٤)

(المستمع) اسم فاعل من (استمع)، وقيل إن الاستماع لا يكون إلا بالإصغاء، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر ١٧-١٨) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، وقيل إن الاستماع يقتضي الاستفادة من المسموع بعد الإصغاء إليه وفهمه، لذلك لا يقال إن الله تعالى يستمع^(٣٥)

و(سمّاع) صيغة مبالغة معناها كثرة السمع، غير أنها استخدمت في القرآن الكريم لسماع الأمور المشينة، قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴿(المائدة: ٤١)﴾، وقال تعالى: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (المائدة ٤٢)، قال الطبرسي في تفسير الآية الكريمة: (سماعون للكذب، أي: قابلون له) (٣٦)

١٥- (تشخيصية) و (مشخصنة)

قال سماحته: (وهي معارضة تشخيصية لا مشخصنة) (٣٧)

اللفظتان مشتقتان من جذر ثلاثي واحد هو (شخص) بمعنى ارتفع (ينظر العين (شخص) ٤/ ١٦٥) وتوسع معناه في اللغة المعاصرة ليصبح بمعنى ظهر أو طلع أو بدا (٣٨)

ف (التشخيص) مصدر (شخص)، بمعنى أبدى الشيء وأظهره، أما (مشخصنة) فهي اسم مفعول من (شخصن) بمعنى جعلها شخصية، أي جسدها وأضفى عليها ضفة الآدمية (٣٩) وهو استعمال حديث.

ومعنى الكلام أن هذه المعارضة تحدد الأخطاء وتميزها وتظهرها بهدف إصلاحها وليس الانتقاص ممن وقع بها

١٦- (المشروع) و (الشروع)

قال سماحته: (أخاطبكم لأقول لكم، يا أصحاب اليقين والثبات والصمود، يا أبناء الاستقامة والتضحية والعطاء والجهود، يا أصحاب المشروع منذ البدء والشروع) (٤٠)

(المشروع) اسم مفعول من الفعل (شرع) بمعنى سنّ أو بين وأظهر، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ (الشورى ١٣) (٤١)، و(المشروع) ما سوغه الشرع (٤٢)، واستعملت لفظة (المشروع) في لغتنا المعاصرة ولا سيما في قطاع العمل للتعبير عن خطة منظمة تقدم لإنجاز عمل معين، والمعنى السياقي للمشروع في كلام السيد الحكيم هو البرنامج والخط العام الذي يسير عليه التيار لتحقيق أهداف مرسومة.

أما (الشروع) فهو مصدر (شرع)، يقال: شرع في الشيء بمعنى أخذ به (٤٣)، ومعناها السياقي بداية انطلاق العمل بهذا المشروع.

والمعنى المراد أنكم أصحاب برنامج يحمل أهدافاً واضحة وثابتة آمنتكم به وتمسكنم به منذ البداية، وفي هذا الكلام تذكير بالسبق وتحفيز على الاستمرار.

١٧- (الشراكة) و (الشراك)

قال سماحته: (أن نلتزم بالشراكة، ولكن الشراكة غير الشراك «بكسر الشين»، لأنها فخ ولا يجب أن يتربص أحدنا بالآخر. إن الشراكة تكامل الأدوار وهي قبول بفكرة الآخر، والشراكة أن يعرف كل واحد حدوده ولا يسمح للآخر بأن يتجاوز عليه ولا يسمح أن يتمدد على الآخر)^(٤٤)

(الشراكة) علاقة تقوم على التعاون وتبادل المصالح في مختلف المجالات^(٤٥)

و(الشراك): سير النعل^(٤٦)، واستعمالها بمعنى الفخ حديث غير معهود، ويبدو أن بين المعنيين علاقة واضحة، فقد يكون الشراك سبباً في تعثر الماشي، ومن هنا يصبح بين اللفظتين تقابل دلالي من حيث أن الأولى تدل على التعاون مع الآخر والثانية تدل على الإيقاع به.

١٨- (شعار) و (استشعار)

قال سماحته: (ولذلك علينا أن نتقل بالوحدة من شعار إلى استشعار حقيقي، لنمارس هذه الوحدة في سلوكنا اليومي وفي مواقفنا اليومية)^(٤٧)

(الشعار): العلامة، تقول العرب (شعار القوم)، بمعنى علامتهم^(٤٨).

و(الاستشعار) مصدر الفعل (استشعر)، ويبدو أنه لا يقال (استشعر فلان الشيء) إلا إذا كان ذلك في قلبه، قال ابن منظور: (استشعر خشية الله أي جعله شعار قلبك)^(٤٩)

وقد وفق سماحته تمام التوفيق في هذه المقابلة اللفظية حينما طلب تحويل شعار الوحدة، وهو ما يرفع من كلام حولها قد يكون ظاهرياً لا يتجاوز مرحلة التفوه به إلى إدراك حقيقي باطني قلبي، وقد زاده هذا المعنى تأكيداً حينما أتبعه بلفظة (حقيقي).

١٩- (تشغلهم) و (تشاغلهم)

قال سماحته: (وكانوا يركزون أبصارهم على نهاية الطريق، ولا تشغلهم المحطات الجانية أو تشاغلهم المعوقات المرحلية)^(٥٠)

(الشغل): هو العارض الذي يُذهل الإنسان^(٥١)، يقال شغله الأمرُ يشغله .

التشاغل عن الشيء: الذهاب عنه^(٥٢).

فالمعنى أنهم يركزون في عملهم لا يُذهلون عن طريقهم وأهدافهم لما يواجههم من مشكلات وتحديات، ولا يتركون عملهم ويذهبون عنه إلى غيره بسبب كثرة المعوقات التي تواجههم فيه، فبين الشغل والتشاغل جناس اشتقائي وتقارب في المعنى .

٢٠- (الشفافية) و (التشفي)

قال سماحته: (ونريد الشفافية ولا نريد التشفي، فالشفافية غير التشفي، لأنه التنكيل بالآخر، أما الشفافية فهي الوضوح . إن التشفي بالآخر والتنكيل به وكسره أمر خطير، ويجب أن نتجنبه وألا نقع فيه، لكي نسير ونمضي ونبني ونعمر، فشعبنا يريد أن يعيش ويجب أن نكون بمستوى المسؤولية)^(٥٣)

(الشفافية) هي تساوي الظاهر مع الباطن^(٥٤)

أما (التشفي) فهو بلوغ ما يُذهب الغيظ من العدو أو الخصم^(٥٥)

واللفظة الأولى من (شفف) والثانية من (شفي) فلا يجمع بينهما جذر واحد، وإنما يشتركان في الحرفين الأول والثاني، وربما هذا ما يوهم أنهما من جذر واحد.

٢١- (المصطلحات) و (الإصلاحات)

قال سماحته: (ما هو مطلوب اليوم من القوى السياسية أن يعقدوا هذا الاجتماع الموسع تحت أية تسمية؛ الاجتماع الوطني، المؤتمر الوطني، الحوار الوطني، الإصلاحات الوطنية، سموها ما شئتم فالمهم أن تجتمعوا تحت أي اسم وأي وصف لهذا الاجتماع، فلنختلف في المصطلحات ولننتفخ على الإصلاحات)^(٥٦)

(المصطلح): هو ما تم الاتفاق عليه من كلمة أو كلمات لمعنى معين^(٥٧)

و(الإصلاح): ضد الإفساد، نقول أصلح الشيء بمعنى أقامه بعد فساد^(٥٨)

فالسيد الحكيم يقول أنه لا توجد مشكلة في اختلاف الفرقاء في إطلاق التسميات لأن المهم هو الاتفاق على مبدأ الإصلاح وخطواته العملية، واستثمر الجنس الاشتقائي لتحقيق المقابلة اللفظية بين الكلمتين.

٢٢- (الضحية) و (التضحية)

قال سماحته: (ونعمل على إعادة النازحين إلى مدنهم وقراهم، وإعادة إعمار المناطق المحررة ومناطق المحررين، ومدن الضحية ومدن التضحية على حد سواء)^(٥٩) (الضحية) في اللغة: الشاة التي تُنحر يوم عيد الأضحى^(٦٠)، وتُطلق في الوقت الحاضر على من أصابه سوء أو ضرر لسبب ما. و(التضحية) مصدر الفعل (ضحى) بمعنى قدّم حياته^(٦١)

٢٣- (ضرورة) و (ضرر)

قال سماحته: (الشراكة ضرورة، والمحاصصة ضرر، وفرق كبير بين الضرر والضرورة)^(٦٢) (الضرورة) اسم لمصدر الاضطرار^(٦٣) والاضطرار هو الاحتياج إلى الشيء^(٦٤) و(الضرر): النقصان الذي يدخل في الشيء^(٦٥)، وهو خلاف النفع^(٦٦) فسماعته يرى أن شراكة المكونات في الحكم أمر لا نحتاج إليه فلا بُد منه، في حين أن المحاصصة أمر يجلب السوء للبلاد والعباد، وبين اللفظتين جناس اشتقائي واضح، فكلاهما من الجذر الثلاثي (ضرر).

٢٤- (الطائفة) و (الطائفية)

قال سماحته: (فالطائفة نعمة لأنها قراءة وفهم للإسلام، أما النعمة فهي الطائفية، ويجب أن نميز بين الطائفة والطائفية، فالطائفة انتماء، والطائفية تعني أنني وحدي على صواب وغيري على خطأ، ونحن بلد متنوع فيه قوميات وطوائف وديانات، ونحن جميعاً عراقيون)^(٦٧)

(الطائفة) من الشيء : قطعة منه^(٦٨) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور : ٢)

وأصبح معناها اليوم الجماعة من الناس التي يجمعها مذهب واحد^(٦٩)
أما (الطائفية) فهي مصدر صناعي ويعني التعصب للطائفة^(٧٠)

واستناداً إلى معني اللفظتين فإن الطائفة نعمة لأنها تمثل وجهة نظر مستندة إلى أصول معينة وتعكس قراءة معينة للأحكام وهذا ما يسبب إثراءً فكرياً ، في حين أن الطائفية نقمة

٢٥- (العابر) و (المعتبر)

قال سماحته : (وسيبقى المسلمون يعانون من التهميش والتجاوز ما داموا يمرون على ذكرى الحسين مرور العابر وليس مرور المعتبر)^(٧١)

(العابر) اسم فاعل من الفعل (عبر) بمعنى قطع ، تقول عبر الوادي أي قطعه^(٧٢)
و(المعتبر) اسم فاعل من الفعل (اعتبر) بمعنى أخذ العبرة والاتعاظ^(٧٣)

ويبين اللفظتين جناس اشتقاقي لفظي وتضاد دلاليّ ، فالأولى تدل على من يمر على الثورة الحسينية من دون أن يفيد من دروسها العظيمة والثانية ، بخلاف الثانية التي تدل على الاتعاظ والإفادة .

٢٦- (عراقتها) و (عراقتها)

قال سماحته متحدثاً عن الأنبار : (وأراد الانتهازيون أن يتاجروا بها ، ولكنها صمدت وأثبتت عراقتها وعراقتها وانتصرت لنفسها ولعراقتها)^(٧٤)

(العراقية) النسب إلى العراق ، و(العراقة) الأصالة^(٧٥)

لفظتا (العراقية) و(العراقة) تشتركان بالاشتقاق وتختلفان في المعنى لا على جهة التضاد .

٢٧- (نفرط) و (نفرط)

قال سماحته : (سنقوم ونطور ونصحح ولكن لن نفرط ولن نفرط)^(٧٦)

(فَرَطَ) بمعنى قَصَّرَ، (٧٧)، و(انفرط) بمعنى نبَدَّ وتفرَّق (٧٨)

واللفظتان تشتركان في الاشتقاق وفي دلالتهما السلبية، ولذلك جاء النفي لكليهما، فلا تقصير ولا تفرّق.

٢٨- (الفراق) و (الافتراق)

قال سماحته: (وكذلك فإن أهل الزوجة معنيون أيضاً بأن يتعاملوا بهذه الطريقة مع الزوج. إن فراق البنت صعب جداً بلا شك، ولكن افتراقها وطلاقها أصعب) (٧٩)

(الفراق) مصدر الفعل (فارق)، وهو ضد الاجتماع (٨٠)

و(الافتراق): مصدر (افترق)، وهو مطاوع (فرق) تقول (فرقت بين الشئين فافترقا) (٨١)

واستعمل السيد الحكيم (الفراق) لانفصال البنت عن أهلها، و(الافتراق) لانفصال الزوجة عن زوجها، وهذا التفريق لم تعرفه اللغة، وقد استعمل القرآن الكريم (التفرّق) لانفصال الزوج عن زوجته، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (النساء ١٢٨-١٢٩)

٢٩- (فاعلين) و (منفعلين)، (فاعلة) و (منفعله)، (الفعل) و (الانفعال)

قال سماحته: (إننا أمام خريطة جديدة لتحالفات الشرق الأوسط تتضح ملامحها يوماً بعد آخر، ولا بُدَّ من أن نجد موقعنا في مجمل هذه الخريطة لتكون مؤثرين وفاعلين، لا متأثرين ومنفعلين) (٨٢)

وقال سماحته: (ولتكن علاقاتكم مؤثرة وغير متأثرة، وفاعلة وغير منفعله) (٨٣)

وقال سماحته: (بأن تكون لدينا سياسة الفعل وليس الانفعال) (٨٤)

(الفاعل) اسم فاعل من الفعل (فَعَلَ)، وهو كناية عن كل عمل (٨٥)

و(المنفعل) اسم فاعل من الفعل (انفعل) وهو مطاوع (فعل) (٨٦)، وفي اللغة المعاصرة يقال (انفعل) بمعنى ثار وغضب (٨٧)

فسماحته يدعو إلى الفاعلية وهي المشاركة في العمل بقوة والابتعاد عن الانفعال وهو الغضب ، وبين اللفظتين جناس اشتقاقي واختلاف واضح في المعنى .

٣٠- (مؤثرة) و (متأثرة)

قال سماحته : (ولتكن علاقاتكم مؤثرة وغير متأثرة ، وفاعلة وغير منفعة)^(٨٨)

(المؤثر) اسم فاعل من الفعل (أثر) ، يقال (أثر في الشيء) بمعنى ترك فيه أثراً^(٨٩)

و(المتأثر) اسم فاعل من الفعل (تأثر) مطاوع (أثر)

وهذا يعني أن المؤثر من ترك الأثر في غيره ، و(المتأثر) من ترك غيره أثره فيه ، فبين اللفظتين جناس اشتقاقي وتضاد تام في المعنى .

٣١- (تقليديين) و (مقلدين)

قال سماحته : (لا نكن تقليديين ، ولا نكن مقلدين في القراءة)^(٩٠)

(التقليدي) النسب إلى (التقليد) ، وهو مصدر الفعل (قلّد) ومعناه : تعليق شيء على آخر^(٩١) ، و(المقلد) اسم فاعل من الفعل (قلّد) ، وواضح أن لا فرق بين اللفظتين ، غير أن الاستعمال الحديث جعل الأولى بمعنى التمسك بما هو قديم ، والثانية بمعنى اتباع الآخر^(٩٢) ، وهما المعنيان اللذان أرادهما السيد الحكيم من عبارته ، ومن هنا حصل بين اللفظتين المشتقتين من جذر واحد فرق في المعنى لم يصل مرحلة التضاد .

٣٢- (التزام) و (إلزاماً)

قال سماحته : (فالمسؤولية التزم وليست إلزاماً فحسب)^(٩٣)

(الالتزام) مصدر الفعل (التزم) ومعناه : الاعتناق وعدم المفارقة^(٩٤)

و(الإلزام) مصدر الفعل (ألزم) ، يقال ألزمه الشيء فالتزمه بمعنى جعله غير مفارق له ، وهذا يعني أن (الالتزام) هو مطاوع (الإلزام) ، فالأول يتم بإرادة الفاعل ، والثاني يتم بفرضه عليه ، فسماحته يشير إلى أن المسؤولية تجعل حاملها ملتزماً بذاته وملزماً ممن حملها إياه ، وبين اللفظتين جناس اشتقاقي وتضاد معنوي .

٣٣- (التمييز) و (التمييز)

قال سماحته: (و فرق كبير بين التمييز وبين التمايز . . فالتمايز توزيع للأدوار والتمييز هو تقديم وتأخير، والإسلام لا يقدم الرجل على المرأة ولا يؤخر المرأة عن الرجل)^(٩٥)

(التمييز) مصدر الفعل (ميّز) بمعنى عزل وفرز^(٩٦)

و(التمييز) مصدر الفعل (تمايز) بمعنى التحزب والتنافس^(٩٧)، يقال (تمايز القوم) أي تفرقوا واختلف بعضهم عن بعض وتنافسوا وتحزبوا، أي توزعوا بين عدة أحزاب^(٩٨) والذي يبدو من المعنى اللغوي للتمايز أنه لا يعني توزيع الأدوار.

٣٤- (النوع) و (التنوع)

قال سماحته: (ضع الشروط المطلوبة وافتح باب الترشيح أمام الشعب العراقي، وكل من يرى في نفسه الكفاءة فليرشح اسمه، ثم قيّمهم واختر أحسنهم من دون النظر إلى انتمائه لأي حزب أو جماعة أو مذهب أو قومية، بل ابحث عن النوع تحصل على التنوع)^(٩٩)

(النوع): هو الضرب من الشيء، وهو أعمّ من الجنس، و(التنوع): التذبذب^(١٠٠)، ويقال (تنوعت الأشياء بمعنى تصنفت وصارت أنواعاً)^(١٠١)

ويبدو أن السيد الحكيم يقصد بالنوع في هذا السياق الكفاءة، ومتى ما وضعت الكفاءة معياراً حققنا التنوع، لأن الكفاءة ليست حكراً على جهة معينة دون أخرى

٣٥- (هادفة) و (استهدافية)

قال سماحته: (هي معارضة هادفة لا استهدافية)^(١٠٢)

الكلمتان مشتقتان من جذر ثلاثي واحد هو (هدف)، و(الهدف) في اللغة كل شيء مرتفع^(١٠٣) الأولى اسم فاعل على وزن (فاعل)، والثانية مصدر صناعي من (استهدف) على وزن (استفعل)، معناه جعله هدفاً^(١٠٤)

فسماحته يعني أن معارضة تيار الحكمة الوطني تهدف إلى تصحيح المسار ولا تستهدف الشخص أو المكونات السياسية بدوافع معينة.

٣٦- (التوكل) و (الاتكال)

قال سماحته: (إنه زمن الحسم لا زمن التردد . . إنه زمن التوكل لا زمن الاتكال)^(١٠٥)

(التوكل) مصدر الفعل (توكل) ومعناه إلقاء الأمر إلى الله تعالى وحده^(١٠٦)

(والاتكال) مصدر الفعل (اتكل) بمعنى اعتمد على غيره،^(١٠٧)

والأول محمود والثاني مذموم، لذلك أثبت السيد الحكيم الأولى ونفى الثانية .

الثاني : الجناس المضارع

هو الجناس الذي يقع بين كلمتين تختلفان في حرف واحد شريطة أن يكون الحرفان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين، نحو (ينهى) و (ينأى)، فلا تختلف الثانية عن الأولى إلا في الحرف الثاني (الهاء) و (الهمزة) وكلاهما مخرجهما الحلق .

وورد هذا النوع من الجناس في كلام السيد الحكيم في ثلاثة عشر موضعاً

١- (خيمة) و(خيبة)

(الخيمة) بيت مستدير بينه العرب من أعواد الشجر^(١٠٨)، وقولنا (خيم عليه) معناها غطاها كالخيمة^(١٠٩)

أما (الخبية) فهي عدم نيل الإنسان ما يطلب^(١١٠)

قال سماحته: (إن القيادات والكتل السياسية مدعوة لتكون خيمة أمل للمواطنين، ولا تتحول لتكون خيبة أمل للمواطن)^(١١١)

فبين لفظتي (خيمة) و (خبية) جناس مضارع لأنهما تختلفان بحرف واحد (الباء) و (الميم)، وهما من مخرج واحد هو الشفة .

وقد أضاف السيد الحكيم اللفظتين إلى لفظة واحدة (الأمل)، وهذه الإضافة تفيد معنى الاختصاص، وطالب سماحته القيادات والكتل السياسية بأن تكون غطاء للناس يحافظ عليهم وعلى حقوقهم ويمنحهم الأمل في غد مشرق، ولا يكونوا سبباً في ضياع أمل الناس .

٢- (التبني) و (التمني)

(التبني) أخذوا الابن، نقول تبني الطفل أي اتخذه ابناً، وقيل مجازاً تبني الرأي بمعنى قبل به^(١١٢).

و (التمني) الرغبة في الحصول على الشيء^(١١٣). قال سماحته: (إننا معنيون اليوم بمزيد من الحيلة والحذر للمحافظة على هذه الصحوة والمنع من النيل منها، وهو ما يتطلب عملاً حثيثاً لاستثمارها والوقوف بوجه محاولات استغلالها من قبل جهات نفعية تسعى لتغييب الوعي الشبابي الإسلامي، ويتطلب أيضاً التعامل معها بمنطق التبني وليس التمني)^(١١٤)

و(التبني) هنا لا يعني القبول بالصحوات فحسب، بل الاهتمام بها ورعايتها، واتخاذها بنتاً، وعدم الاكتفاء في إبداء الرغبة لتحقيقها.

فجاءت لفظة (التبني) مضادة للفظة (التمني) التي لا تختلف عنها إلا في حرف واحد (الباء) و(الميم) وهما حرفان شفويان.

٣- (مطمح) و (مطمع)

(المطمح): مصدر ميمي من (طمح) بمعنى التطلع إلى تحقيق هدف بعيد^(١١٥)

(المطمع): مصدر ميمي من طمع بمعنى ما يشتهي المرء ويتبعه^(١١٦)

والمعنيان متقاربان، غير أنّ (الطمع) تستعمل اليوم للتعبير عن الطموح غير المشروع المتضمن الرغبة في اختطاف ما في أيدي الآخرين وسرقة، نحو قولنا (احذروا مطامع المستعمرين)، فلا يُحمد الطمع إلا في الحصول على ما عند الله تعالى من الأجر والثواب والمغفرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الأعراف: ٥٦)، ومنا من يقول لأخيه المؤمن أو للحاكم (أطمع في كرمك)

قال سماحته: (نقطة ضعف العراق هي قوته، لأنه فيه كل هذه الثروات والفرص، فهو مطمَّح وقد يكون مطمَّعاً لدول إقليمية وواقع دولي)^(١١٧)

فسماعته يقول إن العراق بما يمتلكه من ثروات وإمكانات بشرية ومادية وجغرافية وغيرها من عناصر القوة يمكن أن يكون (مطمَّحاً) للدول بمعنى أنها ترغب في التعامل

والتعاون معه والاستثمار فيه وتبادل المصالح معه ، ويمكن أن يكون (مطمعًا) لهم بمعنى أنهم يستهدفونه رغبة في سرقة واختطاف عناصر القوة فيه ، وهكذا صنع سماحته بين لفظتي (مطمح) و (مطمع) اللتين لا تختلفان إلا في حرف واحد (الحاء) و (العين) جناسًا مضارعًا ، لأن الحرفين حلقيان .

٤- (التعانف) و (التألف)

(العنف) : (ضد الرفق)^(١١٨)

و(الألفة) : من ألف الشيء أي أنس إليه وأحبه^(١١٩)

قال سماحته : (إننا بحاجة إلى الابتعاد عن التعانف والسعي إلى التألف)^(١٢٠)

فقد اشتق من (عنف) فعلاً مزيداً (تَعَانَفَ) وأخذ مصدره (التعانف) ، وهو وإن كان غير مسموع فإنه مقيس في اشتقاق (تفاعل) الدال على المشاركة ، والمعنى يبادل كل منهما الآخر في العنف ، أي يتشاركان في إبداء العنف

واشتق من (ألف) فعلاً مزيداً (تَأَلَفَ) وأخذ مصدره (التألف) الدال على المشاركة ، والمعنى أن يبادل كل منهما الآخر مشاعر الود والمحبة والأنس .

فلفظتا (تعانف) و (تألف) لفظتان متقابلتان متعاكستان في المعنى بينهما جناس مضارع ؛ لأنهما تختلفان بحرف واحد (العين) و(الهمزة) وهما حرفان حلقيان .

٥- (التأجيل) و(التعجيل)

(التأجيل) مصدر الفعل (أَجَّلَ) بمعنى التأخير ، وهو نقيض (التعجيل) مصدر(عَجَّلَ)^(١٢١) ، قال سماحته : (إذا كانت بعض المحافظات تواجه ظروفًا استثنائية فهذا دليل إضافي على ضرورة الإسراع بالانتخابات في وقتها المحدد ، حتى يذهبوا إلى صناديق الاقتراع ويختاروا الحكومة المحلية التي توفر لهم الخدمات وتعالج لهم المشاكل ، ليتخلصوا من الظروف الاستثنائية التي يعيشونها . إن على الجميع أن يتخلى عن ثقافة التأجيل والمقاطعة ويتحلى بثقافة التعجيل والمشاركة)^(١٢٢)

فسماعته يدعو الكتل السياسية إلى الابتعاد عن ثقافة (التأجيل) وتبني ثقافة (التعجيل) وقد أردف لفظة (التعجيل) الدالة على الإسراع وعدم التأخير بلفظة (المشاركة) ولفظة (التأجيل) الدالة على التأخير بلفظة (المقاطعة) توكيداً لكلتيهما، وقد حقق جناساً مضارعاً بين اللفظتين اللتين لا تختلفان إلا في (الهمزة) و (العين)، وهما حرفان حلقيان.

٦- (التغريب) و(التخريب)

(التغريب) مصدر (غرّب) بمعنى نحّاه (١٢٣)

و(التخريب) مصدر الفعل (خرّب) ومعناه: الهدم (١٢٤)

قال سماحته: (إن هذه الرؤية المنقوصة للفهم الإسلامي لدور المرأة دفع البعض من المسلمين وغيرهم لاتخاذ مواقف استباقية تناقض حقيقة الإسلام باعتبار أن الإسلام يخاطر بالحريات الخاصة والعامة، ويقيّد حرية الفكر والتعبير ويعارض الفن والإبداع ويقف عائقاً أمام المرأة وكرامتها وحقوقها الإنسانية. لذلك على المرأة المسلمة أن تعي خطورة انجرافها وراء دعاة التغريب والتخريب على حد سواء، وتميز بين شعار التكريم وسياسة التحطيم لمغزى وجودها وفاعلية دورها) (١٢٥)

فسماعته يحذر من أمرين متعاكسين لكن كل منهما لا يقل خطورة عن الآخر، الأول: الدعوة إلى تنحية المرأة عن ممارسة دورها في الحياة بدعوى أن الإسلام يعارض مشاركتها في أروقة الحياة ويقصر وجودها على دارها، والثاني: الدعوة إلى منح الحرية الكاملة للمرأة بما يخالف الشريعة والأعراف وينتهك خصوصيتها ويقلل من قيمتها ومكانتها، وهذه الدعوة سماها (التخريب) لأنها تؤدي إلى الهدم القيمي والأخلاقي لفظة (التغريب) تفترق عن لفظة (التخريب) بحرف واحد هو (الغين) و(الخاء) وكلاهما حرف حلقى

٧- (الحزم) و (الحسم)

(الحزم): ضبطك أمرك وأخذك فيه بالثقة (١٢٦)

و(الحسم): المنع والقطع، تقول حسمت الأمر بمعنى قطعته حتى لم يُظفر منه بشيء. وسمي السيف حساماً لأنه يحسم العدو أي يقطعه ويمنعه عما يريد^(١٢٧)، فأنت تلحظ أن بين اللفظتين فرقاً دقيقاً.

قال سماحته: (نرى لزماً علينا نحن في تيار شهيد المحراب، وضمن الظروف الراهنة التي يمر بها البلد، أن نعتد سياسة (الحسم والحزم)، وسنكون حاسمين في قراراتنا، وحازمين في خياراتنا، ولن نهادن ولن نجامل)^(١٢٨)

استخدم سماحته اللفظتين بمعنييهما اللغويين الصحيحين فجعل (الحسم) الذي يدل على الضبط والثقة في القرارات، و(الحزم) الذي يدل على قطع الأمر في الخيارات، وبين اللفظتين جناس مضارع، ف(الزاي) و(السين) من مخرج واحد هو طرف اللسان.

٨- (شعار) و (شعور)

(الشعار): العلامة، تقول العرب (شعار القوم)، بمعنى علامتهم^(١٢٩)، و(الشعور) مصدر الفعل (شعر) يقال شعر بالأمر إذا عقله^(١٣٠)

قال سماحته: (ولدينا فرص حقيقية لتوفير السكن وفرص العمل وإعادة هيكلة الدولة، وإشعار المواطن العراقي بالعزة والكرامة في وطنه، ولكننا بحاجة إلى من يحمل هذه الفرص شعاراً ويجسدها شعوراً، ويكون قادراً على تحقيقها وإسعاد أبناء شعبنا)^(١٣١) فسماعته يرى أننا نمتلك الفرص لكننا نحتاج إلى من يجعل تلك الفرص شعاراً، أي يرفع لواءها، ثم يحولها شعوراً، أي يعقلها ويجسدها في سلوكه وخطواته العملية. ف(الألف) و(الواو) المديان مخرجهما واحد هو الجوف.

٩- (المسير) و (المسار)

(المسير) مصدر ميمي من الفعل (سار)

و(المسار) اسم مكان من (سار) بمعنى خط السير^(١٣٢)

قال سماحته: (ومن التحديات أيضاً محاولة الأعداء احتواء الصحوة عبر حرف مساراتها، أو الاندساس فيها أو تغييب هويتها أو تغيير شعاراتها، مما يتطلب وعياً متزايداً ورصدًا دقيقاً وحرصاً مستمراً على صحة المسير وصحة المسار)^(١٣٣)

فسماعته يؤكد أمرين، الأول صحة المسير، أي صحة السير لأن المسير مصدر ميمي، والثاني: صحة المسار أي الطريق والمسلك الذي نسير فيه لأن المسار اسم مكان، وبين اللفظتين جناس مضارع، ف (الياء) و (الألف) حرفان مديان مخرجهما الجوف.

١٠- (الإشارة) و (الإثارة)

(الإشارة) مصدر الفعل (أشار) بمعنى أوماً (١٣٤)

و(الإثارة) مصدر الفعل (أثار) بمعنى هيج (١٣٥)

قال سماحته: (لقد اخترت من بين العناوين المقترحة لهذا المؤتمر المهم، عنوان التيارات السياسية في عهد الإمام الصادق (عليه السلام)، وهو عنوان كبير و واسع كما تعلمون، وليس غرضي من اختيار هذا العنوان هو الخوض في تفاصيله الواسعة، فذلك أمر لا يحتمله وقت هذا المؤتمر، وإنما أردت تناول ذلك على سبيل الإشارة والإثارة ليساعدنا في توضيح بعض الجوانب من حياته الشريفة) (١٣٦)

فأراد بالإشارة الإيماء إلى الموضوع وبالإثارة التشويق وتهيئة النفوس لتلقي الحديث، وبين اللفظتين جناس مضارع، فمخرج (الشين) وسط اللسان، ومخرج (الثاء) طرف اللسان

١١- (مغرم) و (مغرم)

(المغرم) في اللغة الفيء (١٣٧)

و(المغرم) ما ينوب الإنسان من ضرر في ماله من غير جناية (١٣٨)

قال سماحته: (والمسؤولية في منطق الإسلام ليست تشريفاً ومغماً، بل هي تكليف ومغرم) (١٣٩)

والمعنى السياقي هو أن تولي المناصب لا تزيد من قيمة صاحبها ولا تكون سبباً في ثرائه بل هي مسؤولية وأعباء والتزامات وتحديات، وبين اللفظتين جناس مضارع لأن (النون) و (الراء) من مخرج واحد هو طرف اللسان.

١٢- (الهمة) و (القمة)

(الهمة): (ما هممت به من أمر لتفعله)^(١٤٠)، و (القمة): أعلى كل شيء^(١٤١)

قال سماحته: (وكانت عودة هذا الربيع إلى العراق، العراق استطاع أن يكون منطلقاً للربيع جماهيرياً بالهمة، وأصبح منطلقاً لهذا الربيع سياسياً بالقمة، فمن الهمة العراقية إلى القمة في بغداد نجد هذا الربيع العربي وتحولات العراق الإيجابية)^(١٤٢)

فـ (الهمة) العراقية هي عزيمة العراقيين وإرادتهم في إحداث التغيير والتي كانت ملهمة للربيع العربي، و(القمة) مؤتمر القادة العرب الذي كان عقد في بغداد، وبين (الهمة) و(القمة) جناس مضارع؛ لأن حرفي (هاء) و(القاء) متقاربان في المخرج، فمخرج (الهاء) الحلق، ومخرج (القف) أقصى اللسان وهو أقرب ما يكون إلى الحلق.

١٣- (نخبة) و (نكبة)

(النخبة) في اللغة: خيار الناس^(١٤٣)، و(النكبة) حادثة من حوادث الدهر^(١٤٤)

قال سماحته: (كما نجد إدانتنا واستنكارنا لاستخدام العنف في تفريق التظاهرة السلمية لذوي الشهادات العليا في بغداد، وهي خطوة خطيرة لا تتناسب مع السلوك الديمقراطي، (فَقَمِعِ النَّخْبَةَ نَكْبَةً)^(١٤٥)

(النخبة) هنا النشاء المتعلم والمتقدم من المجتمع، و(النكبة) هي المصيبة الحاصلة من استهدافهم، وبين اللفظتين جناس مضارع لأن مخرج (الخاء) أقصى الحلق ومخرج (الكاف) أقصى اللسان.

الثالث: الجناس اللاحق

هو الجناس الذي يكون بين كلمتين تختلفان بحرف واحد، ويكون الحرفان متباعدين في المخرج، نحو (همزة) و (لمزة)

وقد ورد ذلك في كلام السيد الحكيم في عشرة مواضع

١- (العادلة) و (العاقلة)

(العادلة) و (العاقلة) اسما فاعل من (عدل) و (عقل)

قال سماحته: (فالمسيرة العادلة يجب أن تكون مسيرة عاقلة)^(١٤٦)

فبين (العادلة) و (العاقلة) جناس لاحق؛ لأن مخرج (القاف) أقصى اللسان، ومخرج (الذال) طرف اللسان.

٢- (الحدث) و (الهدف)

(الحدث): هو حصول شيء لم يكن حاصلًا^(١٤٧)، و (الهدف): كل شيء مرتفع^(١٤٨).

قال سماحته: (رسالة الزهراء فاطمة هو استثمار الحدث في خدمة الهدف)

وقال سماحته: (الحديث عن الشهيد السيّد (محمد الصدر) هو حديث عمّن حمل مشروعًا مجتمعيًا وسياسيًا، ولا يمكن أن ننظر إلى صلاة الجمعة على أنها شعائر وطقوس دينية فحسب، وإنما حملت أبعادًا سياسية واجتماعية وثقافية ودينية إلى غير ذلك، واستطاع أن يوظف الحدث في خدمة الهدف).

ففي النص الأول أكد السيد الحكيم أن السيدة الزهراء (عليها السلام) وظفت حدث وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما تعرضت له من المظلومية لخدمة هدفها في دعوة الناس إلى القيم بدورهم في نصرة الحق، وفي النص الثاني تأكيد على أن السيد الصدر وظف حدث صلاة الجمعة لخدمة هدفه في توعية الناس وتأييدهم ضد الحاكم الظالم.

فبين (الذال) و (الهاء) جناس لاحق لتباعدهم مخرجيهما، إذ إنّ مخرج (الذال) طرف اللسان ومخرج (الهاء) أقصى الحلق

٣- (الدموع) و (الدروع)

(الدموع) جمع (دَمْعَة)

و(الدروع) جمع (دِرْع)

قال سماحته: (نجتمع في هذه الليالي الحزينة لنستذكر واقعة الطف الأليمة ونعيش هذه الأيام والليالي مع الحسين (عليه السلام)، ونستذكر ما جرى عليه فنستدر الدموع وتخرج منا العبرة ولكننا لا نقف عندها، وإنما ننتقل من العبرة (بفتح العين) إلى العبرة (بكسر العين) ومن الدموع إلى الدروع)^(١٤٩).

هنا دعوة من السيد الحكيم إلى عدم الوقوف عند حد البكاء وذرف الدموع عند ذكر مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) بل يجب الانتقال إلى مرحلة أخذ العبرة من تلك الفاجعة واكتساب الحصانة والمناعة لمواجهة الظلم والظالمين، فلفظة (الدروع) استعملت استعمالاً مجازياً معنوياً، وبين اللفظتين جناس لاحق؛ لأن مخرج (الراء) طرف اللسان ومخرج (الميم) الشفتان

٤- (دواعش) و (فواحش)

(الدواعش) جمع (داعش) التنظيم الإرهابي المعروف

و(فواحش) جمع فاحشة

قال سماحته: (حتى لم يعودوا دواعش بل أصبحوا فواحش لكثرة ما يرتكبون من المخالفات والسيئات بحق أبناء شعبنا)^(١٥٠).

فبين اللفظتين جناس لاحق لأن مخرج (الفاء) الشفتان، ومخرج (الذال) طرف اللسان.

٥- (تَسُدُّ) و (تَقْدُّ)

قال سماحته: (سياسة الاستعمار تاريخياً هي (فَرَّقْ تَسُدِّ)، فهل نستجيب لهذا الأمر أو نستحدث سياسة جديدة ومبدأً جديداً ونقول: (اجمع تَقْدُّ)؟)^(١٥١)

فبين اللفظتين جناس لاحق؛ لأن مخرج (السين) طرف اللسان ومخرج (القاف) أقصى اللسان.

٦- (الانفعال) و (الانفصال)

(الانفعال) مصدر الفعل (انفعل)، و(الانفصال) مصدر الفعل (انفصل)

قال سماحته : (فقد حصلت مشاكل بيننا وبين المركز ، لذلك دفعنا الانفعال باتجاه طلب الانفصال)^(١٥٢).

فبين اللفظتين جناس لاحق ؛ لأن مخرج (العين) الحلق ومخرج الفاء الشفة .

٧- (التصريف) و (التكليف)

(التصريف) مصدر (صَرَّفَ) ، و(التكليف) مصدر (كَلَّفَ)

قال سماحته : (الدستور يُنتهك في أروقة السلطة أكثر مما يُنتهك في الشارع ، ينتهكه الحكام أكثر مما ينتهكه المحكومون ، البرلمان في موسم السبات ، الحكومة بين التصريف والتكليف)^(١٥٣).

(التصريف) هنا إشارة إلى تحول الحكومة إلى حكومة تصريف أعمال بعد استقالته لا تتمتع بكامل الصلاحيات في العرف السياسي ، و (التكليف) : منح الثقة لرئيس وزراء جديد ليشكل حكومته .

فبين اللفظتين جناس لاحق ؛ لأن مخرج (الكاف) أقصى اللسان ومخرج (الصاد) طرف اللسان .

٨- (التحابب) و (التحارب)

(التحابب) مصدر (تَحَابَبَ) ، و(التحارب) مصدر (تَحَارَبَ)

قال سماحته : (فبالتحابب نبني الوطن وبالتحارب نبلي الوطن)^(١٥٤).

فبين اللفظتين جناس لاحق ؛ لأن مخرج (الباء) ما بين الشفتين ومخرج (الراء) طرف اللسان .

٩- (نبني) و (نبلي) ، (البناء) و (البلاء)

قال سماحته : (فبالتحابب نبني الوطن وبالتحارب نبلي الوطن ، ولا بُدَّ لنا من أن نكون رجال بناء لا رجال بلاء)^(١٥٥)

فبين كل لفظتين جناس لاحق؛ لأن مخرج (النون) طرف اللسان، ومخرج (اللام) حافة اللسان الأمامية.

١٠- (الإنجاز) و (الإعجاز)

قال سماحته: (بالهمة والعزيمة والإيثار والصبر والإبداع والإقدام والإرادة الحقيقية التي تحوّل الإنجاز إلى إعجاز)^(١٥٦).

الرابع: جناس القلب

تنظم الحروف لتشكّل الكلمات، ويمكن أن نشكّل أكثر من كلمة من الحروف نفسها لكنها تختلف في ترتيب حروفها، من ذلك (شرح، حشر، رشح)، فجناس القلب إذن هو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب حروفهما^(١٥٧).

وقد نجح السيد (عمار الحكيم) في استخدام هذه التقنية اللغوية للحصول على ألفاظ متعكسة تتقابل لتحقيق المعنى السياقي المطلوب، ووجدت ذلك في ثمانية مواضع.

١- (شراع) و (شعار)

الشراع في اللغة: (نسيج واسع يُنصب على السفينة فتهبّ فيه الرياح وتدفع السفينة في إبحارها)^(١٥٨).

والشعار: العلامة، تقول العرب شعار القوم بمعنى علامتهم^(١٥٩).

قال سماحته: (المرأة شراع تبحر به سفينة المجتمع لبر الأمان، وليست شعاراً لأسواق الرذيلة في كل زمان)^(١٦٠).

لفظة (الشراع) في هذا السياق جاءت بمعناها المعجمي الحقيقي، في حين جاءت لفظة (شعار) التي تعني (العلامة) في سياقها دالة على العلامة المدعاة البعيدة عن الصدق والواقعية.

وكما أن الشراع العنصر الأساسي في السفينة المبحرة في عرض البحر المليء بالأخطار والتحديات لتصل إلى الشاطئ بأمان وسلام فإن المرأة هي العنصر الأساسي في المجتمع الذي به يتغلب على الصعاب وتحقق الإنجازات، وهي ليست مجرد شعارات براقية كذابة يتم المتاجرة بها في أسواق الرذيلة. فالشراع حقيقة قائمة لا يستغنى عنها قولاً وفعلاً ترتبط به الحياة والبقاء، والشعار مجرد كلمات يتاجر بها قائلها ولا وجود لمضمونها في الواقع.

٢- (بهاء) و (هباء)

البهاء في اللغة: الحُسن (١٦١).

والهباء: دقائق التراب الساطعة والمنشورة على وجه الأرض (١٦٢).

قال السيد الحكيم: (إن موقع المرأة محفوف بالبهاء ويجب أن لا نجعله عرضة للهباء) (١٦٣).

٣- (الفقراء) و (الفرقاء)

الفقراء: جمع (فقير)، والفرقاء: جمع الجمع (فريق)، وهم الطائفة من الناس (١٦٤).

قال سماحته: (نحن لا نريد أن يكون الفقراء حطب نار الفرقاء في هذه الصراعات وهذه الاختلافات السياسية القائمة) (١٦٥).

فسماعته يحذر من أن يكون الفقراء ضحايا لصراعات السياسيين، واستثمر جناس القلب لتجميل الكلام وتحسينه.

٤- (مرحوم) و (محروم)

(المرحوم) اسم مفعول من الفعل الثلاثي (رَحِمَ)، و (المحروم) اسم مفعول من الفعل الثلاثي (حُرِمَ).

قال سماحته: (نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وألا نكون من المحرومين)^(١٦٦).

فالمرحوم في السياق من شملته الرحمة الإلهية، والمحروم من مُنع منها، وبين اللفظيتين جناس عن طريق القلب.

٥- (البعث) و (البعث)

البعث في اللغة مصدر الفعل الثلاثي (عَبَثَ) بمعنى اللعب و خلط الأمور^(١٦٧).

و(البعث) مصدر الفعل الثلاثي (بعث) بمعنى: الإرسال^(١٦٨).

قال سماحته: (لقد تعب شعبنا من العبث مثلما تعب سابقاً من البعث، فلنتخذ قرارنا ونرسم مستقبلنا بأيدينا، مستقبلاً لا مكان فيه للفاشلين، ولا مكان فيه للفساد والإرهاب)^(١٦٩).

فالمقصود بـ (العبث) هنا ألا يعيب بعض السياسيين أو سوء إدارتهم لأُمور الدولة ومقدرات الشعب، الأمر الذي سبب تعب الشعب ومعاناته، أما (البعث) فلم يأت مصدراً بمعنى الإرسال وإنما جاء اسماً يقصد به (حزب البعث العربي الاشتراكي) الذي حكم العراق قرابة أربعين سنة^(٤٠) حكماً دكتاتورياً شمولياً.

٦- (المحنة) و (المنحة)

(المحنة): ما يُمتحن الإنسان به من بلية أو تجربة مؤلمة^(١٧٠).

و (المنحة): العطية^(١٧١).

قال سماحته: (وإنما نحن نعيش أزمة هي مخاض لإنتاج ملامح العراق في مستقبله القريب والمنظور، ونحن في تيار شهيد المحراب نتحمل المسؤولية الأكبر، والعبء الأعظم في التحديات التي نواجهها، كيف نحول هذه المحنة إلى منحة؟ وكيف نحول هذا التحدي إلى فرصة؟ هذه مسؤوليتنا، هذا واجبنا)^(١٧٢).

فسماعته يدعو إلى استثمار الابتلاءات والتحديات التي تواجه الإنسان إلى فرص للتعلم وتحقيق الإنجازات، وقد استثمر جناس القلب ليكون منسجماً مع قلب التحدي إلى فرصة.

٧- (التهميش) و (التهشيم)

(التهميش) مصدر الفعل الرباعي (هَمَّش) المضعف من (هَمَّشَ)، وأصل (الهمش) في اللغة: العَضُ^(١٧٣)، غير أن هذه اللفظة استعملت اليوم بمعنى تقليل دور الآخر، فمعنى قولنا همشه جعل دوره ثانوياً غير مهم^(١٧٤)، و (التهشيم) مصدر الفعل الرباعي (هَشَّم)، ومعناه كَسَّر^(١٧٥).

قال سماعته: (ولكنه المكون المنكوب الذي تعرض إلى التهميش والتهشيم والكسر من قبل الأنظمة البائدة التي حكمت العراق)^(١٧٦).

فسماعته يشير إلى تعرض المكون العراقي الأكبر إلى الإقصاء والإبعاد عن لعب الأدوار التي يستحقها بحكم كونه المكون الأكبر فضلاً عن تعرضه إلى التكسير عن طريق القتل والسجن ومصادرة الأموال وتكسير إرادته.

وقد أحسن السيد الحكيم استثمار جناس القلب لبيان ما تعرض إليه المكون الأكبر، غير أن ما يؤخذ على سماعته أنه أتبع لفظة (التهشيم) بلفظة (الكسر)، فالتهشيم يعني التكسير، ولا داعي لذكر الكسر بعد التهشيم، هذا أولاً، ثانياً أن (التهشيم) هو مصدر الفعل الرباعي (هَشَّم) الذي أفاد تضعيفه معنى المبالغة، أي المبالغة في الكسر، وليس من المناسب إتباعها بلفظة (الكَسَّر) التي هي مصدر (كَسَّرَ) الذي لا يدل على المبالغة.

٨- (تأثيري) و (ثأري)

(التأثير): إبقاء الأثر في الشيء^(١٧٧)، و (الثأر) مصدر الفعل الثلاثي (ثَأَرَ) بمعنى: الطلب بالدم^(١٧٨).

قال سماعته واصفاً معارضة (تيار الحكمة الوطني) لحكومة السيد (عادل عبد المهدي): (وهي معارضة تأثيرية لا ثأرية)^(١٧٩)، بمعنى أنها معارضة تريد أن تحقق تطوراً وتغير واقعاً

فتترك أثراً إيجابياً على عمل الحكومة وواقع البلد، وليس هدفها طلب وتببع عشرات الحكومة والإيقاع بها لأحقاد وضغائن ونوايا مسبقة.

الخامس: الجنس المصحف

هو ما اختلفت فيه الكلمتان في النقط، ولولا النقط لما تميزت أحدهما عن الأخرى، ومنه قول الشاعر:

من بحرٍ شعركِ أغترفُ وبفضلِ علمكِ أَعترفُ^(١٨٠)

فالجناس المصحف واقع بين لفظتي (أغترف) و (أعترف) اللتين لا تختلفان إلا في نقطة (الغين)

وقد ورد هذا النوع من الجنس في خطاب السيد الحكيم في ثلاثة مواضع:

١- (تجديد) و (تحديد)

التجديد: مصدر الفعل (جدد) بمعنى تصيير الشيء جديداً^(١٨١)، و التحديد: مصدر الفعل (حدّد) بمعنى فصل بين الأشياء وجعل بينها حدوداً^(١٨٢).

جاء ذلك في قول سماحته: (واليوم أصبح بمقدورنا وبفضل الإنترنت والفضائيات وغيرها إيصال رسالتنا إلى الآخرين، ولا بُدَّ من أن نضع تصوراً دقيقاً كيف نتعاطى ونجيد التحديات ونقلل الأضرار وكيف نعمق الإيجابيات والفرص ونستثمرها لنشر ثقافتنا الصحيحة؟. كل ذلك يتطلب عدم الاقتصار على الوسائل التقليدية، في الخطاب وفي الموضوعات وفي الأولويات وفي طريقة العرض وفي الأساليب، كيف نتواصل مع الناس في كل هذه الأمور، لهذا نحتاج إلى تجديد وإلى تحديد)^(١٨٣).

فشر الثقافة الصحيحة بحسب السيد الحكيم تحتاج عاملين، الأول: تجديد الوسائل المستخدمة وعدم البقاء على الطرق التقليدية، والثاني: تحديد أولويات المرحلة وعدم التشتت والضياع.

فبين (التجديد) و (التحديد) جناس مصحف تمثل باختلاف الأولى عن الثانية بنقطة (الجيم) ولولاها لما فرقنا بين اللفظتين.

٢- (سمكة) و (شبكة)

قال سماحته : (إننا بحاجة إلى إعادة النظر في نظامنا التربوي والتعليمي ؛ فالنظام التربوي والتعليمي يجب أن لا يزرق معلومات جامدة فحسب ، بل يجب أن يصوغ الشخصية الإنسانية لطلابنا ، فنحن بحاجة إلى شخصية متكاملة ، وهناك فرق كبير بين من يعطيك سمكة ومن يعطيك شبكة)^(١٨٤).

فسماحته يتحدث عن الطريقة التربوية الحديثة التي لا تقوم على إعطاء المعلومات جاهزة إلى المتعلمين بل تقوم على تدريب المتعلمين على طرائق التفكير الصحيحة ، فالطريقة الحديثة لا تركز على تعليم الطالب بل على تدريبه على كيفية التعلم والحصول على المعلومات ، فمن يعطيك سمكة قدم لك السمكة جاهزة من دون أن تدرب نفسك على طريقة الحصول عليها ومن يعطيك شبكة يساعدك على الحصول على السمكة بنفسك ، فلنحظ هنا الجنس المصحف بين (سمكة) و (شبكة) .

٣- (يتحلى) و(يتخلى)

(التحلي) : التزين^(١٨٥) ، ولذلك استعملت هذه اللفظة للدلالة على الاتسام بالصفات الحسنة نحو قولنا (يتحلى بالصبر) ، و (التخلي) عن الشيء تركه^(١٨٦).

قال سماحته : (إذا كانت بعض المحافظات تواجه ظروفًا استثنائية فهذا دليل إضافي على ضرورة الإسراع بالانتخابات في وقتها المحدد ، حتى يذهبوا إلى صناديق الاقتراع ويختاروا الحكومة المحلية التي توفر لهم الخدمات وتعالج لهم المشاكل ، ليتخلصوا من الظروف الاستثنائية التي يعيشونها . إنَّ على الجميع أن يتخلى عن ثقافة التأجيل والمقاطعة ويتحلى بثقافة التعجيل والمشاركة)^(١٨٧).

لفظة (التخلي) افرقت عن لفظة (التحلي) بنقطة الخاء فقط ، وجاءتا في السياق بمعنيين متقابلين ، إذا دلت الأولى على ترك المشاركة في الانتخابات في حين دلت الثانية على المشاركة فيها .

السادس: الجنس المحرف

ويكون عند اختلاف اللفظتين في هيآت الحروف، أي في الحركات والسكنات، نحو قولنا (البِرّ) و (البُرّ)^(١٨٨).

وقد ورد هذا النوع من الجنس في كلام السيد الحكيم في موضعين:

١- (العِدَّة) و (العُدَّة)

العِدَّة في اللغة: الإحصاء^(١٨٩)، والعِدَّة: الشيء المعدود^(١٩٠)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ (المدثر: ٣١)، والعُدَّة: الشيء الكثير الذي يُهَيَأُ من مالٍ وسلاحٍ وغيرهما^(١٩١)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: ٤٦)

قال سماحته: (إنّ المجلس الأعلى يرى أن تحقيق الأمن والاستقرار يجب أن يتم عبر القوى الأمنية الوطنية من الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية الأخرى، ويجب أن نعد العِدَّة والعُدَّة لذلك وهو ما يتطلب إرادة وعزماً وتقييماً دقيقاً من قبل المعنيين)^(١٩٢).

وجاءت اللفظتان في سياقهما بمعناهما المعجمي، فسماحته يدعو إلى توفير العدد اللازم من رجال الأمن وتزويدهم بالمستلزمات الضرورية من سلاح وأجهزة متطورة وغيرها مما يحتاجون إليه لأداء واجبهم بشكل جيد.

٢- (المُؤَاطِن) و (المَوَاطِن)

المُؤَاطِن: اسم فاعل من الفعل الرباعي (وَاطَنَ)، نقول (وَاطِنَ القَوْمَ) أي عاش معهم في وطن واحد^(١٩٣)، والمَوَاطِن: جمع (مَوَاطِنَ)، وهو كل مكان قام به الإنسان لأمر^(١٩٤).

قال سماحته: (من أجل مشروع خدمة الوطن والمواطن، حينما قلتموها وقلناها معكم، وقلنا نحن مع المُؤَاطِن في كل المَوَاطِن، وهذا لم يكن شعاراً فضفاضاً، بل كان يمثل إطاراً وسياسة تتحكم بمجريات تيار شهيد المحراب).^(١٩٥)

فسماعته يقول إنه مع الناس في كل المواقع والأماكن التي نجدهم فيها محتاجين إلى العون والمساعدة، وقد صنع جناساً محرفاً بين اللفظتين، فعلى الرغم من أن (المواطن) مفرد (اسم فاعل) و (مواطن) جمع تكسير إلا أنهما لا تفترقان إلا بحركة الميم وحركة الطاء.

السابع: الجناس المكتنف

وهو الجناس الذي تختلف فيه إحدى الكلمتين عن الأخرى بزيادة حرف في وسطها، نحو (الجد) و (الجهد)^(١٩٦)

ونلاحظ أن السيد الحكيم استعمل كلمتين تزيد الثانية حرفاً على الأولى فتغير الزيادة معناها، بل تقلب معناها لتكون متضادة مع الأولى فيدعو إلى الأولى وينهى عن الثانية. وقد جاء ذلك في موضعين:

١- (نعقد) و (نعقد)

العقد في اللغة نقيض الحل^(١٩٧)، وفي اللغة المعاصرة، يقال (عقدوا اجتماعاً) بمعنى اجتمعوا في مكان معين لبحث موضوع معين^(١٩٨). أما التعقيد فهو التصعب، يقال عقد الأمر إذا جعله صعباً^(١٩٩).

قال سماحته: (إننا اليوم أمام خيارين وعلينا أن نختار أحدهما بوضوح كامل، فإما أن نَعقِدَ اللقاء الوطني وإما أن نَعقِدَ هذا اللقاء ولا نذهب إلى حل المشاكل بيننا)^(٢٠٠). فبين (عَقَدَ) و (عَقَّدَ) جناس مكتنف، إذا زادت الثانية على الأولى حرفاً واحداً في الوسط، وهو القاف بعد تضعيفها، ودلت الأولى على الاجتماع، في حين دلت الثانية على جعل الاجتماع صعباً نتيجة إثارة المشاكل وتكبير الخلافات وتعقيدها، وقوله (ولا نذهب لحل مشاكلنا بيننا) يعني عدم عقد الاجتماع، فاللفظة الثانية جاءت معاكسة للأولى.

٢- (الوسط) و (الوسيط)

الوَسَط في اللغة: اسم يطلق على ما بين طرفي كل شيء^(٢٠١)، والوسيط: صفة مشبهة على وزن (فعليل) تطلق على أوسط الناس نسباً وأرفعهم محلاً^(٢٠٢).

أما المعنى الحديث للفظة فهو التوسط بين المتخاصمين^(٢٠٣).

قال سماحته: (على العراق أن يعي هذه التطورات الخطيرة، ويتخذ المواقف المسؤولة لتجنب الكارثة، وعليه أيضاً أن ينتقل من سياسة الوسط إلى سياسة الوسيط الذي يسعى لتخفيف حدة الصراع، ولذلك أدعو الحكومة العراقية لتقديم مبادرة وساطة بين الطرفين لمعالجة الأزمة المتصاعدة في هذه الأيام)^(٢٠٤).

فسياسة الوسط في سياقها تعني أن العراق يجب أن لا يأخذ موقفاً محايداً بين الأطراف المختلفة أو المتصارعة كأن الأمر لا يعنيه، أو لينأى بنفسه عن أن يُحسب على هذا الطرف أو ذاك، بل يجب أن يتبع سياسة الوسيط، وهي سياسة أداء دور في التقريب بين الأطراف المختلفة لتخفيف حدة الصراع والتوتر بينهم.

ونلاحظ أن استعمال الجنس المكتنف الذي زادت فيه اللفظة الثانية على الأولى بحرف (الياء) فقط، جعل الثانية معاكسة تماماً لمعنى الأولى، فالوسيط في السياق خلاف الوسط.

الثامن: الجنس المركب

يعرف البلاغيون الجنس المركب بأنه ما اختلف ركناه إفراداً وتركيباً، وقد تكون الكلمتان متفتحتين في الخط فيسمى (الجنس المركب المقرون) كقول الشاعر:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً فَدَعُهُ فِدْوَلْتُهُ ذَاهِبَةً

فالجنس المركب المقرون وقع بين (ذاهبة) التي تعني (صاحب عطاء) و (ذاهبة) التي تعني زائلة.

وإذا كانت الكلمتان غير متفتحتين في الخط سُمي (الجنس المركب المفروق)، ومنه قول الشاعر:

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرِّوَاةِ قَصِيدَةً مَا لَمْ تَكُنْ بِالغَتِّ فِي تَهْذِيبِهَا

فإذا عرضت الشعرَ غيرَ مهذبٍ عدوهُ منك وساوساً تهذي بها^(٢٠٥)

فالجنس المركب المفروق وقع بين (تهذيبها) التي تعني تنقية القصيدة وإخلاصها^(٢٠٦)، و (تهذي بها) من الهذيان وهو القول المفكك غير المقبول أو غير المعقول^(٢٠٧).

وورد في خطاب السيد الحكيم الجناس المركب المفروق فقط ، في قوله (وبالتالي فإن إجراء الانتخابات في جميع هذه البلدان عملية معقدة ، ولكن سيتم التركيز على العملية الانتخابية في ثلاثة وعشرين بلداً فيها جاليات عراقية كبيرة ، لذلك فهذه النسبة تخضع لاعتبارات فنية ، أكثر منها اعتبارات في النية)^(٢٠٨).

فالحديث عن سبب اقتصار انتخابات الخارج على ثلاثة وعشرين بلداً ، إذ عزاه سماحته إلى أسباب (فنية) وليست (في النية) أي لوجستية إجرائية وليست سياسية ، فيبين الكلمتين اختلاف تركيبهما يمكن أن نعهده جناساً مركباً مفروقاً ، غير أننا نلاحظ أن هذا الاستخدام خالف الجناس المركب المفروق في اختلاف حركة الحرف الأول (الفاء) .

المبحث الثاني: طرق تقابلية أخرى

الأول: السجع

هو توافق الحرف الأخير من اللفظتين الفاصلتين ، وهو على ثلاثة أقسام: ^(٢٠٩)

١- السجع المطرف

وهو ما توافقت فيه الفاصلتان في الحرف الأخير واختلفتا في الوزن ، وقد ورد ثلاث مرات ،

قال سماحته : (وإليكم تتجه الأنظار ، ومنكم يُنتظر القرار)^(٢١٠)

وقال سماحته : (وعلاقة إيران مع أصدقائها ليست علاقة عملاء ، بل علاقة أصدقاء)^(٢١١)

وقال سماحته : (ما يهمننا شراكة القرار وليس شراكة الأدوار)^(٢١٢)

٢- السجع المرصع

وهو ما كانت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزناً وتقنية

وقد ورد في خطابات السيد الحكيم مرتين

قال سماحته: (فنحن ورثة علم الأنبياء، وهم ورثة حقد الدخلاء)^(٢١٣)

فقرة (ورثة علم الأنبياء) تقابل فقرة (ورثة حقد الدخلاء)

غير أن صورة السجع المرصع لم تكتمل بسبب اختلاف الوزن بين لفظتي (أنبياء) و (دخلاء)، ولو قال سماحته: (فنحن ورثة علم الأصلاء، وهم ورثة حقد الدخلاء) لتحقيق السجع المرصع، فضلاً عن أن لفظة (الأصلاء) هي اللفظة المعاكسة في المعنى للفظه (الدخلاء)

وقال سماحته: (ونحن أصحاب المشروع الإسلامي والإنساني الأكبر، وهم أصحاب المشروع الإجرامي التكفيرى والانحرافى الأخطر)^(٢١٤)

فهناك تقابل بين فقرة (أصحاب المشروع الإسلامي الأكبر) وفقرة (أصحاب المشروع الإجرامي الأخطر) فلم يكتمل السجع المرصع بسبب وجود لفظة (التكفيرى) في الفقرة الثانية، وعدم اتفاق الوزن بين لفظة (الإنساني) في الفقرة الأولى، ولفظة (الانحرافى) في الفقرة الثانية، ولو قال سماحته: (نحن أصحاب المشروع الإسلامي الأكبر، وهم أصحاب المشروع الإجرامي الأخطر) لتحقيق السجع المرصع.

٣- السجع المتوازي

وهو ما كان الاتفاق فيه بين الكلمتين الأخيرتين فقط، وقد ورد في خطابات السيد الحكيم أربع مرات

قال سماحته: (ونحن في العراق على أتم الاستعداد لتقديم تجربتنا التي امتدت لعشر سنوات وحملت في طياتها الكثير من التحديات والمخاطر، والكثير من الإنجازات والمفاخر)^(٢١٥) فالسجع بين لفظتي (المخاطر) و (المفاخر)

وقال سماحته: (وكأننا نشهد اعترافاً بالنصوص، ونكراناً بالنفوس)^(٢١٦)، فالسجع بين لفظتي (النصوص) و (النفوس)

وقال سماحته: (وعلى العالم الذي يدّعي التحضر أن يميّز جيداً بين جهاد الانحراف الإرهابي، وجهاد الإسلام المحمدي، وبين جهاد الطلقاء وجهاد الأصلاء)^(٢١٧)، فبين لفظتي (الطلقاء) و (الأصلاء) سجع متوازٍ

وقال سماحته: (نريد جيلاً يأخذ عبر الأُمس ولا يقف أسيراً عندها، نريد جيلاً يرى في الوقت ثروة، ولا يغرق فيه ضياعاً ونزوة)^(٢١٨)
 فبين لفظي (ثروة) و (نزوة) سجع متوازٍ

الثاني: الإفادة من حروف الجر لتحقيق التقابل الدلالي

لكل حرف من حروف الجر معانٍ متعددة، ويُحدد معنى الحرف بحسب السياق الذي يرد فيه، فحرف (الباء) مثلاً يدل على الإلصاق في نحو قولنا (مررت بزبد) وعلى التعدية في نحو قولنا (ذهبت بزبد) وعلى الوساطة في نحو قولنا (أكلتُ بالملعقة) وكذا الأمر في حروف الجر كلها.

وقد استثمر السيد (عمار الحكيم) حروف الجر ودلالاتها السياقية لتحقيق نوع من التقابل الدلالي، وهذا ما رصدته في ثلاثة مواضع:

١- (الباء) و (على)

يأتي حرف (الباء) دالاً على الوساطة أو الاستعانة أو الآلة، في نحو قولنا (فتحت الباب بالمفتاح)^(٢١٩)، فتحت الباب تم بواسطة المفتاح، والمفتاح آلة الفتح التي تمت الاستعانة بها لتحقيق فعل الفتح.

ويأتي الحرف (على) دالاً على الاستعلاء الحقيقي نحو قولنا (وضعت الكتاب على المنضدة) والاستعلاء المجازي نحو قولنا (عليه دين)^(٢٢٠)

وقد استثمر السيد عمار الحكيم معنى الوساطة في (الباء) والاستعلاء في (على) لتحقيق تقابل دلالي عن طريق الحث على استعمال الشيء واسطة وأداة لتحقيق الغرض والنهي عن الاستعلاء عليه، قال سماحته: (يجب أن يقوى كل منا بالآخر، لا أن يقوى على الآخر)^(٢٢١)

، فهنا يدعو سماحته إلى أن يتخذ كل منا الآخر وسيلة وواسطة لتحقيق قوته لكي يقوى الجميع، وينهى عن استعلاء أحدها على الآخر لكي لا يضعف الجميع، وقال أيضاً (هناك من يقوى على الدولة، وهناك من يقوى بالدولة، وفرق كبير بين من يقوى على الدولة

ومن يقوى بالدولة، منهجان، طريقان، علينا أن نختار أحدهما^(٢٢٢)، فمن يعمل على تقوية الدولة يقوى هو بقوتها ومن يستعلي عليها يعمل على إضعافها، وقال أيضاً (وهذه المؤسسات يجب أن تقوى بالشعب وليس تقوى على الشعب)^(٢٢٣)، فمؤسسات الدولة تكتسب قوتها وشرعيتها من الشعب ويكون الشعب واسطتها وسبب قوتها، ولا تستعلي على الشعب الذي أوجدها ومنحها الشرعية.

ف(الباء) في هذه النصوص أفاد معنى الواسطة أو الاستعانة، و(على) أفاد معنى الاستعلاء، وبانتظامهما في سياقاتهما حقاً تقابلاً دلالياً استثمره المتكلم في تحسين كلامه وتزويقه.

٢- (اللام) و (في)

من معاني حرف (اللام) الملك، وقد يكون الملك حقيقياً نحو قولنا (الدار لزيد) أو مجازياً نحو قولنا (الوقود للسيارة)^(٢٢٤)، أما (في) فمن أبرز معانيه (الظرفية) في نحو قولنا (زيد في الدار)^(٢٢٥)

وقد استثمر السيد عمار الحكيم الحرفين لتحقيق تقابل دلالي في قوله (لنجعل الشباب قدراً للعراق وليس قدراً في العراق)^(٢٢٦)

، فمعنى جعل الشباب قدراً للعراق تسخير طاقاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم لصالح الوطن، وهذا ما حققه معنى التملك الكامن في حرف (اللام)، أما قوله (وليس قدراً في العراق) فإنه لا ينفي وجودهم في العراق ولا سيّما أن حرف الجار (في) دل على أنهم موجودون في العراق، وإنما المراد ألا يكون وجودهم غير نافع ولا يقدم شيئاً للوطن بسبب تعطيل طاقاتهم فلا يستفيد الوطن منها، لأن هذا الوجود غير النافع وجود سلبي يقترب من عدم الوجود لذلك حذر سماحته منه.

٣- (اللام) و (الباء)

يرى النحويون أن إضافة كلمة إلى أخرى يفيد في الغالب معنى (اللام) (التملك) فقولنا (كتاب زيد) يعني الكتاب لزيد^(٢٢٧)

وقد استثمر سماحة السيد دلالة الإضافة على حرف (اللام) لمقابلتها بحرف الجر (الباء) الذي يفيد الوساطة، قال سماحته: (ونحتاج أيضًا إلى عقلية إدارة الأزمات، «لا إدارة بالأزمة»)(٢٢٨)

فقد حث سماحته عن طريق إضافة الإدارة إلى الأزمة إلى أن نجعل الإدارة للأزمة، بمعنى حشد الجهود والطاقات وتسخيرها لتفكيك الأزمات وحلها، داعيًا في الوقت نفسه إلى الابتعاد عن جعل الأزمات واسطة للإدارة بمعنى الاعتياش على فكرة خلق الأزمات التي يستخدمها البعض لضمان البقاء في السلطة، فهؤلاء يعتقدون أن وجودهم في المواقع الإدارية يرتبط بوجود الأزمات لا بحلها فهي واسطة وسبب لبقائهم.

الثالث/ قلب الإضافة

الإضافة في اللغة، نحو قولنا (كتاب زيد)، فيسمى الأول مضافًا والثاني مضافًا إليه، وتفيد في الغالب معنى حرف الجر (اللام) أي التملك، تملك المضاف إليه للمضاف، فقولنا (كتاب زيد) معناه أن الكتاب ملك لزيد وعائد له (٢٢٩)

وقد استثمر سماحة السيد الحكيم الإضافة فشكل عبارتين متضادتين، تتكون الأولى من مضاف ومضاف إليه، وجعل المضاف إليه مضافًا والمضاف مضافًا إليه في الثانية لتحقيق تقابل دلالة الأول مرغوب فيه والثاني مرغوب عنه.

وقد جاء ذلك في موضع واحد هو:

(قوة المنطق) و (منطق القوة)

قال سماحته: (وقد جرب الجميع سياسة الاحتكام إلى منطق القوة، وعلى الجميع أن يحتكم إلى قوة المنطق)(٢٣٠)

فإضافة (المنطق) إلى (القوة) تعني أن المنطق الحاكم هو المنطق الذي تملكه وتوجده القوة بصرف النظر عن حقانية القوي أو عدم حقانيته، وهذا ما أثبت فشله بالتجربة على حد قول سماحته، وإضافة (القوة) إلى (المنطق) تعني أن نجعل القوة الحاكمة هي قوة للمنطق، فيجب أن يحتكم الساسة إلى القوة المتأتية من المنطق الحق، لكي يأخذ المنطق الحق مداه ويسود العدل والاستقرار.

الخاتمة والنتائج

تتبع البحث الألفاظ المتقابلة في خطاب السيد عمار الحكيم، ووجد أن التقابل أخذ أنماطاً أربعة:

الأول: التقابل عن طريق الجناس، وكان هذا النمط الأكثر استعمالاً، إذ ورد خمساً وسبعين مرة، بأنواعه المتعددة، فجاء الجناس الاشتقائي أولاً، إذ ورد ستاً وثلاثين مرة، ثم المضارع بثلاث عشرة مرة، ثم اللاحق بعشر مرات، ثم القلب بثماني مرات، ثم المصحف بثلاث مرات، ثم المحرف بمرتين، ثم المكتنف بمرتين، ثم المركب بمرة واحدة.

الثاني: التقابل عن طريق السجع

استعمل سماحته التقابل عن طريق السجع تسع مرات، وجاء السجع متوازياً في أربع مرات، ومطرّفاً في ثلاث مرات، ومرصّعاً مرتين.

الثالث: التقابل عن طريق حروف الجر

استعمل حروف الجر لتحقيق التقابل الدلالي ثلاث مرات

الرابع: قلب الإضافة

استعمل قلب الإضافة مرة واحدة فقط.

وبذلك يكون التقابل اللفظي سمة أسلوبية غالبية في حديث سماحته، إذ استعمل أغلب طرق التقابل ووفق في أغلب مواضعها، وسجلنا بعض الملاحظات اليسيرة على الأخرى.

هوامش البحث ومصادره:

- ١- ينظر جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ٢٦٢
- ٢- ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها
- ٣- الملتقى الثقافي، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان ٢١/٨/٢٠١٣
- ٤- المؤتمر السنوي العاشر للتجمع الإسلامي لطلبة العراق، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ٨/٢/٢٠١٤
- ٥- لقاء السيد عمار الحكيم جمعاً غفيراً من أهالي البصرة الفيحاء، المكان: البصرة، الزمان: ٣/٤/٢٠١٣
- ٦- ينظر العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، (بصر) ٧/١١٧
- ٧- مهرجان الولاء للوطن الثالث لدعم القوات الأمنية والحشد الشعبي، المكان: بغداد، الزمان: ٢٣-٥-٢٠١٥
- ٨- ينظر لسان العرب، ابن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، (جهد) ٣/١٢٣
- ٩- يوم الشهيد العراقي، المكان: ملعب الصناعة ببغداد، الزمان: ٢٥/٥/٢٠١٢
- ١٠- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، عالم الكتب، القاهرة، ٦٨٥
- ١١- ينظر لسان العرب (خلف) ٩/٩٠
- ١٢- المهرجان الجماهيري لائتلاف المواطنين في بغداد، المكان: العاصمة بغداد، الزمان: ٢٦/٤/٢٠١٤
- ١٣- خطبة عيد الأضحى، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ٢٢/٨/٢٠١٨
- ١٤- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٦٨٥
- ١٥- خطبة صلاة عيد الأضحى المبارك، المكان: بغداد، الزمان ٥/١٠/٢٠١٤
- ١٦- ينظر الصحاح، للجوهري، تحقيق: د. أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت، (دفع) ٣/١٢٠٨

- ١٧- مقابلة مع قناة العربية، بتاريخ ١٧/١٠/٢٠١١
- ١٨- ينظر الصحاح (دين) ٢١١٩/٥
- ١٩- المؤتمر الصحفي للإعلان عن قائمة الحكمة التي شاركت بالانتخابات النيابية لعام (٢٠١٨)، المكان: بغداد، الزمان: ١٤/٤/٢٠١٨
- ٢٠- ينظر الصحاح (حسب) ١٠٩/١
- ٢١- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٤٩٢
- ٢٢- المؤتمر الصحفي للإعلان عن قائمة الحكمة التي شاركت بالانتخابات النيابية لعام (٢٠١٨)، المكان: بغداد، الزمان: ١٤/٤/٢٠١٨
- ٢٣- ينظر تاج العروس، للزيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، (حور) ٣١٧/٦
- ٢٤- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٥٨٠
- ٢٥- خطبة عيد الأضحى المبارك، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ٢٦/١٠/٢٠١٢
- ٢٦- ينظر الصحاح (رجع) ١٢١٨/٣
- ٢٧- ينظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ٣٣١
- ٢٨- مهرجان الجماهيري لائتلاف المواطن في محافظة ذي قار، المكان: محافظة ذي قار، الزمان ٥-٤-٢٠١٣
- ٢٩- ينظر المعجم الوسيط: ٤١١
- ٣٠- ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها
- ٣١- اليوم الإسلامي لمناهضة العنف ضد المرأة، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ٨/١/٢٠١١
- ٣٢- ينظر مجمع البيان، للطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مؤسسة الأعلمي بيروت، لبنان، ٣/١٢٢
- ٣٣- ينظر المصدر نفسه: ٣٢٧/٢

- ٣٤- تنظيمات المجلس الأعلى في البصرة، المكان: محافظة البصرة، الزمان: ٢٠١٢ / ٣ / ٢
- ٣٥- ينظر الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ٤٩
- ٣٦- ينظر مجمع البيان ٣ / ٣٣٣
- ٣٧- الذكرى التاسعة والتسعون لثورة العشرين الخالدة، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠١٩ / ٦ / ٢٩
- ٣٨- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١١٧٣
- ٣٩- ينظر المصدر نفسه ١١٧٥
- ٤٠- ذكرى استشهاد السيد (محمد باقر الحكيم) يوم الشهيد العراقي، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠٢٠ / ٢ / ٢٦
- ٤١- ينظر التبيان في تفسير القرآن، للطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ١٥٠ / ٩
- ٤٢- ينظر المعجم الوسيط، ٤٧٩
- ٤٣- ينظر لسان العرب (شرح) ١٧٦ / ٨
- ٤٤- يوم السيادة والاستقلال، المكان: بغداد - مكتب السيد عمار الحكيم، الزمان: ٢٠١٢ / ١ / ٣
- ٤٥- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١١٩٥
- ٤٦- العين (شرك) ٢٩٣ / ٥
- ٤٧- مؤتمر الوحدة الإسلامية، المكان: طهران، الزمان: ٢٠١٥ / ١ / ٧
- ٤٨- لسان العرب (شعر) ٤٠٩ / ٤
- ٤٩- ينظر المصدر نفسه (شعر) ٤٠٩ / ٤
- ٥٠- ذكرى استشهاد شهيد المحراب ويوم الشهيد العراقي في الأول من رجب، الاحتفال الرسمي، المكان: المكتب الخاص ببغداد، بتاريخ ٢٠١٦ / ٤ / ٨

- ٥١- ينظر مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ، مطبعة سيمان زاده، الناشر: طليعة النور، ٢٦٣
- ٥٢- تاج العروس (شغل) ٢٧٩/١٤
- ٥٣- يوم السيادة والاستقلال، المكان: بغداد - مكتب السيد عمار الحكيم، الزمان: ٢٠١٢/١/٣
- ٥٤- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١٢١٨
- ٥٥- ينظر المصدر نفسه ١٢٢٠
- ٥٦- ذكرى ولادة الإمام الرضا (عليه السلام)، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ٢٠١٢/٩/٢٦
- ٥٧- معجم اللغة العربية المعاصرة ١٣١٤
- ٥٨- ينظر لسان العرب (صلح) ٥١٧/٢
- ٥٩- الاحتفال الجماهيري ليوم الشهيد العراقي ذكرى شهادة السيد محمد باقر الحكيم، المكان: بغداد، ملعب الصناعة، الزمان: ٢٠١٧/٣/٣١
- ٦٠- ينظر العين (ضحو) ٢٦٦/٣
- ٦١- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١٣٤٩
- ٦٢- جامعة البصرة، المكان: البصرة، الزمان: ٢٠١١/٧/٩
- ٦٣- ينظر العين (ضرر) ٧/٧
- ٦٤- ينظر لسان العرب (ضرر) ٣٨٣/٤
- ٦٥- ينظر العين (ضرر) ٧/٧
- ٦٦- ينظر الصحاح (ضرر) ٧١٩/٢
- ٦٧- ديوان بغداد الشبابي، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ٢٠١٦/٧/٣٠
- ٦٨- ينظر الصحاح (طوف) ١٢٩٧/٤
- ٦٩- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١٤٢٣
- ٧٠- ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها

- ٧١- خطاب التاسع من محرم الحرام، المكان: بغداد - ملعب الصناعة، الزمان: ٢٤/١١/٢٠١٢
- ٧٢- ينظر تاج العروس (قطع) ١٧٧/٧
- ٧٣- ينظر لسان العرب (عبر) ٥٣١/٤
- ٧٤- الملتقى الثقافي، المكان: بغداد، الزمان: ١٩/٢/٢٠١٤
- ٧٥- معجم ألفاظ اللغة العربية المعاصرة ١٤٨٨
- ٧٦- المهرجان الجماهيري لائتلاف المواطنين في كربلاء المقدسة، المكان: كربلاء المقدسة، الزمان: ١٩/٤/٢٠١٤
- ٧٧- ينظر الصحاح (فرط) ١١٤٨/٣
- ٧٨- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١٦٩٤
- ٧٩- حفل الزفاف الجماعي العاشر، المكان: بغداد - المكتب الخاص، الزمان: ١٩/١٠/٢٠١٢
- ٨٠- ينظر لسان العرب (فرق) ٣٠٠/١٠
- ٨١- ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها
- ٨٢- الملتقى الثقافي، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان ٢١/٨/٢٠١٣
- ٨٣- المؤتمر السنوي العاشر للتجمع الإسلامي لطلبة العراق، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ٨/٢/٢٠١٤
- ٨٤- ديوان بغداد السياسي، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ١١/٤/٢٠١٥
- ٨٥- ينظر لسان العرب (فعل) ٥٢٨/١١
- ٨٦- ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها
- ٨٧- معجم اللغة العربية المعاصرة ١٧٢٥
- ٨٨- المؤتمر السنوي العاشر للتجمع الإسلامي لطلبة العراق، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ٨/٢/٢٠١٤
- ٨٩- ينظر لسان العرب (أثر) ٥/٤
- ٩٠- لقاء التجمع الإسلامي لطلبة العراق، المكان: بغداد، الزمان: ٢/٤/٢٠١٠.

- ٩١- ينظر مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ، (قلد) ١٩/٥
- ٩٢- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١٨٥٠
- ٩٣- خطبة صلاة عيد الفطر المبارك، المكان: بغداد، الزمان: ٢٩/٧/٢٠١٤
- ٩٤- ينظر لسان العرب (لزم) ٥٤٢/١٢
- ٩٥- حفل الزفاف الجماعي التاسع، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ١١/١١/٢٠١١
- ٩٦- ينظر الصحاح (ميز) ٨٩٧/٣
- ٩٧- ينظر تاج العروس (ميز) ١٥٤/٨
- ٩٨- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٢١٤٤
- ٩٩- لقاء أساتذة ورجال أعمال الناصرية، المكان: الناصرية، الزمان: ٧/٢/٢٠١٨
- ١٠٠- ينظر لسان العرب (نوع) ٢٦٤/٨
- ١٠١- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٣٠٦
- ١٠٢- الذكرى التاسعة والتسعون لثورة العشرين الخالدة، المكان: بغداد، الزمان: ٢٩/٦/٢٠١٩
- ١٠٣- ينظر الصحاح (هدف) ١٤٤٢/٤
- ١٠٤- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة (هدف) ٢٣٣٣
- ١٠٥- لقاء سماحته بجمع غفير من شباب الحكمة في الاحتفال الذي أقيم في مكتب سماحته ببغداد قبيل الانتخابات النيابية في ٢٠١٨، المكان: بغداد، الزمان: ٨/٥/٢٠١٨
- ١٠٦- ينظر لسان العرب (وكل) ٧٣٤/١١
- ١٠٧- ينظر الصحاح (وكل) ١٨٤٥/٥
- ١٠٨- ينظر العين (خيم) ٣١٦/٤، ولسان العرب (خيم) ١٩٢/١٢
- ١٠٩- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة: ٧١٦
- ١١٠- ينظر الصحاح (خيب) ١٢٣/١
- ١١١- ذكرى استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بتاريخ ٢٠/٢/٢٠١٣

- ١١٢- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢٥٠
- ١١٣- ينظر المصدر نفسه ٢١٣٠
- ١١٤- المؤتمر العالمي للشباب والصحوات الإسلامية، المكان: طهران، الزمان: ٢٩/١/٢٠١٢
- ١١٥- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١٤١٤ .
- ١١٦- ينظر المصدر نفسه ١٤١٦ .
- ١١٧- حوار صحيفة الأهرام المصرية مع السيد عمار الحكيم - بتاريخ ١/١٢/٢٠١١ .
- ١١٨- ينظر العين (عنف) ١٥٧/٢ .
- ١١٩- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١٠٩ .
- ١٢٠- الملتقى الثقافي، بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ١٩/٩/٢٠١٢ .
- ١٢١- ينظر العين (أجل) ١٧٨/٦ .
- ١٢٢- الملتقى الثقافي، المكان: بغداد، الزمان: ١٣/٣/٢٠١٣ .
- ١٢٣- ينظر العين (غرب) ٤٠٩/٤ .
- ١٢٤- ينظر لسان العرب (خرب) ٣٤٧/١ .
- ١٢٥- مؤتمر المرأة للصحوة الإسلامية، المكان: طهران، الزمان: ١١/٧/٢٠١٢ .
- ١٢٦- العين (حزم) ١٦٦/٣ .
- ١٢٧- ينظر العين (حسم) ١٥٣/٣ .
- ١٢٨- يوم الشهيد العراقي، ذكرى استشهاد السيد محمد باقر الحكيم، الأول من رجب، الاحتفال المركزي الجماهيري، المكان: بغداد، الزمان: ٩/٤/٢٠١٦ .
- ١٢٩- لسان العرب (شعر) ٤١٣/٤ .
- ١٣٠- المصدر نفسه ٤٠٩/٤ .
- ١٣١- المؤتمر الصحفي للإعلان عن قائمة الحكمة التي شاركت بالانتخابات النيابية لعام (٢٠١٨)، المكان: بغداد، الزمان: ١٤/٤/٢٠١٨ .
- ١٣٢- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١١٤٨ .
- ١٣٣- مؤتمر الصحوة الإسلامية، المكان: طهران، الزمان: ١٨/٩/٢٠١١ .

- ١٣٤- ينظر الصحاح (شور) ٢/٧٠٤
- ١٣٥- ينظر العين (ثور) ٨/٢٣٤.
- ١٣٦- مؤتمر الإمام الصادق (عليه السلام)، المكان: جامعة ميسان، الزمان: ٢/٩/٢٠١٣.
- ١٣٧- ينظر لسان العرب (غنم) ١٢/٤٤٥.
- ١٣٨- ينظر تاج العروس (غرم) ١٧/٥١٧.
- ١٣٩- خطبة عيد الأضحى المبارك، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ١٢-٩-٢٠١٦.
- ١٤٠- العين (همم) ٣/٣٥٧.
- ١٤١- ينظر الصحاح (قمم) ٥/٢٠١٥.
- ١٤٢- ذكرى استشهاد الزهراء (عليها السلام)، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ٤/٤/٢١٠٢.
- ١٤٣- ينظر العين (نخب) ٤/٢٧٩.
- ١٤٤- ينظر الصحاح (نكب) ٢/٢٢٨.
- ١٤٥- اليوم الإسلامي لمناهضة العنف ضد المرأة، بغداد، الزمان: ٢٨-٩-٢٠١٩.
- ١٤٦- احتفالية مولد الإمام المهدي (عج)، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ٢٥/٥/٢٠١٦.
- ١٤٧- ينظر مقاييس اللغة (حدث) ٢/٣٦.
- ١٤٨- ينظر الصحاح (هدف) ٤/١٤٤٢.
- ١٤٩- الليلة الرابعة من محرم، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ١٨/١١/٢٠١٢.
- ١٥٠- الحفل التأييني بذكرى رحيل السيد عبد العزيز الحكيم، المكان: بغداد، الزمان: ٣/٧/٢٠١٤.
- ١٥١- ديوان بغداد السياسي، المكان: بغداد، الزمان: ١٦/٥/٢٠١٥.
- ١٥٢- ديوان بغداد للنخب السياسية، المكان: بغداد، الزمان: ١٥/٧/٢٠١٧.

- ١٥٣- ذكرى استشهاد السيد (محمد باقر الحكيم) يوم الشهيد العراقي ، في الأول من رجب الموافق ٢٦/٢/٢٠٢٠ .
- ١٥٤- ذكرى ولادة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ١٨/٩/٢٠١٣ .
- ١٥٥- ذكرى ولادة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ١٨/٩/٢٠١٣ .
- ١٥٦- مؤتمر خريجي تيار شهيد المحراب ، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ١٨/١٠/٢٠١٤ .
- ١٥٧- ينظر جواهر البلاغة: ٢٦٦ .
- ١٥٨- معجم اللغة العربية المعاصرة: ١١٨٩ .
- ١٥٩- لسان العرب (شعر) ٤/٤١٣ .
- ١٦٠- مؤتمر المرأة للصحة الإسلامية ، المكان: طهران، الزمان: ١١/٧/٢٠١٢ .
- ١٦١- الصحاح (بهو) ٦/٢٢٨٨ .
- ١٦٢- ينظر العين (هجو) ٤/٩٧ .
- ١٦٣- مؤتمر المرأة للصحة الإسلامية ، المكان: طهران، الزمان: ١١/٧/٢٠١٢ .
- ١٦٤- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ١٦٩٩ .
- ١٦٥- الملتقى الثقافي ، المكان: بغداد، الزمان: ٢٢/٢/٢٠١٢ .
- ١٦٦- الأمسية الرمضانية الأولى ، المكان: بغداد، الزمان: ٢١/٧/٢٠١٢ .
- ١٦٧- الصحاح (عبث) ١/٢٨٦ .
- ١٦٨- ينظر لسان العرب (بعث) ٢/١١٦ .
- ١٦٩- المهرجان الجماهيري لائتلاف المواطنين ، المكان: محافظة ديالى ، الزمان: ٢٤/٤/٢٠١٤ .
- ١٧٠- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢٠٧٣ .
- ١٧١- ينظر الصحاح (منح) ١/٤٠٨ .
- ١٧٢- المؤتمر الثالث لتجمع الأمل ، المكان: بغداد، الزمان: ١٤/٥/٢٠١٦ .

- ١٧٣- ينظر لسان العرب (همش) ٦/ ٣٦٥ .
- ١٧٤- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٣٦٥ .
- ١٧٥- ينظر لسان العرب (هشم) ١٢/ ٦١١ .
- ١٧٦- المؤتمر العام للتحالف الوطني للكرد الفيليين، المكان: بغداد، الزمان: ٢١/ ٤/ ٢٠١٨ .
- ١٧٧- الصحاح (أثر) ٢/ ٥٧٦ .
- ١٧٨- العين (ثأر) ٨/ ٢٣٦ .
- ١٧٩- الذكرى التاسعة والتسعين لثورة العشرين الخالدة، المكان: بغداد، الزمان: ٢٩/ ٠٦/ ٢٠١٩ .
- ١٨٠- ينظر جواهر البلاغة ٢٦٥ .
- ١٨١- ينظر الصحاح (جدد) ٢/ ٤٥٤ .
- ١٨٢- ينظر الصحاح (حدد) ٢/ ٤٦٢ .
- ١٨٣- المؤتمر الحادي والعشرون للمبلغين والمبلغات، المكان: النجف الأشرف، الزمان: ١٢/ ٧/ ٢٠١٢ .
- ١٨٤- كلمة بمناسبة بدء العام الدراسي، المكان: بغداد، الزمان ٣/ ١٠/ ٢٠١٦ .
- ١٨٥- ينظر الصحاح (حلي) ٦/ ٢٣١٩ .
- ١٨٦- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٦٩٢ .
- ١٨٧- الملتقى الثقافي، المكان: بغداد، الزمان: ١٣/ ٣/ ٢٠١٣ .
- ١٨٨- ينظر جواهر البلاغة ٢٦٥ .
- ١٨٩- ينظر لسان العرب (عدد) ٣/ ٢٨١ .
- ١٩٠- المفردات ٣٢٤ .
- ١٩١- ينظر المفردات ٣٢٤ .
- ١٩٢- خطاب الذكرى^(٢٩) لتأسيس المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، المكان: بغداد - مكتب السيد عمار الحكيم، الزمان: ١٧/ ١١/ ٢٠١١ .
- ١٩٣- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٤٦٢ .

- ١٩٤- العين ٧ / ٤٥٥ .
- ١٩٥- تنظيمات تيار شهيد المحراب، المكان: ميسان، الزمان: ٢٠١٢ / ٨ / ٣١ .
- ١٩٦- ينظر جواهر البلاغة: ٣٦٢ .
- ١٩٧- ينظر لسان العرب (عقد) ٣ / ٢٩٦ .
- ١٩٨- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٥٢٦ .
- ١٩٩- ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٥٢٧ .
- ٢٠٠- الملتقى الثقافي، المكان: بغداد، المكتب الخاص، الزمان: ٢٠١٢ / ٤ / ١٨ .
- ٢٠١- ينظر العين (وسط) ٧ / ٢٧٩ .
- ٢٠٢- ينظر الصحاح (وسط) ٣ / ١١٦٧ .
- ٢٠٣- ينظر المعجم الوسيط: ١٠٣١ .
- ٢٠٤- ذكرى رحيل السيد عبد العزيز الحكيم، المكان: النجف الأشرف، الزمان: ٢٠١٩ / ٥ / ١٠ .
- ٢٠٥- ينظر جواهر البلاغة ٢٦٥ .
- ٢٠٦- لسان العرب (هذب) ١ / ٧٨٢ .
- ٢٠٧- ينظر مقاييس اللغة ٦ / ٤٥ .
- ٢٠٨- حوار صحيفة (الرأي) الأردنية مع سماحة السيد عمار الحكيم، بتاريخ ١٧ / ١١ / ٢٠٠٩ .
- ٢٠٩- ينظر جواهر البلاغة ٢٦٧
- ٢١٠- مهرجان تاسوعاء، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠١٤ / ١٠ / ٣١
- ٢١١- ديوان بغداد الإعلامي، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠١٥ / ٣ / ٧
- ٢١٢- جلسة حوار رمضان مع الإعلاميين، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠١٩ / ٦ / ٢
- ٢١٣- مهرجان تاسوعاء، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠١٤ / ١٠ / ٣
- ٢١٤- مهرجان تاسوعاء، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠١٤ / ١٠ / ٣
- ٢١٥- المؤتمر العالمي للشباب والصحوات الإسلامية، المكان: طهران، الزمان: ٢٠١٢ / ١ / ٢٩

- ٢١٦- مؤتمر الكرد الفيليين، المكان: المكتب الخاص ببغداد، الزمان: ٢٠١٣/٣/٣٠
- ٢١٧- الملتقى الثقافي، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠١٥/٢/١٨
- ٢١٨- مؤتمر قيادة الأعمال العربي الثاني، المكان: بغداد، الزمان: ٢٠١٩-٩-١٤
- ٢١٩- ينظر الجنى الداني، للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ود، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٣٨، ومعاني الحروف، للرماني، تحقيق: الشيخ عرفان بن سلمان الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٣٦
- ٢٢٠- ينظر حاشية الصبان، للأشموني، تحقيق: طه عبد الرزاق سعد، المكتبة الوقفية، ٣٣٣/١
- ٢٢١- المسابقة الوطنية القرآنية الثامنة، المكان: محافظة البصرة، الزمان: ٢٠١١/٩/٨
- ٢٢٢- لقاء عشائر المشخاب، المكان: النجف الأشرف، الزمان: ٢٠٢٠/١٢/١٠
- ٢٢٣- جامعة البصرة، المكان: البصرة، الزمان: ٢٠١١/٧/٩
- ٢٢٤- ينظر رصف المباني، للمالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية في دمشق، ٢٩٤،، وارتشاف الضرب، لأبي حيان، تحقي: رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، ٤٣٣/٢، والجنى الداني ٩٦
- ٢٢٥- ينظر شرح المفصل، لابن يعيش، المطبعة المنيرية، ٢٠/٨
- ٢٢٦- الملتقى الأول لقيادات تجمع الأمل في عموم العراق، المكان: بغداد - مكتب السيد عمار الحكيم، الزمان: ٢٠١١/١٠/٢٢
- ٢٢٧- ينظر شرح ابن عقيل، لابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ٤٤/٢.
- ٢٢٨- المؤتمر السنوي العاشر للتجمع الإسلامي لطلبة العراق، المكان: المكتب الخاص ببغداد، التاريخ: السبت ٢٠١٤/٢/٨.
- ٢٢٩- ينظر شرح ابن عقيل ٤٤/٢.
- ٢٣٠- مؤتمر الوحدة الإسلامية، المكان: طهران، الزمان: ٢٠١٠/١٠/٢٧.

الإعلام الحكومي وتنمية القيم الديمقراطية لدى الفرد العراقي

أ.م.د. علي عبدالهادي عبدالأمير

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المستخلص:

يمثل الإعلام الحكومي إحدى الأدوات الفاعلة في تشكيل الرأي العام، وإضفاء الشرعية على النظام السياسي القائم وبناء الصورة الإعلامية للحكومة بالتركيز على ما تسعى إلى تحقيقه خدمة للصالح العام، وتحقيقاً لمصلحة الجمهور الذي يعتمد على ما تقدمه وسائل الإعلام الحكومية من معلومات في اتخاذ قراره، وممارسة حقوقه السياسية، ولأجل التعرف على ماهية الدور الحكومي، وأهم الوظائف والأدوار التي يمارسها كما أشارت إليه النماذج العلمية الحديثة، فقد جاء هذا البحث بهدف التعرف على الإعلام الحكومي ودوره المؤثر في نشر الوعي والمعرفة، وأهم الآليات التي يعتمد عليها في التواصل مع الجمهور. وصولاً إلى صياغة نموذج يمكن أن يستخدم من قبل المؤسسات الإعلامية الحكومية على اختلاف أنواعها في بناء رسائلها الاتصالية.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الحكومي، الديمقراطية

Government Media and Development of Democratic Values for the Iraqi Individual

ABSTRACT:

The government media represents one of the effective tools in shaping public opinion and legitimizing the existing political system,

as well building the media image of the government by focusing on what should seek to achieve in the service of the public interest and in the interest of the public, which depends on the information provided by the government media in making its decisions and exercising its political rights, thus, in order to identify the nature of the government role and the most important functions and roles it exercises as indicated by modern scientific models. This research came with the aim of identifying the government media and its role in influencing the dissemination of awareness and knowledge, and the most important mechanisms it adopts in communicating with the audience. In order to formulate a model that can be used by Governmental media institutions of all kinds in building their communication messages.

Keywords: Government Media, Democracy.

مقدمة

يؤدي الإعلام دوراً مميزاً في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ يمارس دوراً توجيهياً للأفراد والجماعات، ويعبر عن سياسية القائمين على السلطة وتصوراتهم لجميع القضايا والأزمات التي تبرز على الساحتين المحلية والدولية، وبالنظر إلى بناء الرسالة الاتصالية للإعلام الحكومي نجد أنها رسالة تحمل دلالات إقناعية ورموزاً تهدف إلى إحداث تأثيرات محددة في نفسية المتلقي تجعله يعتنق الفكرة المطروحة ويتبناها في اتخاذ قراره. ففي ظل التطورات الحديثة في مجال تكنولوجيا الاتصال الحديثة وسهولة استخدام الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وطغيان كمية المعلومات المنتشرة عليها التي تتميز بأنها تتجاوز حدود الرقابة أحياناً، وتنتقد ما مطروح من أفكار لتحقيق أهداف من يتبناها، ويسعى إلى ترسيخها في ذهن المستقبل. ظهرت تحديات للإعلام الحكومي الذي تتمثل وظيفته الأساسية في بناء خطاب إعلامي يعبر عن فلسفة الحكومة وقضاياها، ويعكس صور إيجابية عن آليات تنفيذها لبرنامجها وما سيحققه للفرد كوحدة أساسية يؤثر ويتأثر في الوسط والجماعات التي ينتمي إليها. لذا فقد تناول هذا البحث موضوع الإعلام الحكومي وتأثيراته، وكيف تسهم رسائله الاتصالية في إقناع الجمهور بالإصلاحات السياسية والتوجهات الحكومية، وما تسعى إلى تنفيذه، وما تتخذه من قرارات تسهم في

تحقيق الصالح العام . وأهم النماذج التي ذكرتها الأدبيات العلمية ومحاولة صياغة نموذج يمكن الاستفادة منه في تعزيز دور الإعلام الحكومي في نشر وتعزيز المبادئ الديمقراطية لدى الجمهور المستهدف . وتقديم خاتمة تتضمن خلاصة لدور الإعلام في تبني حق المعرفة ونشر المعلومات بما يساهم في كسب الرأي العام وتحقيق شرعية النظام السياسي القائم .

أولاً- مشكلة البحث:

تعد صياغة المشكلة البحثية من الخطوات المهمة ؛ لأنها تتطلب التحديد والوضوح والاختصار وتتضمن مجاله ومحتواه وأهمية الموضوع ونوع البحث الذي يقوم به الباحث وهو أمر يتطلب معرفة واسعة وتحليلاً منطقياً^(١) وهذا يتحقق من خلال تعامل الباحث مع كافة مصادر المعرفة وأوعية المعلومات يضمنها قواعد البيانات التي أصبحت المركز الأساسي في البحث العلمي خاصة مع الثورة المعرفية في عصرنا الحالي فهي تتيح للباحثين الحصول على معلومات كمية ونوعية هائلة عن موضوعات البحوث^(٢) . وتوصف المشكلة البحثية بأنها (عبارة عن قضية أو ظاهرة أو موضوع يحتاج إلى دراسة وتعمق لفهم طبيعة العناصر المكونة لها لغرض بناء علاقات مبدئية بين تلك العناصر ومن ثم إعادة صياغتها بصورة علمية بناءً على نتائج الدراسة واختبار العلاقات^(٣) ، لذا فقد تمت صياغة مشكلة البحث الحالي على شكل تساؤل رئيس وهو (ما هو دور الإعلام الحكومي في تعزيز القيم الديمقراطية في المجتمعات عامة والمجتمع العراقي بشكل خاص؟).

ثانياً- أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في عدد من النقاط ، هي :-

- ١ . يمثل البحث إضافة في مجال الدراسات المتعلقة بالإعلام الحكومي في نشر المعرفة ، وتزويد الرأي العام بالمعلومات التي تمكنه من اتخاذ القرار في المجالات السياسية ، وممارسة حقوقه وحياته بالشكل الذي يحقق مستوى مقبولاً من المشاركة السياسية والمساهمة في صناعة القرار .

- ٢ . تقديم رؤى وأفكار مختلفة بشأن دور الإعلام الحكومي في صناعة خطاب إعلامي مؤثر في المتلقي ، وأهم النماذج التي عالجت أدواره الوظيفية في صناعة الرسالة الاتصالية وأهم ميكانزمات الإقناع المعتمدة .
- ٣ . يعد البحث الحالي نقطة انطلاق جديدة لإجراء دراسات أخرى مماثلة في المجال الإعلامي والاجتماعي .

ثالثاً- أهداف البحث:

- ١ . التعرف على تأثيرات الإعلام الحكومي وأهم أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة .
- ٢ . بناء نموذج اتصالي يمكن توظيفه من قبل مؤسسات الإعلام الحكومية الرسمية في بناء خطابها الإعلامي .

رابعاً- نوع البحث ومنهجه:

إن هذا البحث من البحوث الوصفية . ويعرف البحث الوصفي على أنه دراسة الواقع أو الظاهرة الموجودة في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ، ويعبر عنها تعبيراً كيفياً عن طريق وصف الظاهرة مع بيان خصائصها ، أو تعبيراً كمياً فيعطينا وصفاً رقمياً مع بيان مقدار هذه الظاهرة وحجمها ودرجات ارتباطها مع غيرها من الظواهر الأخرى . فلا يقتصر حدود المنهج الوصفي على وصف الظاهرة وجمع المعلومات عنها بل لا بُدَّ من تصنيف هذه المعلومات وتنظيمها والتعبير عنها كمّاً أو كيفاً . والهدف من تنظيم المعلومات وتصنيفها هو مساعدة الباحث في الوصول إلى استنتاجات وتعميمات تسهم في فهم الواقع وتطويره .^(٤) وقد تمت الاستعانة بالمنهج المسحي الذي يعرف على أنه (أسلوب في البحث ، يتم من خلال جمع معلومات وبيانات عن ظاهرة ما أو حادثة ما أو شيء ما أو واقع ، وذلك بقصد التعرف إلى الظاهرة التي ندرسها وتحديد الوضع الحالي لها ، والتعرف إلى جوانب القوة والضعف فيها من أجل معرفة مدى صلاحية هذا الوضع ، أو مدى الحاجة لإحداث تغييرات جزئية أو أساسية فيه).^(٥)

أولاً: الإعلام الحكومي صناعة الخطاب والتأثير

يمثل الإعلام شرطاً ضرورياً لأي عملية تحديث سياسي، والتي بدورها تعكس حجم العلاقة بين الدولة والمجتمع من جهة وبين النخبة والجماهير من جهة ثانية من خلال نشر المعلومات بشأن الأحداث والوقائع التي تشهدها الحياة اليومية بالدرجة التي تحقق المصادقية وتعود إلى الترابط بين السلطة والمجتمع.^(٦) ولقد شاع استخدام مفهوم الإعلام الحكومي الذي يعني التوظيف السياسي للإعلام في عملية تشكيل الرأي العام بما يقود إلى دعم سياسية النظام واختياراته والتعبئة^(٧)، فهو أحد الأدوات الأساسية في صناعة صورة الحكومة الإعلامية ودورها في قيادة المستقبل السياسي للبلد بنجاح وتحقيق إنجازات فاعلة على المستويات الداخلية والخارجية خاصة ما يتعلق بالوفرة الاقتصادية وتحقيق الاستقرار السياسي. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن فلسفة الإعلام الحكومي قائمة على تبني سياسة إعلامية مبنية على تخطيط رشيد قادرة على تحقيق الأهداف المرسومة تستهدف صناعة وعي سياسي لدى الجماهير، يُسهم في تحقيق أجواء من المشاركة الإيجابية وتبني القضايا التي توجه لها الرسائل الاتصالية. فالسنوات القليلة الماضية شهدت العديد من المتغيرات التي سرّعت اعتراف العديد من الدول والحكومات بالدور الأساسي للإعلام في حياة الجمهور، كونه أصبح شريكاً رئيسياً في ترتيب أولويات اهتمامنا، ومؤثراً على إصدارنا للأحكام في القضايا والأمور المثارة في مختلف دوائر الاهتمام المحلي والإقليمي والدولي، وأصبح الجانب الأكبر من تصوراتنا عن العالم المحيط بنا من صنع الإعلام ووسائله التي زادت من قدرتها على التأثير في أفكارنا وآرائنا وقيمتنا، إضافة إلى مسؤوليتها عن تنمية وعينا وتطوير قدراتنا على الانتقاء والاختيار والحكم السليم.^(٨) وهذا يتماشى مع مفهوم النشاط السياسي للفرد الذي يمثل الوحدة الأساسية للمجتمعات برمتها والذي يتمثل بشعور الفرد بإمكانية التغيير السياسي والاجتماعي، وإنه كمواطن يمكنه أن يمارس تأثيراً في المساهمة بالتغييرات السياسية والاجتماعية، التي يمكن أن تتم بجهوده والتعاون مع الآخرين.^(٩) وهذا ما يعزز من دور الإعلام الحكومي في صناعة خطاب إعلامي مقنع ومؤثر قادر على تحقيق مستوى معرفي يسهم في صناعة القرار لدى الرأي العام، وممارسته لحقوق السياسية في الاختيار والتصويت خاصة إذا ما علمنا بأن نظم الاعتماد بين وسائل الإعلام والنظام السياسي تظهر بصورة جلية في أحداث الانتخابات النيابية، والتصويت على القرارات التي يمكن أن تسهم في تحديد الخيارات السياسية لأي بلد مثل الاستفتاء على الدستور بوصفها آلية تمارس على قدر واسع بفعل عوامل التغيير

السياسي الذي تشهده البلدان . حيث تبرز لدينا نظرية أخرى تعالج الواقع السياسي وتسهم في صناعة أحداثه من خلال الخطاب الإعلامي الحكومي ، وصناعة التأثير الذي يسهم في بناء الأجندة للجمهور المتلقي ، فالمشاهدون لا يعلمون فقط من وسائل الإعلام ما يحدث ولكنهم يتعلمون كيف يمنحون أهمية لموضوع ما وفقاً لحجم الاهتمام الذي تبديه وسائل الإعلام لهذا الموضوع وحجم المعلومات التي تحتويها القصص الإخبارية المقدمة عن هذا الموضوع^(١٠) . وبالنظر إلى الدور الأساسي للإعلام الحكومي بمختلف وسائله نجد أنه يعمل على تعبئة الجمهور وإلهامه بالفكر والمبادئ وروح العمل الجماعي بما يدفعه نحو التطور والإبداع عن طريق تخصيص مساحات جيدة سواء من (الوقت أو المساحة) للرسالة الإعلامية التي تحمل مضامين قادرة على التثقيف السياسي للمواطن وتنشئته سياسياً بما يسهم في نجاح محاولات الإقناع المتتالية ، وتهيئة المناخ السياسي لتحقيق الانفتاح بين القادة والجماهير^(١١) . وهذا الأمر بدوره يعكس طبيعة الثقافة السياسية السائدة في المجتمع التي يعمل الإعلام الحكومي على تعزيزها ونشر الوعي بها ، فإحدى الطرق الخاصة لوضع خريطة لثقافة الأمة السياسية هي وصف توجهات المواطنين على المستويات الثلاثة للنظام السياسي وهي النظام والعملية السياسية ، والسياسة^(١٢) .

على مستوى النظام : تهتم بتوجهات نظر المواطنين والقادة المتعلقة بالقيم والأنظمة التي تجعل النظام السياسي يماسك ، وبطريقة انتخاب القادة وطاعة المواطنين للقانون .

على مستوى العملية السياسية : ينصب اهتمامها على ميول المواطنين للمشاركة في العملية السياسية ، مثل التقدم بمطالب ، وتأييد بعض الجماعات ومعارضة جماعات أخرى ، والمساهمة بمختلف الصور .

على المستوى السياسي : تتناول مدى معرفتنا بماهية السياسات التي يتوقعها المواطنون والقادة من الحكومة ، وما الأهداف التي يجب وضعها وكيف تتحقق ؟ . وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن الإعلام الحكومي مسؤول عن صياغة خطاب قادر على إحداث التأثير الإقناعي الهادف في نفوس الجماهير ، بحيث تتبنى فلسفة النظام السياسي وتمارسه حقوقها السياسية بشكل متكامل ، وتعزيز الممارسات السياسية ، وكسب الرأي العام أثناء الأزمات السياسية والتي تعد بمثابة أداة اختبار لفعل الإعلام الحكومي وتأثيره .

ثانياً: أدوار الإعلام الحكومي في تعزيز حق المعرفة

ثمة علاقة بين الإعلام الحكومي وآلياته ووسائله وأجهزته، وبين مستوى المعرفة التي يحققها للجمهور، وكيف يعمل على نشر الوعي والمعرفة التي تُسهم في تكوين رأي عام مستنير، قادر على الحكم على صواب تصرفات النظام السياسي القائم في تبنيه للسياسات العامة المساهمة في بناء الدولة وتحقيق الإصلاح السياسي المنشود. وعلى الرغم من أن الإعلام الحكومي يخضع لفعل القوى السياسية التي تضع القوانين والتشريعات التي تعمل في إطارها المؤسسات الإعلامية، إلا أنه يختلف عنها بدوره الأساسي في نشر المعرفة للرأي العام بوصفها من حقوقه الأساسية، إذ يوصف هذا الحق بأنه حق الإنسان في أن توفر له الدولة شتى السبل الملائمة لتدفق من خلالها المعلومات والآراء والأفكار ليختار من بينها وفقاً لإرادته الحرة، وعليها أن تحمي نفاذه الميسر إليها بعيداً عن تدخلها أو تدخل الغير الذي من شأنه إعاقة أو الحد أو الانتقاص أو منع تمتعه بهذا الحق^(١٣). وهذا ما يدخل في موضوع ضمانات حقوق الإنسان التي تحقق من خلال الأمور الأساسية الآتية: (١٤)

١. توفير الضمانات الدستورية والقانونية والقضائية لحقوق الإنسان.

٢. وجود هيئات ومنظمات غير حكومية ذات دور رقابي على ممارسات وسياسات الحكومات في مجال حقوق الإنسان، ورصد الانتهاكات الحاصلة في هذا المجال وفي أغلب الأحيان تأخذ هذه المنظمات الطابع الدولي وينشأ عنها العديد من الموثائق والاتفاقيات التي تحاول جاهدة نشرها وتعميمها في بلدان العالم كافة. ومن الجدير بالذكر أن حق الجمهور في المعرفة لا يجب أن يقتصر النظر إليه على أساس كمية المعلومات التي تصل إليه، ذلك أن الجمهور بالفعل يحصل على كمية ضخمة من المعلومات تزيد كثيراً عما كان يحصل عليه الإنسان طوال تأريخه على الأرض، لكن هذه المعلومات رغم كميتها الوفيرة إلا أنها لا تشكل المعرفة التي يمكن أن تزيد قدرات الإنسان الثقافية والتحليلية والإبداعية والنقدية^(١٥). فالإعلام الحكومي بما يمتلكه من إمكانات تقنية ووسائل لا بُدَّ من تأدية دوره الأساسي في تعزيز حق المعرفة للجمهور بحقوقه الأساسية والآليات الدستورية للانتخاب، والأنظمة الانتخابية، وكيفية إجراء عملية اختيار المرشحين، فالممارسة الفعالة للحقوق الاتصالية من قبل الجمهور تعتمد

بصورة كبيرة على فهم وتفسير ما يقدمه الإعلام الحكومي بما يمتلكه من تأثير في الرأي العام^(١٦). وللوقوف على العلاقة بين وسائل الإعلام الحكومية والفعل الديمقراطي لا بُدَّ من الوقوف على أربعة أدوار لها، تؤثر من خلالها على الحياة السياسية والديمقراطية، إذ استخدم الباحثون تشبيهات مبنية على أساس العلاقة بين (الإنسان والكلب) لتوضيح الدور والوظيفة، إذ تتمثل هذه الوظائف بـ:^(١٧)

١. وظيفة كلب المراقبة (watchdog)

وبموجب هذه الوظيفة تسعى وسائل الإعلام لأن تكون رقيباً على كل ما يدور في المجتمع من مدخلات ومخرجات، بما في ذلك مراقبة المؤسسات الاجتماعية والسياسية النافذة في المجتمع، وهنا يوصف دور وسائل الإعلام بأنه مثل دور الحارس اليقظ الذي يعمل كحارس ورقيب ضد استخدام السلطة الرسمية، وكمراقب لمصالح المجتمع وحمايته من الفساد والانحراف، فوسائل الإعلام تعمل كرقيب للسلطة من خلال الترويج للحق في المعرفة وحماية المجتمع من تسلط النظام السياسي.

٢. وظيفة كلب الحراسة (Gurad dog)

تعني هذه الوظيفة بأن وسائل الإعلام تقوم بحراسة للمؤسسات النافذة في المجتمع فقط، وتكون أشد الحرص على متابعة العناصر الطفيلية التي تدخل المجتمع وتعكر صفوه ونقاء العلاقة القائمة، بينما تقوم وسائل الإعلام بمهاجمة الأشخاص الذي ينتهكون سلطة الحكومة، فإنها تقوم أيضاً بدعم وتعزيز الهياكل التابعة من النظام الرأسمالي، فالدور الرقابي لوسائل الإعلام وفقاً لهذه الوظيفة يفتقر إلى الواقعية في الأساس نظراً لأنه لا توجد مصلحة عامة منفردة، ولكن هناك العديد من المصالح المنظمة التي تختلف في قوة وتأثير كل منها.

٣. وظيفة الكلب المرشد (Guide dog)

تعني هذه الوظيفة أن الوظيفة الأساسية لوسائل الإعلام أن تقوم بدور المرشد أو الدليل الذي يمد المواطنين بمجموعة من المعلومات عن السياسات وصانعي السياسة، التي يحتاجونها لصنع القرارات ولتقييم قادتهم، كما يفترض هذه الدور أن تقوم وسائل الإعلام بقيادة الرأي وحشد الجماهير وتوعيتها مع ممارسة التوجيه العام لوسائل الإعلام.

٤. وظيفة الكلب الأليف (Lapdog)

تعني هذه الوظيفة أن وسائل الإعلام ترتمي في حضن المؤسسات الاجتماعية والسياسية دون أن تكون أداة مستقلة، ودون إبداء أي مساءلة للسلطة، ودون الالتفات إلى الآراء والاتجاهات الأخرى في المجتمع خاصة التي لا تتفق مع مصالح المؤسسات النافذة، فهي تكون بمثابة أداة ناقلة لما يريد النظام السياسي أن تعرفه الجماهير، وبالطريقة التي يريدونها بدون توجيه أي انتقادات للمؤسسة القائمة. وبالنظر إلى هذه الوظائف جميعها نجد أن لكل وظيفة منها دورا يختلف عن الآخر، ولكن نجد أن العامل الأساسي الذي تمارسه جميع هذه الوظائف هو ما يتعلق بنشر المعرفة والمعلومات التي تمثل الأساس الذي تنطلق منه في كل دور، وفي رأينا أن الدور الأساسي المفترض للإعلام الحكومي في عمله على إرساء القيم الديمقراطية تماثل وظيفة الكلب القائد (lead dog) وتعني هذه الوظيفة أن وسائل الإعلام تقوم بدور وضع الأجندة للقضايا المطروحة على الساحة السياسية، وتؤدي دور المصفاة لهذه الحلول وترتيبها حسب الأولويات والأهمية قبل تقديمها للجمهور، كما تحث السياسيين على متابعة هذه القضايا لأهميتها في سياق الشأن العام، وبذلك تؤدي دور الكلب القائد في الطريقة المحددة لإعطاء تغطية أكبر لإحدى هذه القضايا أكثر من الأنواع الأخرى^(١٨).

ثالثاً: وظائف الإعلام الحكومي لدعم عملية تنمية القيم الديمقراطية

أصبح الإعلام اليوم من أهم مصادر الثقافة السياسية والعملية السياسية برمتها؛ لأنه أصبح في مركز عملية صناعة الانطباعات، وتعريف الوضع الاجتماعي، ومصدرًا للسلطة يتقاتل عليها السياسيون، كما أصبحت وسائل الإعلام وسيلة هامة لوضع الناس في أماكن معينة خاصة في الهرم السياسي، وزرع الأفكار في الوعي المجتمعي^(١٩). فالدور المرسوم للإعلام الحكومي هو تحقيق التأثير المعرفي الذي يشمل كل ما يرتبط بالمعرفة والآراء، حيث تعمل هذه التأثيرات على توضيح القيم والتي تعرف بأنها (مجموعة المعتقدات التي يشترك فيها أفراد أو جماعة ما، ويرغبون في ترويجها والحفاظ عليها مثل الأمانة، والحرية، والمساواة والتسامح، إذ تقوم وسائل الإعلام بدور كبير في توضيح أهمية القيم عن طريق تقديم المعلومات. وهذه المعلومات تتعلق بأهمية ودور الفرد في ممارسه

حقوقه)^(٢٠). وهناك رؤية تتمثل في مجموعة من النقاط لدور الإعلام الحكومي في دعم عملية التطور الديمقراطي والتغيير السياسي تتمثل بـ^(٢١):

١. الإسهام في تحقيق ديمقراطية الاتصال: يمكن تحقيق هذه الوظيفة من خلال تحويلها إلى ساحة للتعبير الحر عن كافة الآراء والاتجاهات، وإتاحة الفرصة للجماهير لإبداء آرائها في المشروعات الفكرية والسياسية المطروحة في التعبير عن مشاكلها.

٢. الإسهام في تحقيق المشاركة السياسية:

من خلال تحقيق المعلومات الكافية التي تؤهل المواطنين للمشاركة واتخاذ قراراتهم بالانتماء للأحزاب السياسية، أو التوجهات الفكرية أو التصويت بدعم النشاط السياسي العام.

٣. إدارة النقاش الحر في المجتمع:

بالتركيز على إدارة النقاش بين جميع القوى والتوجهات والأفكار للوصول إلى أفضل الحلول.

٤. الرقابة على مؤسسات المجتمع:

وذلك من خلال حمايته من الانحراف والفساد، بالكشف عن انحرافات السلطة، وإساءة استخدامها لتحقيق المنافع الشخصية.

٥. المساعدة في صنع القرارات:

لوسائل الإعلام تأثير كبير على القرارات السياسية، ويرجع ذلك لأنها تؤثر على القرارات السياسية، فقد تعطي الشعبية أو تحجبها عن صانع القرار، كما أن صانعة القرار ينظر إليها كمقياس لرد فعل الناس تجاه سياسته وقراراته.

٦. التأثير في اتجاهات الرأي العام:

إذ أصبحت وسائل الإعلام في المجتمعات الحديثة تقرر بشكل كبير ما الذي يشكل الرأي العام وتزوده بغالبية المعلومات التي من خلالها يطلع على الشؤون العامة ومعرفة الشخصيات السياسية بجانب دورها في المناقشات العامة والعملية الانتخابية ككل.

٧. مراقبة الأحداث المعاصرة:

وتوصف بأنها الأحداث التي من المحتمل أن تؤثر بالإيجاب أو السلب على رفاة المواطنين، فالمراقبة بمعناها العام تعني تجميع وتوزيع المعلومات المتعلقة بالبيئة الداخلية والخارجية، بحيث يكون المجتمع على معرفة بما يجري وقادراً على التكيف مع الظروف والمستجدات.

رابعاً: نموذج مقترح للإعلام الحكومي العراقي في تعزيز القيم الديمقراطية.

تعمل وسائل الإعلام على إنارة الرأي العام عن طريق عرض قضية يوماً بعد يوم في أجندها، إذ إن القضايا والموضوعات التي تحظى باهتمام وعناية الوسيلة الإعلامية سوف يدرکها الجمهور ويتعود عليها ويشعر بأهميتها، في حين أن تلك التي تحظى بأهمية وعناية أقل من جانب الوسيلة سوف تتطابق أهميتها مع إدراك الجمهور لها، ومن ثم تمنح وسائل الإعلام القدرة على التأثير الفعال في تشكيل إدراك الجمهور للعالم المحيط به بعدها مصدرًا مهمًا من مصادر المعلومات. وانطلاقاً من هذه الفكرة الأساسية نسعى إلى اقتراح نموذج ممكن أن يتبناه الإعلام الحكومي العراقي بمختلف وسائله (المطبوعة والمسموعة والمرئية) من خلال تركيزه على تعزيز القيم الديمقراطية لدى الفرد العراقي والتعريف بالحقوق التي كفلها الدستور العراقي ورسم طريق ممارستها بشكل فاعل وإيجابي، وأهم المظاهر التي يمكن للجمهور ممارستها المتمثلة بإجراء عملية المشاركة في الانتخابات العامة والتصويت في الاستفتاء على الدستور، إلى جانب الحق في الترشح السياسي. فتركيز الإعلام الحكومي على هذه المضامين وتوظيف نظريات الإقناع يمكن أن يعزز دوره في: (٢٢)

١. تفعيل المشاركة السياسية للمواطنين من خلال إمدادهم بالمعلومات اللازمة، وهو ما ينعكس سلوكياً لديهم في قراراتهم بالانتماء إلى قوى سياسية معينة والتصويت لها.
٢. توفير نقاش حر وإدارته في المجتمع بين القوى والتيارات السياسية والفكرية المختلفة لصياغة الحلول المختلفة وإمكانية تحقيقها على أرض الواقع.
٣. المساهمة في صنع القرارات السياسية وإكسابها نوعاً من الشرعية الشعبية، لأن صانعي القرارات يرون تلك الوسائل مقياساً لرد الفعل تجاه السياسات والقرارات المختلفة.

٤ . تحقيق ديمقراطية الاتصال عبر تحول هذه الوسائل إلى متددى حر للتعبير عن الآراء المختلفة حتى يتمكن المواطنون من المساهمة بفعالية في المشروعات السياسية الجديدة والإيجابية .

٥ . القيام بدور رقابي على جميع مؤسسات المجتمع بما يضمن الحد الأدنى من الانحراف والفساد والكشف عن إساءة استخدام السلطة .

الخاتمة

يمتاز الإعلام الحكومي بدور مهم وكبير في البناء المعرفي للجمهور، إذ يعمل على تحقيق وظائفه المتمثلة بنشر الوعي والمعرفة بأهم القيم الديمقراطية والحقوق السياسية وتعزيزها لدى الجمهور بالشكل الذي يسهم في كسب الرأي العام وتنويره بما تعمل الحكومات على تحقيقه من إنجازات على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن الدعوة إلى تحقيق الإصلاح السياسي الذي يسهم في بناء الدولة وتحقيق دولة المواطنة التي تسعى إلى ترسيخ قيم المواطنة والانتماء لدى كل أطياف وفئات الجمهور المختلفة، بالاعتماد على النماذج الوظيفية للإعلام التي ترسم خريطة واضحة في إحداث التأثير لمن يستعين بها، بهدف صناعة مواطن واع قادر على اتخاذ القرار وممارسة حقوقه السياسية .

هوامش البحث

- ١ . ليندا لطاد وآخرون، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، تحرير عباس عائشة، رائجة زكسية (برلين: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٩) ص ٤٥
- ٢ . بركات عبد العزيز، منهج البحث الإعلامي (القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠١٢) ص ٦٨
- ٣ . عبد الملك الدناني، سامية أحمد هاشم (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠١٦) ص ٨٣
- ٤ . إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، مناهج وطرق البحث العلمي (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠) ص ٢٤
- ٥ . ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه (عمان: دار الفكر، ٢٠٠٩) ص ١٨٦

- ٦ . بسام عبد الرحمن الجرايدة، الإعلام وقضايا حقوق الإنسان (عمان: دار أسامة للنشر، ٢٠١٣) ص ٢٠٦ .
- ٧ . مصطفى عوفي، الطيب بلوصيف، الإعلام والتحول الديمقراطي، مجلة علوم الإنسان المجتمع، ع ٩، ٢٠١٤، ص ٨٧ .
- ٨ . فاروق أبو زيد، الإعلام والديمقراطية (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠١٠) ص ٣٧ .
- ٩ . نور علي الكنانسي، سيكولوجيا الاتصال السياسي، رؤية في محركات الاتصال الصراع، الفردي، المجتمعي (بابل: أبجد للترجمة والتوزيع، ٢٠٢٢) ص ٨١ .
- ١٠ . أحمد حسن السمان، الإعلام والسياسة، التسويق السياسي في القرن ٢١ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٨) ص ٨٥ .
- ١١ . سامية عبد اللاوي، الرأي العام وتأثيره على النظام السياسي، الجزائر نموذجاً (دبي: دار الكتاب الجامعي، ٢٠١٥) ص ١٢٩ .
- ١٢ . غبريال الموند، بنجهام باول، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر، نظرة عالمية، ترجمة: هشام عبد الله (عمان: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨) ص ٦٩ .
- ١٣ . أحمد سيف الإسلام، كريم خليل، تأصيل الحق في المعرفة كسلاح للدفاع عن حرية الرأي والتعبير (القاهرة: تأريخ ومكان النشر غير واضح) ص ٢٧ .
- ١٤ . حسين الزويني، زهراء كبة، حقوق الإنسان والإعلام بين تكاملية المعايير وانتقائية المضامين (عمان: دار أسامة للنشر، ٢٠١٥) ص ٨٤ .
- ١٥ . سليمان صالح، أخلاقيات الإعلام (الكويت: مكتبة الفلاح، ٢٠٠٣) ص ١٩١ .
- ١٦ . قنديل علي عبد المجيد، الإعلام وحقوق الإنسان (الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٨) ص ٢٢٢ .
- ١٧ . عيسى عبد الباقي، وسائل الإعلام والتحول الديمقراطي، دراسة في الأدوار المهنية والوظيفية (القاهرة: دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥) ص ٣٨ .
- ١٨ . عيسى عبد الباقي، مصدر سابق، ص ٤١ .
- ١٩ . أحمد السمان، مصدر سابق، ص ٩٧ .
- ٢٠ . عيسى عبد الباقي، المدخل الاجتماعي لوسائل الإعلام (القاهرة: دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٦) ص ٥٨ .
- ٢١ . عيسى عبد الباقي، وسائل الإعلام والتحول الديمقراطي، مصدر سابق ص ٤٨-٤٩ .
- ٢٢ . عقيل الخفاجي، الإعلام والإصلاح السياسي المنشود (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠١٥) ص ٤٩ .

قواعد البث الإعلامي في العراق (معرفة وتطبيق)

أ.م.د. منتهى هادي التميمي - م.م أحمد ستار العنزي

مؤسسة همم

جامعة بغداد-كلية الاعلام

المستخلص:

تناول هذا البحث المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة، ومدى تطبيقها من قبل القائم بالاتصال. وتتلخص مشكلة البحث بالسؤال: ما معرفة القائم بالاتصال بالمعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة، الصادرة عن هيئة الإعلام والاتصالات (٢٠١٩) ضمن لائحة قواعد البث الإعلامي؟ وما مدى مراعاته والتزامه بها؟. أما الأهمية الميدانية فتتجلى بإيجاد مقاربات موضوعية بين كل من محددات هيئة الإعلام والاتصالات وسياسة الوسيلة الإعلامية وقيم القائم بالاتصال على أساس حاجة الجمهور للحصول على صورة متوازنة ومعتدلة عن الأحداث، ويهدف البحث إلى توضيح اتجاهات القائم بالاتصال إزاء المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة، والتعرف على مدى اطلاع القائم بالاتصال على اللوائح والمدونات، وبيان الأسباب لعدم معرفته بتلك اللوائح وتطبيقها.

وقد اعتمد البحث دراسة القائم بالاتصال وفق المنهجية المسحية في البحوث الوصفية المختصة بدراسة أحوال مجتمع معين، وعليه فإن البحث شمل العاملين في الإذاعات العراقية والقنوات الفضائية المحلية والعربية والدولية الحاصلة على الترخيص الرسمي للعمل في العراق والبالغ عددهم (١٦٩) مبحوثاً.

ويمكن إجمال ما توصل إليه الباحث بما يأتي:

١. عدم علم القائم بالاتصال بوجود لوائح ومدونات خاصة بالمعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة عزز حالة التخبط والانحياز وأبعد الخطاب الإعلامي عن الدقة والشفافية في نقل المعلومات وتغطية الشؤون السياسية.

٢ . إن وجود الرصد الإعلامي وتسجيل المخالفات وأرشفة كل ما تبثه وسائل الإعلام المرخصة من خطاب يعنى بالشأن العراقي ، لم يحد بشكل كامل من تجاوزات القائم بالاتصال على المعايير العامة ؛ ذلك لنفوذ الجهات المالكة لوسائل الإعلام ، وضعف الإجراءات القانونية الرادعة .

The Extent of the Communicator's Knowledge and Application of the Rules' Iraqi Media Broadcasting

Prof. Dr.MuntahaHide Al-Tememe - Ahmed Star Al-Enzi

This research dealt with the general standards of audio-visual programs, and the extent of their application by the communicator. The research problem is summarized in the question: What is the knowledge of the person communicating with the general standards for audio-visual programs? Which issued by the Media and Communications Commission in 2019 within the list of media broadcasting rules, and What is the extent of his observance and commitment to it? As for the field importance, it is manifested by finding objective approaches between each of the determinants of the media and communications Commission, the policy of the media outlet, and the values of the communicator based on the public's need to obtain a balanced and moderate picture of the event. The person who contacts the regulations and codes, and explains the reasons for his lack of knowledge of these regulations and their application?

The research adopted the study of the communicator according to the survey methodology in descriptive research specialized in studying the conditions of a particular society, and accordingly, the research included workers in Iraqi radio stations, local, Arab, and international satellite channels that obtained the official license to work in Iraq, whose number is (169).

The researcher's findings can be summarized as follows:

The communicator's lack of awareness of the existing regulations and codes related to the general standards of audio-visual programs reinforced the state of confusion and bias and distanced the media discourse from accuracy and transparency in conveying information and covering political affairs.

The existence of media supervision, recording violations, and archiving all discourses broadcast by licensed media outlets concerned with Iraqi affairs did not completely limit the abuses of the caller on general standards; this is due to the influence of the media owners, and the weakness of deterrent legal procedure.

المقدمة

لعلّ عبارة عالم الاجتماع (Robert Merton) روبرت مارتن: «نحن لا نؤكد أن ما نقوله هو الحقيقة، لكنه على الأقل ذو معنى». ورد الأمبريقيين «نحن لا نؤكد أن ما نقوله ذو معنى، ولكن على الأقل موجود في الواقع» (سعودي، ٢٠١٦، صفحة ٢٨). يقربنا كثيراً من طريقة التعاطي بين هيئة الإعلام والاتصالات (الجهة المانحة لتراخيص البث)، والوسيلة الإعلامية، إذ تفرض الأولى الالتزام بلائحة قواعد البث الإعلامي بما تحويه من معايير تطبيقية تصل إلى حد المثالية في بعض فقرتها. بالمقابل تفرض الوسيلة الإعلامية بموجب سياستها إملاءات على القائم بالاتصال وإن كان بعضها يخالف لوائح ومدونات السلوك المهني. بينما يكون الإعلامي أمام مفترقات طرق، فهل يتنازل - مقابل انتمائه لمؤسسته - عن بعض اتجاهاته الخاصة؟، أم يكون قادراً على استخدام بعض السمات والمهارات لإحداث شيء من التوازن بين ما تفرضه لائحة قواعد البث الإعلامي من جهة، وما تلزمه به سياسة الوسيلة الإعلامية من جهة أخرى؟

وجاء هذا البحث بثلاثة مباحث، تضمّن الأول الإطار المنهجي للبحث. وقد تضمّن الثاني الدراسة النظرية للبحث. أما المبحث الثالث فإنه تضمّن الدراسة التطبيقية، من خلال عرض الجداول (وإيراد تصميم الأشكال بيانياً في الملاحق)، والتي أوضحت الخصائص والحقائق الديمغرافية لعينة الدراسة، وبينت معلومات المبحوثين بشأن المدونات، ولائحة

قواعد البث الإعلامي ، وركزت تلك الجداول والأشكال على اتجاهات المبحوثين إزاء مواد لائحة قواعد البث الإعلامي . وخلص البحث إلى قراءة في أبرز النتائج ، ليختتم بالاستنتاجات التي توصل إليها الباحث .

المبحث الأول: الإطار المنهجي للبحث

أولاً : مشكلة البحث وتساؤلاته

تتلخص مشكلة البحث بالممارسة العملية في المؤسسات الإعلامية وتواصله مع الجهات ذات العلاقة ، لذا يمكن صياغة المشكلة البحثية بالتساؤل الرئيس الآتي :

- ما طبيعة اتجاهات القائم بالاتصال بالمعايير العامة للبرامج المسموعة والمرئية وفق لائحة قواعد البث الإعلامي الصادرة عن هيئة الإعلام والاتصالات (٢٠١٩)؟

ثانياً : أهمية البحث

تطلق أهمية البحث من أهمية الدور الذي يشغله القائم بالاتصال واتجاهاته إزاء مراعاة المعايير والتوجيهات التطبيقية المنصوص عليها في اللائحة التي أقرها مجلس أمناء هيئة الإعلام والاتصالات بقراره المرقم (٨) بتاريخ (١٦ / ٥ / ٢٠١٩) .

وتمثل الأهمية العلمية في رفق البحث للمكتبة الإعلامية بدراسة علمية جديدة عن لائحة قواعد البث الإعلامي ، وتتجلى أهميته الميدانية بإيجاد مقاربات موضوعية بين كل من محددات هيئة الإعلام والاتصالات وسياسة الوسيلة الإعلامية وقيم القائم بالاتصال على أساس حاجة الجمهور للحصول على صورة متوازنة ومعتدلة عن الأحداث .

ثالثاً : أهداف البحث

تهدف الدراسة بشكل رئيس إلى معرفة طبيعة اتجاهات القائم بالاتصال إزاء المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة ، الصادرة عن هيئة الإعلام والاتصالات (٢٠١٩) ضمن لائحة قواعد البث الإعلامي ، فضلاً عن التعرف على مدى معرفة القائم بالاتصال بلوائح ومدونات البث الإعلامي .

رابعاً : منهج البحث ونوعه

تنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية التي تعطي تصوراً دقيقاً عن العلاقات لمتبادلة بين مجتمع ما واتجاهاته ، إزاء قضايا واقعية ، ولا يكتفي بوصفها فقط بل يتضمن الكثير من التقصي والتعبير عن حلول لها بشكل رياضي (كمي) لإعطاء مدلول علمي دقيق (القيم ، مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية ، ٢٠١٢ ، الصفحات ٩٩-١٠٢) ، وقد استخدم الباحث منهج المسح بالعينة لجمع المعلومات المرتبطة بالموضوع ميدانياً ومحاولة الحصول على إجابات دقيقة لتساؤلات البحث .

خامساً : حدود البحث ومجالاته

هنالك ثلاثة مجالات أساسية في البحث هي :

- ١ . زمانية : حدد الباحث المجال الزمني للفترة (١٣/٦-١٢/٧ / ٢٠١٩) ، وهي مدة إعداد استمارة الاستبيان وتوزيعها وجمعها وتحليل نتائجها .
- ٢ . مكانية : وتمثل الحدود المكانية بالإذاعات والقنوات الفضائية العراقية في بغداد والمحافظات ومكاتب القنوات الفضائية العربية والدولية في بغداد شرط حصولهم على رخصة للبث .
- أ . بشرية : وقد تحددت بالأفراد العاملين في الإذاعات والقنوات الفضائية ممن تنطبق عليهم صفة القائم بالاتصال وفق ما محدد في التعريف الإجرائي .

سادساً : إجراءات البحث عينته ومجتمعه

- أ . ويتمثل مجتمع البحث بالعاملين في مهام إعلامية في الإذاعات والقنوات الفضائية العراقية ومكاتب الفضائيات العربية والدولية الحاصلة على الترخيص .
- ب . عينة البحث : تم اختيار عينة عددها (٢٠٠) بمحوث بطريقة قصدية غرضية من الوسط الإعلامي ، ومن مختلف الصفات والمهن الإعلامية من العاملين في الإذاعات والفضائيات المرخصة في العراق ، وبعد توزيع استمارة الاستبانة عليهم تم استرجاع (١٧٨) استمارة ، أي هناك (٢٢) استمارة لم تتم إعادتها . واستُبعدت (٩) استمارات لعدم اكتمال ملء الحقول فيها ، وبذلك يكون مجموع الاستمارات

التي خضعت لإجراء الدراسة هي (١٦٩) استمارة فقط وفق النظام الإحصائي المتقدم (SPSS).

١. المقابلة: اعتمد الباحث المقابلة العلمية، سواء بهدف الحصول على معلومات معمقة عن كيفية الاتفاق بين الهيئة والمؤسسة الإعلامية حول تطبيق قواعد البحث الإعلامي.

٢. استمارة الاستبيان: تضمنت (٤٢) سؤالاً بالصيغ الثلاث (الأسئلة المفتوحة، المغلقة المفتوحة والمغلقة)، جرى معالجتها إحصائياً، وقد توزعت على تسعة محاور فبعد المعلومات الديمغرافية لعينة البحث، اشتمل المحور الأول على معلومات المبحوثين بشأن المدونات ولائحة قواعد البحث الإعلامي. أما المحاور الثمانية الأخرى فقد تمحور تحول التساؤل الرئيس للبحث، وفقاً لما نصت عليه المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة.

٣. المقياس: تم استخدام مقياس ثلاثي لقياس اتجاهات القائمين بالاتصال، وهو ما استقر عليه رأي الخبراء والمحكمين، إذ اشتمل المقياس على البدائل التالية:

- (جوهرية) قابل للتطبيق - (شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما - غير قابل للتطبيق

ت. الصدق والثبات: اعتمدت الباحثة على الصدق الظاهري، إذ تم عرض استمارة الاستبانة على تسعة خبراء في مجال الاختصاص لغرض الحكم على صلاحيتها للتطبيق، وبعد إجراء التعديلات عليها كانت نسبة الاتفاق بشأن تلك الاستمارة (٩٥, ٨٩٪) وهي نسبة جيدة جداً من الاتفاق (*).

أما احتساب الثبات فقد استعان الباحث بطريقة التجزئة النصفية للتأكد من وجود درجة عالية من الاتساق الداخلي يهدف للوصول إلى الاتفاق في النتائج، حيث تم استخدام استمارات أفراد العينة كافة والبالغ عددها (١٦٩) وتم تقسيم فقرات المقياس البالغ عددها (٤٢) فقرة إلى نصفين، يضم الأول الفقرات الزوجية ويضم الثاني الفقرات الفردية، وتم استخراج معامل ارتباط بيرسون بين درجات النصفين فبلغ (٧٩, ٠) وباستخدام معادلة

سبيرمان براون التصحيحية بلغ معامل الثبات بهذه الطريقة (٠,٩١) وهذا يعد معامل ثبات عالياً يتسم بالاستقرار.

ثامناً : تحديد المفاهيم والمصطلحات :

١ . الاتجاه : هو حالة من الاستعداد أو التأهب النفسي والعصبي تنظم من خلال خبرة الفرد وتكون ذات تأثير توجيهي أو ديناميكي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثيرها هذه الاستجابة . ويعرفه آخرون بأنه استعداد أو تهيؤ عقلي عصبي متعلم للاستجابة الموجبة أو السالبة نحو أشخاص أو أشياء أو موضوعات أو مواقف أو رموز في البيئة التي تستثير هذه الاستجابة (المعاينة، ٢٠١٠، صفحة ١٦٤).

٢ . القائم بالاتصال :

يعرف محمد عبد الحميد القائم بالاتصال على أنه الشخص الذي يبدأ عملية الاتصال بإرسال الفكرة، أو الرأي، أو المعلومات من خلال الرسالة التي يقوم بإعدادها (عبد الحميد، ٢٠٠٤، صفحة ٢٩). ويعرفه (حسن مكاوي) بأنه الشخص الذي يبدأ الحوار بصياغة أفكاره في رموز تعبر عن المعنى الذي يقصده (هذه الرموز تكوّن الرسالة التي يوجهها القائم بالاتصال إلى جمهور معين) (مكاوي والسيد، ١٩٩٨، صفحة ٤٤).

ويقصد بالقائم بالاتصال - إجرائياً - هو أي شخص أو فريق منظم يرتبط مباشرة بنقل المعلومات عبر الوسيلة الإعلامية، أو أي فرد آخر له علاقة بتسيير أو مراقبة نشر الرسائل إلى الجمهور عبر الوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية. وهم العاملون في الإذاعات والفضائيات العراقية والعربية والأجنبية المرخصة.

تاسعاً : الدراسات السابقة

لم يسبق أبداً أن تم تناول موضوع البحث مباشرة وهو [اتجاهات القائم بالاتصال إزاء لائحة قواعد البث الإعلامي (المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة)] لكن هناك عدداً من الدراسات لها صلة غير مباشرة، ومن بينها الآتي :

أ. دراسة أوسم ماجد غانم البومحمد (البومحمد، ٢٠١٧) (تطبيق معايير خدمة البث العام في شبكة الإعلام العراقي - دراسة على عينة من نشرات الأخبار) وهي رسالة ماجستير قدمت عام ٢٠١٧ في جامعة بغداد، كلية الإعلام مشكلة الدراسة تلخصت بالسؤال: هل تطبق الشبكة معايير خدمة البث العام. وقد خلصت الدراسة إلى أن مفهوم «خدمة البث العام» بعيد عن معرفة العاملين في شبكة الإعلام العراقي وهو غير واضح، وأن العاملين لا يميزون على وفق أي أنموذج تعمل مؤسساتهم وما هي واجباتها. كما بينت الدراسة أن العاملين يتعرضون لضغوطات متنوعة ومراقبات سياسية تؤثر في عملهم. ولا تتوفر لديهم معايير إرشادية كافية تناسب تطلعات الجمهور المحلي من وسيلتهم وتميزها بين الوسائل الأخرى.

ب. دراسة لقاء مكي العزاوي (العزاوي، ١٩٩٥) (حارس البوابة في الصحافة العراقية - دراسة حول القائمين بالأخبار) وهي أطروحة دكتوراه قدمت عام (١٩٩٥) في جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام، وقد بحثت الدراسة الظروف والآليات التي تخضع لها عملية حراسة البوابات الإعلامية في الصحافة العراقية في حقل الأخبار تحديداً، والمعايير التي يستند إليها القائمون بالأخبار عند اتخاذ قرارات النشر أو الإهمال، واستنتجت أن المعايير التي تصلح للنشر هي المعايير السياسية الدعائية وبنسبة مقدارها (٦٦، ٥٤٪)، وأن عمليات انتقاء الأخبار في الصحافة العراقية، يحكمها هاجس التقييد بالنهج السياسي للدولة.

ت. دراسة السيد بخيت (هاشم، ٢٠٠٦، صفحة ٢٠، ١٩) (العمل الصحفي في مصر، دراسة سسيولوجية للصحفيين المصريين) والكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة القاهرة كلية الإعلام، ويعنى برصد العوامل المشكلة لبيئة العمل الصحفي في مصر وتحليلها من حيث الضغوط المؤثرة على الصحفيين المصريين والعوامل التنظيمية للعمل الصحفي، والخصائص الثقافية والاجتماعية للصحفيين مجال البحث، وقدم الباحث أنموذجاً تصورياً للقوى الاجتماعية والإيديولوجية والتنظيمية والسيكولوجية التي تؤثر على اختيار القائمين بالاتصال للمضمون الإعلامي، وعلى ستة مستويات منها: المستوى الدولي، المستوى الاجتماعي الإيديولوجي، المستوى التنظيمي لوسائل الإعلام كمنظمات لها أهدافها وبنائها

الداخلية، وتركيباتها الإدارية، ومعاييرها المؤسسية، المستوى الروتيني والمستوى الفردي.

المبحث الثاني: القائم بالاتصال ولائحة قواعد البث الإعلامي

(المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة)

الصادرة عن هيئة الإعلام والاتصالات (٢٠١٩)

أولاً: سياسة الوسيلة والقائم بالاتصال :

ليس هنالك خلاف حول تأثير سياسات المؤسسة على القائم بالاتصال ورؤيته للأحداث والوقائع وتفسيره لها. لأن هذا التأثير لن يحدث نتيجة علاقات العمل فقط، ولكنه يكون نتيجة لآليات الانتماء والعمل والعلاقات والتنظيم داخل المؤسسة، التي تطبع الفرد بطابع المؤسسة وأهدافها وسياستها. بل إن هذه الآليات يمكن أن تصل إلى مستوى الضبط لما يتناوله القائم بالاتصال أو يتجنبه من أفكار أو موضوعات أو تفسير للوقائع والأحداث (عبد الحميد، ٢٠٠٤، صفحة ٤٥٦، ٤٥٧). إن هذه العلاقة تعطي صورة واضحة عن الاقتراب الانتقائي من المعلومات، وتجعل القائم بالاتصال ينفذ سياسة المؤسسة الإعلامية بغض النظر إن كانت تراعي المعايير التطبيقية في لائحة قواعد البث الإعلامي أم لا. من هنا تبرز ضرورة الاهتمام بالقائم بالاتصال في شتى جوانب الممارسة الإعلامية بما يعزز الحفاظ على توازن اتجاهاته المهنية.

إن حراسة البوابة هي العملية التي يتم فيها تعرض عدد هائل من الرسائل الإعلامية للغرلة والتشكيل حتى تصل في النهاية إلى عدد محدود من الرسائل يتم توصيلها عبر وسائل الإعلام، ويقصد بحراسة البوابة في غرف الأخبار، الاختيار بين عدد هائل من الموضوعات والصور للوصول إلى المحتوى الذي يمثل الحجم المطلوب للأخبار في المؤسسة الإعلامية، ويمكن اعتبار عملية حراسة البوابة بأنها إعادة بناء الهيكل الجوهري للحدث، وتحويله إلى رسالة إعلامية (مكاوي والسيد، ١٩٩٨، الصفحات ١٧٣-١٨٤).

ثانياً: لائحة قواعد البث الإعلامي

استناداً إلى قانون هيئة الإعلام والاتصالات في جمهورية العراق، تعد هيئة الإعلام والاتصالات المنظم الحصري والمستقل لقطاع البث والإرسال والاتصالات السلكية واللاسلكية والمعلوماتية ووسائل الإعلام في العراق وإجازتها.

تستند هذه اللائحة إلى مبدأ احترام حرية التعبير، كما نصت عليها الفقرة أولاً من المادة (٣٨) من الدستور العراقي، والمادة (١٩) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، والمادة (١٩) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وتهدف القواعد التي تحتويها هذه اللائحة في الوقت نفسه إلى ترسيخ هدف الإنصاف والدقة والتوازن واللياقة وعدم التمييز ونشر القيم الحضارية والإنسانية المستشفة من مبدأ الحرية وحقوق الإنسان وأولوية المصلحة العامة. تهدف الهيئة من خلال هذه اللائحة إلى تنظيم أشكال التعبير بما لا يسمح بالتحريض على العنف أو الكراهية واللاتسامح العرقي أو القومي أو الديني أو الفكري وكل ما يؤدي إلى تغذية النزاعات والصراعات وصنع الأزمات في الإعلام المرئي والمسموع.

تضم اللائحة وصفاً عاماً للمبادئ والقواعد الأساسية الملزمة لجميع الجهات الإعلامية المرخصة من قبل الهيئة، إضافة إلى شرح مفصل لكيفية تطبيقها. وتلتزم جميع الجهات الإعلامية المرخصة بالمبادئ وبطرق تطبيقها. إلا أن التغطية الإعلامية والأوضاع العامة في البلد تواجه تغييرات مستمرة ولا يمكن للهيئة أن تغطي جميع التطبيقات لهذه المبادئ، لذا فالهيئة تؤكد على ضرورة الالتزام بالمبادئ وروحها حتى وإن لم تضع توجيهات تطبيقية لها، وستتابع الهيئة أداء الجهات الإعلامية المرخصة وتحاسبها على ضوء المبادئ.

تخضع هذه اللائحة وخاصة التوجيهات التطبيقية لها لمتابعة الهيئة في ضوء الظروف المتغيرة ويحق للهيئة تعديلها أو الإضافة عليها كما تراه مناسباً وفي هذه الحالات ستواصل الهيئة مع الجهات الإعلامية المرخصة لتزويدهم بالنص المعدل.

تلتزم الهيئة بمبادئ الموضوعية والشفافية وعدم التمييز في تعاملها مع الجهات الإعلامية المرخصة وفقاً لصلحياتها في اتخاذ الإجراءات المناسبة ووفقاً لجسامة الخرق المرتكب. وتفترض الهيئة التزام الجهات الإعلامية المرخصة بجميع القوانين النافذة أو التي تُقر لاحقاً وخصوصاً تلك المتعلقة بالإعلام (لائحة قواعد البث الإعلامي، ٢٠١٩، صفحة ٤).

ثالثاً : المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة

وردت تسعة أبواب في لائحة قواعد البث الإعلامي الصادرة عن هيئة الإعلام والاتصالات، احتوى الباب الثاني منها على ثمان مواد من المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة، وهو الباب الأكبر في اللائحة، إذ ستتم استبانة رأي العاملين في الفضائيات والإذاعات حول مدى معرفتهم بهذه التوجيهات وتطبيقها في عملهم. انظر (لائحة قواعد البث الإعلامي، ٢٠١٩، الصفحات ٤-٢٢).

- ١ . منع التحريض على العنف والكراهية .
- الحفاظ على السلم الأهلي والأمن الوطني .
- تغطية أعمال العنف والاضطرابات وقضايا الأمن الوطني .
- ٢ . اللياقة والآداب والذوق العام .
- ٣ . المواد الكاذبة والباطلة .
- ٤ . الدقة والنزاهة والشفافية في نقل المعلومات .
- تغطية الشؤون السياسية والحكومية .
- ٥ . مراعاة حق الخصوصية في التغطية الإعلامية .
- ٦ . المواد والبرامج الدينية .
- ٧ . حق طرح الرأي مع عدم المشاركة في التضليل أو التشهير .
- ٨ . الفواصل والإعلانات .

رابعاً : هيئة الإعلام والاتصالات

أ- النشأة والتطور: ولدت فكرة إنشاء هيئة الإعلام والاتصالات خلال مؤتمر دولي عقد في العاصمة اليونانية أثينا في (حزيران ٢٠٠٣). فقد اعتمد المؤتمر إطاراً وثائقياً لإصلاح الإعلام العراقي، وعرف لاحقاً بـ (إطار أثينا) والذي شكل الأساس لقانون إنشاء الهيئة بعد التشاور مع مجلس الحكم العراقي آنذاك واختصاصيين عراقيين في قطاعي الإعلام والاتصالات (قراءة أولية في القوانين العراقية المتعلقة بوسائل الإعلام وحرية التعبير والاتصالات، توجيهات عامة، ٢٠٠٤، ٢٠٠٩، صفحة الغلاف الأخير).

تأسست الهيئة بموجب الأمر (٦٥) لسنة (٢٠٠٤) النافذ، وتعد الهيئة الأولى من نوعها في الشرق الأوسط من ناحية التنظيم المتداخل بين قطاعي الإعلام والاتصالات، وهي هيئة مستقلة ماليًا وإداريًا ترتبط بمجلس النواب وحسب المادة (١٠٣/ثانيًا) من دستور جمهورية العراق (الخطة الإستراتيجية للسنوات الأربع ٢٠١٥-٢٠١٨، صفحة ٣)، مهمتها تنظيم وتطوير الإعلام والاتصالات في العراق ضمن المعايير الدولية الحديثة عبر منح التراخيص للقنوات الإذاعية والتلفزيونية والفضائية، من أجل تنظيم سياسة إعلامية تهدف إلى ضمان عمل المحطات المرخصة على إشاعة المفاهيم الديمقراطية في حرية الرأي والتعبير الملتزم والخطاب المهني. وضرورة أن تتحمل مسؤولية أداؤها، وتسعى الهيئة إلى التأكد من عدم تقاطع برامجها مع المعايير التي وضعتها في لائحة تراخيص تشترط الموافقة عليها قبل منح الترخيص، يأتي في مقدمتها رصانة المادة المنقولة إلى المتلقي واحترام التنوع العرقي والثقافي والديني والدقة والإنصاف وعدم التحيز.

ب- منح تراخيص البث: وضعت الهيئة عن طريق قسم التراخيص ووفق استمارات خاصة أعدت لهذا الغرض الأسس والضوابط التي تتطلبها عملية الحصول على ترخيص فيما يخص المحطات الإذاعية أو القنوات التلفزيونية الأرضية أو الفضائية، وحدد قسم التراخيص الخطوات المطلوب اتخاذها من أجل هذه الغاية (<http://www.cmc.iq/>، ar-iq، ٢٠١٩).

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية

نتائج استبانة القائم بالاتصال في الإذاعات والقنوات الفضائية

يتضمن هذا الفصل ترتيب وتحليل معلومات الاستبانة لغرض معرفة [اتجاهات القائم بالاتصال إزاء لائحة قواعد البث الإعلامي (المعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة)]، الصادرة عن هيئة الإعلام والاتصالات (٢٠١٩)، إذ أجرت الباحثة استبياناً مكوناً من (٤٢) سؤالاً موزعاً على تسعة محاور، وتم توزيع (٢٠٠) استمارة اعتمدت منها (١٦٩) استمارة

بعد إهمال (٩) استمارات، و(٢٢) استمارة لم تعد. وبعد المعالجة الإحصائية للإجابات وفق النظام الإحصائي المتقدم (SPSS)، كانت النتائج كالآتي:

أولاً: الخصائص والحقائق الديمغرافية لعينة الدراسة

١- النوع الاجتماعي:

جدول (1) المبحوثون حسب متغير النوع الاجتماعي			
ت	الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
١	ذكر	١١٨	٦٩,٨٪
٢	أنثى	٥١	٣٠,٢٪
	المجموع	١٦٩	١٠٠٪

توزعت عينة الدراسة إلى (١١٨) مبحوثاً من الذكور وبنسبة (٦٩,٨٪). و (٥١) من الإناث وبنسبة (٣٠,٢٪). كما موضح في الجدول والشكل * رقم (١).

٢- الوظيفة أو الصفة الإعلامية

جدول (2) المبحوثون حسب الوظيفة أو الصفة الإعلامية				
ت	الوظيفة الإعلامية	التكرارات	النسبة المئوية	المرتبة
١	مقدم / مذيع	٧٦	٤٥٪	١
٢	معد / محرر	٢٨	١٦,٦٪	٢
٣	مدير قسم	٢٣	١٣,٦٪	٣
٤	مندوب / مراسل	٢٣	١٣,٦٪	٣ مكرر
٥	مدير عام أو بدرجته	٨	٤,٧٪	٤
٦	مدير إذاعة / تلفزيون	٨	٤,٧٪	٤ مكرر
٧	منتج / برديوسر	٣	١,٨٪	٥
	المجموع	١٦٩	١٠٠٪	--

يتبين من خلال الجدول والشكل (٢) أن وظيفة (مقدم / مذيع) جاءت أولاً بعدد (٧٦) مبحوثاً، وبنسبة (٤٥٪). وجاءت ثانياً (معد / محرر) بعدد (٢٨)، وبنسبة (١٦,٦٪).

وتشاركت في ثالثاً (مدير قسم)، و (مراسل) بعدد (٢٣) مبحوثاً لكل وظيفة، وبنسبة (٦, ١٣٪). وأيضاً تشاركت في رابعاً (مدير عام أو بدرجته) و (مدير إذاعة أو مدير قناة فضائية) بعدد (٨) وبنسبة (٧, ٤٪). وفي خامساً جاءت (منتج النشرة الاخبارية أو برديوسر البرامج) بعدد (٣) مبحوثين وبنسبة (٨, ١٪). ولم تظهر وظيفة (الفاحص) في العينة رغم تحديدها من قبل الخبراء عند تحكيم الاستبانة.

٣- نوع المؤسسة الإعلامية:

جدول (3) المبحوثون حسب نوع المؤسسة الإعلامية			
ت	الوسيلة الإعلامية	التكرارات	النسبة المئوية
١	قناة فضائية	١٣٤	٧٩, ٣٪
٢	إذاعة	٣٥	٢٠, ٧٪
	المجموع	١٦٩	١٠٠٪

إن عدد العاملين في الإذاعات (٣٥) وبنسبة (٧, ٢٠٪). وعدد العاملين في القنوات الفضائية (١٣٤) مبحوثاً وبنسبة (٣, ٧٩٪). وهذا ما يوضحه الجدول والشكل (٣).

ثانياً: معلومات المبحوثين بشأن مدونات السلوك المهني

١- مدى الاطلاع على المدونات:

جدول (4) اطلاع المبحوثين على المدونات			
ت	الاطلاع	التكرارات	النسبة المئوية
١	نعم	١٠٨	٦٣, ٩٪
٢	لا	٦١	٣٦, ١٪
	المجموع	١٦٩	١٠٠٪

تبين من خلال الجدول والشكل (٧) أن النسبة الأعلى من المبحوثين مطلعين على مدونات السلوك المهني وعددهم (١٠٨)، وبنسبة (٩, ٦٣٪). مقابل (٦١) مبحوثاً لم يطلعوا عليها، ونسبتهم (١, ٣٦٪).

ثالثاً: اتجاهات المبحوثين إزاء التطبيقات العملية للمعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة

١. منع التحريض على العنف والكراهية

جدول (5) ضمان منع التحريض على العنف والكراهية			
التطبيقات العملية	الاستجابات	التكرارات	النسبة المئوية
عدم بث أو إعادة بث مواد تهدد السلم الأهلي أو تحرض بشكل مباشر على الإخلال بالأمن العام، مواد تروج لأي شكل من أشكال الإرهاب، أو لأي جماعة تمارس، أو تشجع، على ممارسة العمليات الإرهابية، أو النشاطات الإجرامية، أو تحرض على الاعتداء على الممتلكات العامة أو الخاصة.	(جوهري) قابل للتطبيق	68	63%
	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	31	28.7%
	غير قابل للتطبيق	9	8.3%
المجموع			
عدم بث مواد تشكل تهديداً للنظام الديمقراطي في العراق، أو تساهم في تعطيل الانتخابات أو غيرها من الممارسات الديمقراطية التي كفلها الدستور العراقي.	(جوهري) قابل للتطبيق	64	59.3%
	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	32	29.6%
	غير قابل للتطبيق	12	11.1%
المجموع			
عدم بث مواد تمجد الجرائم على جميع أشكالها وصورها، أو إلى إشعال فتنة مجتمعية والانتباه بشكل خاص إلى الخطب والتصريحات التي تصدر عن شخصيات سياسية أو دينية أو عشائرية أو إعلامية تحرض الجمهور على العنف.	(جوهري) قابل للتطبيق	69	63.9%
	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	30	27.8%
	غير قابل للتطبيق	9	8.3%
المجموع			
100% 108			

66.7%	72	(جوهرية) قابل للتطبيق	على مقدمي البرامج والأخبار قطع أي تصريح من أي فرد، مهما كان منصبه، يحرض فيه على القتل أو العنف أو الإساءة إلى الرموز المقدسة للطوائف الدينية أو يحرض على الكراهية والتعليقات المثيرة التي تتسم بالغضب أو التهديد أو الدعوات للانتقام
25%	27	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
8.3%	9	غير قابل للتطبيق	
100%	108	المجموع	

• التطبيقات العملية لضمان منع التحريض على العنف والكراهية: أكدت هيئة الإعلام والاتصالات في لائحة قواعد البث الإعلامي على منع التحريض على العنف أو استعمال صيغ تعبيرية تثير الكراهية بأنواعها كافة، وكالاتي:

أ. عدم بث أو إعادة بث مواد تهدد السلم الأهلي أو تحرض بشكل مباشر على الإخلال بالأمن العام، مواد تروج لأي شكل من أشكال الإرهاب، أو لأي جماعة تمارس، أو تشجع، على ممارسة العمليات الإرهابية، أو النشاطات الإجرامية، أو تحرض على الاعتداء على الممتلكات العامة أو الخاصة. وجاءت استجابات الإعلاميين بعدد (٦٨) من مجموع (١٠٨) وبنسبة (٦٣٪) بأنها (جوهرية) وقابلة للتطبيق. بينما رأى (٣١) منهم، وبنسبة (٢٨,٧٪) بأنها (شكلي) ويمكن تطبيقها إلى حد ما. وانخفض عدد الذين يرونها (غير قابلة للتطبيق) إلى (٩) إعلاميين، وبنسبة (٨,٣٪).

ب. عدم بث مواد تشكل تهديداً للنظام الديمقراطي في العراق، أو تساهم في تعطيل الانتخابات أو غيرها من الممارسات الديمقراطية التي كفلها الدستور العراقي. فقد تصاعدت تكرارات قابلية التطبيق (جوهرية) إلى (٦٤) تكراراً، وبنسبة (٥٩,٣٪). في حين جاءت تكرارات إمكانية التطبيق إلى حد ما (شكلي) بواقع (٣٢) تكراراً، وبنسبة (٢٩,٦٪). بينما تناقضت اتجاهات البعض بأنها (غير قابلة للتطبيق) لتبلغ (١٢) تكراراً، وبنسبة (١١,١٪).

ت. عدم بث مواد تمجد الجرائم على جميع أشكالها وصورها أو تعرضها بطريقة قد تغري أو تشجع على إعادة ارتكابها، أو إلى اشعال فتيل فتنة مجتمعية أو

التسبب باستهداف أحد الأفراد أو الجماعات والانتباه بشكل خاص إلى الخطب والتصريحات التي تصدر عن شخصيات سياسية أو دينية أو عشائرية أو إعلامية تحرض الجمهور على العنف . جاءت الاستجابات (جوهرية) وقابلة للتطبيق ، بعدد تكرارات (٦٩) فردًا، ونسبة (٦٣, ٩)٪. وهناك من يطبقها إلى حد ما على أنها (شكلية) وهم (٣٠) إعلاميًا ، بنسبة (٢٧, ٨)٪. وقد ذهب تسعة إعلاميين إلى عدم قابليتها للتطبيق ، وكانت نسبتهم (٨, ٣)٪.

ث . على مقدمي البرامج والأخبار قطع أي تصريح من أي فرد، مهما كان منصبه ، يحرض فيه على القتل أو العنف أو الإساءة إلى الرموز المقدسة للطوائف الدينية أو يحرض على الكراهية والتعليقات المثيرة التي تتسم بالغضب أو التهديد أو الدعوات للانتقام أو الأخذ بالثأر . أكد (٧٢) من الإعلاميين على ضرورة تطبيقها كونها (جوهرية) وبنسبة بلغت (٦٦, ٧)٪. وذهب (٢٧) منهم إلى إمكانية تطبيقها إلى حد ما ، واعتبروها معاييرًا (شكلية) وبلغت نسبتهم (٢٥)٪. وذهب عدد قليل إلى عدم قابلية تطبيقها ، وهم تسعة إعلاميين بنسبة (٨, ٣)٪.

٢ . تغطية أعمال العنف والاضطرابات وقضايا الأمن الوطني

جدول (٨) تغطية أعمال العنف والاضطرابات وقضايا الأمن الوطني			
النسبة المئوية	التكرارات	الاستجابات	التطبيقات العملية
60.2%	65	(جوهرية) قابل للتطبيق	على كافة الجهات الإعلامية المرخصة أن لا تبث رسائل الجماعات الإرهابية بشكل مباشر أثناء معالجة أزمة أمنية أو غيرها والامتناع عن الإشارة إلى المصادر الخاصة بالجماعات الإرهابية، أو اعتمادها كمصادر لنقل الأخبار لا سيما تلك التي تروج لعملياتهم الإرهابية.
32.4%	35	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
7.4%	8	غير قابل للتطبيق	
100%	108	المجموع	
64.8%	70	(جوهرية) قابل للتطبيق	الابتعاد عن بث أخبار تكشف تحركات القوات الأمنية أثناء الاشتباكات نظرًا لما توفره من معلومات للجهات الإجرامية قد تستغلها لصالحها، وبالتالي تزيد من صعوبة مهمة القوات الأمنية.
26.9%	29	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
8.3%	9	غير قابل للتطبيق	

100%	108	المجموع	
53.7%	58	(جوهري) قابل للتطبيق	تتجنب القنوات بث مقاطع مصورة من عمليات الاختطاف أو احتجاز الرهائن؛ لأن مثل هذه التغطية تعد تشجيعاً لنشاطات تلك الجماعة وتشجيعاً لخطف المزيد من الأفراد إضافة إلى ما قد يسببه عرض هذه المشاهد من جرح لمشاعر ذوي الضحايا.
37%	40	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
9.3%	10	غير قابل للتطبيق	
100%	108	المجموع	

● تغطية أعمال العنف والاضطرابات وقضايا الأمن الوطني: أكدت الهيئة أن التغطية من مسؤولية إدارات الوسائل الإعلامية المرخصة لا سيّما عند نقل الأحداث التي قد يؤدي استخدام لغة عاطفية فيها إلى إشعال أعمال عنف أو اقتتال بين فئات المجتمع أو طوائفه والعمل وفق الآتي:

أ. على الجهات الإعلامية المرخصة كافة، أن لا تبث رسائل الجماعات الإرهابية بشكل مباشر أثناء معالجة أزمة أمنية أو غيرها والامتناع عن الإشارة إلى المصادر الخاصة بالجماعات الإرهابية، أو اعتمادها كمصادر لنقل الأخبار لا سيّما تلك التي تروج لعملياتهم الإرهابية. وجاءت جوهريّة وقابلة للتطبيق من قبل (٦٥) مبحوثاً، ونسبتهم (٢, ٦٠٪). وجاءت شكلية وقابلة للتطبيق إلى حد ما من قبل (٣٥) مبحوثاً، ونسبتهم (٤, ٣٢٪). وبخلافهم كانت غير قابلة للتطبيق من ثمانية مبحوثين ونسبتهم (٤, ٧٪).

ب. الابتعاد عن بث أخبار تكشف تحركات القوات الأمنية أثناء الاشتباكات نظراً لما توفره من معلومات للجهات الإجرامية قد تستغلها لصالحها، وبالتالي تزيد من صعوبة مهمة القوات الأمنية. وقد رأى (٧٠) إعلامياً أنها جوهريّة وقابلة للتطبيق، ونسبتهم (٨, ٦٤٪). واستجاب (٢٩) إعلامياً على أنها شكلية ويمكن تطبيقها إلى حد ما، ونسبتهم (٩, ٢٦٪). بينما اختلف معهم تسعة إعلاميين كونها غير قابلة للتطبيق، ونسبتهم (٣, ٨٪).

ت. تتجنب القنوات بث مقاطع مصورة من عمليات الاختطاف أو احتجاز الرهائن لأن مثل هذه التغطية تعد تشجيعاً لنشاطات تلك الجماعة وتشجيعاً لخطف المزيد من الأفراد إضافة إلى ما قد يسببه عرض هذه المشاهد من جرح لمشاعر ذوي

الضحايا . وقد استجاب الإعلاميون كونها جوهرية وقابلة للتطبيق بعدد (٥٨) مبحوثاً، ونسبة (٧, ٥٣٪). وشكلية وقابلة للتطبيق إلى حد ما، عددهم (٤٠)، ونسبة (٣٧٪). وغير قابلة للتطبيق من قبل (١٠) مبحوثين ونسبة (٣, ٩٪). وهذا ما يتبين من خلال الشكل (١٢) والجدول الملحق .

جدول (٩) الحفاظ على اللياقة والآداب العامة			
النسبة المئوية	التكرارات	الاستجابات	التوجيهات التطبيقية
76.9%	83	(جوهري) قابل للتطبيق	تمتع المؤسسة عن بث مواد لا تراعي مشاعر ذوي الاحتياجات الخاصة، أو تنتقص من إعاقاتهم بطريقة قد تؤدي إلى الانتقاص منهم، أو الاستهانة بهم، أو تعيق عملية اندماجهم في المجتمع .
18.5%	20	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
4.6%	5	غير قابل للتطبيق	
100%	108	المجموع	
72.2%	78	(جوهري) قابل للتطبيق	مواد أو افلام أو مسلسلات أو أي برامج درامية أو ترفيهية أو أغان تحتوي على مشاهد أو حوارات إباحية فاضحة مخلة بالآداب أو خادشة بشكل واضح للحياء أو الذوق .
17.6%	19	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
10.2%	11	غير قابل للتطبيق	
100%	108	المجموع	
70.4%	76	(جوهري) قابل للتطبيق	مواد تؤدي مشاعر مكونات النسيج الاجتماعي العراقي بفئاته الدينية والقومية، وخصوصاً تلك التي تحوي مواد تنتقص من ذلك المكون أو المجموعة على أساس الدين، أو القومية، أو المذهب، أو الطائفة، أو اللغة، أو اللهجة الدارجة، أو اللون، أو الانتماء المناطقي .
19.4%	21	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
10.2%	11	غير قابل للتطبيق	
100%	108	المجموع	

66.7%	72	(جوهرية) قابل للتطبيق	تلتزم الجهات الإعلامية المرخصة احترام جميع فئات المجتمع وأذواقه المختلفة من خلال تحذير الجمهور قبيل بث برامج قد تحتوي على مشاهد عنف أو إيحاءات أو مشاهد حميمة أو أي محتوى قد يعد غير مقبول من بعض فئات المجتمع أو مواد تروج بصورة مباشرة أو غير مباشرة للتدخين أو المخدرات أو المشروبات الكحولية أو أعمال الشعوذة والدجل .
27.8%	30	(شكلية) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
5.6%	6	غير قابل للتطبيق	
100%	108	المجموع	

ثالثاً: الحفاظ على اللياقة والآداب والذوق العام: أكدت الهيئة ضرورة الالتزام بمعايير اللياقة والآداب والذوق العام في مضمون برامج وسائل الإعلام وأوقات بثها. وعدم بث مواد تتضمن:

أ. تمتنع المؤسسة عن بث مواد لا تراعي مشاعر ذوي الاحتياجات الخاصة، أو تنتقص من اعاقاتهم بطريقة قد تؤدي إلى الانتقاص منهم، أو الاستهانة بهم، أو تعيق عملية اندماجهم في المجتمع. واستجاب (٨٣) إعلامياً بقبالية تطبيق هذا المعيار (جوهرية)، ونسبتهم (٩, ٧٦٪). واستجاب (٢٠) إعلامياً بمستوى أقل، (شكلية) يمكن تطبيقه إلى حد ما، ونسبتهم (٥, ١٨٪). وخالفهم خمسة إعلاميين، غير قابل للتطبيق، ونسبتهم (٦, ٤٪).

ب. مواد أو أفلام أو مسلسلات أو أي برامج درامية أو ترفيهية أو أغان تحتوي على مشاهد أو حوارات إباحية فاضحة مخلة بالآداب أو خادشة بشكل واضح للحياء أو الذوق. جاء (جوهرية) قابل للتطبيق بنسبة (٢, ٧٢٪)، وبتكرار (٧٨) مبحوثاً. ويمكن تطبيقه إلى حد ما (شكلية) بنسبة (٦, ١٧٪)، وبتكرار (١٩) مبحوثاً. وغير قابل للتطبيق بنسبة (٢, ١٠٪)، وتكرار (١١) مبحوثاً.

ت. مواد تؤدي مشاعر مكونات النسيج الاجتماعي العراقي بفئاته الدينية والقومية، وخصوصاً تلك التي تحوي مواد تنتقص من ذلك المكون أو المجموعة على أساس الدين، أو القومية، أو المذهب، أو الطائفة، أو اللغة، أو اللهجة الدارجة، أو اللون، أو الانتماء المناطقي. ومثلت نسبة (٤, ٧٠٪) وبتكرار (٧٦) مبحوثاً، جوهرية قابل للتطبيق. ونسبة (٤, ١٩٪) وبتكرار (٢١) مبحوثاً، شكلية يمكن

تطبيقه إلى حد ما . ونسبة (٢, ١٠٪) وبتكرار (١١) مبحوثا، استجابتهم سلبية غير قابل للتطبيق .

ث . تلتزم الجهات الإعلامية المرخصة احترام جميع فئات المجتمع وأذواقه المختلفة من خلال تحذير الجمهور قبيل بث برامج قد تحتوي على مشاهد عنف أو إيحاءات أو مشاهد حميمة ، أو أي محتوى قد يعد غير مقبول من بعض فئات المجتمع أو مواد تروج بصورة مباشرة أو غير مباشرة للتدخين أو المخدرات أو المشروبات الكحولية أو أعمال الشعوذة والدجل . استجاب (٧, ٦٦٪) من الإعلاميين وعددهم (٧٢) ، أنه (جوهرية) قابل للتطبيق . ونسبة (٨, ٢٧٪) وعددهم (٣٠) مبحوثا، أنه (شكلي) وقابل للتطبيق نوعاً ما . ونسبة (٦, ٥٪) وعددهم (٦) مبحوثين ، أنه غير قابل للتطبيق . كما أشارت لذلك بيانات الجدول والشكل (٩)

جدول (10) حق طرح الرأي مع عدم المشاركة في التضييل أو التشهير			
النسبة المئوية	التكرارات	الاستجابات	التوجيهات التطبيقية
60.2%	65	(جوهرية) قابل للتطبيق	يجب أن لا تسمح الجهات الإعلامية المرخصة لنفسها أو من يشارك من ضيوفها بالانزلاق بقصد أو من دون قصد إلى أن تكون منبراً للتشهير أو الادعاءات الكاذبة أو الخصومات الشخصية .
36.1%	39	(شكلي) يمكن تطبيقه إلى حد ما	
3.7%	4	غير قابل للتطبيق	
100%	108	المجموع	

٣- حق طرح الرأي مع عدم المشاركة في التضييل أو التشهير

أكد (٦٥) من الإعلاميين على ضرورة تطبيقها كونها (جوهرية) ونسبة بلغت (٢, ٦٠٪) . وذهب (٣٩) منهم إلى إمكانية تطبيقها إلى حد ما واعتبروها معاييراً (شكلياً) وبلغت نسبتهم (١, ٣٦٪) . وذهب عدد قليل إلى عدم قابلية تطبيقها ، وهم أربعة إعلاميين بنسبة (٧, ٣٪) . والجدول والشكل (١٠) يبينان تلك التفاصيل .

النتائج

أهم نتائج البحث

- ١ . عدم علم القائم بالاتصال بوجود لوائح ومدونات خاصة بالمعايير العامة للبرامج المرئية والمسموعة عزز حالة التخبط والانحياز وأبعد الخطاب الإعلامي عن الدقة والنزاهة والشفافية في نقل المعلومات وتغطية الشؤون السياسية .
- ٢ . ضعف التعاون والتنسيق المشترك بين أقسام العلاقات العامة في الهيئة والمؤسسات الإعلامية حال دون معرفة القائم بالاتصال بتلك اللوائح
- ٣ . أهم الأسباب التي تدعو القائم بالاتصال إلى اللامبالاة إزاء المعايير العامة هي سياسة الضبط التي تفرضها البيئة الداخلية (المؤسسة الإعلامية) لتحقيق أهدافها عبر اتباع آليات الاقتراب الانتقائي من المعلومات ، إذ إن القائم بالاتصال غالباً ما يغير اختياراته في بناء وتقييم الرسالة الإعلامية حسب عوامل قوة الوسيلة التي يعمل بها أو ضعفها .
- ٤ . كشفت هذه الدراسة أنه في حال التثقيف إزاء لائحة القواعد والمعايير التطبيقية عن إمكانية تحول القائم بالاتصال من مجرد مراعاة إلى (مبدع) لو توافرت له الشروط الخاصة باتخاذ القرار بما يتفق مع العوامل والقوى المؤثرة في الداخل والخارج .
- ٥ . أضافت هذه الدراسة نتائج ومؤشرات وملاحظات لهيأة الإعلام والاتصالات بشأن لائحة قواعد البث الإعلامي من آراء متخصصين في هذا المجال ، ومدى تطبيقها من قبل العاملين في المؤسسات الإعلامية .
- ٦ . تجلّت الأهمية الميدانية بإيجاد مقاربات موضوعية بين كل من محددات هيئة الإعلام والاتصالات وسياسة الوسيلة الإعلامية وقيم القائم بالاتصال على أساس حاجة الجمهور للحصول على صورة متوازنة ومعتدلة عن الأحداث .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية والمعربة :

- ١ . بوب ماتيوز ، و وليمز روس . (٢٠١٦) . الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية (المجلد ١) . (محمد الجوهرى ، المترجمون) القاهرة : المركز القومي للترجمة .
- ٢ . حسن عماد مكاوي ، و ليلى حسين السيد . (١٩٩٨) . الاتصال ونظرياته المعاصرة (ط ١) . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .
- ٣ . خليل عبد الرحمن المعاينة . (٢٠١٠) . علم النفس الاجتماعي (المجلد ٣) . عمان ، الأردن : دار الفكر ناشرون وموزعون .
- ٤ . سامية الجندي . (٢٠٠١) . القضايا المعاصرة لعلم النفس الاجتماعي . القاهرة : جامعة الأزهر .
- ٥ . سعد الدين إبراهيم . (١٩٨٠) . اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (المجلد الأولى) . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
- ٦ . فرج محمد صوان . (٢٠١٨) . طرائق البحث مقدمة لطرائق البحث وكيفية إعداد البحوث (المجلد ١) . بيروت : منتدى المعارف .
- ٧ . كامل القيم . (٢٠١٢) . مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية . بغداد ، بيروت : مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية .
- ٨ . محمد عبد الحميد . (٢٠٠٤) . نظريات الإعلام واتجاهات التأثير (ط ٣) . القاهرة : عالم الكتب .
- ٩ . محمد عبد العال النعيمي ، عبد الجبار توفيق البياتي ، و غازي جمال خليفة . (٢٠١٥) . طرق ومناهج البحث العلمي . عمان : مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع .
- ١٠ . مختار أبو بكر . (٢٠١٦) . أسس ومناهج البحث العلمي في الدراسات الإدارية والإنسانية . نيولينك الدولية للنشر والتدريب .
- ١١ . موفق الحمداني ، وآخرون . (٢٠٠٦) . مناهج البحث العلمي ، أساسيات البحث العلمي . عمان : مؤسسة الوراق .

ثانياً: البحوث والدراسات والمحاضرات العربية والمعربة :

١. حمدان خضر سالم، و جاسم محمد شبيب. (تموز - آب - أيلول، ٢٠١٨). طرق مواجهة الشائعات. مجلة الباحث الإعلامي.
٢. شريف سعيد حميد السعدي. (تموز - آب - أيلول، ٢٠١٨). تعرض الجمهور للفضائيات الإخبارية. الباحث الإعلامي.
٣. مجلة الطفولة والتنمية. (٢٠٠٤). مجلة الطفولة والتنمية. (١٥)، صفحة ٦٠.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية :

١. آمال سعودي. (٢٠١٦). القائم بالاتصال في المؤسسات الإذاعية الجزائرية. المسيلة: رسالة ماجستير.
٢. أوسم ماجد ابو محمد. (٢٠١٧). تطبيق معايير خدمة البث العام في شبكة الإعلام العراقي (الإصدار رسالة ماجستير). بغداد: لم تنشر.
٣. إيمان أحمد حسون. اتجاهات مواقع التواصل. رسالة ماجستير غير منشورة.
٤. سامية أحمد هاشم. (٢٠٠٦). انعكاس البيئة الإعلامية على القائم بالاتصال (الإصدار أطروحة دكتوراه). بغداد: لم تنشر.
٥. سيف سعدي عفتان الدليمي. (٢٠١٤). مهارات القائم بالاتصال في الإعلام المرئي العراقي (الإصدار رسالة ماجستير غير منشورة). بغداد.
٦. لقاء مكي العزاوي. (١٩٩٥). حارس البوابة في الصحافة العراقية - دراسة حول القائمين بالأخبار (الإصدار أطروحة دكتوراه). بغداد: لم تنشر.
٧. محمد جبار زغير. (٢٠١٢). اتجاهات جمهور مدينة بغداد إزاء المنظمات غير الحكومية بعد عام ٢٠٠٣. بغداد: رسالة ماجستير غير منشورة.

رابعاً: القوانين والمطبوعات :

١. الخطة الإستراتيجية للسنوات الأربع ٢٠١٥-٢٠١٨. هيئة الإعلام والاتصالات.
٢. قانون نقابة الصحفيين رقم ١٧٨. (لسنة ١٩٦٩ المادة ٣٤).

٣. قراءة أولية في القوانين العراقية المتعلقة بوسائل الإعلام وحرية التعبير والاتصالات، توجيهات عامة. (٢٠٠٤، ٢٠٠٩). هيئة الإعلام والاتصالات.

٤. لائحة قواعد البث الإعلامي. (٢٠١٩). هيئة الإعلام والاتصالات.

*ملحق (٣) الخبراء والمحكمون، صفحة (ق)

**تنظر الأشكال كلها الوارد ذكرها في هذا الفصل، في (الملاحق).

أداء وإعادة بناء الثقافة السياسية في المجتمع العراقي

(دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا السياسية)

م. د. نصير فكري ذياب

وزارة التربية

المستخلص:

تعد الثقافة السياسية واحدة من أهم وأبرز الموضوعات في حقل الأنثروبولوجيا السياسية المعاصرة لكونها تهتم بنمطين من الثقافة السياسية، الأولى تهتم بالفعل السياسي الخارجي ويشمل أنماط المشاركة السياسية والسلوك السياسي لأفراد المجتمع، والثاني يشمل دراسة الثقافة السياسية الذهنية وتشمل التصورات والمواقف والأحكام والآراء والمعتقدات والتقييمات التي يطلقها أفراد المجتمع اتجاه السلطة والنظام السياسي، أي رؤية الأفراد لتلك السلطة وذلك النظام وهاذان النمطان يشكلان الجوهر الأساسي لكل باحث في الثقافة السياسية في أي مجتمع من المجتمعات، فإن دراسة أي ثقافة سياسية في أي مجتمع سواء أكان مجتمعاً سياسياً ديمقراطياً مدنياً أم سلطوياً استبدادياً، تقليدياً أم حضرياً فإن ذلك يتطلب دراسة البناءات السياسية التي يتكون منها النسق السياسي في ذلك المجتمع، وفي طليعة تلك البناءات هو النظام السياسي والسلطة والأحزاب والنخب السياسية وأنماط الفعل السياسي، وما يحمله الأفراد من تصورات وتقييمات بشأن ذلك النظام ومؤسساته ورموزه، فإن أي فرد حضرياً كان أم ريفياً متعلماً كان أم غير متعلم وفقاً لمنظور الأنثروبولوجيا السياسية هو حامل للثقافة السياسية المتكونة من تلك التصورات والآراء والمواقف والتقييمات، فضلاً عن أنماط السلوك السياسي للأفراد والذي يمثل نمطاً من أنماط الثقافة السياسية.

وبما أن المجتمع العراقي مرّ بتحويلات سياسية بعد (٢٠٠٣ / ٤ / ٩) في ظل الديمقراطية الجديدة لذا سعى الباحث أن يدرس هذا الموضوع وفقاً لتخصصه دراسة ميدانية معمقة،

ليكون مشروعاً لكتابه القادم، وقد حاول الباحث هنا في هذا البحث الكشف عن جزء من أنماط الثقافة السياسية وهو واقع الأداء لهذه الثقافة من خلال السلوك السياسي للمرشحين والناخبين فيما يتعلق بثقافتهم السياسية فضلاً عن مقومات ومعوقات هذه الثقافة وكيفية إعادة بنائها.

Political Culture in Iraqi Society: Performance and Rebuilding A Field Study in Political Anthropology

Abstract:

In this research, we have dealt with one of the most important contemporary issues in Iraqi society after the change in 2003 in the field of the politics, which is the issue of political culture in Iraqi society, as this topic constitutes one of the most important parts of the political system. In this research, we learned about a number of things and issues, the most prominent of which are the following:

1. We got acquainted indepth with the concept of political culture and the relationship between it and culture, and how political culture is a branch of the general culture of society. It is concerned with the ideas, perceptions, attitudes, and evaluations that members of society possess towards authority and the political system.
2. We got acquainted with the culture of the candidate and the culture of the voter and the characteristics and features of each of them. In term of culture of the candidate, we found there are features, and the most prominent of which are (the political exploitation of religion and the employment of sub-cultures, the use of political money, the exploitation of ignorance, poverty and material baggary of individuals, distributing patronages to voters to buy their votes, and questioning the elections and their transparency and the culture of falsification

opponents between candidates and parties before each election and so on (In the field of voter culture ‘the researcher found on the ground features ‘the most prominent of which are the following) there is listening and submission to the reference by most members of society ‘and the election of candidates according to the culture of loyalty and belonging. It is from the same tribe ‘and there is a blind sway among some to elect people according to their interests and whims ‘and there has become a culture of doubt and mistrust among most members of society in the ruling class.

3. In light of the field results reached by the researcher regarding the performance of political culture ‘a set of ingredients was developed to rebuild the political culture in the Iraqi society after diagnosing the obstacles in the field ‘and then, developing a set of recommendations that strengthened the building of this culture.

الفصل الاول

الثقافة السياسية

المبحث الاول / لماذا الثقافة السياسية؟

عناصر البحث

(المشكلة، الأهمية، الأهداف)

أولاً : مشكلة الدراسة (Study Problem)

من البديهي أنّ لكل دراسة أو بحث علمي مشكلته الخاصة به ، التي يحاول الباحث تحليلها وتفسيرها وبيان القوانين التي تقف وراءها ، ومن هنا فإن مشكلة الدراسة تكمن في أن هناك ضعفا في الثقافة السياسية في المجتمع العراقي من جهة ، كما أن أغلب الأفراد لديهم فيها ثقافة تبعية وخضوع لجماعات معينة من جهة أخرى ، ويمكن أن نرجع أسباب هذه المشكلة إلى عاملين رئيسيين هما :

- ١ . ارتباط الثقافة السياسية العراقية بالجماعات الثقافية الفرعية : فإن الثقافة السياسية في المجتمع العراقي في الكثير من مفاصلها لا زالت تابعة وخاضعة للثقافات الفرعية (الطائفة - العشيرة - القومية) ، حتى أصبحت الثقافة السياسية للفرد العراقي أسيرة لهذه الانتماءات ، بسبب هاجس الخوف وانعدام الثقة بالآخر الثقافي أو السياسي .
- ٢ . عدم وجود تنشئة سياسية ديمقراطية صحيحة للفرد العراقي ، وهذا بدوره يضعف الثقافة السياسية الوطنية للمجتمع لكون أن الثقافة السياسية تتغذى وتتجذر وتنمو من خلال قنوات التنشئة السياسية المختلفة .

ثانياً : أهمية الدراسة : (study important)

تكمن أهمية موضوع الدراسة كونه يتطرق ويعالج موضوعاً مهماً في الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة في حقل الأنثروبولوجيا السياسية (Political Anthropology) التي بدأت تدرس المجتمعات المتحضرة والمدنية والكبيرة الحجم بعد فقدان وتلاشي المجتمعات البدائية (Primitive societies) ، بفعل حركة العولمة وثورة المعلومات والتطورات الهائلة التي تمر بها البشرية ، فدراستنا للثقافة السياسية في المجتمع العراقي تعد ذات أهمية كبرى في مجال الأنثروبولوجيا السياسية والثقافية المعاصرة لكون الثقافة السياسية هي قلب الأنثروبولوجيا السياسية ومحورها الأساسي ، ذلك يمكن أن نلخص أهمية دراسة الثقافة السياسية من خلال النقاط الآتية :-

- ١ . تأتي البحث في الثقافة السياسية كونها جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع .
- ٢ . تساعد دراسة الثقافة السياسية على فهم مكونات وعناصر النسق السياسي الجديد ونظرة المواطنين إليه .
- ٣ . إن المكتبة العراقية في مجال علمي الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا فقيرة جداً كونها تفتقد إلى مثل هذه الدراسات على الرغم من أهميتها وحدثها ، لذلك فالموضوع من الناحية العلمية والأكاديمية يُعدّ جديداً وحيوياً يستحق الاهتمام الأنثروبولوجي والتأمل والبحث والتعمق فيه لا سيّما في المجتمع العراقي .
- ٤ . إن دراسة الثقافة السياسية تساعدنا على فهم العلاقة بين المواطنين والسلطة السياسية وبعبارة أخرى فهم العلاقة بين الحكام والمحكومين أو التابع والمتبوع .

٥ . إن الثقافة الديمقراطية والمشاركة السياسية هما بعدان أساسيان يرتبطان بالثقافة السياسية في أي مجتمع من المجتمعات بل إن تنمية الثقافة السياسية وتطويرها يتوقف عليهما .

ثالثاً : أهداف الدراسة (Objectives study)

لكل دراسة هدف وغرض يجعل لها قيمة علمية ، إذ إن الهدف من هذه الدراسة يفهم على أنه السؤال الذي من أجله أعدت هذه الدراسة ، والسعي إلى تحقيق أهداف عامة ذات قيمة ودلالة علمية^(١) . لذلك يمكن تلخيص أهم الأهداف التي تسعى الدراسة إليها بما يأتي :-

- ١ . فهم العلاقة بين الثقافة والثقافة السياسية وتوفير قاعدة معلومات أساسية في ذلك .
- ٢ . تسعى الدراسة إلى معرفة مرجعيّات تشكيل الثقافة السياسية .
- ٣ . التعرف على أنماط الثقافة السياسية للمرشح والناخب في المجتمع العراقي .
- ٤ . تسعى الدراسة إلى معرفة مقومات بناء الثقافة السياسية في المجتمع العراقي وكيفية بنائها .

رابعاً : منهجية الدراسة

لكل دراسة منهج تستند إليه وتعتمده في عملية البحث وقد استعمل الباحث طرق البحث الكيفي ، والذي يُعد أساساً في الدراسات الأنثروبولوجية لكونه يساهم في اكتشاف معرفة ، وقد استعمل الباحث في دراسته للثقافة السياسية في المجتمع العراقي منهجية وأدوات البحث الكيفي (الملاحظة- المشاهدات الميدانية - المقابلة) ، والتي يعتمد الأنثروبولوجيون عليها في دراساتهم فالباحث أصبح جزءاً من الدراسة من خلال إقامته ومشاهداته الميدانية المتكررة في مجتمع البحث ، فهو (يلاحظ ، ويشارك ، ويقابل ، ويحاور ، ويسجل مشاهداته ومقابلاته الميدانية) وهذا بطبيعته يعطي للباحث القدرة على تقديم وصف دقيق وعميق للثقافة السياسية .

كما استعمل الباحث أكثر من منهج أنثروبولوجي وأدوات عدة لجمع المعلومات والبيانات من أجل الإحاطة بشكل جيد ودقيق بموضوع الدراسة والتعمق فيه ، وأهم تلك المناهج التي استعملها ما يأتي :-

١- المنهج المعرفي (الفهم الذاتي Ethno science)

يعد منهج الفهم الذاتي في الفكر الأنثروبولوجي اتجاهاً نظرياً جديداً يرتكز على اكتشاف الطريقة التي ينظم بها الأفراد ثقافتهم وطريقتهم في استعمال هذه الثقافة، لذا يعرف هذا المنهج أيضاً (بالمدخل المعرفي) (٢).

وفي ضوء هذا المنهج المعرفي أو ما يُعرف «بالفينومولوجي» فإن فهم سلوك الأفراد وتفسيره يبدأ من فهم الطريقة التي يدركون به الأشياء وليس من خلال رؤية الباحث أو تفسيره الذاتي للأشياء (٣).

إذن هذا المنهج يهتم بتصورات المبحوثين لا تصوراتنا نحن، إذ إن الباحث يتوصل إلى النتائج الميدانية من خلال ما يستمد من واقع الثقافة ووجهات نظر الأفراد المنتمين لتلك الثقافة، سواء كان أولئك الأفراد ريفيين أم حضريين، علماء أم متعلمين، عارفين بالقراءة والكتابة أم غير عارفين، رجال كانوا أم نساء، فالثقافة السياسية كبقية الثقافات لا تختص طبقة معينة أو فئة دون أخرى.

٢- المنهج الوصفي الأنثوغرافي

يلتزم الباحثون الأنثوغرافيون بالوصف الحقيقي لميدان الدراسة الذي يريدون دراسته وأن يقتربوا ما أمكنهم من أنشطة الآخرين وخبراتهم اليومية، ويتطلب هذا في حده الأدنى درجة في القرب ما أمكنهم من أنشطة الآخرين وخبراتهم اليومية، ويتطلب هذا أيضاً درجة من القرب الجسدي والاجتماعي من المبحوثين ومن مجالات حياتهم اليومية، فالأنثوغرافي ينشد الانغماس العميق في عوالم الآخرين لكي يفهم خبراتهم المهمة (٤)، فالباحثون الأنثوغرافيون يسعون إلى أن يقدموا في نهاية عملهم وصفاً لما شاهدوه وسمعوه وعاشوه في الميدان وتحويل الخبرات والملاحظات الميدانية إلى نصوص مكتوبة بعد تدوين وتسجيل تلك الملاحظات (٥).

خامساً : مجتمع الدراسة :

يسعى بحثنا الحالي إلى دراسة «الثقافة السياسية في المجتمع العراقي» وتركزت الدراسة والمقابلات الميدانية في مدينة بغداد بجانبها الكرخ والرصافة ومقابلة مجتمع الدراسة ميدانياً.

لذلك فإن مجتمع الدراسة (المبحوثون) الذي أجرى الباحث معهم الحوار المفتوح عبر المقابلات الميدانية، لم يقتصر على شريحة معينة بل كان المبحوثون من مختلف طبقات و شرائح المجتمع العراقي من (مثقفين ومهتمين بالشأن السياسي وطلبة جامعات وشيوخ عشائر وعمال وكسبة وما إلى ذلك لتكون العينات التي تم إجراء المقابلات الميدانية معها ممثلة عن مختلف شرائح المجتمع).

سادسًا : أدوات جمع البيانات والمعلومات :

تتميز الدراسات الأنثروبولوجية بمناهجها وأدواتها الخاصة في البحث الأنثروبولوجي على الرغم من وجود تقارب بين بعض العلوم الاجتماعية في استعمالها للمناهج والأدوات، لذلك على الرغم من التقارب بين العلوم الاجتماعية كعلمي (الأنثروبولوجيا والاجتماع) والتداخل في بعض مناهجها وموضوعاتها إلا أنه يبقى الاختلاف في بعض موضوعاتها وطرق البحث فيها إلا أن هذا الاختلاف بين هذه العلوم ليس معناه الفصل أو العزل بين الموضوعات التخصصية وطرائق البحث الخاصة بكل علم وإنما هو اختلاف يسمح بالتعاون والتكرار والتداخل^(٦)، وإن أهم الأدوات التي استعملها الباحث في جمع مادته الميدانية هي ما يأتي :

١ . الملاحظة الميدانية : (Field observation)

٢ . المقابلات المعمقة : (depth interviews)

٣ . وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، لكونها أداة مهمة للتثقيف السياسي والتحشيد ووسيلة أيضًا لإسقاط الخصوم، كما أنها أداة مهمة لتعبير الأفراد عن آرائهم وأفكارهم وتفاعلاتهم السياسية .

المبحث الثاني/ الثقافة والثقافة السياسية

أولا / الثقافة : (Culture)

تدل مفردة (الثقافة) لغويًا على الفهم والفتنة وسرعة التعلم، كما تدل على التهذيب والتقويم والتعديل، إذ جاءت لفظة الثقافة في كتب اللغة مأخوذة من الفعل (تَقَفَ) الشيء

ثقفًا، وثقوفة: أي حذقه، فيقال رجلٌ ثَقِفٌ: أي حاذق الفهم سريع التعلم، ويقال غلام ثقف: أي ذو فطنة وذكاء ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، والثقاف عند العرب: هي حديدة تكون مع الأقواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج^(٧).

فالثقافة كلمة أصيلة عند العرب ورد ذكرها في تراثهم الثقافي والفكري، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (الأنفال: ٥٧)، وفي آية أخرى قوله تعالى ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ﴾ (البقرة: ١٩١)، وفي موضع آخر ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦١)، فقد جاء مفهوم الثقافة هنا في الاستعمال القرآني بمعنى (الإدراك والظفر) أي بمعنى: أدركتموهم ووجدتموهم وظفرتهم بهم، لذلك فإن مفردة الثقافة لغويًا عند العرب ودلاليًا في القرآن الكريم جاءت بمعنى «الفهم والإدراك والظفر والحذق والمهارة»^(٨)، ولأن مواجهة العدو والظفر به يتطلب المزيد من المهارة والمباغطة ومضاعفة الانتباه والشدة في الملاحظة وإدراك تحركاته جاء هذا المعنى من روائع التعبيرات اللغوية القرآنية.

وأن جميع هذه الاستعمالات لدلالة الثقافة تختلف عن الدلالات المعاصرة لمفهوم الثقافة لمرونته وتطوره على يد الأنثروبولوجيا لكون الثقافة تمثل قلب الأنثروبولوجيا ومحورها الأساس، إذ يتفق علماء الأنثروبولوجيا الثقافية (Cultural Anthropology) على أن الثقافة هي موضوع علمهم لكنهم يختلفون في تعريفاتها، فقد قام (كروبر وكلاكهون) وهما من كبار علماء الأنثروبولوجيا الثقافية في الولايات المتحدة في عام (١٩٥١) بإعطاء ما يزيد على (١٥٠) تعريفًا لمفهوم الثقافة، حيث قاما بجمع عدد كبير من التعريفات في الكتابات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية وكانت بعض هذه التعريفات وصفية تهتم (بالمحتوى والمكونات)، وبعضها الآخر سيكولوجية تهتم (بالجانب الرمزي وتعلم الرموز)، بينما بعضها الآخر بنائي يهتم (بالصيغ وأنماط الفعل والسلوك)^(٩).

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان هناك شبه اتفاق بين علماء الأنثروبولوجيا على الأخذ بالتعريف المشهور الذي وضعه الأنثروبولوجي البريطاني (إدوارد تايلور Edward Tylor في عام ١٨٧١) في كتابه الموسوم «الثقافة البدائية» (Primitive culture)، إذ عرف تايلور الثقافة: بأنها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد

والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في ذلك المجتمع. (١٠)

ولأهمية هذا التعريف الذي جاء به تيلور لمفهوم الثقافة وشموليته، فقد أخذ بهذا التعريف كبار علماء الأنثروبولوجيا في بريطانيا والولايات المتحدة من بعده أمثال «سمنر Sumner، وكلر Keller، ومالينوفسكي Mainowski، ولوي Lowie وفايسلر Wissler، وسابير Sapir، وبواز Boas، وبنديكت Benedict» وقد وصلت الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة إلى الحد الذي عرفت فيه نفسها كعلم للثقافة (١١).

أما أشهر التعريفات لمفهوم الثقافة التي جاء بها كبار علماء الأنثروبولوجيا بعد تيلور فهي ما يأتي: - (١٢)

- (كيسنج Keesing): يُعرف الثقافة هي مجموع السلوك المكتسب الذي يكون تناقله اجتماعياً.

- أما (سابير Sapir): فيذهب إلى أن الثقافة تشمل كل العناصر الموروثة اجتماعياً في حياة الإنسان المادية والروحية.

- بينما يرى (مالينوفسكي Malinowski): أن الثقافة هي الميراث الاجتماعي الذي يشتمل على العناصر المادية الموروثة والسلع والعمليات التقنية والأفكار والعادات الفردية والقيم. ويمكن القول مما تقدم إن الثقافة هي: طريقة وأسلوب للحياة على المستويات كافة بما فيها المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الديني أو الفني، فالثقافة على المستوى السياسي تعني هناك (ثقافة سياسية) والمستوى الاجتماعي تعني (ثقافة اجتماعية) والمستوى الاقتصادي تعني (ثقافة اقتصادية) والمستوى الديني تعني (ثقافة دينية) والمستوى الفني تعني (ثقافة فنية).

ثانياً / الثقافة السياسية : Political Culture

ترجع الجذور الفكرية للبحث في الثقافة السياسية إلى كتابات الأنثروبولوجيين أمثال «روث بندكت Ruth Benedict، وماركيت ميد Margaret Mead» عن «الطابع القومي»

والتي عنيت بالكشف عن القيم السياسية والمعتقدات والممارسات الفريدة التي تميز ثقافة ما. (١٣)

لذا تمثل دراسة الثقافة السياسية لا سيّما في إطارها المرجعي الثقافي اهتماماً خاصاً عند علماء الأنثروبولوجيا، لا سيّما في حقل الأنثروبولوجيا السياسية فضلاً عن اهتمام علماء الاجتماع السياسي وعلماء السياسة في دراسة هذا الجانب.

إن مفهوم الثقافة السياسية كان موضع نقاش شديد خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين وكانت من أكثر المفاهيم المختلف عليها بين علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع السياسي وعلماء النفس. (١٤)

لقد برز مفهوم الثقافة السياسية بشكل واضح في عقد التسعينيات من القرن العشرين في إطار الأبحاث في التنمية السياسية بوصفها أحد العناصر الأساسية لتمييز مراحل نمو وتطور النظم السياسية وانتقالها من النظم السياسية التقليدية إلى النظم الحديثة، لذا فالفرضيات السابقة عن الثقافة السياسية كانت تستقي في الواقع من فرضيات التنمية السياسية والتي سادت آنذاك والتي مؤداها أن المجتمعات تتطور بواسطة عملية تطور سياسي باتجاه رفع مستوى مساهمة المجتمع بالشؤون السياسية العامة وإلى تعزيز قدرات النظام السياسي وتمييزه عن النظم الأخرى في المجتمع كالنظام الاقتصادي والنظام الديني والأخلاقي وغيرها. (١٥)

وتعد دراسة العالمان «غابرييل الموند G. Almond، وسدني فيربا S. Verba وهما من كبار العلماء والمفكرين في الولايات المتحدة في ستينيات القرن العشرين وهما متخصصان في مجال الثقافة السياسية والنظم السياسية من أبرز الدراسات في مجال الثقافة السياسية المعتمد عليها والتي حاولت الربط بين الثقافة والسياسة وفق الرؤية الأنثروبولوجية التي تركز على دور ونمط الثقافة السياسية هل هي تقليدية أم مدنية وتأثيرها على عملية التنمية السياسية وطبيعة بناء النظام السياسي.

وجاءت دراسة (الموند وفيربا) في الثقافة السياسية دراسة ميدانية مقارنة للمدة ما بين (١٩٥٨-١٩٦٣) إذ استغرقت (٥) سنوات شملت خمسة مجتمعات متباينة نسبياً من ناحية الثقافات السائدة فيها، وهذه الدول التي شملتها الدراسة هي (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإيطاليا والمكسيك) إذ توصل الباحثان إلى أن الولايات المتحدة وبريطانيا

تضمنان بصورة ملائمة سير عملية الديمقراطية وتمتلكان ثقافة سياسية مدنية جيدة وعالية بينما الدول الثلاثة الأخرى هي أقل شأنًا منها، كما يرى المؤلفان أن النظم الشيوعية والفاشية ونظم بلدان العالم الثالث بعيدة جدًا عن المثل العليا الديمقراطية، ولا يكفي الحصول على نظام ديمقراطي قيام المؤسسات التمثيلية (النيابية) وإنما يجب أن يكون أكثر من ذلك وهو تطوير القواعد الديمقراطية المتمثلة بالاتجاهات السياسية وقواعد السلوك السياسي وأولويات صنع القرار فضلًا عن العلاقة بين الحكام والمحكومين وهذا يتطلب ثقافة مدنية حديثة^(١٦)

وهذا يعني بحسب دراسة «الموند وفيربا» أن الثقافة السياسية تختلف من دولة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر إذ إن هناك تباينًا في الثقافات ومن ثم هناك تباين في الثقافة السياسية، وطبيعة النظم السياسية الموجودة فيها، وهناك صعوبة في إيجاد ثقافة سياسية عامة تنطبق أو تشترك فيها كل المجتمعات الحضارية أو التقليدية.

إن مفهوم الثقافة السياسية جاءت له تعريفات متعددة، منها تعريف قاموس جامعة أكسفورد «Oxford dictionary» للثقافة السياسية بأنها مجموعة من الاتجاهات والقيم التي تتصل بعمل نظام سياسي محدد، كما تتضمن اتجاهات إيجابية أو سلبية نحو هذا النظام أو أحكام تقييمية أيضًا بشأنه^(١٧)، أما العالم (أريك روي) فيرى أن الثقافة السياسية هي القيم والمعتقدات والاتجاهات العاطفية للأفراد حيال ما هو كائن في العالم السياسي^(١٨)، أما «بيتر نيتل» فيعرفها بأنها أنماط من المعارف والتقييمات التي ترتبط بالسلطة السياسية^(١٩) في حين جاء تعريف (موريس دوفرجية) للثقافة السياسية بأنها الجوانب السياسية للثقافة باعتبارها تشكل مجموعة منظمة^(٢٠).

ويمكن القول إن الثقافة السياسية هي مجمل أفكار وتوجهات ومعتقدات الفرد أو الجماعة أو مجتمع معين نحو النظام السياسي بكليته من مكونات وأحزاب وجماعات ضغط وأنماط السلوك السياسي ومعرفة ما يعتقده المجتمع إزاء تلك البنى والمؤسسات السياسية.

ثالثًا / العلاقة بين الثقافة والثقافة السياسية

من خلال القراءة المتأنية للثقافة السياسية وبحثنا فيها اتضح أن هناك علاقة وثيقة ومتراصة بين الثقافة كمفهوم عام والثقافة السياسية كمفهوم خاص، بل إن أفضل توصيف للثقافة السياسية بأنها جزء من الثقافة الكلية للمجتمع، بمعنى أنها ثقافة فرعية (Sub-culture)

حيث تتأثر الثقافة السياسية بالثقافة الأشمل ، وهذا بدوره يجعلنا نفسر الثقافة السياسية في المجتمع حيث يوجد هناك ظواهر سياسية تفسر من خلال الثقافة ، والواقع هذا نجدُه عند «ماكس فيبر» الذي فسر الظواهر السياسية تفسيراً ثقافياً حيث تتبع أصول النظام الرأسمالي سياسياً واقتصادياً ، ووجد أن مرجعية هذا النظام ترجع إلى انتشار العقيدة البروتستانتية . (٢١)

لذا يمكن القول إن الثقافة السياسية هي جزء من الثقافة الوطنية لأي مجتمع فهناك مثلاً ثقافة وطنية أمريكية وثقافة وطنية إنكليزية ، وأخرى روسية ، وأخرى صينية وغيرها . وهكذا هي الثقافة العراقية فالثقافة السياسية تعد «ثقافة فرعية» وجزءاً من الثقافة العراقية الشاملة ، إذ إن الثقافة الفرعية على وفق الرؤية الأنثروبولوجية لها تفرعات ومحاوير تتفرع عنها . فهي تتعلق بما يأتي: (٢٢)

أ- ثقافات الجماعات الإثنية والأقليات الدينيّة فهي تتعلق بأقليّة قومية ، أو عرقية ، أو دينيّة تعيش في وسط مجتمع كبير ، كالثقافة الكوردية ، أو الثقافة التركمانية ، أو ثقافة المسيحيين ، أو الشبك ، أو الإيزيديين وغيرها من الأقليات .

ب- تتعلق الثقافة الفرعية بطبقة أو شريحة أو فئة اجتماعية معينة تختلف بصفتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عن أبناء المجتمع الكبير ، باعتبار أن الثقافة الفرعية هي طريقة العيش والتفكير الخاصة بجماعة أو فئة اجتماعية معينة مثل «ثقافة الشباب وثقافة الأطفال وثقافة المرأة وثقافة الفلاحين وثقافة العشيرة ، وثقافة البدو وغيرها» بوصفها فئات اجتماعية لها ثقافتها الخاصة . لذلك كان ظهور مفهوم الثقافة الفرعية متعلقاً بجماعة معينة منذ البداية .

ج- تتعلق بثقافة فرعية متفرعة عن الثقافة العامة للمجتمع ، ففي كل مجتمع هناك ثقافة عامة وثقافات فرعية أخرى متفرعة عن الثقافة العامة (كالثقافة السياسية ، والثقافة الاجتماعية والثقافة الاقتصادية ، والثقافة الشعبية ، والثقافة الصحية ، والثقافة الترفيهية ، والثقافة الشعائرية وغيرها) وهذه كلها ثقافات تتفرع من أصل الثقافة العامة للمجتمع ، ومن هنا الثقافة السياسية في المجتمع العراقي هي متفرعة عن الثقافة العراقية الأم وتتأثر بها .

بناءً على ما تقدم فإن العلاقة بين الثقافة والثقافة السياسية علاقة وثيقة ، وتمثل علاقة الجزء بالكل ، إذ إن الثقافة السياسية جزء من ثقافة المجتمع العامة وتعد ثقافة فرعية لها ، تتفرع عن ثقافة المجتمع الشاملة حيث تتأثر بها ، لذلك فالثقافة السياسية التي يحملها الأفراد تتحدد

من خلال مجموعة عوامل أهمها التقاليد السياسية السائدة في المجتمع ودرجة الوعي السياسي لدى الأفراد.

الفصل الثاني

الثقافة السياسية للمرشح والناخب

بعد تغيير النظام السياسي في العراق في (٢٠٠٣) ظهر نمط جديد من الثقافة السياسية في المجتمع العراقي، وهي الثقافة الانتخابية في ظل التحول الديمقراطي في العراق، والتعددية السياسية، وحرية تشكيل الأحزاب، وتنافسها على السلطة عبر عملية ديمقراطية انتخابية تتيح للمواطن أن يشارك فيها، وينتخب من يشاء، وفي ظل حرية الانتخاب، وحرية الرأي السياسي، فالثقافة الانتخابية تمثل العمود الفقري لأي نظام سياسي ديمقراطي، وهي جزء أساسي من أنماط الثقافة الديمقراطية، فمن خلالها يمكن أن تكشف شرعية النظام السياسي من عدمه، ومدى قبول المجتمع به، ومن خلال ممارسة هذه الثقافة نستطيع فهم نوعية الممارسة لهذه الثقافة، هل هي ثقافة خضوع سياسي أم ثقافة مشاركة سياسية؟، وهنا يتوقف على أمرين: أولهما ثقافة المرشح، وثانيهما ثقافة الناخب، والذي ستتعرض لهما في هذا الفصل بوصفهما طرفي الثقافة السياسية الانتخابية.

المبحث الأول / الثقافة السياسية للمرشح

ونقصد بثقافة المرشح هي الثقافة السياسية الانتخابية التي يتبناها الشخص المرشح ويثقف عليها جمهوره (الناخبين) عبر آليات ووسائل وأفكار مختلفة للوصول إلى أهداف ومكاسب معينة، ومن خلال الملاحظة الدقيقة والمقابلات المعمقة مع المبحوثين وجدنا بحسب هذه الحقائق الميدانية هناك مجموعة من السمات والملامح في الثقافة السياسية الانتخابية للمرشح وكما موضحة فيما يأتي :-

أولاً : التوظيف السياسي للدين : (تأثير النسق الديني في النسق السياسي الانتخابي)

يلعب الدين دوراً بارزاً في الكثير من مجالات الحياة ومنها المجال السياسي، ففي المجتمع العراقي بما أنه ذو أغلبية إسلامية وجدنا أن هناك تسخييراً عالياً للدين وزجه في المعترك

السياسي ، إذ نجد للنسق الديني دوراً فاعلاً في النسق السياسي لا سيّما أن أكثر الأحزاب الكبيرة في المشهد السياسي العراقي هي أحزاب دينية إسلامية ، حاولت الجمع بين الدين والسياسة ، ومن ذلك قيام بعض المرشحين بتوظيف الدين لمصالحهم السياسية وكسب ودّ وعواطف المجتمع عن طريق ذلك ، لذلك نجد هؤلاء المرشحين يقومون بالتحقيق الديني والسياسي لكون أن الدين فيه جانبان (الترغيب والترهيب) ، وعندما يوظفان في المجال السياسي بالتأكيد سوف يكون لهما تأثير في أفراد المجتمع وقراراتهم السياسية .

ثانياً : التوظيف السياسي للثقافات الفرعية

يُعد التوظيف السياسي للثقافات الفرعية من أهم الملامح البارزة لثقافة المرشحين في الانتخابات في المجتمع العراقي بعد التغيير ، (فالتائفة والعشيرة والقومية) حاضرة في أذهان المرشحين كي يتقفوا الناس على أساسها ، فأصبحت جزءاً من ثقافتهم السياسية والانتخابية ، حتى أصبحت الثقافات الفرعية ثقافة يعتاشون عليها ويصعدون من خلالها إلى سُلم السلطة مستغلين هؤلاء المرشحين تآزم المشهد السياسي ، والفراغ الأمني ، وجهل الكثير من المواطنين ، والانقسام المجتمعي ، فبدلاً من أن يكون التحقيق وطنياً ، أصبح الخطاب السياسي والتحقيق طائفيًا وعشائريًا وقوميًا بامتياز ، وأهم ملامح هذا التوظيف المرشحين لهذه الثقافات بحسب الحقائق الميدانية ما يأتي :

١- ثقافة نصرّة المذهب : إذ نجد الكثير من المرشحين يتقفون جمهورهم على أساس طائفي ومذهبي ، مثلاً قولهم للجمهور من الناخبين (إن انتخابكم لهذه القائمة يمثل نصرّة لدينكم ولمذهبكم) وهكذا بقية الشعارات التي يتقف المرشحون عليها الناخبين لاستمالة عواطفهم ومشاعرهم السياسية .

٢- ثقافة التخويف من الآخر : فالمرشحين غالباً ما يخوفون المواطنين عبر عمليات التحقيق الانتخابي من الآخر الطائفي أو القومي أو السياسي ، فمثلاً تتقف النخب السياسية الشيعية جمهورهم بأنهم إذا لم ينتخبوهم فسوف تأتي القاعدة أو يعود حزب البعث ليحكمهم ، بينما تتقف النخب السياسية السنية جمهورهم بأنهم إذا لم ينتخبوهم فسوف يحكمهم الصفويون أو العملاء لإيران ، أما النخب السياسية الكردية فأغلبهم يتقفون مواطنيهم الكرد بأنهم إذا لم ينتخبوهم فسوف يخسرون حقوقهم وقضيتهم الأساسية التي

ضحوا من أجلها وهي (الاستقلال والحكم الذاتي) وما إلى ذلك مما يؤدي كل ذلك إلى تخويف الناخبين من الآخر الطائفي .

ثالثاً : الثقافة القرابية : (تأثير النسق القرابي في النسق السياسي الانتخابي)

للثقافة القرابية ورابطة الدم والنسب في المجتمع العراقي دور واضح في مجال الثقافة السياسية والانتخابية ، فالمرشحون غالباً ما يلجؤون إلى أقاربهم وعشائرتهم عند بدء الحملات الدعائية الانتخابية ، فيقوم المرشح بزيارة ذويه لضمان أصواتهم ، بل بعضهم يجعل من بيوت ومنازل أقاربه وذويه مقرّاً ومنبراً للتثقيف الانتخابي له ، وغالباً ما يقوم الأقارب بإسناده وبثّ الدعاية له ونشر ملصقاته لا سيّما إذا كان المرشح جيداً ومقبولاً في وسط أقاربه وعشيرته ، فالعشيرة تقف إلى جانب مرشحها السياسي ، وتعمل على دعمه والتشديد له في داخل العشيرة وخارجها من أجل جمع أكبر عدد من الأصوات لمرشحها الانتخابي ، وهذا يكشف كيف أن النسق القرابي يؤثر في النسق السياسي الانتخابي وهذا ما وجده الباحث ميدانياً في ثقافة المرشح عند ممارسة سلوكه السياسي الانتخابي .

رابعاً : ثقافة الزيارات الانتخابية

قبل الشروع بعملية الانتخابات بشهور غالباً ما يعمد المرشحون وزعماء الأحزاب والكتل السياسية إلى القيام بزيارات ميدانية إلى مناطق مختلفة ، فزعماء الكتل السياسية والمرشحون الكبار غالباً ما يقومون بزيارات إلى المحافظات كافة التي لهم فيها ثقل وتأييد جماهيري من أجل التحشيد السياسي والانتخابي لكتلتهم وأحزابهم ومرشحيهم ، أما المرشحون الباقون (المرشحون الصغار) الذين لهم ثقل في محافظاتهم أو مناطقهم فقط فغالباً ما يقومون بزيارات ميدانية للاطلاع على واقع تلك المناطق المتردي في مجال الخدمات والإعمار والاطلاع على مشكلات الناس وظروفهم المعيشية من خلال اللقاءات المباشرة معهم .

ميدانياً أيضاً وجد الباحث مرشحين آخرين يطلق عليهم (الطواشة) وهم المرشحون الذين في الغالب لا يصلون إلى العتبة الانتخابية ولا يحققون الفوز بل يجمعون أصوات قليلة يستفيد منها مرشحون آخرون من نفس الحزب أو الكتلة وبشكل يؤهل أقرانهم إلى جمع

هذه الأصوات المتفرقة للصعود، وأحياناً يوعد (الطواشة) من قبل الجماعات السياسية المنتمين إليها بإغراءات أو مناصب معينة في حال فوز حزبهم أو تكتلهم الانتخابي. ويعتقد المبحوثون أن أغلب الزيارات الانتخابية التي يقوم بها المرشحون قبل بدء عملية الانتخابات هي زيارات تثقيفية ودعائية انتخابية لهم؛ لأن المرشحين يقومون بهذه الجولات الميدانية لا سيما في المناطق المحرومة والمهمشة في مرحلة ما قبل الانتخابات لإعطاء الوعود للأهالي والمواطنين بحل مشكلاتهم المختلفة، وتوزيع أرقام هواتفهم على الناس في حالة احتياجهم لهم، أما في مرحلة ما بعد الانتخابات وصعود المرشح وفوزه فلا يوجد زيارة ميدانية لتلك المناطق وكأن المرشحين قد اختفوا ولا يوجد أي أثر لتلك الوعود التي تحدثوا عنها على أرض الواقع بل بعض المرشحين قد غيروا أماكن سكنهم وغيروا خطوط هواتفهم، أو لا يردون على اتصالات المواطنين لمعرفة حاجاتهم ومشكلاتهم المختلفة التي وعد المرشحون بمعالجتها في حالة فوزهم.

لذلك هذه الزيارات التي يقوم بها المرشحون قبل الانتخابات الكثير منها لا يتعدى بحسب رأي مجتمع الدراسة إلا أن يكون دعاية انتخابية وتحشيداً سياسياً لهم للحصول على المزيد من الأصوات والمكاسب السياسية.

خامساً: ثقافة سياسية انتخابية بلا برامج سياسية (مرشحون بلا برامج)

تُعد البرامج الانتخابية في كل المجتمعات الديمقراطية والدول المتقدمة من أساسيات الثقافة السياسية الانتخابية التي يتبناها الحزب أو المرشح فهي المعيار الأساسي الذي يتوقف عليه انتخاب المرشح أو صعوده إلى السلطة، أما في المجتمع العراقي بعد التغيير فنجد أن الثقافة السياسية الانتخابية التي يتبناها الحزب أو المرشح بلا برامج سياسية أو عدم وضوح تلك البرامج ووهميتها لتضليل الناخب وإيهامه، فالكثير من البرامج التي تتبناها الأحزاب أو التي يتحدث عنها المرشحون هي غير حقيقية وغير واقعية، ولا يقوم الحزب أو المرشح بتطبيق برنامجه السياسي الذي دعا إليه في الانتخابات وتوقف عنده، وإنما هذا البرامج هي مجرد حبر على ورق، وتستعمل للدعاية الانتخابية فقط، بل الأكثر من ذلك أن بعض المرشحين يجهلون دورهم في السلطة إذا ما فازوا أو يوهمون الناس بذلك، فمثلاً وجد الباحث أثناء حضوره للتثقيف الانتخابي الذي يقوم به بعض المرشحين لعضوية مجلس النواب أنهم يعدون الناس بتوفير الخدمات والتعيين!! مع العلم أن دورهم في مجلس

النواب تشريع وليس تنفيذياً حتى يقدموا هكذا وعود، وهذا في الحقيقة ليس من مهمته بل من مهمات السلطة الاتحادية التنفيذية، وهذا يعد كارثة في مجال الثقافة السياسية الانتخابية للمرشح وإلا كيف لمرشح أن يُثقف الناس على أشياء خاطئة أو واهمة؟ وكيف له أن يجهل دوره الحقيقي ولا يعرف حدود صلاحياته!!.

سادساً: ثقافة شراء الأصوات

(ثقافة توزيع الهدايا واستغلال الفقر والعوز المادي)

من القضايا التي يعمد إليها الكثير من المرشحين في الانتخابات هو شراء أصوات الناخبين مستغلين العوز المادي لكثير من شرائح المجتمع العراقي، وجهلهم، وفقدهم، وأصبح استغلال هذا الفقر والمحرومية لدى الأفراد من سمات الثقافة السياسية لدى الكثير من المرشحين بحسب حقائق الميدان.

حقائق الميدان: ميدانياً وجد الباحث أن الكثير من المرشحين يقومون بشراء أصوات المواطنين واستغلالها لصالحه عن طريق توزيع الهدايا والأموال مقابل إعطاء الناخبين أصواتهم له، وأهم المظاهر لثقافة شراء الأصوات بحسب المشاهدات الميدانية والمقابلات مع المبحوثين ما يأتي:-

١- توزيع المرشحين للهدايا على المواطنين: كالمداق والبطانيات أو المواد الغذائية أو كارتات الموبايل (كارتات شحن الرصيد) أو أموال نقدية توضع في ظروف كهدايا مقابل إعطاء أصواتهم للمرشح وغيرها من العينات المادية.

٣- توزيع بعض المسؤولين المرشحين سندات أراض على المواطنين لا سيما الطبقات الفقيرة والمحرومة، وإعطاء الوعود لهذه الشرائح المحرومة بتسجيل هذه السندات وقطع الأراضي بأسمائهم.

٤- شراء الأصوات من خلال وعد المرشح للعاطلين عن العمل بتشغيلهم.

يتبين مما تقدم أن ثقافة شراء الأصوات من قبل الأحزاب السياسية والمرشحين لا زالت موجودة وفاعلة ولها مظاهر عدة وطرائق مختلفة، حتى أصبح ذلك جزءاً من الثقافة

السياسية الانتخابية للكثير من المرشحين مستغلين بذلك الجهل والأمية والعوز والفقر الذي يعيشه الكثير من أفراد المجتمع العراقي .

سابعاً : توظيف المال السياسي

المال السياسي هو استعمال المال لأغراض سياسية أو دعايات انتخابية، وغالباً ما يكون هذا المال هو مال السلطة أو الدولة، ويقوم بتوظيفه شخص أو جماعة سياسية لصالحها وقد يكون المال السياسي داخلياً وهو (استعمال أموال الدولة في الدعاية الانتخابية)، وقد يكون خارجياً أي مدفوعاً من دول الخارج لأغراض سياسية ولدعم اتجاه أو جماعة سياسية معينة على حساب جماعة سياسية أخرى بحسب حقائق الميدان .

حقائق الميدان:

ميدانياً في المجتمع العراقي وبحسب المشاهدات الميدانية، هناك استعمال واضح للمال السياسي للأغراض السياسية والانتخابية وأصبح سمة من سمات ثقافة الكثير من المرشحين والقيادات والزعامات السياسية وأهم المؤشرات الميدانية لاستعمال المال السياسي وتوظيفه في الثقافة السياسية الانتخابية ما يأتي :-

- ١- التثقيف السياسي الانتخابي الذي تقوم به بعض الأحزاب والمرشحين في دوائر الدولة ومؤسساتها الرسمية (كالوزارات والمديريات والنوادي والملاعب الرياضية) وما إلى ذلك .
- ٢- استعمال بعض الأحزاب لأموال الدولة وتوزيعها على الناخبين من قبل المرشحين سواء أكانت أموالاً نقدية أم هدايا وهبات بهدف كسب الولاء السياسي والتأييد الانتخابي .
- ٣- استعمال سيارات الدولة لأغراض انتخابية، فالكثير من المسؤولين ومرشحي الأحزاب يستعملون سيارات الدولة لنقل الناخبين إلى مراكز الاقتراع مقابل إعطاء أصواتهم لهم .
- ٤- استغلال المناصب والمواقع السياسية للأغراض الانتخابية، فالكثير من المسؤولين الكبار في الدولة سواء أكانت مواقعهم مدنية أم عسكرية يستغلون مواقعهم للضغط على موظفيهم أو منتسبيهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من أجل التصويت لهم ولأحزابهم والمواليين لهم .

٥- قبول بعض الأحزاب والشخصيات السياسية بتمويلها بالمال السياسي ودعمها لا سيما من دول الجوار التي لها مصالح في العراق، فالكثير من المبحوثين يشككون في أموال الأحزاب الطائفة وتمويل حملاتها الانتخابية التي تكلف الكثير من الأموال الباهضة في ظل عدم وجود قانون للأحزاب السياسية ينظم الحياة السياسية ويكشف عن تمويل تلك الأحزاب، لذلك يعتقد أكثر المبحوثين أن بعض الدول الخارجية تدعم وتمول بعض الأحزاب والكيانات السياسية في العراق وبشكل يتناسب مع الإيديولوجيات السياسية لتلك الدول على حساب أحزاب وكيانات سياسية أخرى في ظل الصراع السياسي والإقليمي على النفوذ في المنطقة.

ثامناً: ثقافة التسقيط السياسي

يُعد التسقيط السياسي ظاهرة من الظواهر البارزة في المشهد السياسي العراقي بعد التغيير حتى أصبح التسقيط السياسي سمة من سمات مرحلة ما بعد التغيير وجزءاً من الثقافة السياسية للمرشحين في الحملات الانتخابية، والتسقيط السياسي هو التشويه والخط من شخص سياسي أو حزب، أو تكتل سياسي معين، إذ يحاول كل طرف سياسي إظهار مساوئ الآخر السياسي المنافس له على السلطة والحكم والتشهير به من خلال كشف الفضائح والملفات للخصوم والفرقاء السياسيين سواء أكانت تلك الاتهامات حقيقة أم ترفيقاً، لذلك يرتبط التسقيط السياسي في المشهد السياسي العراقي غالباً بالبهتان، والكذب، والزور، والادعاء، والافتراء السياسي بحسب حقائق الميدان.

ميدانياً وجد الباحث أن التسقيط السياسي جزء من ثقافة الزعماء والقادة السياسيين والمرشحين للانتخابات إذ الغرض منه الإخلال بسمعة الآخر ومركزه ومكانته السياسية، وزعزعة سمعته في نظر الجمهور، وعموم الناخبين لتقليل حظوظه في نيل الأصوات في العملية الانتخابية، لذلك ثقافة التسقيط السياسي أو التشهير ونشر الغسيل أصبحت واضحة قبل كل انتخابات، لذلك إن أهم هذه الموضوعات التي تُستثمر سياسياً والتي من خلالها يتم (الاستثمار السياسي) لأغراض وأهداف سياسية والتي يحصل فيها التسقيط والتشهير السياسي

تاسعاً : ثقافة الشك المتكرر في نزاهة وشفافية الانتخابات :

بعد إجراء العملية الانتخابية وفرز أصوات الناخبين وإعلان أسماء المرشحين الفائزين من قبل المفوضية العليا المستقلة للانتخابات نجد هناك ثقافة وعادةً سياسيةً عند الكثير من الأحزاب والمرشحين وهي (الشك في الانتخابات) حتى أصبحت هذه العادة جزءاً من ثقافة الكثير من النخب، إذ غالباً ما نجد هناك أصوات عالية تُشكك بالنتائج والعملية الانتخابية وشفافيتها والاعتقاد بعدم نزاهتها وهذه الاتهامات نجدها في الأغلب عند المرشح الخاسر أو الأحزاب والكتل السياسية التي حصلت على أصوات أقل بكثير مما تتوقعه لذلك نجدهم سرعان ما يطعنون بالعملية الانتخابية، وأن هناك تزويراً قد حصل أو تلاعباً في عملية العدّ والفرز، أو إدخال بيانات إضافية غير مسجلة لهذا الحزب أو تلك الكتلة، سواء كانت هذه الاتهامات بالتزوير حقيقية أم مجرد ادعاء لكي لا يعترف المرشح بخسارته، فلا يوجد هناك ثقافة لدى أغلب الكتل السياسية للاعتراف (بالخسارة الانتخابية) كما هو الحال في المجتمعات الديمقراطية المتقدمة.

المبحث الثاني: الثقافة السياسية للناخب

ونقصد بثقافة الناخب هي الثقافة السياسية التي يحملها الناخبون من أفكار ومعلومات وتصورات وتوجهات سياسية قبل وأثناء ممارستهم للثقافة الانتخابية ومن خلال جملة من العوامل التي أثرت على سلوك الناخبين وثقافتهم السياسية الانتخابية، ومن هنا وجد الباحث من خلال مقابلاته مع المبحوثين ومشاهداته الميدانية لتوجهات وأفكار الناخبين وسلوكهم السياسي جملة من الحقائق الميدانية التي توضح أهم الملامح للثقافة السياسية للناخب وهي على النحو الآتي :-

أولاً: الاستماع للمرجعية الدينية: تلعب المرجعية الدينية دوراً بارزاً في الكثير من المجالات في المجتمع العراقي ومنها المجال السياسي وبرز دورها في هذا المجال بشكل أكبر بعد تغيير النظام السياسي من خلال حث أفراد المجتمع على المشاركة السياسية الفاعلة سواء من أجل انتخاب (جمعية وطنية منتخبة لكتابة الدستور) أو من أجل انتخاب سلطة ديمقراطية تمثل المجتمع وتحافظ على هويته وتعدديته، ومن هنا جاء حث المرجعية للناخبين على وجوب المشاركة السياسية في العملية الانتخابية بعد تغيير النظام واعتبرت ذلك (تكليفاً وطنياً وشرعياً) من أجل تمثيل المجتمع خير تمثيل وجعل المجتمع العراقي

يحكمون أنفسهم بأنفسهم ومنع عودة الدكتاتورية من جديد ، لذلك وجد الباحث ميدانياً أن هناك استجابة عالية من قبل المجتمع لقول المرجعية الدينية في النجف الأشرف لممارسة الثقافة الانتخابية ، وهذه الاستجابة للمرجعية الدينية في المشاركة السياسية لا سيما من قبل أفراد (الطائفة الشيعية) ، يمثل بنظر هؤلاء الأفراد التزاماً دينياً وتمسكاً شرعياً وولاءً لمرجعيتهم التي تمثل لهم دور الأب الروحي والمرشد لهم في المجال الديني والسياسي ، لكونها تمثل الخط الممتد إلى أهل البيت (عليهم السلام) في عصر الغيبة .

ثانياً : الانتخاب على أساس ثقافة الولاء والانتماء

إن أكثر أفراد المجتمع بحسب المؤشرات الميدانية تبين أن طريقة انتخابهم للمرشحين والقوائم السياسية كان قائماً على أساس ثقافة الولاء والانتماء لهوياتهم ومرجعياتهم الفرعية ، فمثلاً نجد أغلب أفراد المكون الشيعي ينتخبون القوائم الشيعية ، وأغلب أفراد المكون السني ينتخبون القوائم السنية ، وأغلب الأفراد الكرد ينتخبون القوائم الكردية ، وهكذا التركمان ينتخبون القوائم التركمانية والمسيحيين ينتخبون الكيانات المسيحية ، وهكذا الأقليات الأخرى وهذا السلوك الانتخابي كان بارزاً وواضحاً ، لا سيما في الدورات الانتخابية التي حدثت للفترة ما بين (٢٠٠٥-٢٠١٠) في ظل ما يسمى بـ (ثقافة الاحتماء) ، إذ كل فرد يحاول أن يحتمي بطائفته أو عشيرته أو قوميته في ظل الصراع السياسي والطائفي والانقسام المجتمعي الذي حدث بعد التغيير وهذا الانقسام جعل الفرد العراقي يحمل في ذهنه الخوف والشك من الآخر الديني أو القومي أو السياسي مما جعلته يلتجأ إلى انتخاب هوياتهم الفرعية للاحتماء بها .

ثالثاً : ثقافة الولاء للبطل السياسي

إن للبطل في ثقافة و حياة مجتمعاتنا دوراً واضحاً سواء كان ذلك البطل سياسياً أو دينياً أو قومياً فنجد حوله الكثير من الأنصار والمعجبين بل هناك حركات وتيارات تتشكل باسمه أو تنتمي إليه أو تعمل على التثقيف له ولمنهجه ، فاليوم نجد الكارزمية السياسية لبعض التيارات والزعامات السياسية حاضرة وفاعلة في المجتمع العراقي ، فالكثير من أفراد المجتمع تجد لهم ولاءات سياسية لشخصية البطل السياسي سواء كان ذلك زعيماً لاتجاه سياسي معين أو قائداً بارزاً لحزب أو كتلة سياسية معينة فنجد الأفراد معجبين به وبسلوكه وهذا ينعكس بدوره على ثقافتهم السياسية الانتخابية ، فالكثير من الأفراد نجدهم ينتخبون

قوائم وكتلا سياسية معينة لوجود زعيم أو بطل سياسي فيها أو يترأسها أو لوجود تأييد لها من قبل ذلك الزعيم الديني أو السياسي الذي يوالونه ومعجبون به على الرغم من عدم معرفة أكثر أولئك الناخبين ببقية المرشحين الموجودين في داخل القائمة التي يترأسها أو يؤيدها ذلك الزعيم ، فليس هناك معرفة لدى الناخب بأكثر أولئك المرشحين في القائمة وخبراتهم وكفاءتهم ، وإنما الولاء السياسي للبطل السياسي هو الذي يجعل الناخب ينتخب تلك القائمة أو الكيان السياسي الذي تتمتع الشخصيات المرشحة فيه بتزكية من قبل القائد ، وغالبًا ما يكون أولئك الشخصيات المرشحة من نفس طائفته أو قوميته ويحملون اتجاهه السياسي نفسه الأمر الذي يُطمئن الناخبين لانتخابهم ووفقًا لثقافتهم وولائهم لزعيمهم أو بطلهم السياسي المعجبين به أو المؤيدين له (الأتباع) .

رابعًا: ثقافة الشك وانعدام الثقة بالقيادات السياسية

بعدما كان المجتمع العراقي متحمسًا للمشاركة السياسية في الانتخابات في التعبير عن حقه السياسي والمدني الذي لم يمارسه لعقود من الزمن إلا بطريقة شكلية أو صورية ، وأنه كان يأمل خيرًا بالخب السياسية القادمة من الخارج بعد الإطاحة بالنظام السياسي السابق وتراكمات الأنظمة الاستبدادية الشمولية ، إلا أن مشاعر التفاؤل والأمل التي يحملها المجتمع العراقي بعد التغيير لم تدم طويلاً بعد التجارب الانتخابية التي قدم فيها العراقيون أغلى التضحيات من أجل بناء نظام سياسي ديمقراطي يمثلهم في ظل تحول الممارسات السياسية للمجتمع العراقي من الثقافة السياسية الاستبدادية إلى الثقافة السياسية الديمقراطية .

ميدانيًا وبعد التجارب الانتخابية من خلال ممارسة المجتمع العراقي للثقافة السياسية الانتخابية يشعر أغلب أفراد المجتمع اليوم بالندم والخيبة والإحباط من النخبة السياسية الحاكمة ومن خلال المقابلات المعمقة التي أجراها الباحث مع المبحوثين وجد هناك الكثير من الناخبين يشعرون بالندم لانتخاب هذه النخبة السياسية التي لا يهمها إلا مصالحها السياسية والحزبية والطائفية ، وهذا جعل المواطن يشعر بأنه لا قيمة له أو حساب في خريطة السياسيين ، بل إن المواطن آخر شيء يتذكرون به ، لذلك كثيرًا ما كان يجد أثناء المقابلات الميدانية استياء واضحا لدى المواطنين وندمهم الانتخابي على

انتخاب هذه الوجوه السياسية في الدورات الانتخابية السابقة والتي لم يحصلوا منها على شيء سوى الدمار والخراب ومزيد من الفساد المالي والإداري والتأزم السياسي والفشل في إدارة الدولة وشؤون الناس .

خامساً: تراجع نسبة ثقافة المشاركة السياسية الانتخابية

تُعد المشاركة السياسية الانتخابية ركناً أساسياً من أركان الثقافة السياسية الديمقراطية لكونها تمثل أحد أبرز علامات النظام السياسي الديمقراطي التي تعطيه الشرعية السياسية من خلال انتخاب نخبة سياسية بطريقة ديمقراطية لتتولى شؤون الحكم والسلطة، بل تعد المشاركة السياسية ركناً من أركان التنمية السياسية لكونها تحفز على التعددية السياسية وتمثل المجتمع في النظام السياسي بمختلف اتجاهاته السياسية، كما أن المشاركة السياسية ترسخ للثقافة السياسية الديمقراطية بدلاً من الثقافة الاستبدادية.

ومن خلال المؤشرات الميدانية للثقافة السياسية الانتخابية في المجتمع العراقي اتضح أن حجم المشاركة السياسية للناخبين في التجارب الانتخابية في الدورات البرلمانية الأخيرة لم تتجاوز (٤٠٪) في أفضل حالاتها وهذا مؤشر خطير على التنمية السياسية

الفصل الثالث

بناء الثقافة السياسية في المجتمع العراقي

رؤية مستقبلية في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة

(المقومات والمعوقات، النتائج والتوصيات)

لكي يكون البحث تاماً لا بُدَّ أن يتطرق إلى كيفية بناء ثقافة سياسية في المجتمع العراقي، سواء لدى النخبة السياسية بشكل خاص، أو لدى المواطنين بشكل عام، لذلك سوف يتطرق الباحث في ضوء النتائج الميدانية التي توصلنا إليها إلى كيفية بناء الثقافة السياسية على مستوى النمطين: الثقافة السياسية الديمقراطية والثقافة السياسية الوطنية وهي على النحو الآتي:

أولاً / مقومات بناء الثقافة السياسية الديمقراطية

ونقصد بالثقافة السياسية الديمقراطية هي تبني الممارسات الديمقراطية في الحياة السياسية سواء على مستوى الأفكار والسلوك السياسي على صعيد النخبة السياسية وأفراد المجتمع ، لذلك هناك جملة من المقومات لبناء هذه الثقافة السياسية الديمقراطية وذلك من خلال ما يأتي :

- ١ . الشرعية السياسية والدستورية للسلطة والنظام السياسي : بمعنى أن يكون هناك نظام سياسي أو سلطة سياسية شرعية ودستورية منتخبة من قبل أفراد المجتمع وبشكل ديمقراطي من دون أي قيود أو ضغوط على الأفراد ، فالانتخابات النزيهة أساس الشرعية للسلطة والنظام السياسي والقبول بهما .
- ٢ . التداول السلمي للسلطة : بمعنى أن مراكز الحكم ليست حكراً على جماعة سياسية معينة ، بل يجب تداولها سلمياً وفقاً لمبادئ الديمقراطية ، لمنع عودة الاستبداد والدكتاتورية .
- ٣ . ثقافة التعددية السياسية : بمعنى وجود تيارات وقوى وأحزاب واتجاهات سياسية مختلفة تتنافس فيما بينها للوصول إلى السلطة ، والتعددية بنية أساسية لأي مجتمع ديمقراطي .
- ٤ . اعتماد الأغلبية السياسية : بمعنى أن يكون عملية تشكيل السلطة وفقاً للأغلبية السياسية التي تحصل عليها حزب أو كتلة سياسية معينة وفي قبالها هناك معارضة سياسية .
- ٥ . المشاركة السياسية الفاعلة : أي أن تكون هناك مشاركة سياسية قوية واسعة وفاعلة من قبل المواطنين لأنها مظهر أساسي لديمومة الديمقراطية وتحقيق التنمية السياسية في النسق السياسي وهذه التنمية بدورها تنعكس على الأنساق الأخرى .
- ٦ . الفصل بين السلطات : بمعنى أن يكون هناك فصل بين السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) كلٌ بحسب اختصاصه وعدم التعدي أو التجاوز من إحدى السلطات على السلطات الأخرى .

٧. الحريات المدنية: أي أن تكون هناك حريات أساسية لأفراد المجتمع كحرية الرأي والتعبير والمعتقد، وحرية الإعلام والتجمع والتظاهر وتشكيل منظمات المجتمع المدني وهذه الحريات ينبغي أن تكون مصانة من خلال القانون والدستور وهذا من شأنه أن يعزز ديمقراطية الكلمة.

٨. قوة ونمو الوعي السياسي الديمقراطي: بمعنى أن وجود الوعي السياسي بالديمقراطية ومقتضياتها لدى أفراد المجتمع من شأنه أن يعزز النظام السياسي الديمقراطي ويمنع عودة الدكتاتورية في المجتمع العراقي.

ثانياً / معوقات بناء الثقافة السياسية الوطنية

وجد الباحث ميدانياً جملة من المعوقات للثقافة السياسية الوطنية، وهي كالاتي:

١. ثقافة الانتماء والتمركز حول الثقافات الفرعية: فلا زال المجتمع العراقي عامة والنخبة السياسية خاصة يمارسون سلوكهم السياسي في كثير من الأحيان في إطار ثقافاتهم الفرعية سواء على مستوى الخطابات السياسية أو على مستوى ممارسة الثقافة السياسية الانتخابية إذ لا زالت الولاءات والانتماءات الفرعية للفرد العراقي هي اللاعب الأكبر في ثقافته السياسية، فحسب الشواهد الميدانية أن الأغلبية من أفراد المجتمع العراقي لا زالوا في سلوكهم السياسي ينتخبون أشخاصاً من نفس طائفتهم أو قوميتهم أو قراباتهم وتوجههم السياسي.

٢. دولة المكونات والأحزاب: فتأسيس دولة على أساس المكونات والأحزاب والهويات الفرعية وتشكيل كتل وأحزاب سياسية على نفس تلك الهويات كما هو الحال في التجربة السياسية العراقية بعد (٢٠٠٣)، لأن ذلك يمثل إعاقة في بناء ثقافة سياسية وطنية لأن ولاء أكثر الأفراد سيكون للطائفة أو القومية أو الحزب أكثر من ولائهم للوطن نفسه.

٣. ضعف المواطنة وهشاشة الهوية العراقية الوطنية: إذ لا يزال هناك ضعف كبير في مواطنة الفرد العراقي وولائه للوطن بسبب غياب (دولة المواطنة) لذلك فإن ضعف المواطنة في المجتمع العراقي يرجع إلى أسباب موضوعية أبرزها ما يأتي:

- تراكم ثقافة الاستبداد والتي تركتها الأنظمة السابقة وما جلبته من ويلات وظلم ودمار وخراب وحروب.

- ارتفاع نسبة الفقر: فلا تزال نسبة الفقر في المجتمع العراقي مرتفعة إذ وصلت إلى أكثر من (٣٠٪) بعد مرحلة داعش بحسب مؤشرات وزارة التخطيط وهذا الفقر وعدم معالجته من شأنه أن يضعف المواطنة لدى الأفراد .
- ارتفاع نسبة البطالة: فمؤشرات البطالة في العراق لا زالت مرتفعة لا سيّما في صفوف الشباب والخريجين وهذا يشعرهم بالظلم والحيثف والتهميش والاستبعاد وعدم استثمار طاقاتهم وقدراتهم مما يقلل ولاءهم للوطن .
- ضعف وتردي الخدمات: فلا زال هناك نقص كبير وتردي في الواقع الخدمي كالكهرباء والصحة والتعليم والسكن والبلدية وما إلى ذلك مما جعل العراق في طليعة الدول التي تعاني من نقص الخدمات .
- انتهاكات حقوق الإنسان: فلا زالت الكثير من قضايا حقوق الإنسان في المجتمع العراقي منتهكة وليست بمستوى الطموح فهناك انتهاكات عديدة في مجال حقوق الإنسان أبرزها ما يأتي:
- انتهاكات في مستوى المعيشة فلا يزال مستوى المعيشة للكثير من أفراد المجتمع متردياً وعدم توفير آليات الرفاهية ووسائل للعيش الكريم .
- انتهاكات مدنية تتعلق بالاعتقالات العشوائية أو عن طريق المخبر السري .
- توقيف الأفراد لسنوات عديدة في السجون دون محاكمة .
- ٤ . انعدام أو ضعف العدالة الاجتماعية والاقتصادية: وأهم مظاهر هذا الضعف ما يأتي:
- ليس هناك عدالة ومساواة بين أفراد المجتمع بل هناك محسوبة ومنسوبة وولاءات وانتماءات يقدم فيها شخص على آخر .
- ضعف كبير في تكافؤ الفرص في مختلف المجالات .
- هناك فوارق اقتصادية كبيرة بين المسؤول والمواطنين .
- عدم توزيع الثروات بشكل عادل على المجتمع العراقي ومحافظاته .
- ٥ . الخطابات السياسية الطائفية: وقد أثبتت التجربة السياسية الديمقراطية بعد (٢٠٠٣) أن أكثر النخب السياسية تتبنى خطابات طائفية أو قومية أو مناطقية محرضة على العنف والفتنة

بل إن بعض القيادات السياسية وصلت إلى مجلس النواب من خلال هذه الخطابات والإغراءات والضحك على بعض المواطنين البسطاء بأنهم الممثلون لهم والمدافعون عنهم وعن حقوقهم، وهذه الخطابات من شأنها أن تُعيق بناء ثقافة سياسية وطنية.

٦. ضعف التنمية: فضعف التنمية في المجالات كافة يؤدي إلى تدني مستويات المعيشة والرفاهية وانتشار الجهل والفقر في المجتمع وهذا من شأنه أن يؤدي إلى الازدراء من الحكومة والنظام وضعف في ولاء الأفراد للوطن.

٧. ضعف مناهج الثقافة الوطنية: إن الضعف في غرس المفاهيم الوطنية لدى الأفراد من خلال هذه المناهج من شأنه أن يؤدي إلى ضعف الثقافة السياسية الوطنية وأهم مواطن هذا الضعف في هذه المناهج ما يأتي:

- المناهج التي تعنى بقضايا التربية السياسية الوطنية رغم أنها من أهم المناهج التي يمكن من خلالها زرع ثقافة وطنية في نفوس الأفراد من الطلبة والتلاميذ في مختلف مراحلهم الدراسية.

- زرع الأعلام الطائفية التي من شأنها أن تعزز قيم الولاءات الفرعية لا سيما في المناهج الخاصة بالتاريخ والتربية الإسلامية، وهذا له انعكاسات سلبية في نفوس الأطفال.

١٠. ضعف ثقافة التعايش السلمي على المستوى السياسي والاجتماعي: فضعف قيم التسامح والتصالح والحوار بين أفراد المجتمع سواء على مستوى النخب والتيارات السياسية أو على المستوى المجتمعي من شأنه أن يعزز قيم الانقسام داخل المجتمع والتمحور حول الهويات الفرعية.

وهذه النقاط كلها من شأنها أن تقلل من بناء ثقافة سياسية وطنية باتجاه الوطن، وترسخ باتجاه ثقافة المحاصصة السياسية والطائفية لذلك ما زالت الديمقراطية السياسية العراقية مأزومة ومشوهة وقائمة على وجود بعض هذه المعوقات في طريق بنائها.

ثالثاً / محصلات البحث (النتائج والتوصيات)

أولاً / نتائج البحث الميدانية (حقائق الميدان)

١. في مجال الثقافة السياسية للمرشح تبين أن نمط ثقافة المرشح وسلوكه السياسي والانتخابي يقوم على أساس أمور عدة أهمها:

- التوظيف السياسي للدين وتسخير له .
- التوظيف السياسي للثقافات الفرعية (الطائفة - الإثنية - العشيرة) .
- الزيارات الانتخابية والتواصل مع الجمهور في فترة الانتخابات .
- ثقافة شراء والأصوات وتوزيع الهدايا واستغلال الفقر والعوز المادي لأفراد المجتمع .
- توظيف المال السياسي لأغراض سياسية وانتخابية .
- ثقافة التسقيط السياسي بين الأحزاب والكتل السياسية فالكثير من المرشحين يحاولون كسب أصوات الناخبين عن طريق هذا التسقيط والتشهير السياسي بالآخر .

٢ . أما في مجال نمط ثقافة الناخب فتبين أن أهم ملامحها ما يأتي :

- الاستماع والاستجابة للمرجعية الدينية في الحث على المشاركة السياسية والانتخابية .
- ثقافة الناخب تقوم في الغالب على أساس ثقافة الولاء والانتماء .
- الاتباع والانقياد الأعمى أحياناً بسبب ضعف الوعي السياسي .
- ثقافة الولاء السياسي للبطل (إعطاء كازمة سياسية لقائد حزب أو كتلة معينة) .
- الخضوع للإغراءات المادية والمصالح لا سيما من قبل الطبقات الفقيرة والمرحومة أو الأفراد الذين بحاجة إلى التعيين والتوظيف إذ يضطر بعض الأفراد إلى إعطاء أصواتهم لمرشحين لهذه الأسباب .
- ثقافة الشك وانعدام ثقة في أغلب الأحزاب والقيادات السياسية الموجودة في السلطة .
- تراجع ثقافة المشاركة السياسية الانتخابية للناخبين بسبب التجربة السياسية لهذه الأحزاب والنخب وسوء أدائها السياسي وصراعها على السلطة وتغليب مصالحها الحزبية والفتوية والشخصية على مصالح المواطنين .
- التظاهرات الشعبية والضغط باتجاه التغيير: إذ إن أغلبية العراقيين يسودهم التشاؤم واليأس والإحباط من جراء التجربة السياسية الحالية والقائمين عليها أحزاباً وقادة وكثرة التراكمات والإخفاقات والفشل في إدارة الدولة أدى إلى انفجار شعبي تمثل في تظاهرات واعتصامات في أغلب المحافظات العراقية

٢ . في ما يتعلق بمقومات بناء الثقافة السياسية الوطنية فقد توصل الباحث إلى النتائج ميدانيًا وهي كالآتي :

- الشرعية السياسية والدستورية للسلطة والنظام السياسي
- التداول السلمي للسلطة .
- ثقافة التعددية السياسية .
- اعتماد الأغلبية السياسية .
- المشاركة السياسية الفاعلة .
- الفصل بين السلطات .
- الحريات المدنية
- قوة ونمو الوعي السياسي الديمقراطي

٣ . أما فيما يتعلق بمعوقات الثقافة السياسية الوطنية فقد توصل الباحث ميدانيًا إلى النتائج الآتية :

- ثقافة الانتماء والتمركز حول الثقافات الفرعية .
- دولة المكونات والأحزاب .
- ضعف المواطنة وهشاشة الهوية العراقية الوطنية .
- ضعف وتردي الخدمات وارتفاع نسبة الفقر والبطالة .
- انتهاكات حقوق الإنسان .
- انعدام أو ضعف العدالة الاجتماعية والاقتصادية .
- الخطابات السياسية الطائفية .
- ضعف التنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتدني مستويات المعيشة والرفاهية وانتشار الجهل والامية .
- ضعف مناهج الثقافة الوطنية .
- ضعف ثقافة التعايش السلمي على المستوى السياسي والاجتماعي .

رابعًا / التوصيات

في ضوء ما توفر للباحث من حقائق ميدانية بشأن الثقافة السياسية في المجتمع العراقي، نتوصل إلى مجموعة من التوصيات أهمها ما يأتي :-

١. تعديل بعض المواد الدستورية : وهي كالآتي :

أ- تعديل المواد الخلافية أو المسببة للتأزم لغلق الطريق أمام القراءات والتفسيرات والتأويلات المتعددة للدستور.

- تعديل المادة الخاصة بطبيعة ونوع النظام السياسي وتحويله من نظام برلماني إلى نظام رئاسي بعد فشل تجربة النظام البرلماني في العراق لكونه يكرس المحاصصة السياسية والطائفية .

ب- في ما يتعلق بتشريع وإقرار القوانين :

- تشريع وإقرار القوانين المهمة للدولة العراقية بعد تغيير النظام (كقانون الأحزاب السياسية وقانون المحكمة الاتحادية وقانون النفط والغاز ، وقانون حرية التأليف والتعبير ، وقوانين أخرى تتعلق بشعار الدولة وعلمها ونشيدها ويومها الوطني) التي لم تُقر إلى الآن ، وهي من أهم مقومات بناء الدولة .
- تشريع القوانين المهمة لحياة المجتمع العراقي سواء المتعلقة بالخدمات أو السكن أو المعيشة أو التعليم أو الضمان الاجتماعي والصحي وكل ما يمس حياة المواطن العراقي .
- تشريع وإقرار قانون يقلل عدد أعضاء مجلس النواب ورواتبهم وامتيازاتهم وهكذا بقية المسؤولين في الرئاسات الأخرى من أجل تقليل الفوارق الطبقية بين المسؤول والمواطنين .

٢ . الى السلطة التنفيذية

- اعتماد حكومة الأغلبية السياسية بعيداً عن ثقافة المحاصصة .
- اختيار الوزراء والمسؤولين والدرجات الخاصة على أساس معايير النزاهة والكفاءة والخبرة (حكومة تكنوقراط) وليس على أساس انتمائهم السياسي أو الطائفي أو الإثني والعشائري .
- توفير الخدمات للمجتمع العراقي وبشكل جيد (توفير الأمن والكهرباء والسكن والخدمات البلدية وما إلى ذلك) .
- معالجة قضايا الفقر والبطالة ورفع مستوى المعيشة للمواطنين وبناء دولة الرفاهية .

- الاستعمال الأمثل للثروات والتوزيع العادل لها وتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية في كل شيء .
- تقليل الوزارات والمناصب غير المهمة التي ابتدعت من أجل إرضاء الأحزاب والكتل السياسية في ظل ثقافة المحاصصة .
- تفعيل خدمة الحكومة الإلكترونية ، لا سيّما في مجال معاملات المواطنين من أجل تقليل العبء عليهم في ظل البيروقراطية القاتلة في مؤسسات الدولة .
- معالجة قضايا الفساد المالي والإداري الذي أصبح الوجه الثاني للإرهاب .
- استحداث مناهج جديدة من قبل وزارتي التربية والتعليم بشكل ينمي ويعمق الثقافة السياسية الوطنية لدى الطلبة والتلاميذ في مراحلهم الدراسية المختلفة .
- تعزيز قضايا حقوق الإنسان والحريات المدنية والإعلامية والسياسية والثقافية .

٣ . إلى الأحزاب والكتل السياسية .

- الابتعاد عن الصراعات السياسية وثقافة التسقيط والتشهير السياسي بالآخر .
- عدم تشكيل أحزاب أو كتل سياسية معينة على أساس الهوية الطائفية أو الإثنية كما هو موجود حاليًا وتشكيل أحزاب وطنية عابرة للهويات الثقافية الفرعية .
- الابتعاد عن الخطابات السياسية والطائفية المؤججة للعنف والفتنة .
- عدم التدخل في شؤون القضاء العراقي أو الضغط عليه .
- رفض المحاصصة السياسية والطائفية في بناء الدولة .
- الإيمان بالديمقراطية والتداول السلمي للسلطة .
- الإيمان بثقافة المعارضة السياسية من خلال تشكيل حكومات قائمة على أساس الأغلبية السياسية ، وتشكيل في قبالتها ائتلاف سياسي معارض في مجلس النواب من شأنه أن يراقب عمل الحكومة وأداءها التنفيذي كما هو الحال في الديمقراطيات العالمية ذات الثقافة السياسية الديمقراطية المتقدمة .
- تعزيز ثقافة الحوار والتسامح السياسي .

الهوامش

- ١ محمد شفيق: البحث العلمي، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ٥٥.
 - ٢ د. محمد حسن غامدي: المناهج الأنثروبولوجية: المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ٨٧.
 - ٣ المصدر نفسه، ص ٩٦.
 - ٤ ينظر: روبرت ايمرسون وآخرون: البحث الميداني الأنثوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٥٤.
 - ٥ المصدر نفسه، ص ٨٣.
 - ٦ ينظر: د. عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٧٩.
 - ٧ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب: بيروت، ١٩٨٨، مجلد (١)، ص ٣٦٤-٣٦٥.
 - ٨ ينظر: مجموعة باحثين: دراسات في المجتمع العربي، اتحاد الجامعات العربية، عمان، ١٩٨٥، ص ٣٥٥.
 - ٩ د. أحمد أبو زيد: محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية: دار النهضة العربية: بيروت، ١٩٨٧، ص ٤١-٤٢.
 - 10- Kottak, Conrad Phillip, culture Anthropology, university of Michigan, Eleventh edition, 2006, p.63.
 - ١١ د. عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحدائثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٢٩.
 - ١٢ ينظر: إيكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات
- الأنثولوجيا والفولكور: ترجمة محمد الجوهري - حسن الشامي، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٧٣، ص ١٤٥-١٤٦.
- ١٣ ينظر: د. سمير خطاب: التنشئة السياسية والقيم، إيستراك للنشر والتوزيع ن مصر، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٤٢.
- ١٤ د. صادق الأسود: المصدر نفسه، ص ٣٢١.
- ١٥ ينظر: د. صادق الأسود: علم الاجتماع السياسي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٢-٣٢٣.
- ١٦ د. صادق الأسود: علم الاجتماع السياسي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٩-٣٣٠.
- 17 Iain Mclean, The concise Oxford Dictionary of politics, New York, Oxford university press, 1996, p. ٣٧٩
- ١٨ د. كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٣، ص ٦١.
- ١٩ Peter Nettl, political Mobilisation, London, ١٩٦٧, p. ٥٧.
- ٢٠ د. عبد الله محمد عبدالرحمن: علم الاجتماع السياسي، دار النهضة العربية، بيروت (بلا سنة طبع)، ص ٤٣٦.
- ٢١ ينظر: د. محمد علي محمد: دراسات في علم الاجتماع السياسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٦-١٢٧.
- ٢٢ للمزيد ينظر: د. إحسان محمد الحسن: موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٠، ص ٢١٤.

صورة الحشد الشعبي في مواقع التواصل الاجتماعي «الفيسبوك» أنموذجاً

أ.م.د. ربا قحطان الحمداني

قسم العلاقات العامة/كلية الإعلام / جامعة بغداد

المستخلص:

تناول البحث صورة (الحشد الشعبي) في مواقع التواصل الاجتماعي، وتم اختيار صفحات (الفيسبوك) لدراسة صورتها، وأحصت الباحثة أعداد الصفحات التي حملت عنوان (الحشد الشعبي) بمختلف المسميات والعبارات، كما تناولت معالم صورة (الحشد الشعبي). إذ طرح البحث التساؤلات الآتية:

١ ما صورة (الحشد الشعبي) في صفحات الفيسبوك؟

٢ . ما مضامين هذه الصورة؟

٣ . ما أعداد الصفحات التي تحمل عنوان (الحشد الشعبي) بمختلف المسميات والعبارات؟

واستخدمت الباحثة منهج تحليل المضمون لدراسة صورة (الحشد الشعبي)، إذ تناولتها بالتحليل النوعي (الكيفي) والتحليل الكمي.

وشملت عينة البحث صفحات الفيسبوك طيلة أيام (١٦، ١٧، ١٨) آذار (٢٠١٧)، في ذروة المعارك التي كانت تخوضها القوات الأمنية العراقية بكافة صنوفها ضد ما يسمى بـ (داعش).

و توصلت الباحثة إلى وجود (٩٨٣) صفحة على الفيسبوك تحمل عنوان (الحشد الشعبي)، منها (٣٠٨) صفحات قام بإنشائها عراقيون من تلقاء أنفسهم، و ينشرون فيها أخبار المعارك يوميا.

و (٦٦٥) صفحة هي مجموعات (كروب) و تضم الآلاف من المتابعين والمعجبين، و ينشرون لأخبار المعارك يوميا أيضا.

و بلغ مجموع أعداد الصفحات التي تحمل عنوان (الحشد الشعبي) (٦٥) صفحة. تناولت عمليات التحرير، و قصص البطولة لقادة و جنود، مع مئات الصور و الفيديوات، و بلغ متابعو إحدى هذه الصفحات (١٦٦،٧٠٦) متابعين و معجبين.

و بلغ مجموع أعداد الصفحات التي حملت عنوان (الإعلام الحربي و إعلام الحشد الشعبي)، (٦١) صفحة.

و حملت العناوين الأخرى تسميات (هيئة الحشد الشعبي) و (كلنا الحشد) و (دعم الحشد الشعبي)، فيما كانت عناوين أخرى تحمل أسماء المناطق مثل (الحشد الشعبي / محور نينوى) و (الحشد الشعبي / محور واسط) و (الحشد الشعبي / بيجي) و (الحشد الشعبي / الأنبار)، و عناوين أخرى حملت عناوين قطاعات مثل (الحشد التربوي) و (الحشد العلمي) و (الحشد الشعبي الجامعي) و (الحشد الشعبي الرياضي)، و كذلك كانت هناك صفحات تديرها نساء عراقيات، مثل صفحة (بنت الحشد الشعبي).

كذلك حملت صفحات عناوين أسماء العشائر العراقية، مثل صفحات (عشيرة العبيد لدعم الحشد) و (قوات شمر لدعم الحشد الشعبي). و صفحات أخرى تحمل عناوين المناطق التي تدعم الحشد، مثل صفحات (أهالي ناحية طوز لدعم الحشد الشعبي) و (أهالي المسيب لدعم الحشد الشعبي).

و صفحات حملت أسماء الألوية، مثل صفحات (الحشد الشعبي لواء ٤٢) و (الحشد الشعبي لواء تلعفر) و (الحشد الشعبي لواء ٣٠).

فيما كانت هناك صفحات تحمل عناوين (شهداء الحشد) و (أبطال الحشد) و (الحشد العشائري) و (جيش الحشد الإلكتروني) و (الحشد والجيش).

و كانت هذه الصفحات تنقل أخبار المعارك يوميا، و تروي القصص البطولية لقادة و جنود الحشد الشعبي.

الكلمات الافتتاحية :

(مواقع التواصل الاجتماعي)، (صفحات الفيسبوك)، (الحشد الشعبي).

The Image of the Popular Mobilization Forces on Social Media Sites "Facebook" as a model

Abstract

The research dealt with the image of Popular Mobilization Forces (PMF) in social media sites, and (Facebook) pages were selected to study their image,

The researcher counted the number of pages that have the title (PMF) with various names and phrases, and also dealt with the features of the image (PMF).

The research asked the following questions:

- What is the image of PMF on Facebook pages?

What are the contents of this image?

- How many pages bearing the title (Al-Hashd Al-Sha'bi) with various names and phrases?

The researcher used the content analysis method to study the image of PMF, which used it with the qualitative and the quantitative analysis.

The research sample included Facebook pages throughout the period of 16, 17, 18 March 2017, at the height of the battles that the Iraqi security forces of all kinds were waging against the so-called (ISIS).

The research found that there are (983) pages on Facebook bearing the title (Al-Hashd Al-Shaabi), of which (308) pages were created by Iraqis on their own, and they publish daily news of the battles.

And (665) pages are groups and include thousands of followers and fans, and they publish news of battles.

The total number of pages bearing only the title of (Al-Hashd Al-

Shaabi)reached (65) pages. It dealt with the liberation processes, and the heroic stories of leaders and soldiers, with hundreds of photos and videos, and the followers of one of these pages reached 166,706 followers and fans.

The total number of pages bearing the title of (The Military media and the PMF reached to (61) pages.

الفصل الأول: الإطار المنهجي للبحث

١- مشكلة البحث :

يتناول البحث صورة الحشد الشعبي في مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك)، و نوع هذه الصورة، نظراً لاختلاف التسميات التي تطلق على هذا التشكيل الأمني الجديد، فبعض وسائل الإعلام تطلق عليه تسميات توحى بالسلبية، و تتناول أخبارهم بصفة جماعات مسلحة غير مسيطر عليها أو ما تطلق عليها بـ (الميليشيات) و تطرح عنها صورة سلبية للغاية و تتهمها بحوادث سلبية .

و يطرح البحث التساؤلات الآتية :

١- ما هي صورة هيئة الحشد الشعبي في مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك)؟

٢- ما هي مضامين هذه الصورة؟

٣- ما أعداد الصفحات التي تتخذ من هيئة الحشد الشعبي موضوعاً رئيساً لها؟

٤- ما نوع هذه الصفحات التي تتناول أخبار و شؤون هيئة الحشد الشعبي؟

٥- ما هي المحاور الرئيسة التي ركزت عليها صورة هيئة الحشد الشعبي في مواقع التواصل الاجتماعي؟

٢- أهمية البحث :

تنطلق أهمية البحث من معرفة الصورة الذهنية لدى الجمهور العراقي عن الحشد الشعبي في مواقع التواصل الاجتماعي، و تحديداً على صفحات الفيسبوك، كون الفيسبوك اليوم يعد من أبرز مظاهر التعرف على صورة المؤسسات والشخصيات لدى الجمهور، خاصة

أنها خارج سيطرة المؤسسات الحكومية إلى حد ما . و معرفة مضامين هذه الصورة مهمة ، لأنها تسجل مؤشرات مهمة عن وسائل الإعلام المختلفة ، خاصة أن بعض وسائل الإعلام تتعاطى مع الهيئة بشكل سلبي ، و وسائل أخرى تنهج نهجاً مختلفاً ، فتلقي الضوء على كل المعارك التي تشارك بها الهيئة . و معرفة صورة الحشد الشعبي لدى الجمهور العراقي سيعد مؤشراً مهماً للغاية ، لمعرفة ثقة الجمهور العراقي بوسائل الاتصال المختلفة و مصداقيتها كذلك لدى جمهورها .

٣- أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تحقيق القضايا الآتية :

- ١ - معرفة صورة هيئة الحشد الشعبي على مواقع التواصل الاجتماعي .
- ٢ - معرفة المحاور الرئيسة لصورة الحشد الشعبي .
- ٣ - التعرف على مضامين صورة الحشد الشعبي .
- ٤ - التعرف على أعداد الصفحات التي أنشئت لغرض نشر أخبار و شؤون الحشد الشعبي .
- ٥ - معرفة أنواع الصفحات المتخصصة بشؤون الحشد الشعبي .

٤- منهج البحث :

استخدمت الباحثة منهج تحليل المضمون في معرفة صورة الحشد الشعبي على مواقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك ، و تناولت تحليل المضمون الكميّ والكيفي .

٥ - عينة البحث :

تناولت الباحثة جميع صفحات الفيسبوك التي ظهرت على موقع التواصل الاجتماعي / الفيسبوك ، عند كتابة عبارة الحشد الشعبي ، و تم تدوين أسماء هذه الصفحات طيلة ثلاثة أيام ، من (١٦ آذار لغاية ١٨ آذار ٢٠١٧) . و بلغت (٩٨٣) صفحة .

الفصل الثاني

أولاً : مواقع التواصل الاجتماعي

تعددت تعريفات مواقع التواصل الاجتماعي ، وتختلف من باحث لآخر ، حيث يعرفها «بالاس 2006 BALAS» «على أنها برنامج يستخدم لبناء مجتمعات على شبكة الإنترنت أين يمكن للأفراد أن يتصلوا ببعض البعض لعدد من الأسباب المتنوعة» .

وتعرف على أنها المواقع الإلكترونية التي توفر فيها تطبيقات الإنترنت خدمات لمستخدميها تتيح لهم إنشاء صفحة شخصية معروضة للعامة ضمن موقع أو نظام معين ، وتوفر وسيلة اتصال مع معارف منشئ الصفحة أو مع غيره من مستخدمي النظام ، وتوفر خدمات لتبادل المعلومات بين مستخدمي ذلك الموقع أو النظام عبر الإنترنت .

تقوم الفكرة الرئيسية للشبكات الاجتماعية على جمع بيانات الأعضاء المشتركين في الموقع ويتم نشر هذه البيانات بشكل علني حتى يجتمع الأعضاء ذوو المصالح المشتركة والذين يبحثون عن ملفات أو صور . . . إلخ ، أي أنها شبكة مواقع فعالة تعمل على تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف والأصدقاء ، كما تمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال ببعضهم البعض وبعد طول سنوات تمكنهم أيضاً التواصل المرئي والصوتي وتبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توطن العلاقة الاجتماعية بينهم .

ومع بداية عام (٢٠٠٢) انطلق موقع التواصل الاجتماعي "Friendster.com" ، وقد تم تصميمه ليكون وسيلة للتعرف والصدقات المتعددة بين مختلف فئات المجتمع العالمي ، وقد نال هذا الموقع شهرة كبيرة في تلك الفترة ، وفي النصف الثاني من نفس العام ظهر في فرنسا موقع "skyrock.com" كمنصة للتدوين ، ثم تحول بعد ذلك إلى شبكة تواصل اجتماعي مع ظهور تقنيات الجيل الثاني للويب .

ثم كانت النقلة الكبيرة إلى شبكات التواصل الاجتماعي بانطلاق موقع التواصل الاجتماعي الشهير الفيسبوك "Facebook.com"؛ حيث انطلق رسمياً في (الرابع من فبراير عام ٢٠٠٤)؛ وقد بدأ هذا الموقع أيضاً في الانتشار الموازي مع شبكات التواصل الأخرى على الساحة حتى تطور الفيسبوك من المحلية إلى الدولية عام (٢٠٠٦) ، وكذلك قيام الفيسبوك في عام (٢٠٠٧) بإتاحة تكوين التطبيقات ، وهو ما أدى إلى زيادة أعداد مستخدمي الفيسبوك بشكل كبير ، حتى تربع الفيسبوك على عرش مواقع التواصل الاجتماعي من حيث عدد

المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي بل ومواقع الإنترنت بصفة عامة على مستوى العالم. وانتشرت فكرة مواقع التواصل الاجتماعي للمدونات الصغيرة بظهور موقع التواصل الاجتماعي تويتر "Twitter"; حيث ظهر هذا الموقع في أوائل عام (٢٠٠٦) كمشروع تطوير بحثي أجرته شركة "Odeo" الأمريكية في مدينة سان فرانسيسكو، وبعد ذلك أطلقتها الشركة رسمياً للمستخدمين بشكل عام في أكتوبر (٢٠٠٦)، وقد بدأ الموقع في الانتشار كخدمة جديدة للتواصل الاجتماعي على الساحة في عام (٢٠٠٧) لتقديم التدوينات المصغرة، وقامت شركة "Odeo" بفصل الخدمة عن الشركة وتكوين شركة جديدة باسم "Twitter" بدءاً من (ديسمبر ٢٠٠٩).

مميزات شبكات التواصل الاجتماعي :-

تتميز شبكات التواصل الاجتماعي عن غيرها من المواقع في الشبكة العنكبوتية بعدة ميزات، من أبرزها :-

١. إن هدف المواقع الاجتماعية خلق جو من التواصل في مجتمع افتراضي تقني يجمع مجموعة من الأشخاص من مناطق ودول مختلفة على موقع واحد تختلف وجهاتهم ومستوياتهم وتتفق لغتهم التقنية.

٢. إن الاجتماع على وحدة الهدف سواء التعاون أو التعارف أو لمجرد الترفيه وتكوين علاقات جديدة أو حب الاستطلاع.

٣. إن الشخص في هذا المجتمع عضو فاعل، أي أنه يرسل ويستقبل ويشترك ويسمع ويتحدث، فدوره هنا تجاوز الدور السلبي من الاستماع فقط إلى الاطلاع ومحاولة توجيه الموقع للتواصل الإيجابي.

وكذلك تتميز الشبكات الاجتماعية عن غيرها بعدة ميزات :-

١. العالمية، حيث تلغي الحواجز الجغرافية إذ يستطيع الفرد التواصل مع أي فرد آخر في أصقاع الأرض بكل بساطة

٢. التفاعلية، فالفرد هنا هو قارئ ومستقبل، هو كاتب ومشارك.

٣. التنوع وتنوع الاستعمالات ، يستخدم مواقع الشبكات الاجتماعية الطبيب والمهندس والطالب والأستاذ الجامعي والعامل وسائق سيارة الأجرة، وربة البيت، وطلاب في عمر المراهقة.

٤. سهولة الاستخدام، تتميز الشبكات بأنها تتطلب معرفة القراءة والكتابة فقط.

٥. الجانب الاقتصادي، لا تتطلب أموالاً كثيرة بل تتطلب الاشتراك الشهري بشبكة المعلومات العالمية فقط، وكذلك لا تتطلب جهداً كبيراً سوى الجلوس والضغط على الأزرار، أما الوقت فإنه يستغرق ساعات طويلة ولكن المتلقي لا يشعر بالملل أبداً فيه.

أشهر مواقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك "Facebook"

يعد الفيسبوك من أشهر مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت تأسس في عام (٢٠٠٤) من قبل "مارك زوكربيرغ - وكريس هوجس" ويقدم الموقع جميع خدماته مجاناً ويتم بانضمام المستخدم إلى الشبكة عبر التسجيل في الموقع ومن ثم يتمكن من التواصل مع قائمة أصدقائه وإرسال رسائل نصيه وإنشاء ملف خاص لكل مستخدم يحتوي على معلومات الشخصية وصوره ويمكنه تبادل الرسائل والصور ونشرها على صفحته الشخصية ليتمكن الأصدقاء من رؤيتها، ويتخطى عدد المستخدمين للفيسبوك لغاية (٢٠١٤) ثمانمائة مليون مستخدم نشط يستخدم نصفهم الموقع يومياً، ويتم تحميل (٢٥٠) مليون صورة يومياً، ويتم مشاهدة ما يعادل (١٥٠) سنة من الفيديو المتضمن من اليوتيوب فقط داخل الموقع، ويتوفر الفيسبوك بأكثر من (٧٠) لغة، و (٣٥٠) مليون مستخدم يستخدمون الهواتف الذكية للدخول على حساباتهم في الفيسبوك.

مميزات الفيسبوك :-

يتميز الفيسبوك كشبكة اجتماعية بعدة خصائص أبرزها :-

١. خاصية "Wall أو لوحة الحائط"، وهي عبارة عن ساحة مخصصة في صفحة الملف الشخصي لأي مستخدم بحيث تتيح للأصدقاء إرسال الرسائل إلى هذا المستخدم أو الكتابة على حائطه.

- ٢ . خاصية "التعليقات"، وهي سمة متعلقة بالتدوين تسمح بإضافة العلامات والصور التي يمكن تضمينها، وقد يمكن المستخدمين من جلب أو ربط المدونات .
 - ٣ . خاصية "Status أو الحالة"، التي تتيح إمكانية إبلاغ أصدقائهم بأماكنهم وما يقومون به من أعمال وما يشعرون به من أحاسيس ومشاعر في تلك اللحظة .
 - ٤ . خاصية "Pokes أو نكز"، تتيح إرسال نكزة افتراضية، لإثارة الانتباه إلى بعضهم البعض يخطر المستخدم بأن أحد الأصدقاء يقوم بالترحيب به .
- كذلك يتميز الفيسبوك بتقديم خدمات كثيرة أهمها:

- ١ . مجانية الاشتراك
- ٢ . البحث عن الأصدقاء القدامى والتعرف عليهم ومراسلتهم
- ٣ . يتمتع المستخدم بوجود صفحة شخصية له على الفيسبوك ويمكن له أن يضع فيها ما يشاء من صور أو فيديوات، وكذلك كتابة ما يشاء وتحديد بعض الأشخاص الذين يسمح لهم بمشاهدتها أو السماح للجميع بمشاهدتها
- ٤ . وضع الصور الخاصة به على صفحته الشخصية وتكوين البوم صور خاص به وتحديد من يمكنه رؤيته .
- ٥ . تكوين مجموعات أو الاشتراك في مجموعات تتحدد عن أمر معين وبدون أدنى شروط .
- ٦ . المحادثة المباشرة مع الأصدقاء .
- ٧ . إرسال واستلام الرسائل من الأصدقاء .
- ٨ . تم تقديم سمة تعليقات الفيسبوك في (٢٢ آب ٢٠٠٦)، وهي سمة تتعلق بالتدوين وتسمح بإضافة العلامات والصور التي يمكن تضمينها .
- ٩ . أصدر الفيسبوك تطبيق إرسال رسائل فورية إلى شبكات الاتصال باستخدام برنامج "comet" وأطلق عليه اسم "chat"، ويوفر هذا التطبيق للمستخدمين إمكانية التواصل مع أصدقائهم .

١٠. أطلق الفيسبوك سمّة الهدايا . التي تتيح للمستخدمين إرسال هدايا افتراضية إلى أصدقائهم ، تظهر على الملف الشخصي للمستخدم ، الذي يقوم باستقبال الهدية ،
١١. في (١١ من كانون الأول ٢٠٠٨) تم الإعلان عن اختبار الفيسبوك لطريقة جديدة في تسجيل الدخول بشكل مبسط .

إن محتوى الفيسبوك اليوم لم يعد مجرد يوميات أو أخبار شخصية ، يتداولها فيما بينهم ، بل دخل في مجالات عدة لم يكن متوقعًا أنه يمكن استخدامه لصالحه ، ومن هذه الاستخدامات :

١- إن بعض وسائل الإعلام أصبحت تستخدم الموقع كمصدر للأخبار ، وكذلك يتم استخدامه من قبل الصحف والمجلات والقنوات الفضائية ، وأخذت بعض الصحف تنشئ لها صفحات خاصة على الموقع .

٢- استخدام الأدباء والكتاب من خدمات الموقع ، إذ إن الكتاب والأدباء يشيرون إلى إصداراتهم الجديدة غيرها ، كما أنهم ينشرون الصفحة الأولى للإصدار ، مما أدى إلى سرعة الإقبال عليها من الجمهور القارئ ، كونه عرف بها من المصدر مباشرة ، وأين تتوفر هذه النسخة في الأسواق والمكتبات .

٣- كذلك اتجهت الشركات إلى الترويج لخدماتها ، والتسويق لمنتجاتها ، بالإضافة إلى معرفة آراء الجمهور بالخدمة المقدمة لهم ، أو المنتج ، لإجراء التعديلات عليها قبل طرحها في الأسواق .

٤- كذلك دخلت السياسة في الفيسبوك ، حيث يتم استخدامه من قبل المرشحين للانتخابات البرلمانية ، أو الانتخابات الفرعية ، للترويج لبرامجهم الانتخابية ، ومحاولة كسب الجمهور ، كذلك المرشحين إلى الانتخابات الرئاسية .

وفي المدة الأخيرة ، تحولت مواقع التواصل الاجتماعي إلى مصدر أساسي للمعلومات والأخبار ولبتت أشدّ أشرطة الفيديو وشهادات الشهود على الأحداث ، فلجأ (المواطن الإعلامي) إلى تصوير الأحداث على جواله و كاميرته ومن ثم نشرها على صفحته الشخصية ، أو إرسالها إلى المؤسسات الإعلامية الكبرى ، التي تطلب من المشاهدين إرسال ما يقومون بتصويره إلى المؤسسة في إعلانات خاصة للقناة ، ويتم بثّها .

صحافة المواطن

لم تفرز تكنولوجيا الإعلام ظواهر إعلامية فقط ، وإنما أفرزت مصطلحات ومفاهيم أضيفت إلى القاموس الإعلامي المهني ، والأكاديمي ، ومما يثير الانتباه بروز مصطلح (صحافة المواطن) التي نشأت في إطار ما عرف بالإعلام الجديد ، بوصفها ظاهرة معقدة ومركبة تولدت نتيجة للتطور التكنولوجي الكبير في مجال الاتصال .

و (صحافة المواطن) ويسمى أيضاً بالصحافة العامة ، أو الصحافة التشاركية ، أو صحافة الشارع ، هو مصطلح يرمز لأفراد من العامة يمارسون نشاطاً في نقل وجمع وتحليل وتفسير ونشر الأخبار والمعلومات والآراء والأفكار والمعارف . وقد أصبحت ظاهرة المواطن الصحفي ظاهرة غير قابلة للتجاهل . وهي رد فعل قد يكون في الوقت نفسه عفويًا وواعيًا ناتجًا عن حضور المواطن في قضايا الشأن العام ، وتأكيداً لحالة من التشكيك في صدقية الصحافة ، و تعكس حالة من عدم الثقة بين وسائل الإعلام التقليدية ، والجيل الجديد من مستخدمي شبكة المعلومات العالمية .

وتوفر صحافة المواطن بيئة للنقاش والحوار والتفاعل وطرح الآراء والأفكار المختلفة تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية والتعليمية والصحية و التربوية والأمنية والثقافية والدينية .

ويعترف كبار التنفيذيين الإعلاميين بالتغير الكبير الذي أحدثه وتحديثه صحافة المواطنين على طبيعة العمل التقليدي للمؤسسات الإعلامية ، فقد ذكر "كونور وشيستر conor & schecher" ، مؤسسي شركة "globalvision" الإعلامية ، أنه لسنوات و عقود كان الصحفيون هم الذين ينشرون للجمهور الموضوعات والقضايا ، ولكن مع التطورات التكنولوجية لم يعد هذا المفهوم سائداً . فقد أصبح المواطن العادي يأخذ دوراً جديداً ليقول رأيه ويفصح عن أفكاره ، وانتقلت سلطة الإعلام من الصحفيين إلى المواطنين . ويرى "شيستر" أنه من الأفضل لوسائل الإعلام التقليدية ألا تعادي مثل هذه المواقع ، بل تحاول أن تدمجها في أهدافها الإعلامية ، وينبغي أن تتخلى وسائل الإعلام التقليدية عن مفهوم السيطرة التامة على المعلومات والأخبار ، حتى لا تفقد السيطرة على مجال الإعلام .

ثانياً : تأسيس الحشد الشعبي

تأسس الحشد الشعبي في (١٤ حزيران ٢٠١٤) بعد فتوى المرجعية العليا في النجف الأشرف، بإعلان الجهاد الكفائي . بعد سقوط محافظة نينوى و محافظة صلاح الدين بيد ما يسمى بـ (داعش) في (١٠ حزيران ٢٠١٠) وتقدمهم إلى محافظة الأنبار . ثم انضوى الحشد في المؤسسة الأمنية العراقية، بعد إن تم إقرار قانون الحشد الشعبي، وصوّت البرلمان العراقي عليه، وصادق عليه رئيس الجمهورية .

وشارك في معارك تحرير (جرف الصخر، و آمرلي، والضلوعية، و بلد، وديالى، والدور، والعلم، والبغدادى، وتكريت، وبيجي، والثرار، والرماذي، وسامراء، والبشير، والكرمة، والفلوجة والصقلاوية، وجزيرة الخالدي، الشرقاط والحضر) .

و تتألف حالياً من (٦٧) فصيلاً عسكرياً .

الفصل الثالث

تحليل مضامين صفحات الفيسبوك حول صورة الحشد الشعبي

قامت الباحثة بإجراء مسح شامل لصفحات الحشد الشعبي عبر مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) إذ تبين أن هناك (٩٨٣) صفحة تحمل اسم الحشد الشعبي، منها (٣٠٨) صفحات شخصية لأفراد، و صفحات خاصة بالحشد الشعبي، (٦٧٥) لمجاميع من الأشخاص (كروبات) تحمل اسم الحشد الشعبي .

وقامت الباحثة بتحليل مضمون الصفحات الشخصية تحليلاً كمياً، ومن خلال العنوان الرئيسي للصفحة و مضمون الصفحة، و جاءت بالنتائج الآتية :-

١ . إن الصفحات التي حملت اسم (الحشد الشعبي) احتلت المرتبة الأولى إذ بلغت (٦٥) صفحة شخصية، و تناولت أخبار و عمليات التحرير و قصص البطولة . ومئات الصور والفيديوات، ووصلت أعداد الإعجابات لها في بعض الصفحات إلى (٧٠٦، ١٦٦) إعجاباً، مثل صفحة الحشد الشعبي .

٢ . جاءت الصفحات التي تحمل عنوان الإعلام الحربي في المرتبة الثانية إذ بلغت (٦١) صفحة شخصية، مثل صفحة فريق الدعم الإعلامي والذي وصل عدد الإعجابات فيه إلى (٧٢، ٣٣٣) إعجاباً، و صفحة الإعلام الحربي وصلت

- الإعجابات فيه إلى (٥٨٨، ٧) إعجابًا، و صفحة إعلام الحشد الشعبي المقدس و بلغ أعداد معجبيه (٥١٤، ٥١).
٣. وجاءت الصفحات التي تحمل عنوان (هيئة الحشد الشعبي) في المرتبة الثالثة، وبلغت (٤٥) صفحة، مثل صفحة هيئة الحشد الشعبي، ووصل عدد الإعجابات فيها إلى (٣٦٤، ٤٥٨) إعجابًا. و صفحة هيئة الحشد الشعبي مديرية التعبئة، ووصل عدد الإعجابات فيها إلى (٨٦٩، ٤٤) إعجابًا، و صفحة هيئة الحشد الشعبي مديرية التوجيه العقائدي وسجل (١٣٢، ٤٣٥) إعجابًا.
٤. أما الصفحات التي يؤسسها الشباب فقد جاءت في المرتبة الرابعة بواقع (٣٨) صفحة، مثل صفحة: كلنا الحشد، ، بلغ عدد المعجبين بهذه الصفحة (١١٨٧٦) إعجابًا.
٥. وجاءت صفحات تحمل مسميات (دعم الحشد الشعبي) في المرتبة الخامسة، بواقع (٢٠) صفحة، مثل صفحة أنصار الحشد الشعبي، و بلغ عدد معجبيه (٨٥٧، ٥٨٣) إعجابًا.
٦. وجاءت الصفحات التي تحمل مسمى الحشد حسب المناطق الجغرافية بالمرتبة السادسة، وهي (١١) صفحة، مثل صفحة الحشد الشعبي / محور نينوى وسجل عدد إعجابات (٢٨٨، ٣١) إعجابًا. و صفحة الحشد الشعبي في واسط الذي سجل بدوره (٦٦٣، ١٨).
٧. واحتلت صفحات أنشأتها المرأة العراقية المرتبة السابعة وبلغت (١٠) صفحات، و وصلت أعداد الإعجاب فيها إلى (١٩٠، ٦٥١) إعجابًا في صفحة عاشقة الحشد الشعبي، وتضم النساء اللواتي يذهبن إلى جبهات القتال كمراسلات حرييات، كذلك صفحة بنت الحشد الشعبي ووصل أعداد الإعجاب فيها إلى (٤٧، ٥٤١) إعجابًا.
٨. واحتلت صفحات تحمل مسميات أبطال الحشد، المرتبة الثامنة وبواقع ثمان صفحات تتحدث عن سير الأبطال من قادة وجنود الحشد مثل صفحة أبطال الحشد الشعبي تلغفر وبلغ أعداد الإعجاب فيها (٣٨٧، ٣) إعجابًا، و صفحة وحوش الحشد الشعبي سجلت (٤٤٥، ٤٨) إعجابًا.

- ٩ . و كانت هناك ست صفحات حملت أسماء (الحشد الإلكتروني) بالمرتبة التاسعة مثل صفحة جيش الحشد الإلكتروني ، ووصل عدد معجبيها إلى (٣٩٥، ٢) إعجابًا.
- ١٠ . كما كان هناك خمس صفحات تحمل أسماء الحشود الأخرى ، محتلة المرتبة العاشرة، مثل الحشد التربوي والحشد العلمي ، مثل صفحة الحشد العلمي والشعبي ، وبلغ عدد معجبيها (٤٥٦، ١) إعجابًا.
- ١١ . وأنشأ بعض الأفراد أربع صفحات خاصة بشهداء الحشد وعوائلهم محتلة المرتبة الحادية عشرة ، مثل صفحة صندوق إسكان عوائل شهداء الحشد الشعبي ، وبلغ عدد معجبيها ، (٥٧٨، ٣) إعجابًا.
- ١٢ . وجاءت صفحات تحمل اسم (الحشد العشائري) في المرتبة الثانية عشرة .
- ١٣ . كذلك كانت هناك (٣) صفحات تحمل اسم الحشد الشعبي والجيش والحشد و الفرقة الذهبية واحتلت المرتبة الثالثة عشرة .
- أما تحليل مضمون الصفحات التي هي مجاميع (كروبات) ، فقد أجرت الباحثة تحليلًا نوعيًا لها ، وهي كالآتي :-
- ١- تبين أن هناك (٦٧٥) صفحة تحمل اسم الحشد الشعبي ، وقد سميت بأسماء مختلفة ، منها ما يتعلق بالأولوية الخاصة للحشد ، مثل : (لواء ٨ - و لواء ٤٢ - و لواء ديالى - و لواء تلعفر - و لواء ٥٢ ، إلخ).
- ٢- منها ما يتعلق بالموكب التي تدعم الحشد الشعبي مثل موكب السوق العربي لدعم الحشد الشعبي ، وهيأة مجاهدي النصر لدعم الحشد الشعبي ، وجمعية الإمام زين العابدين (ع) لدعم الحشد الشعبي ، و رابطة أبناء الحسين (عليه السلام) ، إلخ .
- ٣- منها ما يتعلق بالمحافظات مثل (الحشد الشعبي في الأنبار ، و الحشد الشعبي في بيجي ، و الحشد الشعبي في الموصل ، و الحشد الشعبي في بابل ، و ديالى ، و الدجيل ، . . . إلخ).
- ٤- منها ما يتعلق بالعشائر مثل عشيرة العبيد لدعم الحشد الشعبي ، و قوات شمر للحشد الشعبي .

٥- منها ما يتعلق بالمرأة، مثل بنت الحشد الشعبي، (٤٧٧، ٤٧ معجباً)، وعاشقة الحشد الشعبي (٣٤٨، ١٩٠ معجباً)، وقوة الشهيدة أمينة جبارة، وبنت الحشد الشعبي سنينة وافتخر، . . . إلخ.

٦- منها ما يتعلق بفئة الشباب، مثل فريق الشباب لدعم الحشد الشعبي، وفريق الحشد الشعبي الرياضي، وفريق الحشد الشعبي الجامعي، . . . إلخ.

٧- كذلك ما يتعلق بالأهالي ودعمهم، مثل أهالي ناحية السيب لدعم الحشد الشعبي، وأهالي طوز لدعم الحشد الشعبي، وأهالي ناحية الفضلية، وأهالي ناحية الرضوية، وأهالي ناحية المسيب لدعم الحشد الشعبي، . . . إلخ.

٨- كذلك ما يتعلق منها بشهداء الحشد الشعبي، مثل شهداء الحشد الشعبي، وعوائل شهداء الحشد الشعبي، وصور شهداء الحشد الشعبي، ومديرية شهداء وجرحي الحشد الشعبي، وأيتام شهداء الحشد الشعبي، ودعم عوائل شهداء الحشد الشعبي وشهداء قضاء الهاشمية، . . . إلخ.

٩- كذلك المكونات التي تنضوي تحتها الحشد الشعبي، مثل الحشد التركماني، والحشد الإيزيدي، وحشد الكرد الفيولين، وحشد تركمان تلغفر، . . . إلخ.

١٠- هناك صفحات الحشد الشعبي من فئات عدة من الجماهير، لدعم ومساعدة الحشد الشعبي مثل: أنصار الحشد الشعبي، وعشاق الحشد الشعبي، وإخوان الحشد الشعبي، ومحبي الحشد الشعبي، ونحن الحشد الشعبي، و، مناصري الحشد الشعبي، . . . إلخ.

١١- هناك صفحات عن إعلام الحشد الشعبي مثل: الإعلام الحزبي للحشد الشعبي (٨٨١، ١٨ معجباً)، وإعلام (الفوج ٢، لواء ٩، وإعلام مدفعية الحشد الشعبي، وإعلام الحشد الشعبي، وإعلام الفوج ٩٠، لواء ١٦، وإعلام الحشد في البصرة، وشبكة أخبار الحشد الشعبي، . . . إلخ).

١٢- هناك الصفحات المتعلقة بالعتبات المقدسة مثل، فريق الإمامين الكاظميين للحشد الشعبي، والعتبة العباسية للحشد الشعبي، وفرقة العباس القتالية (٥٩٥، ٣ معجباً)، ونداء المرجعية/ سرايا الحشد الشعبي، وشهداء الحوزة العلمية، . . . إلخ.

١٣- كما أن هناك صفحات للحشد الشعبي خاصة بفصائل الحشد الشعبي، مثل الحشد الشعبي، وعصائب أهل الحق، وسرايا الحشد الشعبي.

١٤- كما توجد صفحات عده تحمل عناوين مختلفة مثل العيادة القانونية للحشد الشعبي ومديرية طبابة الحشد الشعبي، وأبطال الحشد الشعبي، وأسود الحشد الشعبي، والجنة تحت أقدام الحشد الشعبي، و صولات الحشد الشعبي، و عمليات الحشد الشعبي، ومعارك الحشد الشعبي، . . . إلخ.

١٥- كذلك قيام بعض الأفراد بمبادرات شخصية من قبلهم بإنشاء صفحات أطلقت عليها مسميات مختلفة مثل (حشدنا فخرنا، وحشدنا شرفنا، وحشدنا أنتم عيدنا، وحشدنا هويتنا، وحشدنا يدًا بيد، وحشدنا وجودنا. . . إلخ).

١٦- كما أن للمتقنين صفحاتهم الخاصة بهم وحملت مسميات مثل قصائد الحشد الشعبي، وأشعار الحشد الشعبي، وأغاني الحشد الشعبي، وأناشيد الحشد الشعبي.

١٧- كما أن هناك حملات خاصة لدعم الحشد الشعب، مثل صفحة: (حملة لبيك يا حسين لمساندة الحشد الشعبي، وحملة الصديقة الطاهرة لدعم الحشد الشعبي، وحملة المختار لدعم الحشد الشعبي).

إن أعداد الصفحات الخاصة بالحشد الشعبي، والتي وصلت إلى (٩٨٣) صفحة لها الخصائص الآتية: -

١. قسم منها قام بها المتلقي العراقي بذاته، فهو ينشئ الصفحة ويتابع أخبار الحشد الشعبي وينشرها تباعاً، صوراً ونصوصاً وفيديوات. لكن لها خصوصية معينة، أما خاصة بالشهداء وعوائل الشهداء، أو خاصة بسير العمليات العسكرية، أو خاصة بمكون من مكونات الشعب العراقي، أو خاصة بموكب من الموكب، أو منظمة معينة. وأعداد المعجبين بصفحاتهم تبدأ من (٥٠) معجبا وإلى أكثر من (١٧٠٠٠) معجب.

٢. القسم الثاني أنشأها جنود الحشد الشعبي الذين يعملون في هيئة الحشد الشعبي/ الإعلام المركزي، وهؤلاء صفحاتهم تتابع سير العمليات العسكرية، وتصل أعداد الإعجاب فيها من (٥٠٠) إلى أكثر من (١٩٠،٠٠٠) معجب.

و أبرز الاستنتاجات التي توصلت إليها الباحثة هي: -

١. إن فئات الشعب تدعم الحشد الشعبي بكل قوة وثبات، حتى وصل عدد الصفحات إلى هذا العدد الكبير (٩٨٣ صفحة).

٢. إن فئات الشعب توزعت بين الشباب والرجال والنساء، وبين رجال الدين، وطلبة الجامعات، والمدنيين، وأصحاب المواقب الحسينية.
٣. تضمنت الصفحات بطولات الحشد الشعبي بكل فخر واعتزاز، وسير الشهداء الأبطال، والبطولات والصلوات والمعارك التي خاضها و يخوضها أبناء الحشد الشعبي.
٤. إن الصفحات تمتلئ كلمات حماسية واندفاعاً وروحاً وطنيةً عالية تتغنى بحب الوطن، والدفاع عن مقدساته وأرضه وشعبه.
٥. ضمت هذه الصفحات كافة الطوائف والمذاهب العراقي، فهي تضم الشيعي و السني و الكردي و بقية المكونات العراقية الأصيلة.
٦. اهتمام الجمهور العراقي بمتابعة كل ما يتعلق بالحشد الشعبي، نظراً للإعجابات التي تصل إلى الآلاف لهذه الصفحات، والتعليقات التي تصل إلى المئات، فضلاً عن المشاركة الكثيرة لها من قبل المتابعين والمعجبين.
٧. الصفحات تشمل كافة المناطق العراقية، من الأنبار وبيجي والموصل والحلة والبصرة وهو ما يعبر عن روح الوحدة الوطنية المتأصلة بروح العراقي وحسه العالي بالانتماء لبلده العراق.
٨. تدل صفحات الحشد الشعبي الـ (٩٨٣) أن المخططات الرامية لتدمير البلد، وإدخال جنود مدربين مدججين بالسلاح الجديد والمدركات العسكرية والجيش الإعلامي الإلكتروني الذي رافقهم منذ البداية، تدل على أن الشعب العراقي أفضل هذه المخططات، بصبره وحكمته، و وعيه العالي بحجم التحديات التي تواجه بلده، وسعيه إلى تمجيد بطولات الحشد الشعبي، تدل على أنه قلب المعادلة ضد أعداء البلد، و وحد صفوفه، وجعل (داعش) عامل توحيد له مع أبناء الشعب العراقي للوقوف معاً ضد (داعش)، على عكس ما خطط له أعداء العراق.

المصادر:

- حسن رضا النجار ود. فاضل عبد علي، الاعلام الرقمي واتجاهاته الحديثة (بيروت- الامارات: دار الكتاب الجامعي، ٢٠١٧) الطبعة الأولى .
- د. حسنين شفيق، علم نفس الاعلام الجديد (القاهرة: دار فكر وفن، ٢٠١٢) الطبعة الأولى .
- د. داليا مصطفى السواح، دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم مفهوم المساءلة الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، دراسة ميدانية على عينة من الشباب المصري الجامعي في الجامعات الحكومية والخاصة، القاهرة: مجلة بحوث العلاقات العامة الشرق الاوسط، الجمعية المصرية للعلاقات العامة، العدد ٢٣، نيسان ٢٠١٩ .
- د. رضا امين، الاعلام الجديد (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠١٥) .
- وسام كمال، الاعلام الالكتروني والمحمول بين المهنية وتحديات التطور التكنولوجي (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠١٤) .
- د. محمد عبد الحميد، الاتصال والاعلام على شبكة الانترنت (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠١٧) الطبعة الثانية .
- د. ياس خضير البياتي، الاعلام الجديد الدولة الافتراضية الجديدة (عمان: دار البداية، ٢٠١٤) .
- د. يسرى خالد ابراهيم م.م. ولاء محمد علي حسين، آليات التغيير الاجتماعي في عصر الاتصال الرقمي، بغداد: مجلة الباحث الاعلامي / كلية الاعلام العدد ٢٩، تموز ٢٠١٥ .
- <https://www.facebook.com/profile.php?id=100010153953454>.
- <https://www.facebook.com/groups/847874932419324/?ref=share>.
- <https://www.facebook.com/groups/751242802375989/?ref=share>.
- <https://www.facebook.com/groups/538509643291594/?ref=share>.
- <https://www.facebook.com/groups/538509643291594/?ref=share>.
- <https://www.facebook.com/groups/383896249415164/?ref=share>.
- <https://www.facebook.com/groups/789212364483230/?ref=share>.
- <https://www.facebook.com/groups/341856263637970/?ref=share>.
- <https://www.facebook.com/groups/1676757365976785/?ref=share>.

- <https://www.facebook.com/profile.php?id=100048270141564>.
- <https://www.facebook.com/alhashed2/>
- <https://www.facebook.com/profile.php?id=100048270141564>.
- <https://www.facebook.com/Nursinghashid/>.
- <https://www.facebook.com/%D8%A3%D8%B9%D980%D980%D984%D8%A7%D985-%D987%D980%D98%A%D980%D980%D8%A6%D8%A9-%D8%A7%D984%D8AD%D980%D980%D980%D980%D8%B4%D8AF-%D8%A7%D984%D980%D980%D980%D8%B4%D8B9%D980%D8A8%D980%D98A-102007668824404/>.
- <https://www.facebook.com/%D8%A7%D984%D8B5%D981%D8AD%D8A9-%D8A7%D984%D8B1%D8B3%D985%D98A%D8A9-%D984%D985%D8AF%D98A%D8B1%D98A%D8A9-%D8A7%D984%D8AA%D8B9%D8A8%D8A6%D987-%D987%D98A%D8A6%D8A9-%D8A7%D984%D8AD%D8B4%D8AF-%D8A7%D984%D8B4%D8B9%D8A8%D98A-180951945670596/>.

الملاحق:

الملحق رقم (١)

الحشد الشعبي لواء السجاد

إضافة صديق

يقوم في Dagharah, Al Qadisiyah, Iraq من الديوانية

عرض معلومات عن الحشد الشعبي

الأصدقاء

٤٢٨ (صديق واحد مشترك)

أعلام الحشد الشعبي

إضافة صديق

مقاتل في الحشد الشعبي لدى Facebook App

Snipers سابق لدى مجاهد في الحشد الشعبي المقدس

يدرس علوم حاسب في University of Baghdad

يقوم في Baqubeh, Diyala, Iraq

الحشد الشعبي

إضافة صديق

يقوم في البصرة

يتابعه ٨ أشخاص

عرض معلومات عن الحشد

الأصدقاء

١,٢٥٧ (صديق واحد مشترك)

الحشد الشعبي المقدس


إضافة صديق

يعمل لدى مقاتل لدى الحشد الشعبي المقدس

عرض معلومات عن الحشد الشعبي

الأصدقاء

١,٢٥٧ (صديق واحد مشترك)



ابطال الحشد الشعبي تلعفر تلعفر.
٢,٩ ألف المتابعون · ٠٠ المتابعات

مراسلة


أتابع

المشورات

حول الصور عمليات الذكر

منشورات ابطال الحشد الشعبي تلعفر تلعفر.

التفاصيل



دعم الحشد الشعبي (هيئة أهالي العزيزية)


إضافة صديق

عضو لدى هيئة دعم الحشد الشعبي

درس في الفرزدق

يقيم في واسط

من الكوت




احمد الخرسان (مصور)
مصور ومراسل في هيئة الحشد الشعبي

إضافة صديق

اعلامي لدى اعلام في هيئة اعلام الحشد الشعبي

درس تصوير فوتغرافي / مراسل صحفي في كلية الاعلام - قسم الصحافة

عرض معلومات عن احمد



الحشد الشعبي HIS
٩ آلاف المتابعون · ٠٠ المتابعات

متابعة

المشورات

حول الصور عمليات الذكر

منشورات الحشد الشعبي HIS

التفاصيل

الملحق رقم (٢)

عناوين بعض صفحات الحشد الشعبي على (الفيسبوك) :

- أنصار الحشد الشعبي المقاوم ، ٥٨٥,٧٥٩ متابعا .
- بنت الحشد الشعبي ، ٤٧٠,٥٩٥ متابعا .
- هيئة الحشد الشعبي / الدعم الإعلامي ، ٣٢,٠٧٢ متابعا .
- الحشد الشعبي / فريق الدعم الإعلامي ، ٣٣٨,٠٤٢ متابعا .
- الحشد الشعبي / محور نينوى ، ٣١,٣٧٦ متابعا .
- الحشد الشعبي ، ٤٥٣,٨٣٩ متابعا .
- الحشد الشعبي في واسط ، ١٨,٦٦٨ متابعا
- الحشد الشعبي ، ٤٩,٩٥١ متابعا .
- الحشد التربوي لإسناد الحشد الشعبي ، ١,٧٩٩ متابعا .
- الحشد الشعبي الآن ، ١٤٨,٤٧٧ متابعا .
- أخبار الحشد الشعبي ، ٣٦,٥٣٩ متابعا .
- وكالة أبناء الحشد ، ٣٠,٤١٦ متابعا .
- دعم الحشد الشعبي ، ٢٠٧,٣٩١ متابعا
- نحن الحشد الشعبي ، ١٩,٧٣٤ متابعا .
- إعلام الحشد الشعبي ، ٥١,٥١٤ متابعا .
- وكالة الحشد نيوز ، ٣٢,٤٨٤ متابعا
- أبطال الحشد الشعبي ، ٦٧,٦٩٥ متابعا .
- ثورة الحشد الشعبي ، ٢٥,٠٩٩ متابعا .
- دعم الحشد ، ١٦,٦٠٩ متابعا .
- أخبار الحشد الشعبي ، ٣١,٧٣٣ متابعا .
- رابطة الحشد الإعلاني الإلكتروني ، ٩٤١ متابعا .
- أنصار الحشد الشعبي ، ٤٩,٢٤٥ متابعا .

متغيرات الإعلام الرقمي و انعكاساته في قيم و استقرار البناء الأسري

((دراسة ميدانية في إقليم كردستان العراق))

م.د. يسرى حامد ناصر الياسري

أ.م.د. حسين حسين زيدان

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

وزارة التربية

المستخلص:

يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن مستوى تأثير وسائل الإعلام الرقمي في مشكلات المنظومة القيمية للأسرة الكردستانية، وإلى تحديد أهم وسيلة إعلامية إلكترونيًا ذات تأثير في المنظومة القيمية للأسرة الكردستانية، ومعرفة مدى تأثير وسائل الإعلام في ترسيخ القيم وفق متغير النوع (ذكور/إناث)، واطلع الباحثون على الأدبيات والدراسات السابقة ولتحقيق أهداف البحث فقد قام الباحثون ببناء أداة للبحث الحالي مكونة من (٢٥) فقرة موزعة على أربعة مجالات هي (الاستخدام الإلكتروني، قيم المشاركة المجتمعية، قيم الانتماء المجتمعي، القيم الخلقية الأسرية) وله أربعة بدائل (دائمًا- أحيانًا- أبدًا- غالبًا) ولكل بديل وزن معين (٤، ١، ٢، ٣) للفقرات الإيجابية والعكس للفقرات السلبية وكانت أعلى درجة للمقياس (١٠٠) وأقل درجة (٢٥) أما الوسط الفرضي فيبلغ (٦٢, ٥). وقد حدد الباحثون بعض الأفراد من طلبة الجامعة والموظفين والعاملين بالأعمال الحرة وتم اختيار (٢٠٠) فرد من الذكور والإناث، وبعد تطبيق المقياس استخرج الباحثون الصدق للأداة من خلال أسلوب تمييز الفقرات وعلاقة الفقرة بالدرجة الكلية، واستخدم الباحثون الحقيبة الإحصائية (SPSS) لتحليل إجابة أفراد العينة وفق الأهداف الموضوعية وأظهرت نتائج البحث أن مستوى تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية في ترسيخ القيم ضمن مستوى مرتفع من التأثير، وأظهرت النتائج أن الفيسبوك هي أكثر وسيلة إعلامية ذات تأثير من بقيت الوسائل الإعلامية كالصحف الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متغير النوع (ذكور- إناث) للأسرة ولصالح

الذكور في درجة تأثر القيم لديهم من خلال تواصلهم واطلاعهم على وسائل الإعلام الإلكتروني، وفي ضوء النتائج التي توصل لها البحث وضع الباحثون عددا من التوصيات والمقترحات.

كلمات مفتاحية (وسائل الإعلام الرقمي، القيم، الأسرة، كردستان)

Variables of Digital Media and its Reflections on the Values and Stability of Family Construction Field Study in Kurdistan Region of Iraq

Abstract

The current research aims to detect the level of the impact of digital media on the problems of the value system of the Kurdish family, and to identify the most important media means degilatally impact on the value system of the Kurdistan family, and to know the extent of the impact of the media in the consolidation of the values according to gender variable (Male and Female). Based on the literature and previous studies in order to achieve the objectives of the research, researchers have built a tool for the current research consists of (٢٥) paragraphs distributed over four areas are (digital use, values of community participation, values of community belonging, family ethical values) and has four alternatives (permanent - sometimes - never - often) and each alternative a certain weight (4,3,2,1) for the positive paragraphs and vice versa negative paragraphs were the highest score of the scale (١٠٠) and the lowest score (٢٥) and the hypothetical mean is (62.5). The researchers identified some individuals from university students, employees and self-employed workers and selected (٢٠٠) males and females. Then After applying the scale, the researchers extracted the sincerity of the tool through the methods of characterizing the paragraphs and the relationship of the paragraph to the total score. The results have shown that the level of influence of digital media in the consolidation of values within a high level of impact, and the

results showed that Facebook is the most influential media means of the media remained such as newspapers, digital and social networking sites, also, the results showed that there were statistically significant differences in the gender variable (males and females) in the family and in favor of males in the degree to which their values were influenced by their communication with the digital media. In light of the finding, the researchers reached a number of recommendations and suggestions.

Keywords: (Digital Media, Values, Family, Kurdistan)

المقدمة

ظهرت أدوات الإعلام الإلكتروني بشكل كبير وسريع في المجتمعات وأصبحت ذات تأثير على المجتمع بمختلف أفرادها، وقد يعد مستخدموها بالملايين من الناس في الوقت الراهن من مختلف البلدان والقارات؛ لأنها أصبحت من أدوات العصر الحديث ومظهر الحضارة الإنسانية المدنية والتي تسمح للفرد أن يعبر عن رأيه وأفكاره وأن يكتسب ثقافته وينشر ثقافته الشخصية ويتبادل الأخبار والخبرات، تطورات سريعة ومتلاحقة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، مما ساهمت في تسهيل إمكانية التواصل الإنساني والحضاري، وهذا ما تؤكد عليه الدراسات السابقة ومنها دراسة المجالي (٢٠٠٧) ولعل أهمها يتمثل في شبكة المعلومات العالمية الإنترنت التي تُعدُّ أبرز ما توصل إليه العلم الحديث، ويعد كذلك من أهم الإنجازات البشرية في عصر المعلوماتية^(١)

وفي هذا العصر - عصر التطور التقني والانفجار المعرفي - نجد أن الأمور تسير في طريق إبعاد الفرد والمجتمع عن قيمه أكثر فأكثر، ابتداءً من الانبهار بالتطور التقني والتجاوب معه دون وجود رصيد قيمي وسلوكي يضبط الحياة، مروراً بالميل المتنامي لدى كثير من الأفراد نحو اللامبالاة بما يقترفه بعض الأفراد والجماعات في المجتمع من سلوكيات تنتافي وقيم هذا المجتمع، إضافة إلى ظهور بعض التيارات والدعوات التي تنادي صراحة أو ضمناً بالخروج على هذه القيم ومنها القيم الأسرية.^(٢)

ولقد نشأت الأسرة اليوم في عصر تعرضت فيه للتغيرات العالمية في ظل الحضارة المعاصرة والأسرة تعد أهم جزء من هذه المجتمعات التي تتعرض إلى تأثير العولمة، وبشكل عام والتقدم التطبيقي والتكنولوجي الذي يميز أنماط الحياة ومتطلبها فوقع أفراد

الأسرة فريسة الانقسام الثقافي القيمي للأسرة والشخصية والصراع بين القيم الأسرية والمجتمعية والثقافات الوافدة، إن هذا الوضع المتباين والمتناقض منه ما هو موروث، وما هو قائم يعرّض الأسرة إلى أنماط مختلفة من القيم والتي قد تصبح أحياناً متناقضة، وهذا ينعكس على القيم التي تمتلكها المنظومة القيمية للأسرة وأفرادها واتجاهاتهم وميولهم تجاه بعض القضايا والمواقف من القيم الأسرية^(٣)

إن وسائل الإعلام الإلكترونية أصبحت من أهم المحاور الفعالة على مدار اللحظة في حياة الإنسان، وإن الكشف عن إيجابياتها وسلبياتها وبيان مدى تأثيرها في حياة الأفراد عامة، وفي مشكلات المنظومة القيمية الوطنية بوجه خاص من أهم الدوافع المعرفية التي توجه الباحثون إلى دراستها، وذلك لأن القيم الأسرية تحتل أهمية خاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، لكونها أساساً في تشكيل سلوك الأفراد داخل الأسرة والمجتمع وتحدد لهم معايير وجدانية وفكرية يعتقدون بها ويتعاملون بموجبها مع الأشياء بالقبول أو الرفض داخل الأسرة والمجتمع، وتكتسب القيم الأسرية أهمية خاصة لدورها الفاعل في توجيه ميول أفرادها واهتماماتهم نحو إيديولوجية سياسية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية معينة، فهي الوسيلة التي من خلالها يعبر الفرد في الأسرة عن نفسه وفي بيئته الاجتماعية، وهي التي تساعد في التبرير المنطقي للسلوكيات والاعتقادات والاتجاهات والتصورات غير المقبولة اجتماعياً^(٤)

مشكلة البحث

تعدد استخدام الأفراد لوسائل الإعلام الرقمي عبر الإنترنت، من البريد الإلكتروني ثم المنتديات وغرف الدردشة والرسائل النصية والفورية والمدونات حتى ظهرت وسائل الإعلام الإلكترونية كمصطلح أطلق على مجموعة من الوسائل الإلكترونية، التي ظهرت مع الجيل الثاني للويب، وأتاحت التواصل مع مجتمع افتراضي، ولعل أشهرها المدونات والشبكات وتطبيق التواصل ومنصات التعبير، إذ احتلت مساحة واضحة من وقت وفكر واهتمام ووجدان وعقول الشباب، بعد نجاحها في جذب واستقطاب العديد من الفئات العمرية، وأعدت تشكيل الحياة الاجتماعية والاتصالية للفرد، وساهمت في التأثير على منظومة القيم التي تكوّن سلوك الفرد، وهذا ما نريد معالجته بالوصف والتحليل.

بدأت وسائل الإعلام الإلكترونية مشوارها في الفضاء المفتوح كفعالية لتحقيق وسائل الإعلام بين الأفراد من خلال الخدمات الكثيرة التي تقدمها. (٥)

ولقد أصبحت وسائل الإعلام الإلكترونية فضاء واسعا تتضارب فيه القيم الإيجابية مع القيم السلبية للأسرة وصارت الحرية كقيمة إعلامية نصّت عليها جميع القوانين، وتعد في بعض الأحيان خطرا على الأسرة والمجتمع لما تتيحه من أشكال التعبير غير المنضبط عن القيم الوافدة للأسرة وأفرادها، وأفادت بعض الدراسات أن بعض وسائل الإعلام الإلكترونية الحديثة ساهمت في تلويث القيم الأخلاقية عبر تشويه ومسح الشخصية الإنسانية، وتتمثل مشكلة هذه الدراسة في أن عدداً كبيراً من أفراد الأسرة يقضون ساعات طويلة في تصفح وسائل الإعلام الإلكترونية، خاصة مواقع وشبكات التواصل على وجه الخصوص، فيتأثرون بتلك الوسائل وتؤثر في منظومتهم القيمية للأسرة، مما يستدعي التعرف على دوافعهم والموضوعات التي يفضلونها وأثر ذلك على القيم الأسرية، وفيما يتعلق بالتغير في القيم ومدلولاتها لدى أفراد الأسرة، فقد تبين في دراسة أن التغير في القيم الأسرية ومشكلاتهم والبحث في أسبابه من أهمها عدم الشعور بالانتماء والتعبير عن الرأي، والاهتمام بثقافة المجتمع، فقد تكشف عن خلل واضح في منظومة القيم الأسرية، إذ حدث نوع من التخلي عن العديد من القيم الإيجابية وتبني بعض القيم السلبية أو احتضانها، لذلك يمكن أن تسهم القيم الأسرية في التحكم باستخدام وسائل الإعلام الإلكترونية الحديثة، سواء بالإقبال على استخدام الوسائل أو رفض استخدامها، أو استخدامها على نحو معتدل أو غير معتدل. (٦)

إن المتابعة الأسرية يمكن أن تسهم في وقاية الفرد من مخاطر الاتصال والاستفادة من منجزات التقنية الحديثة، وتقليل نفقات شراء وسائل الإعلام المطبوع، وكذلك يترتب على مستويات القيم ارتكاب سلوكيات سلبية بسبب غياب النسق القيمي الأسري المتوازن الذي يعمل كقريب ذاتي على الاتجاهات والسلوكيات، ما يسهم في مخاطر متنوعة نتيجة التواصل السلبي الذي يتيح الفرص لارتكاب مخالفات قانونية واجتماعية، والوصول لما يريد الفرد في الأسرة بكل سهولة. إن هذه المشكلات داخل المنظومة الأسرية هي نتاج سوء الاستخدام وعدم الانضباط لوسائل الإعلام الإلكترونية والتقني، وضيق القانون والرقابة الأسرية مما أظهرت لنا عدداً من المتغيرات السلبية. (٧)

ومما زاد الأمر صعوبة أن هذه التغيرات طالت أهم جانب من جوانب الحياة الاجتماعية والجانب القيمي الأسري والأخلاقي الذي يواجه حرباً ضروساً تشنها تكنولوجيا لا تقيم وزناً للخصوصيات القيمة للفرد والأسرة، وخاصة الشعوب المحافظة التي تمتلك منظومة من القيم الأصيلة العميقة في الجذور الأسرية والمجتمعية. وتزداد الخطورة عندما يتفاهم الشر ليطال أطفال الأسرة والمراهقين، فمن واقع خبرة الباحثين وتجربتهم في العمل الأكاديمي لاحظوا جملة من التغيرات التي تهدد الكيان القيمي للأسرة في الجوانب الأخلاقية والاقتصادية والجمالية والاجتماعية، مما يستدعي إجراء دراسة أكاديمية علمية للبحث في هذه المشكلة. (٨)

ويمكن تحديد مشكلة البحث الحالي من خلال الإجابة عن السؤال التالي:

ما هو دور وسائل الإعلام الإلكتروني الحديثة في ظهور المشكلات على المنظومة القيمية للأسرة؟

أهمية البحث

أصبح من الواضح بعد مجمل التداعيات التي أفرزتها وسائل الإعلام الإلكترونية على الواقع الإنساني المعاصر في مجمل الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية والنفسية والأسرية، أن الأمر بحاجة ماسة للمزيد من الدراسات والبحوث للكشف عن جوانب ذات تأثير مباشر بهذه التقلبات الإعلامية التي غزت الحياة الأسرية والمجتمع، وخاصة ما يهيم تلك الوسائل وعلاقتها بقضايا وموضوعات الرأي العام، وتأتي أهمية هذه الدراسة كونها تركز على التأثير الواضح لهذه الوسائل الاجتماعية واستخدامها في الأسرة ومنظومتها القيمية، إن التعرف على الأسباب والدوافع التي تلجأ بسببها هذه الأسرة وأفرادها لمثل هذه الوسائل الإعلامية، هي أسباب نفسية وثقافية واجتماعية والبحث عن إشباع حاجات نفسية في هذا العالم الافتراضي العميق الغامق، وقد أوضحت دراسة العوالم وآخرون (٢٠١٥) أن مستويات الإشباع المتحققة من تلك الاستخدامات وعلاقة بسلوكياتهم وخصوصياتهم وقيمهم نحو منظومة القيم الأسرية، ونظراً للمكانة الهامة التي تمثلها الأسرة في المجتمع وهي النواة الأساسية لتقدم المجتمعات وتطورها وتزداد أهمية هذه الدراسة كونها من الدراسات التي تتناول الجانب القيمي والخلقي والثقافي للأسرة وأثرها في استخدام الشباب لوسائل الإعلام الإلكتروني. (٩)

وتتمثل أهميتها باعتبار وسائل الإعلام بوصفها ظاهرة عالمية قوبلت بالاهتمام الجماهيري على المستوى العالمي، وتمثل اتجاهاً متصاعداً من حيث عددها ومعدلات استخدامها، وتعرض أفراد المجتمع لمثل هذه الظاهرة، وتنبع أهمية الدراسة من تطبيقها على عينة من الشباب.

إن مرحلة الشباب هي المستهدف بالدرجة الأساسية من العولمة الإلكترونية والثقافية بحكم طبيعته ورغبته في الحصول على المعرفة من أي طريق من دون أن يكون مسلماً بالمعرفة الصحيحة بقيم مجتمعه واحتياجاته وتراثه الثقافي، ومحاولة الآخر لغرس قيم ومعتقدات وتشكيل سلوك لدى هذه الشريحة، التي ترى في تلك المضامين بأنها واقعية ومناسبة لهم، وأن ما يعزز أهمية هذه الدراسة هو الكشف عن درجة تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية في تشكيل مشكلات المنظومة القيمية للشباب الجامعي، إذ لا يستطيع أحد أن يغفل أثر وسائل الإعلام الإلكترونية في التأثير على النسق القيمي والأخلاقي لفئات الشعب وشرائحه كافة، وما الصراع الثقافي الذي يشهده العالم العربي المعاصرين القديم والحديث، وبين الأصالة والمعاصرة، إلا دلالة واضحة على منتجات هذا التأثير الثقافي والقيم لوسائل الإعلام الإلكترونية في الحياة عامة. (١٠)

إن الفئة التي تستهدفها الدراسة وهي فئة الشباب الذين يمثلون شريحة عريضة من شرائح المجتمع العربي عامة يعد استهدافهم ودراسة قيمهم واحتياجاتهم من أولويات البحث التربوي الجاد، خاصة أن هذه الفئة يقع على كاهلها مسؤولية بناء المجتمع وتماسكه، لهذا تأتي أهمية هذه الدراسة لكي تكون في إطار الجهود المبذولة والهادفة إلى إعداد الشباب الجامعي، واستشرافاً لمستقبلهم ومسؤولياتهم.

تتضح أهمية الدراسة أيضاً من خلال الدور المهم الذي تقوم به وسائل الإعلام بمختلف أنواعها وخاصة الإلكترونية منها في الحفاظ على قيم أبنائها الشباب، لذا فإن الإعلام يساهم ببذل أقصى الجهود لتهديب سلوكهم وبناء شخصياتهم بشكل ناضج وإيجابية مرنة متفتحة لمواجهة الحياة وتحديات المستقبل، وأن تهيين لهم المناخ العلمي والنفسي والاجتماعي، باعتبارها المحور الأساسي للإعلام في المجتمع وأفراده، وتساهم بفاعلية تشكيل بنائهم القيمي من خلال ما تقدمه من ندوات، ومحاضرات، ومؤتمرات، مما يتيح لهم التواصل والتفاعل والحوار بطرق متنوعة، وتجعل من التعرف على واقع الشباب الجامعي فيما يخص ثقافتهم ونسقهم القيمي ضرورة بحثية ملحة.

وتتضح أهمية البحث من خلال ما يأتي :-

الأهمية النظرية:

إن الدراسة الحالية اهتمت بدراسة موضوع مهم هو تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية على منظومة القيم الأسرية ، وهي من الموضوعات التي يجب الاهتمام بها ودراستها بشكل علمي وموضوعي .

إن العينة التي أخضعها الدراسة الحالية من أهم الفئات في المجتمع وأكثرهم عددًا ، وإن هذه الفئة هي نخبة المجتمع من المتعلمين وذوي التأثير بالآخرين وهم قادة المستقبل .

الأهمية النظرية

١ . ستقدم الدراسة الحالية أداة قياس علمية تفيد الباحثين مستقبلاً في استخدامها في دراسات أخرى مشابهة مع عينات من فئات مختلفة .

٢ . سوف تضع الدراسة الحالية نتائج إحصائية تصف مشكلة البحث الحالي ، وتضع عدداً من التوصيات الإجرائية إلى الجهات المسؤولة للعمل على تطبيقها لحل المشكلات بشكل علمي دقيق .

أهداف الدراسة

١ . الكشف عن مستوى تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية في المنظومة القيمية للأسرة الكردستانية .

٢ . يهدف إلى معرفة مدى تأثير وسائل الإعلام الحديثة في ترسيخ القيم الأسرية وفق متغير لنوع (ذكور- إناث) .

٣ . يهدف إلى تحديد أهم وسيلة إعلامية إلكترونيًا ذات تأثير في منظومة القيم للأسرة الكردستانية .

حدود الدراسة

الحدود الموضوعية : اقتصر البحث الحالي على دراسة تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية في ترسيخ القيم .

الحدود المكانية : اقتصر البحث الحالي على إقليم كردستان العراق .

الحدود البشرية: اقتصر البحث الحالي على أسر إقليم كردستان .

الحدود الزمنية: أنجزت هذه الدراسة في العام (٢٠٢٠-٢٠٢١).

تحديد المصطلحات

أولاً: وسائل الإعلام الإلكترونية: (الصويان، ٢٠١٤)

ويعرفها الباحثون بأنها منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول، أو التخصص الدراسي أو من الأصدقاء أو الأقارب يتبادلون المعلومات والأخبار والصور والفيديوهات وبمختلف التقنيات من خلال عدد كبير من التطبيقات الإلكترونية.

ثانياً: مشكلات المنظومة القيمية: مجموعة من المعوقات الفكرية والخلافية والثقافية، التي يتم من خلالها التأثير على الأفكار والمعتقدات والاتجاهات لدى أفراد الأسرة ومنظومتها القيمية ككل، إضافةً بالتأثير على أفراد الأسرة أنفسهم وميولهم وطموحاتهم وسلوكهم، ومواقفهم سواء الفردية أو الاجتماعية، بغض النظر أكانت صالحة أو سيئة كالقيم الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والتربوية وغيرها من القيم المتعددة. (١١)

ثالثاً: الأسرة: هي الخلية الأساسية في المجتمع البشري وأهم جماعته الأولية، تتكون الأسرة من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم، وتساهم الأسرة في النشاط الاجتماعي في كل جوانبه المادية والروحية والعقائدية والاقتصادية، وللأسرة حقوق مثل: حق الصحة، وحق التعلم، وحق السكن الآمن، كما للأسرة واجبات مثل: نقل التراث واللغة عبر الأجيال، والوظيفة. (١٢)

رابعاً: التعريف الإجرائي: مجموع الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب المتمثل بطلاب جامعي من خلال إجابته على أداة البحث .

الإطار النظري والدراسات السابقة

وسائل الإعلام الإلكترونية

تُعرّف وسائل الإعلام الإلكترونية ((Social Networks على أنها إلكترونية مبنية على أسس مُعيّنة، تُمكن النَّاس من التعبير عن أنفسهم، والتعرّف على أشخاص آخرين يُشاركونهم الاهتمامات نفسها، ويُمكن القول بأنّ وسائل الإعلام الإلكترونية هي عبارة عن مجتمعات افتراضية تُمكن مُستخدميها من مشاركة الأفكار والاهتمامات، بالإضافة إلى تكوين صداقات جديدة. (١٣)

وإن وسائل الإعلام الإلكترونية عبارة عن خدمات يتم إنشاؤها وبرمجتها من قبل شركات كبرى، لجمع أكبر عدد من المستخدمين والأصدقاء، ومشاركة الأنشطة والاهتمامات، وللبحث عن تكوين صداقات، والبحث عن اهتمامات وأنشطة لدى أشخاص آخرين يتشاركون معهم بإحدى الاشتراكات الفكرية أو غيرها، وتوفر هذه الخدمات ميزات مثل المحادثة الفورية، والتراسل العام والخاص، ومشاركة الوسائط المتعددة من صوت وصورة وفيديو، وملفات، وقد استقطبت هذه الخدمات ملايين المستخدمين من شتى بلاد العالم وتصنف هذه ضمن الجيل الثاني للويب (٠, ٢)، وسميت اجتماعية لأنها أتت من مفهوم بناء مجتمعات بهذه الطريقة يستطيع المستخدم التعرف إلى أشخاص لديهم اهتمامات مشتركة في تصفح الإنترنت، والتعرف على المزيد في المجالات التي تهتمه، وأخيراً مشاركة هذه مع أصدقائه وزملاء عمله وزملاء الدراسة والأقارب أو من هم يشاركونه اهتماماته وهواياته. (١٤)

ويُعدّ الفيسبوك (Facebook)، وتويتر (Twitter)، وإنستغرام (Instagram) من أشهر وسائل الإعلام الإلكترونية المعروفة حالياً، والهدف من استخدام هذه وغيرها من وسائل الإعلام الإلكترونية هو ربط الناس بعضهم بعضاً، خصوصاً من يرغبون في البقاء على اتصال مع أصدقائهم وأقاربهم بسهولة، ومتابعة آخر الأخبار والأنشطة المُتعلّقة بهم، وتأتي وسائل الإعلام الإلكترونية بعدة أشكال، مثل: المُتدَيَات، والمُدُونَات، وغير ذلك، وقد كانت بداية وسائل الإعلام الإلكترونية في عام (١٩٧١م)، حيث أرسلت فيه أولى الرسائل عبر البريد الإلكتروني بين جهازين حاسوبيين كانا موضوعين بمُحادثة بعضهما، أمّا أول وسائل الإعلام الإلكترونية، فقد أنشئ عام (١٩٩٤م) باسم جيوسيتيز

(Geocities) وقد أتاح للمستخدمين فرصة إنشائهم الخاصة وتصميمها، وفي عام (١٩٩٧م)، أنشئت أولى التراسل الفوري تحت اسم (إيه أو AOL) وهي تُشبه إلى حدّ كبير وسائل الإعلام الحديثة؛ لأنها أتاحَت مشاركة المستخدمين لمعلوماتهم الشخصية. (١٥)

مميّزات وإيجابيات وسائل الإعلام

إن لوسائل الإعلام مميّزات عديدة، جعلتها مختلفةً عن الوسائل الإلكترونيّة الأخرى، ومن هذه المميّزات ما يأتي:

١. إمكانية إنشاء حسابات شخصية، ليتمكن المُستخدم من تسجيل الدخول إلى الوسائل بواسطتها.
٢. إمكانية إنشاء صفحات شخصية تُمكن المُستخدم من نشر معلومات خاصّة عنه، مثل: السيرة الذاتية، أو الصور الشخصية، أو آخر الأنشطة التي قام بها الشخص. وإمكانية التفاعل مع مُستخدمين آخرين، عن طريق إقامة الصّدقات، وإنشاء المجموعات، ومُتابعة مُستخدمين آخرين.
٣. وجود الروابط الأخباريّة، وهي وسيلة لمعرفة آخر المُستجدّات والأخبار المُتعلّقة بالمُستخدمين الآخرين للموقع. إمكانية نشر محتويات وتعديلها، وقد تكون هذه المحتويات عبارةً عن رسائل مكتوبة، أو صور، أو مقاطع فيديو، أو غير ذلك. إمكانية تفاعل المُستخدمين مع منشورات مُستخدمين آخرين، ويكون ذلك عن طريق كتابة التعليقات، وإبداء الآراء المُختلفة، وإظهار الإعجاب بالمنشورات.
٤. مجالات وسائل الإعلام الإلكترونيّة: دخلت وسائل الإعلام الإلكترونيّة في مجالات عديدة من حياة الإنسان، فأصبحت تُشكّل جزءاً كبيراً من حياته، مثل: التعليم، وتُستخدَم وسائل الإعلام في مجال الأعمال لأهداف عدّة، منها: توفير فُرص عمل، والاستفادة من آراء مُستخدمي هذه الوسائل حول مُنتجات شركة مُعيّنة، حيثُ يمكن لمُستخدمي هذه المُنتجات أن يُعبّروا عن آرائهم حول المُنتج عن طريق وسائل الإعلام، وبهذا تستطيع الشركات المُصنّعة لهذه المُنتجات أن تستغلّ هذه الآراء في تحسين مُنتجاتها.

- ٥ . إن لوسائل الإعلام الإلكترونية إيجابيات عديدة، أحدثت تغييراً كبيراً في عالم التكنولوجيا والعالم أجمع، ومن هذه الإيجابيات إتاحة وسائل الإعلام الإلكترونية إمكانية الاتصال بين الناس أينما كانوا، حيث أتاحت اجتماع الناس الذين يحملون الأفكار المشتركة، كما أتاحت إمكانية إيجاد فرص عمل. إمكانية إيجاد أشخاص ذوي اهتمامات مشتركة، والتعرف عليهم، والتواصل معهم. سرعة نشر الأخبار.
- ٦ . إتاحة الفرص لأصحاب الشركات لتنمية مشاريعهم، عن طريق استغلال سهولة وسرعة إيجاد الأشخاص الذين يشتركون باهتمامات معينة، وهذا يُسهّل نشر الإعلانات، ووسائل الإعلام الإلكترونية مصدر مُتعة لبعض الناس، ويتم ذلك بتتبع آخر التقنيات الأخبارية. (١٦)

سلبيات وسائل الإعلام الإلكترونية

إنّ منافع وسائل الإعلام الإلكترونية عديدة ولكنها لا تتعدى سلبياتها، فبعض سلبيات وسائل الإعلام خطيرة جداً بحيث تؤثر تأثيراً مباشراً على حياة الإنسان وأمنه، ومن هذه السلبيات مبالغة بعض الأشخاص في إعطاء أهمية لردود أفعال المستخدمين من تفاعلات، وتعليقات، وتقييمات، لقياس مكانتهم في المجتمع، فقد يُصاب بعض الناس بالإحباط في حال لم تتلق منشوراتهم تفاعلاً إيجابياً من المتابعين أو الأصدقاء، وقد يشعر بعض الناس بالسعادة والرضي عند تلقّيهم تفاعلات إيجابية في وسائل الإعلام، ومعرفة أن لهم مكانة عالية في المجتمع، رغم أن ذلك قد يكون بعيداً عن الصحة في الواقع. (١٧)

التنمر والتبّع، إذ يميل بعض مستخدمي هذه الوسائل إلى تبّع مستخدمي آخرين، بهدف إيذائهم، أو لمجرد وجود اهتمام عاطفيّ تجاههم، وقد يلجأ بعض المستخدمين الآخرين إلى حيل تقنية لإخفاء هوياتهم، فيتيح لهم ذلك حرية التنمر على الآخرين باستخدام هذه الوسائل، ومن أكثر الناس عُرضة لهذا التنمر هم الأطفال، حيث وصل الحال ببعضهم إلى الانتحار، نتيجة لهذه التنمر. كما أنها تؤثر سلباً على جودة النوم، وذلك نظراً للاستخدام المطول للأجهزة الإلكترونية ذات الشاشات المضيئة، ووسيلة للإلهاء، وقد يتعرّض المستخدم للخطر، خصوصاً عند استخدام هذه الوسائل أثناء قيادة السيارة، كذلك زيادة فرص التعرّض للاحتيال والقرصنة، وذلك نتيجة كون المعلومات الشخصية للمستخدمين مُعرضة لأن تنتقل إلى أيادي ما يعرف بالهكر أو القرصنة الإلكترونية

والمُحتالين ، وتظهر كذلك مشكلات تتعلق بخصوصية الأفراد ، وذلك نظراً لوجود الكثير من المعلومات الشخصية على هذه الوسائل قد تكون مصدراً للإزعاج ، وخصوصاً عند تلقي المُستخدم الكثير من الأخبار التي قد لا تكون مُهمّة بالنسبة له ، ومن سلبياته أيضاً هو مضيعة الوقت في حال لم تُستغل بالشكل الصحيح ، فقد أثبتت إحصائية بأن (٢٨٪) من الوقت المقضي في استخدام شبكة الإنترنت يكون على وسائل الإعلام .

سمات الإعلام الإلكتروني

- ١ . سرعة انتشار المعلومات ووصولها إلى أكبر شريحة وفي أوسع مجتمع محلي ودولي وفي أسرع وقت وأقل تكاليف والنقل الفوري للأخبار والأحداث والوقائع ومتابعة التطورات التي تطرأ عليها مع قابلية تعديل وتحديث وتجديد الأخبار والنصوص الإلكترونية في أي وقت ، مما جعله ينافس الوسائل الإعلامية التقليدية .
- ٢ . توفير للوقت والجهد والمال ، فالإعلام الإلكتروني لا يحتاج إلى مقر واحد ثابت يحوي كل الكادر الإعلامي ؛ لأنه يبيث عبر الإنترنت فهو لا يحتاج إلى توفير المباني والمطابع والورق ومستلزمات الطباعة ومتطلبات التوزيع والتسويق ، والعدد الكبير من الموظفين والمحترفين والعمال ، مما يقلل ذلك من حجم التكاليف المالية مقارنة بالإعلام التقليدي ، وغالباً ما يعتمد الإعلام الإلكتروني على التمويل من خلال الإعلانات .
- ٣ . منحت تقنيات الإعلام الإلكتروني عملية رجوع الصدى .
- ٤ . إمكانيات حقيقية لم تكن متوفرة من إمكانية الحصول على إحصاءات دقيقة عن زوار مواقع الإعلام الإلكتروني ، ويوفر مؤشرات عن أعداد قرائه وبعض المعلومات عنهم كما تمكنه من التواصل معهم بشكل مستمر .
- ٥ . يوفر أرشيف وقاعدة معلوماتية للإعلامي في كل وقت ، إذ يوفر الإعلام الإلكتروني فرصة حفظ أرشيف إلكتروني سهل الاسترجاع غزير المادة ، حيث يستطيع الزائر أو المُستخدم أن يبحث عن تفاصيل حدث ما أو يعود إلى مقالات قديمة بسرعة قياسية بمجرد أن يذكر اسم الموضوع .^(١٨)

خصائص الإعلام الإلكتروني

- ١ . خاصية الانفتاحية: نسبة كبيرة منه تتسم بالاستقلالية عن المؤسسات الحكومية، وهو نوعاً ما مجاني، وساهم إلى حدود معينة في إضعاف الهيمنة الكبيرة لرأس المال والشركات الكبرى والحكومات على الإعلام في العالم.
- ٢ . خاصية الانسيابية من الرقابة: إذ أعطى الحرية المطلقة وتخطى الحدود والحواجز المحلية والدولية، وحدود القانون والرقابة المرتكزة على تقييد حرية الإعلام والمعتقد والتعبير في معظم بلدان العالم، فهو يتميز بسرعة تغطية الأحداث ونقل الخبر بشفافيه بدون قيود وسهولة التصفح والحصول على المعلومة والبحث عنها، وسمح للفرد من إبداء رأيه دون قلق أو خوف من الملاحقة وللنقد والتعليق على الموضوع الإلكتروني.
- ٣ . خاصية التعددية الثقافية: فالإعلام الإلكتروني يوفر موضوع التعبير عن الذات والحوار الحضاري، إذ روج لثقافة احترام الرأي الآخر عن طريق توفير فرص التفاعل والمدخلات المستمرة والتواصل بين الإعلامي والجمهور وبطرق مختلفة، وأعطى فرصة للجمهور من مختلف شرائح المجتمع لأن يكونوا إعلاميين من خلال مساهماتهم وكتاباتهم وتقديمهم البرامج الإعلامية المحترفة وتبادلها فيما بينهم وعدم اقتصرها على النخب.
- ٤ . خاصية التواصلية: ساهم الإعلام الإلكتروني بشكل ملحوظ في بناء جسور من التواصل بين القائم بالاتصال ومستقبل الرسالة، مما كان له بالغ الأثر في تفاعل كل من الجانبين مع الآخر حيث أتاحت التكنولوجيا الرقمية أداة تمكن الجمهور من التعبير عن رأيه حول المادة المقدمة من حيث تبادل التعليقات وتشكيل شبكة للاتصالات والتواصل الذي يجمع بين الكثير من التوجهات، وتنمية الحوار الهادف والتعود على تقبل الآخر مهما اختلفت وجهات النظر.
- ٥ . خاصية التطور السريع: إن الإعلام الإلكتروني يتطور بشكل سريع ومتواصل وأصبح ظاهرة عالمية لا يمكن الاستغناء عنها بحيث أصبح الأداة الأساسية في تسيير الاقتصاد الرأسمالي المعولم والإدارة الحكومية وذلك بفضل الإنترنت الذي يعتبر وسيلته الأساسية، فالإحصائيات والدراسات العالمية تشير إلى أن استخدام الإنترنت في العالم يتزايد بشكل كبير جداً، ويتطور بشكل سريع ومتواصل.

٦. خاصية البناء الثقافي: إذ يساهم في انتشار الثقافة الإلكترونية بين أفراد المجتمع وخاصة في مجال التعليم الإلكتروني (والحقيبة الإلكترونية للطالب)، وزيادة استخدام التسويق الإلكتروني أو التجارة الإلكترونية، وهي عملية ترويج الأعمال والبيع للعملاء من خلال استخدام الإنترنت، بالإضافة إلى ارتفاع أعداد مستخدمي الإنترنت بشكل عام، وانخفاض تكلفة النشر الإلكتروني مقارنة بأسعار النشر الورقي.

٧. خاصية المستقبلية: يعدّ هو إعلام المستقبل، باعتماده على التكنولوجيا الحديثة بما يخفض من تكاليفه ويوسع من دائرة مستخدميها، فانتشار أجهزة النشر الإلكتروني ووسائل الاتصال الإلكترونية المحمولة في كف اليد والتي يستطيع حاملها الدخول على الإنترنت ومطالعة موقعه الإلكتروني المفضل أو قراءة صحيفته المفضلة من أي مكان وفي أي زمان، وكل ذلك يصاحبه استمرارية انخفاض أسعار هذه الأجهزة.^(١٩)

المنظومة القيمية

يعد مفهوم القيم من المفاهيم الشائعة في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا أنه لا يوجد ثمة اتفاق بين العلماء حول تعريف موحد لهذا المفهوم، وذلك لاختلاف منطلقاتهم الفكرية وحقولهم الدراسية. فلقد تعددت تعريفات القيم في الأدبيات الاجتماعية والنفسية بقدر يكاد يوازي من تحدثوا فيها. ومن بين التعريفات المختلفة لمفهوم القيم تعريف تالكوت بارسونز (Talkott Parsons) الذي يعرفها بأنها نسق رمزي مشترك يعدّ معياراً، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد المعايير التي تحكم بها على كون الشيء مرغوباً فيه، أو غير مرغوب فيه.

كما يعرفها شوارت (Schwart) بأنها مفاهيم، أو تصورات للمرغوب، تتعلق بضرب من ضروب السلوك، أو غاية من الغايات، وتسمو أو تعلقو على المواقف النوعية، ويمكن ترتيبها حسب أهميتها النسبية، وعليه فإن مشكلات المنظومة القيمية مجموعة من المعتقدات والمبادئ الكامنة لدى الفرد التي تعمل على توجيه سلوكه وضبطه، وتنظيم علاقاته في المجتمع وسط الجماعة في جميع نواحي الحياة، وقد اكتسب الفرد تلك القيم ونماها وطورها وأصبحت معتقداً ثابتاً من البيئة الأسرية والاجتماعية التي نشأ بها.^(٢٠)

خصائص المنظومة القيمية

تمتاز القيم بمجموعة من الخصائص التي تميزها من غيرها من المفاهيم الأخرى كالحاجة، أو الدافع، أو المعتقد، أو الاتجاه، أو السلوك. ويمكن إجمال أهمها فيما يأتي:

١. أنها إنسانية، بمعنى أنها تختص بالبشر دون غيرهم، وهذا ما يميزها عن الحاجات التي لا تخص البشر.
٢. أنها غير مرتبطة بزمن معين، فالقيم إدراك يرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، وهي بهذا المعنى تبتعد عن معنى الرغبات، أو الميول التي ترتبط بالحاضر فقط.
٣. أنها تمتلك صفة الضدية، فلكل قيمة ضدها شيء سلبي، ما يجعل لها قطبًا إيجابيًا، وقطبًا سلبيًا، والقطب الإيجابي هو وحده الذي يشكل القيمة، في حين يمثل القطب السالب ما يمكن أن نسميه (ضد القيمة، أو عكس القيمة).
٤. المعيارية: بمعنى أن القيم تعد بمثابة معيار لإصدار الأحكام تقيس وتقيم وتفسر وتعلل من خلالها السلوك الإنساني.
٥. أنها نسبية، أي أنها ليست مطلقة، بل تمتاز بالثبات النسبي، وهي تختلف من مجتمع لآخر تبعًا لعوامل المكان والزمان والثقافة والجغرافيا والإيديولوجيا.
٦. أنها متعلمة، أي أنها مكتسبة من خلال البيئة وليست وراثية، بمعنى أنه يتم تعلمها واكتسابها عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة.
٧. أنها ذاتية، بمعنى أن وزن القيمة وأهميتها يختلف من فرد لآخر. (٢١)

مكونات المنظومة القيمية:

تتكون القيم من ثلاثة مستويات رئيسية هي:

المكوّن المعرفي، والمكوّن الوجداني، والمكوّن السلوكي.

ويرتبط بهذه المكونات المعايير التي تتحكم بمناهج القيم وعملياتها وهي:

(الاختيار، والتقدير، والفعل).

أ-المكون المعرفي : ومعياره «الاختيار»، أي انتقاء القيمة من أبدال مختلفة بحرية كاملة بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء كل بديل ويتحمل مسؤولية انتقائه بكاملها، وهذا يعني أن الانعكاس اللا إرادي لا يشكل اختياراً يرتبط بالقيم .

ويعتبر الاختيار المستوى الأول في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم، ويتكون من ثلاث درجات أو خطوات متتالية هي :

استكشاف الأبدال الممكنة، والنظر في عواقب كل بديل، ثم الاختيار الحر. (٢٢)

ب-المكوّن الوجداني : ومعياره «التقدير» الذي ينعكس في التعلق بالقيمة والاعتزاز بها، والشعور بالسعادة لاختيارها والرغبة في إعلانها على الملأ .

ويعتبر التقدير المستوى الثاني في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم ويتكون من خطوتين متتاليتين هما :

الشعور بالسعادة لاختيار القيمة، وإعلان التمسك بالقيمة على الملأ .

ج-المكوّن السلوكي : ومعياره «الممارسة والعمل» أو «الفعل» ويشمل الممارسة الفعلية للقيمة أو الممارسة على نحو يتسق مع القيمة المنتقاة، على أن تتكرر الممارسة بصورة مستمرة في أوضاع مختلفة كلما سنحت الفرصة لذلك .

وتعتبر الممارسة المستوى الثالث في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم، وتتكون من خطوتين متتاليتين هما : ترجمة القيمة إلى ممارسة، وبناء نمط قيمى . (٢٣)

أنواع القيم ضمن مشكلات المنظومة القيمية وهي :-

١ . القيم الاجتماعية : هي أنواع السلوك الاجتماعي الإيجابية المرغوب فيه والتي تنتقل إلى أفراد المجتمع من الأشخاص المحيطين بهم، وتعد ثقافة المجتمع السائدة هي الوسط الذي يساعد في نقلها وترسيخها من خلال الممارسات السلوكية والاتجاهات الإيجابية في العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وتمثلت في هذه الدراسة بالمواساة الاجتماعية، والالتزام بالعادات والتقاليد الاجتماعية، والمحافظة على التراث الاجتماعي، والتحلي بأداب الطريق، والمشاركة بالأعمال التطوعية، والتضامن مع الشعوب المنكوبة، وإغاثة الملهوف ونجدة المظلوم، وأدب المحاور مع الآخرين، وعبادة المريض، والتواضع والإحسان إلى الجيران .

٢ . القيم الأخلاقية: هي مجموعة من المعايير والمبادئ الموجهة لسلوك الفرد المسلم ظاهراً وباطناً لتحقيق غاية خيرة مستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتمثلها في هذه الدراسة بر الوالدين، والصدقة على الفقراء، والكرم، والتعاون، والعدل، والأمانة، والإخلاص، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم، والسماحة، والصدق، والحياء.

٣ . القيم الاقتصادية: هي التي تعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع ومفيد والاهتمام بزيادة الإنتاج وعمليات التسويق واستثمار الأموال، وتمثلها في هذه الدراسة مجموعة من القيم الاقتصادية، مثل: حب الإنتاج، والمحافظة على الممتلكات العامة، وتقدير المنتج المحلي، وأداء الزكاة، واحترام العمل اليدوي، وتجنب التعامل القائم على الغش والخداع، ونبذ الإسراف والتبذير، والوفاء وعدم المماطلة بأداء الديون.

٤ . القيم الجمالية: وهي التي تعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق، والنظر إلى العالم المحيط به نظرة تقدير لتكوينه وتنسيقه وانسجامة وتوافقه الشكلي، وجاءت في هذه الدراسة محددة بمجموعة من القيم كالالتزام بتعليمات الوقاية الصحية، وتقدير جمالية اللباس العربي الأصيل، وتجنب العادات الضارة بالجسم - كالتدخين - وتذوق جمال البيئة ومكوناتها، وممارسة الرياضة، والعناية بالمظهر، والنظام والترتيب، وتزيين المنزل، ونظافة ساحاته وأفنيته. (٢٤)

العلاقة بين وسائل الإعلام الإلكترونية ومنظومة القيم

إن وسائل الإعلام الإلكترونية أصبحت من أهم العناصر التي يتعامل معها الفرد وفي كل وقت وقد دخلت تلك للحياة الشخصية وتجذرت في مختلف المجالات، وخاصة بعد أن أصبحت المادة العلمية والرقمية متاحة للاستخدام وبكل سهولة كنشر الصور ومقاطع الفيديو وكتابة الأفكار ونشر الاعتقادات ويتفاعل معها الفرد بشكل مستمر من خلال ما يشاهده ويسمعه ويكتبه ويرسله ويُرسَل إليه، فقد أصبح عالماً متكاملًا للكثير من الأفراد رغم أنه عالم افتراضي، وأصبح يشغل الوقت الطويل للأفراد ويشغلهم في البيت

وفي أوقات العمل في مؤسساتهم وفي الشارع والتسوق وقيادة السيارة والتعلم والعمل والتواصل مع الأقارب ومن أي مكان في العالم وفي أي وقت .

إن هذا التفاعل المثير للاهتمام والفوضوية واللامبالاة للوقت أصبح يؤثر في الفرد والخروج من مجرد تسلية واطلاع وتواصل إلى تغير عادات وأفكار واهتمامات وميول، حتى وصل إلى تغير القيم الإنسانية والثقافية والاجتماعية وحتى الدينية، وقد تعرضت مشكلات المنظومة القيمية إلى التصدع والانكسار ووصلت إلى حالات خطيرة من خلال المؤشرات الظاهرة منها انتشار حالات الطلاق في المحاكم، وعند الاطلاع على الأسباب تجد (٨٠٪) منها سببها وسائل الإعلام هذا مؤشر خطير جداً وهذا مثال من مجموعة أمثلة منها انخفاض التحصيل الدراسي، والسهر لساعات الصباح، والاطلاع على أسرار الآخرين وبياناتهم وتهديدهم بها، مما أدى إلى إضعاف مشكلات المنظومة القيمية بشكل عام، وانتشار الأفكار والسلوكيات الغريبة عن عادات مجتمعتنا، وتأثرت مختلف فئات المجتمع بذلك ومنهم الأسرة، لقد تأثرت الأسرة باستخدام التواصل بشكل كبير من خلال الدراسات التي أجريت، أن الطالب الجامعي يأتي إلى الجامعة وقد وصل إلى مستوى مقبول من النضج الاجتماعي والشخصي والنفسي ويمتلك مهارات اجتماعية ونفسية. (٢٥)

لقد تسببت بعض التطبيقات لوسائل الإعلام في تلوين القيم الجامعية والإنسانية، وانعكس ذلك على لبس الأسرة وطريقة كلامهم وسلوكياتهم داخل قاعات الدراسة وخارجها، وانخفاض التحصيل التطبيقي وحتى التكاليف الاقتصادية، وأصبح الطالب الناضج متمرداً على القيم ويعدها أداة تعطيل المجتمع والأفراد، وبدأ الطالب يبحث عن الحرية التي هو يسميها الانفتاح لذا أصبحت اهتمامات الطالب الجامعي مادية ومظهرية أكثر مما هي معرفية دراسية قائمة على الحوار وتعلم المعرفة واكتساب مهارات الجامعة الأساسية، وهذا ينعكس سلباً على المجتمع لأن هؤلاء يخرجون لسوق العمل كالمهندسين والمحاسبين والمعلم والمحامي، إذا لم يكن مزوداً بالقيم فسوف ينشأ جيل لا يُقدّر المجتمع وتصبح الفردية والمادية هي الظاهر المنتشرة في المؤسسات التعليمية وهنا يكمن الخطر والمشكلة .

الأسرة الكردستانية

تعتبر الأسرة اللبنة الأولى في كيان المجتمع وخاصة المجتمع الكردي في إقليم كردستان العراق، لذا تعد هي الأساس المتين الذي يقوم عليه هذا الكيان فصلاح الأساس يصلح البناء، وكلما كان الكيان الأسري سليماً ومتماسكاً كان لذلك انعكاساته الإيجابية على المجتمع، فالأسرة التي تقوم على أسس من الفضيلة والأخلاق والتعاون تعتبر ركيزة من ركائز أي مجتمع يصبو إلى أن يكون مجتمعاً قوياً متماسكاً متعاوناً، يسير ركب الرقي والتطور.

وتكتسب الأسرة الكردستانية أهميتها كونها أحد الأنظمة الاجتماعية المهمة التي يعتمد عليها المجتمع كثيراً في رعاية أفرادها منذ قدومهم إلى هذا الوجود وتربيتهم وتلقيهم ثقافة المجتمع وتقاليد، وتهيئتهم لتحمل مسؤولياتهم الاجتماعية على أكمل وجه. والعلاقة بين الفرد والأسرة والمجتمع علاقة فيها الكثير من الاعتماد المتبادل، ولا يمكن أن يستغني أحدهم عن الآخر، فالأسرة ترعى شؤون الأفراد منذ الصغر، والمجتمع يسعى جاهداً لتهيئة كل الفرص التي تمكن هؤلاء الأفراد من أداء أدوارهم الاجتماعية وتنمية قدراتهم بالشكل الذي يتوافق مع أهداف المجتمع.^(٢٦)

وتتجلى أهمية الأسرة في إقليم كردستان ككيان مجتمعي لأسباب كثيرة أبرزها أن أول ما ينتقل إلى الطفل عن طريق التقليد في الصوت والحركة، لغة آبائه (أبيه وأمه) وأفراد أسرته وأعمالهم وسلوكهم ومناهجهم في الحياة، فبمقدار سمو المنزل في هذه الأمور تسمو آثار التقليد التربوية في الطفل بفضل الجو الأسري والمحيط العائلي، تنتقل إلى الناشئة تقاليد أمتهم ونظمها وعرفها الخلقي وعقائدها وآدابها وفضائلها وتاريخها، وكثير مما أحرزته من تراث في مختلف الشؤون فإذا وفقت الأسرة في أداء هذه الرسالة الجليلة حققت البيئة الاجتماعية آثارها البليغة في المجال التربوي.

أبرز المشكلات التي تسببها وسائل الإعلام الإلكترونية على الأسرة في إقليم كردستان.

أصبحت هذه التكنولوجيا لا تهدد التواصل في الأسرة فحسب، وإنما تهدد العلاقات الاجتماعية أيضاً، حيث يتم استعمال الأجهزة لأغراض الإساءة من طرف بعض الأفراد الذين تنعدم عندهم الأخلاق الإنسانية، بهدف التهديد أو الابتزاز أو انتقاماً أو استهتاراً، مما يعرض أصحابها على مجالس قانونية.

أما الآثار التي تظهر على الجانب النفسي للأفراد، ظاهرة الإدمان على الانترنت، بحيث بينت الدراسات النفسية أن الأفراد الأكثر تعرضاً للإدمان على الإنترنت هم هؤلاء الأفراد الذين يعانون من العزلة الاجتماعية، والفشل في إقامة علاقات اجتماعية طبيعية مع الآخرين، والذين يعانون من مخاوف غامضة، أو قلة احترام الذات، الذين يخافون من أن يكونوا عرضة للاستهزاء، أو السخرية من قبل الآخرين، هؤلاء هم أكثر الناس تعرضاً للإصابة بهذا المرض؛ وذلك لأن العالم الإلكتروني قدّم لهم مجالاً واسعاً لتفريغ مخاوفهم وقلقهم، وإقامة علاقات غامضة مع الآخرين، تخلق لهم نوعاً من الألفة المزيّفة، فيصبح هذا العالم الجديد الملاذ الآمن لهم، من خشونة وقسوة عالم الحقيقة - كما يعتقدون - حتى يتحول عالمهم هذا إلى كابوس يهدّد حياتهم الاجتماعية والشخصية للخطر.

ضعف العلاقات الأسرية والعزلة النسبية للأسرة:

أصبحت الأسرة الكردستانية تشهد ضعفاً وتخلخلاً في تركيبها وأصبح الطابع الفردي هو السائد بين أفرادها وأصبح هناك انخفاض في التفاعل بين أفراد الأسرة، وزادت العلاقة سوءاً بين الزوجين، وبين الأبناء، وبين الآباء وذلك بسبب الجلوس أمام التلفاز وألعاب الكمبيوتر لفترات طويلة، ناهيك عما تبثه تلك الوسائل من أفكار هدامة تنعكس بالسلب على سلوك الفرد داخل أسرته، سواء كان زوجاً أو أباً أو أماً أو ابناً وهذا ما وصل إليه بالفعل حال الأسر الكردستانية التي انغمست بشدة في استخدام تلك الوسائل.

٢- التباعد بين الزوجين في مناقشة الأمور الأسرية:

أصبحت السمة السائدة بين الأزواج داخل الأسرة الكردستانية هو انشغال كل منهم بجهازه الخاص سواء كان جهاز تليفون محمول أو كمبيوتر أو متابعة الأفلام الخاصة به، مما أدى إلى حدوث فجوة كبيرة بين الزوجين فكل منهما مشغول بعالمه الخاص والذي لا يجد فيه وقتاً لمناقشة المشكلات الخاصة بالأسرة والأبناء، وهو ما أدى إلى حدوث تفكك أسري وعدم دراية كل منهما بما يهدد الأسرة من أخطار لعدم وجود الوقت الكافي لمناقشتها وحلها. (٢٧)

٣- شيوع ثقافة الاستهلاك داخل الأسر وخاصة بين الشباب:

من الآثار السلبية المترتبة على انتشار استخدام وسائل الاتصال الحديثة شيوع ثقافة الاستهلاك والتطلع إلى ما يفوق قدرات الأسرة المالية، فكل فرد يريد أن يحدث جهازه المحمول الخاص به لمجرد الحصول على جهاز آخر متطور ذي إمكانيات أعلى للبقاء دائماً على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما تنهافت للوصول إليه كبرى شركات المحمول والتي تعمل على إغراق السوق كل فترة بأجهزة جديدة ذات تقنيات عالية، ليقوم المستهلك بمحاولة التحديث وهو ما يرهق ميزانية الأسرة الكردستانية، وبالتالي تقع المشكلات الاقتصادية والتي قد تؤدي في النهاية بالأسرة بكاملها.

٤- أصبحت الأسرة تعاني الكثير والكثير من المشكلات الاجتماعية:

مثل التفكك الأسري والتطرف والعنف وزادت نسب الجريمة بشكل كبير وملحوظ، وهو ما سببه انتشار وسائل الاتصال الحديثة كالكمبيوتر والتلفاز والعديد من الوسائل الأخرى التي أصبحت تحيط بنا من كل اتجاه.

أصبح الشباب في الأسرة منشغلين باستخدام شبكات الإنترنت والألعاب ومشاهدة الأفلام التي تدعو إلى العنف مما انعكس بالسلب على القيم التي تغرس بداخلهم وأصبحوا قابعين أمام شاشات الكمبيوتر لفترات طويلة مما أدى إلى تغيير فكرهم وارتباطهم بأسرهم، وهو ما عمل على اتساع الفجوة بينهم وبين آبائهم مما انعكس بالسلب على المجتمعات. (٢٨)

منهجية البحث وإجراءاته:

منهجية البحث:

استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي للدراسة الحالية، إذ يعد هذا المنهج أفضل أسلوب لدراسة الحالية لأنه يوصف الظاهرة وصفاً دقيقاً ويحدد أبعادها وأسباب حدوثها ويضع فرضيات لحلها.

مجتمع البحث عينته

يشمل مجتمع البحث الحالي الأسر في إقليم كردستان التي تسكن مراكز المدن، أما عينة البحث فقد بلغت (٢٠٠) فرد من مدن السليمانية و خانقين وأربيل وكلاار ومدينة دهوك في إقليم كردستان العراق للعام (٢٠٢٠ و ٢٠٢١).

أداة البحث

لتحقيق أهداف البحث الحالي ولعدم حصول الباحثين على أداة مناسبة لأهداف البحث الحالي، وبعد الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة، تم بناء أداة للبحث الحالي مكونة من (٢٥) فقرة موزعة على أربعة مجالات هي) القيم الأخلاقية، والاجتماعية، والجمالية والاقتصادية) وله أربعة بدائل (دائمًا- أحيانًا- أبدًا- غالبًا) ولكل بديل وزن معين (١، ٢، ٣، ٤) لل فقرات الإيجابية والعكس لل فقرات السلبية وكانت أعلى درجة للمقياس (١٠٠)، وأقل درجة (٢٥) وأما الوسط الفرضي فيبلغ (٦٢, ٥).

صدق الأداة

الصدق هو الخاصية السايكومترية التي تكشف عن مدى أداء المقياس للغرض الذي أُعد من أجله، وهو دليل على قياس الفقرات لما يفترض أن تقيسه ولأجل التحقق من صدق أداة البحث قام الباحثون باستخراج الصدق الظاهري الذي يعد من مستلزمات بناء المقياس وذلك بعرض فقرات الأداة على مجموعة من الخبراء والمختصين في العلوم التربوية والنفسية، وفي ضوء آرائهم تم الإبقاء على الفقرات التي نالت نسبة (٨٥٪) فأعلى، وهي تمثل نسبة قبول وبذلك عدّل الخبراء بعض الفقرات.

تحليل فقرات القياس

تم تحليل المتطرفتين: بأسلوب: -

أ- المجموعتان المتطرفتان :

لحساب القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الأداة تم تطبيق المقياس على عينة التحليل ثم تحديد الدرجة الكلية لكل استمارة.

١ . ترتيب الاستثمارات تنازلياً بحسب درجاتها الكلية من أعلى درجة إلى أوطأ درجة.

٢. تعيين (٢٧٪) من الاستثمارات الحاصلة على أعلى الدرجات في المقياس و(٢٧٪) من الاستثمارات الحاصلة على أدنى الدرجات، واللتيين تمثلان مجموعتين بأكبر حجم وأقصى تمايز ممكن، وبلغ عدد الاستثمارات في كل مجموعة (٢٧) استثمارة وعليه فإن عدد الاستثمارات التي خضعت للتحليل يكون (٥٤) استثمارة.

٣. استخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات المفحوصين لكل مجموعة عن كل فقرة من فقرات المقياس ثم طبق الاختبار التائي لعيتين مستقلتين لاختبار الفروق بين درجات المجموعة العليا والمجموعة الدنيا في كل فقرة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وقد تبين أن جميع الفقرات مميزة والجدول (٢) يبين ذلك:

جدول (٢) القوة التمييزية للفقرات

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة
	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	
١	٢,٥٥٣	٠,٥٥٥	٢,٢٢٠	٠,٦١٣	٥,٢٢١
٢	٢,٤٦٤	٠,٦٦٤	٢,٢٠٢٤	٠,٦٩٧٠	٣,٥٢٥
٣	٢,٣٨١	٠,٥٩٧	٢,٠٢٣	٠,٧٢٥	٤,٩٢٥
٤	٢,٠٥٣	٠,٧٢٨	٢,٠٥٧	٠,٧٨١	٥,٦٥٠
٥	٢,٤٧٠	٠,٦٣٧	١,٨٩٢	٠,٨٠٤	٧,٥٥٤
٦	٢,٢٨٥	٠,٧٠١	٢,١٠٧	٠,٨١٥	٢,١٦٨
٧	٢,٦٤٢	٠,٦١٣	٢,١١٩	٠,٨٢٤	٦,٥٣٦
٨	٢,٦٨٤	٠,٥٤٨	٢,١٥٤	٠,٧٧٣	٧,٢٣٩
٩	٢,٧٢٣	٠,٥٧٣	٢,٠٧١	٠,٨٢٣	٨,٥٣٦
١٠	٢,٥٩٥	٠,٥٩١	١,٩٨٢	٠,٧٦١	٨,٢٣٧
١١	٢,٤٥٢	٠,٦٠٧	١,٩٨٢	٠,٦٨٧	٦,٦٤٣
١٢	٢,٧٥٦	٠,٥٥٢	٢,٢٣٢	٠,٧٧٣	٧,١٤١
١٣	٢,٥٣٥	٠,٦١٨	١,٩٨٢	٠,٧٥٤	٧,٣٦٠
١٤	٢,٧٥٠	٠,٤٨٦	٢,٠٨٩	٠,٧٥٦	٩,٥١٩
١٥	٢,٦٧٨	٠,٥٣٩	٢,١٧٨	٠,٧٢٠	٧,٢٠٠
١٦	٢,٤٤٠	٠,٦١٦	٢,٠٠٦	٠,٧٥٤	٥,٧٨٣
١٧	٢,٥٧١	٠,٥٧٤	٢,٠٨٣	٠,٧٥٣	٦,٦٧٦
١٨	٢,٣٣٣	٠,٧٦٣	١,٩٦٤	٠,٧٤٩	٤,٤٧١
١٩	٢,٣٣٩	٠,٦٣٦	١,٩٦٣	٠,٧٤٩	٥,٠٧١
٢٠	٢,٦٨٤	٠,٥٠٣	٢,١٨٤	٠,٧٣٩	٧,٢٤٧

٨,٨٦١	٠,٧٢٨	٢,١٥٤	٠,٤٩٢	٢,٧٦١	٢١
٦,٨٨٢	٠,٧٧٣	٢,١٥٤	٠,٥٥٦	٢,٦٦٠	٢٢
٧,٥٤١	٠,٧٢٣	٢,٠٧١	٠,٥٢٩	٢,٤٩٢	٢٣
٧,٩١٢	٠,٨٠٥	١,٦٣٢	٠,٨٦٢	٢,١١٩	٢٤
٦,٤٢٣	٠,٧٧٥	٢,٤٣٢	٠,٥٢٤	٢,٧٢٣	٢٥

ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

يقصد بها معامل الارتباط بين الأداء على كل فقرة والأداء على الاختبار بأكمله، إذ إن من مميزات هذا الأسلوب أن يقدم مقياساً متجانساً في فقراته، إذ إن الفقرة التي ترتبط ارتباطاً ضعيفاً جداً مع المحك (المقياس) تعد غالباً فقرة تقيس سمة تختلف عن تلك السمة التي تقيسها فقرات المقياس الأخرى إذ يجب استبعادها.

ولحساب معامل الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات الأداة والدرجة الكلية استعمل الباحثان معامل ارتباط بيرسون، وقد تبين أن معامل الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية جميعها ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) لأن جميع معاملات الارتباط أعلى من القيمة الجدولية البالغة (٠,٠٨٨) والجدول^(٣) يوضح ذلك.

جدول (٣)

معاملات الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية للمقياس

معامل الارتباط	تسلسل الفقرة	معامل الارتباط	تسلسل الفقرة
٠,٣٠٨	١٢	٠,٢٢٦	١
٠,٣٩٦	١٣	٠,١٥٤	٢
٠,٢٨٨	١٤	٠,٢٠٥	٣
٠,١٤٥	١٥	٠,٠٤٧	٤
٠,١٥٥	١٦	٠,٢٧٠	٥
٠,١٨٨	١٧	٠,١٤٢	٦
٠,٣١٩	١٨	٠,٢٨٢	٧
٠,٢٦٣	١٩	٠,٢٩٥	٨
٠,٢٨٢	٢٠	٠,٣٢٣	٩
٠,٢٥٤	٢١	٠,٣٦٤	١٠

٠,٣٢٠	٢٢	٠,٣٠٥	١١
٠,٢٥١	٢٤	٠,١١٦	١٢
٠,٣٤٥	٢٥		

مؤشرات الثبات

يقصد بالثبات الدقة في أداء الأفراد والاستقرار في النتائج و عدم تأثر نتائج الاختبار بصورة جوهرية بذاتية المفحوص ، أو أن الاختبار فيما لو كرر على المجموعة نفسها بعد فترة زمنية نحصل على النتائج نفسها أو مقاربة ، وقد تم استخراج قيمة معامل الثبات من خلال أسلوب الفا- كرونباخ ، فكانت قيمة معامل ثبات المقياس (٠,٨٣) ويعد المقياس داخلياً لأن هذه المعادلة تعكس مدى اتساق الفقرات داخلياً .

الوسائل الإحصائية

استخدم الباحثان برنامج (spss) لتحليل الفقرات واستخراج النتائج للأهداف الموضوعية .

عرض النتائج وتفسيرها

أولاً- الكشف يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن مستوى تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية في مشكلات المنظومة القيمية لدى الأسرى في إقليم كردستان .

الجدول (٤)

المتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري والمتوسط الفرضي والقيمة التائية

القيمة التائية	المتوسط الفرضي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العينة	الجدولية
					المحسوبة
١,٩٦	٦٢,٥	٧,٣	٥٩,٨	٢٠٠	٢,٣٢

توضح المؤشرات الإحصائية للجدول (٤) أن وسائل الإعلام الإلكترونية لها تأثير كبير ومهم على انتشار المشكلات الأسرية والاجتماعية والنفسية وسببها اكتساب ثقافات وافدة إلكترونية تؤثر على تكوين وتناسق المنظومة القيمية للأسرة الكردستانية ، إذ يوضح التحليل الإحصائي لإجابات أفراد الأسرة ، تفسر نظرية التعلم الاجتماعي لـ (بندورا)

أن الفرد يتأثر بالبيئة التي يعيش بها من خلال المؤثرات التي يواجهها ويستجيب لهذه المؤثرات كلما زادت درجة قوتها، لذا أصبحت وسائل الإعلام الإلكترونية من أكثر المثيرات البيئية التي يواجهها الفرد في الأسرة، إذ نلاحظ الاستخدام المفرط للأجهزة الذكية من هواتف وأجهزة لوحية وحاسبات محمولة، والوقت الذي يقضيه الفرد يبدأ يمارس سلوكيات وطرح أفكار تخالف القيم الأسرية والاجتماعية والثقافية والخلقية، وهذا التأثير بدأ ينعكس على البناء المعرفي وبناء الشخصية والتفاعل الاجتماعي، ولكن لم يصل التأثير إلى درجات مرتفعة مقارنة بالمرحلة العمرية للأسرة كونهم في مرحلة من النضج والرشد التي تحقق لهم مهارة إدارة الوقت التي انعكس بالشيء اليسير على سلوكياتهم في استخدام تطبيقات ووسائل الإعلام، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة العوالم^(٢٩).

ثانياً- مدى تأثير وسائل الإعلام الحديثة في ترسيخ القيم الأسرية وفق متغير النوع (ذكور وإناث).

جدول (٥)

مستوى دلالة	القيمة التائية		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المؤشر الإحصائي النوع
	الجدولية	المحسوبة				
٠,٠٥	٢	٣	٨,٤١	٢١,٤	١٠٠	ذكور
			٥,١٣	١٧,٤	١٠٠	إناث

يبين نتائج الاختبار التائي للفرق بين متوسط درجات الذكور والإناث

يتضح من الجدول^(٥) أن الفروق دالة إحصائياً لصالح الطلاب الذكور مقارنة بالإناث في متغير النوع، وهذا يوضح أن مشكلات المنظومة القيمية للأسرة تتأثر وتزداد بوسائل الإعلام الإلكترونية الحديثة من الذكور أكثر تأثيراً فكرياً وسلوكياً من الإناث في الأسرة الكردستانية، ويفسر ذلك في ضوء نظرية «سوليفان» للعلاقات الاجتماعية أن الذكور داخل الأسرة والمجتمع يتمتعون بعلاقات اجتماعية متنوعة ومتعددة سواء مع أقرانهم ونوع جنسهم، وكذلك يحصل الذكور على مساحة من الحرية في الخروج من المنزل وقضاء وقت طويل خارجه ويفعلون ما يرغبون به من غير متابعة من الأبوبين وولي الأمر، وهم يستخدمون شبكة الإنترنت بشكل حر ومفتوح من خلال ما يمتلكون من الأجهزة الذكية؛

لأن المجتمعات الشرقية تعطي الكثير من المساحات والحريات للذكور مقارنة بالإناث، هذه الحرية تجعلهم يكتسبون خبرات متعددة ومتنوعة من خلال إنشاء حسابات إلكترونية على شبكات التواصل ويمتلكون مهارة التعامل مع هذه التطبيقات مما يقضون ساعات طويلة وبشكل مفرط، مما تجد تأثير هذه الشبكات على قيمهم سواء في الجامعة أو المجتمع المحلي وحتى داخل الأسرة، وينعكس ذلك سلباً في أفكارهم وطريقة تحدثهم وملبسهم مقارنة بالإناث التي تتحدد علاقتها مع نوع جنسها وأمها وأقاربها وطبيعة المجتمع التي يفرضها، مما ينعكس ذلك على الحفاظ على مستوى منظومة القيم التي اكتسبتها، وربما غير متعلمة ولا تجيد التعامل مع هذه الأجهزة أو لربما لا تمتلك مثل تلك الأجهزة وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة الطيار (٢٠١٤) (٣٠).

ثالثاً- تحديد أهم وسيلة إعلامية إلكترونيًا ذات تأثير في منظومة القيم للأسرة الكردستانية.

تم إجراء تطبيق دراسة استطلاعية لمعرفة أهم أدوات ووسائل لإعلام الإلكتروني المشاهد والمسموع والمكتوب والمقروء إلكترونيًا ذات تأثير في المنظومة القيمية للأسرة، وقد تسبب مشكلات أسرية متأزمة، وبعد مقارنة الأوساط الحاسوبية ظهرت أهم وسيلة ذات تأثير في إبراز دور المرأة وتعزز من خلالها ثقافة التعايش السلمي، هي الفيسبوك والذي حصل على أعلى وسط حسابي إذ بلغ (٨٢,٠)، وإن أفراد الأسرة يستخدمون موقع الفيسبوك بشكل كبير وتفاعلي وينشرون من خلاله نشاطاتهم المختلفة، وتنتشر فيه أفكارها التي تعبر بها عن ذاتها، ومن أهمها مساهماتها في نشر أفكارهم الشخصية والثقافية للأسرة، وتؤثر في منظومة القيم للأسرة وخاصة الكردستانية وأفرادها، ونحن نرى مدى زيادة مستخدمي ومستخدمات منصة الفيسبوك ويزداد الاستخدام بشكل كبير يوماً بعد يوم، وذلك لما تكتب به من بيانات والتي تنقل البيانات بمنتهى الدقة ويمكن الدخول عليه بأي وقت وبكل حرية من خلال حساب شخصي آمن، مما أصبح وسيلة مؤثره في تعزيز دور المرأة في تحقيق تفاعلها الاجتماعي وبشكل كبير وخاصة دورها في نشر ثقافة السلم المجتمعي في المجتمع، كما أن للفيسبوك دورًا مؤثرًا وفعالاً في تغيير القيم الأسرية والاجتماعية ونشر ثقافات وافدة وخاصة مفهوم القيم والعادات وتكوين المفاهيم القيمية، إذ يتفاعل المجتمع وبشكل سريع مع الفيسبوك وهو الآن من أكثر الأدوات والتطبيقات الإلكترونية التي تؤثر بمنظومة القيم للأسرة الكردستانية وأفرادها، مما ينعكس ذلك على

أفكارهم وسلوكياتهم ويترك الأثر في ثقافتهم وخاصة الاجتماعية وما يحملونه من قيم داخل الأسرة وخارجها، لذا يعد الفيسبوك من أهم أدوات ووسائل لإعلام الإلكترونية الحديثة المؤثر بالفرد والمجتمع.

التوصيات

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحثان بـ:

- تدريب أفراد الأسرة على مخاطر سوء استخدام وسائل الإعلام الإلكترونية من خلال ورش عمل في المجتمع المحلي.
- ترسيخ القيم والمبادئ التي تعزز القيم الأسرية للأفراد داخل الأسرة من خلال بث البرامج التوعوية في القنوات التلفزيونية والمواقع الإلكترونية.
- اخضاع الأسرة لبرامج تدريبية إرشادية ونفسية حول كيفية إدارة الوقت وتوظيف استخدام وسائل الإعلام الإلكترونية في تعزيز منظومة البناء للأسرة وانعكاس ذلك على قيم أفراد الأسرة.

المقترحات

- إجراء دراسة عن دور الأسر في تعزيز القيم الاجتماعية.
- إجراء دراسة بعنوان الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي وعلاقتها بأزمة الهوية الاجتماعية.
- إجراء دراسة بعنوان الثقافة الوافدة وعلاقتها بالتفكك الأسري.

الهوامش

١. سامي، عبد الرؤوف، الإنترنت في العالم العربي: دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، المجلد ٢، عدد ٤، ٢٠١٠، ص ٣٥.
٢. سالم، ساري وخضر، زكريا، مشكلات اجتماعية راهنة، العولمة وإنتاج مشكلات جديدة، الأهالي للطبع والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠١٢، ص ١٩٦.

- ٣ . محمد بن صالح الخلفي ، تأثير الإنترنت في المجتمع : دراسة ميدانية» ، مجلة عالم المعرفة ، المجلد ٢٢ ، العددان ٥ و ٦ ، ٢٠١٥ ، ص ٤٦٩ - ، ٥٠٢ .
- ٤ . زاهر ، راضي ، «استخدام التواصل الاجتماعي في العالم العربي» ، مجلة التربية ، العدد ١٥ ، جامعة عمان الأهلية ، عمان ، ٢٠١٣ ، ص ٢٣ .
- ٥ . اليوسف ، شعاع ، التقنيات الحديثة فوائده وأضرار دراسة التأثيرات السلبية على صحة الفرد ، العدد ١١٢ ، السنة السادسة والعشرون ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ .
- ٦ . سالم ، ساري وخضر ، زكريا (مصدر سابق)
- ٧ . حلمي ، ساري ، ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الاجتماعي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٩م ، ص ١٩ .
- ٨ . بهاء الدين ، محمد مزيد ، «المجتمعات الافتراضية بديلاً للمجتمعات الواقعية ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠١٢م .
- ٩ . إيهاب ، جعفر ، الإعلام الإلكتروني والمجتمع ، ط ١ دار العلوي للنشر والتوزيع عمان ، ٢٠١٦ .
- ١٠ . خالد غسان المقداوي ، ثورة الشبكات الاجتماعية- ماهية وسائل الإعلام وأبعادها ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الطبعة ١ ، ٢٠١٤م ، ص ٣٥ .
- ١١ . إيهاب ، جعفر (مصدر سابق)
- ١٢ . محمود ، خالد صالح ، تأثير وسائل الإعلام الإلكتروني على القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي ، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية ، القاهرة ، المجلد الأول ، العدد ٣٢ ، ص ٣٣٥ - ٣٩٠ ، ٢٠١٢ .
- ١٣ . إيهاب ، جعفر (مصدر سابق)
- ١٤ . عبدالكريم الديبسي ، ياسين الطاهات ، . مجلة دراسات الإعلام الإلكترونية في تشكيل الرأي العام لدى أسرة الجامعات الأردنية . مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، المجلد ١٤ ، العدد ١ ، ص ٦٦ - ٨٠ ، ٢٠١٣ .

- ١٥ . هناء جاسم المحمداوي، الإقناع فن التأثير على الآخرين واكتساب ثقتهم، دار الاتحاد للنشر والتوزيع، عمان طبعة ١، ٢٠١٢. خالد غسان المقدادي (مصدر سابق).
- ١٦ . خولة القدومي، مجالات استخدام شبكات وسائل الإعلام بين أسرة جامعة إربيد الأهلية، عالم التربية، مصر، س١٣، العدد ٤٠، ١٥ - ٢٠١٢، ٤٠.
- ١٧ . وهاب خليفة، وسائل الإعلام «أدوات التغيير العصرية عبر الإنترنت»، المجموعة العربية للتدريب والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص ١١٤.
- ١٨ . نورة الصويان. تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية على الثقافة الاجتماعية للشباب السعودي، مجلة بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، المجلد ٣، العدد ٣٤، ٢٠١٤.
- ١٩ . العمري، أسماء عبد المنعم، درجة ممارسة القيم لدى أسرة الجامعات الأردنية من وجهة نظر الأسرة أنفسهم. مجلة دراسات، العلوم التربوية، ٤٢(٣)، ١٠٨٦ - ١٠٦٣، ٢٠١٥.
- ٢٠ . عبد الكريم اليماني، فلسفة القيم التربوية. ط ١، دار الشروق: عمان، ٢٠٠٨.
- ٢١ . عزوز نيش، ، لطفي دكاني، تأثير استخدام وسائل الإعلام على قيم الشباب الجامعي الجزائري «دراسة لعينة من مستخدمي موقع الفيس بوك»، مجلة جيل الدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد، ص ١٨٣-١٩٣، ٢٠١٥.
- ٢٢ . بندر العتيبي، سعيد الرشدي، التحديات التي تفرضها شبكة الإنترنت ووسائل الإعلام الإلكترونية على القيم في الوطن العربي. المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد ٢ العدد ٩، ص ٨٦١ - ٨٧٠، ٢٠١٢.
- ٢٣ . عبد الكريم الديبسي، ، ياسين الطاهات (مصدر سابق)
- ٢٤ . الصادق، عبد الصادق حسن، تأثير استخدام الشباب الجامعي في الجامعات الخاصة البحرينية لوسائل التواصل الاجتماعي على استخدامهم الاتصال التقليدية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ٧، العدد ١، ص ٣٣ - ٥٩، ٢٠١٤.

- ٢٥ . عبد الرحمن الشاعر، مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الإنساني، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- ٢٦ . جبريل، ثريا وآخرون، الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والطفولة، مركز بيع الكتاب الجامعي كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٣-٤٤.
- ٢٧ . اليوسف، شعاع، التقنيات الحديثة فوائده وأضرار دراسة التأثيرات السلبية على صحة الفرد، كتاب الأمة- قطر، العدد ١١٢، السنة السادسة والعشرون، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٢٨ . عبد الله العوالمه وأبو ملحم محمد والزيون أحمد (٢٠١٥) درجة تأثير التواصل الاجتماعي على قيم أسرة كلية عجلون الجامعية، مجلة التربية، المجلد ١٢، العدد ٢، جامعة اليرموك، ٢٠١٥.
- ٢٩ . فهد الطيار (٢٠١٤). وسائل الإعلام الإلكترونية وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة «توتير أنموذجاً» المجلة العربية للدراسات الأمنية، ٣١(٦١)، ص ١٩٣-٢٢٦.

العمل التطوعي والتحصين الاجتماعي ضد الجريمة

م. د. معتز محي عبد الحميد

المستخلص:

إن المجتمع العراقي مجتمع متميز له خصائصه الثقافية والفكرية ونظامه السياسي والاجتماعي، ويرجع ذلك أساساً إلى أنه مجتمع متنوع يقوم على العلاقة المتبادلة بين أفراد على أساس الأخوة والإيمان، قد ربطت الشريعة الإسلامية بين الأمن والإيمان وبين السلامة والإسلام ربطاً سببياً، فالأمن في المجتمع له مؤيدات من صميم ديننا الحنيف، وأصول شريعتنا الغراء، وعلى قدر التمسك بهما يتوفر الأمن كضرورة من ضرورات الحياة، وأن استقرار الأمن أحد الأهداف الرئيسة التي يجب أن تتعاون عليها مختلف فئات المجتمع؛ لأن قيمة المهمة الموكلة إلى رجال الأمن تبرز جلية من وراء القيمة التي تحملها هذه المصلحة العظيمة، مصلحة الأمن الوطني وفق موازين القوانين والعدالة الاجتماعية.

Volunteer Work and Social Immunization Against Crime

Dr.MoatazMohiAbdel Hamid

Abstract:

The Iraqi society is a distinct society with its own cultural and political characteristics, This basically return to the fact of society diversity based on the mutual relationship between its members on the basis of brotherhood and faith, Islamic sharia has causally linked security and faith and safety and Islam Security in society has supporters from the core of our true religion, and the core principles of our Sharia, and

to the extent that we adhere to it, the security will available as one of the necessities of life. The stability of security is one of the main goals on which the various groups of society must cooperate; due to the value of the mission entrusted to the security men stands out clearly behind the value of this great interest, the interest of national security in accordance with the balance of laws and social justice.

تمهيد

ظهرت بدايات العمل التطوعي في أغلب دول العالم في القرن التاسع عشر، واستمر بوتائر مختلفة حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل دولة من الدول، وكان له إسهامات كبيرة في تقديم العون والمساعدات للفئات الاجتماعية المحرومة. ويعتبر البعد الثقافي الأمني القيمي عاملاً مهماً في مجال العمل التطوعي، لما للمنظومة الثقافية والقيمية من تأثير على الدوافع التي يحملها الأفراد، ولا شك أن الموروث الثقافي العربي الإسلامي يحتوي على العديد من القيم الاجتماعية والثقافية الإيجابية، كالتعاون، والتكافل، والزكاة، والبر، والإحسان وغيرها من القيم التي تحفز المواطن على التفاني من أجل غيره.

المبحث الأول

الثقافة الأمنية وتنمية حس الفرد بخطر الجريمة

إن المجتمع العراقي مجتمع متميز له خصائصه الثقافية والفكرية ونظامه السياسي والاجتماعي، ويرجع ذلك أساساً إلى أنه مجتمع متنوع يقوم على العلاقة المتبادلة بين أفراد، على أساس الأخوة والإيمان، والأخوة من أهم ركائز الأمن والأمان في نسيجه الاجتماعي، وبالتالي عندما تبرز الجريمة تتضح مسبقاً بأنها مظهر للسلوك المنحرف عن الإيمان الذي يحرمه من العدوان على الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وقد ربطت الشريعة الإسلامية بين الأمن والإيمان وبين السلامة والإسلام ربطاً سببياً، فالأمن في المجتمع له مؤيدات من صميم ديننا الحنيف، وأصول شريعتنا الغراء، وعلى قدر التمسك بهما يتوفر الأمن كضرورة من ضرورات الحياة، وأن استقرار الأمن أحد الأهداف الرئيسة التي يجب أن تتعاون عليها مختلف فئات المجتمع؛ لأن قيمة المهمة

الموكلة إلى رجال الأمن تبرز جليّة من وراء القيمة التي تحملها هذه المصلحة العظيمة، مصلحة الأمن الوطني وفق موازين القوانين والعدالة الاجتماعية.

إن مهمة رجل الأمن واجب ووطني وإنساني بآن واحد، ففي الجانب الإنساني نجد عمل رجل الأمن أمانةً من الأمانات التي يسأل عنها أمام القانون والمحاكم والمنظمات الدولية، بقدر الحدود المرسومة لواجباته في ظل القوانين الوضعية النافذة والقانون الدولي وفي الجانب الوطني، نجد شأن المهمات الأمنية يعظم من إدراك أن الوطن الذي نعيش فيه هو أمانة في أعناقنا جميعاً، يجب علينا أن نتعاون في خدمته وحمل همومه، إن هذا الواجب يتحقق بجانيه الوطني وفي إطار الطاعة التي فرضها الله على الناس لولاة أمرهم كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

وعليه فلا بُدَّ من الوقاية من الجريمة المنظمة التي تطورت في ظل الإرهاب التكفيري حيث أباحت فتاوى الجاهلية لأعداء الإنسانية الدم العراقي، وعليه لا بُدَّ من الأمن الوقائي وبمسؤولية مشتركة بين أبناء المنظومة الاجتماعية بكامل المكونات العراقية، الأمر الذي يتطلب عملاً رقابياً وتعاوناً من جميع الأفراد، في مستوى المؤسسات الأمنية والمؤسسات ذات الوظائف التوجيهية والتنقيفية والتربوية والمدرسة ووسائل الإعلام^(١). ومتابعة وقائع الجرائم، وهذا مجال تبرز فيه المهمة بأعبائها وكلفتها أمام رجال التحقيق لتسهيل القبض على المجرمين، وتسهيل أعمال رجال الأمن في هذه المهمة والتعاون معهم باعتباره توثيق الروابط بين المواطن ورجل الأمن. يعتبر بمثابة المظلة الواقية لأبناء الوطن مهما اختلفت المعتقدات بما هو مألوف ومطابق لأحكام النظام العام والقوانين المرعية والمبادئ العامة والنظام العام، وبموجب هذا الوثاق يتعاون المواطنون في العمل الأمني الذي يعود بمصلحته العليا على الأمن العام، وبذل أعلى درجات التعاون للمساعدة في الكشف عن المسؤولين عن الأعمال الإجرامية ولصوص المال العام ورصد القتلة الذين ألحقوا بالعراق الدمار، وهدم مرتكزاته في الإعمار، ومن رؤوس الفتن والخارجين على الطاعة والقتلة والفساد والمزورين وتجار المخدرات، والإرهابيين التكفيريين لذا يستجوب إدامة صلة العمل الأمني بوظيفة رجل الأمن ذاته، ليتبادل المواطن المسؤولية مع كل الأجهزة المختصة من أجل تمتين الاستقرار ودعم مسيرة الإعمار والبناء للوطن.

الإعلام والمواطن

وإذا ما نظرنا إلى رجل الأمن فإنه يمثل الدولة في أداء مهمته وسائر عمله ، مما يوجب أن تكون مهمته تعكس هذا التمثيل بالتزام قواعد النظام ، وتنفيذ الأوامر الصادرة بتواضع واحترام ، والشعور بضرورة الإخلاص في العمل ، والتعاون من أجل تحقيق الأهداف الأمنية ، وعليه أن يستشعر أهمية الأمانة في عمله وأن يحافظ على أسرار مهنته أمام الغير ، باعتبار الأمن ظاهرة إنسانية يمثل الأولوية الأساسية لحاجات الإنسان ويهدف إلى إرساء الاستقرار والشعور بالطمأنينة والأمان لعموم المجتمع ، على أنفسهم وممتلكاتهم للعيش بسلام ، وإبعاد أي اعتداء أو انحراف أو خلل قد يحدث نخرًا في المنظومة الاجتماعية ، وكما هو معروف أن توفر الأمن يعني توثيق متانة وقوة الدولة ، ويؤمن ويحفظ استقرارها واستقلالها ومقومات أركان مكوناتها السيادية ، وتماسك بنائها الاجتماعي والأسري ، وعليه كما للمواطن دوره الوطني وكذلك الحال لا بُدَّ أن يتداخل الإعلام الملتزم بدوره الحيوي والحضاري في إقرار الأمن واستكمالها في إطار رسالته المهنية ، من خلال التوعية بالمعلومات العامة والمنفتحة لأفراد المجتمع ، والسعي إلى رجم التردّي خشية الإشاعة والوقوع في مستنقع الجريمة والانحراف وتنامي الإرهاب ، لذلك لا بُدَّ من بناء علاقة وطيدة ومرتبطة بين الإعلام كرسالة إنسانية ، والأمن ضمن مهامه للحدّ من الجريمة المنظمة ومكافحتها والوقاية منها وخاصة الإرهاب والفساد ، ويتحقق هذا الترابط وفق قاعدة علاقة الثقة المتبادلة بدون مداخلة ، أو وضع الحواجز. ولكي يؤدي الإعلام دوره بنشاط استيقاظ المواطن وتوعيته بأضرار الجريمة ، والمخدرات ، وخطورة الإرهاب ، ولصوص حصر الوظائف العامة لأحزاب وكيانات وعزل المواطن المستقل ، وكشف كل الحقائق دستوريًا باعتبار المواطنين متساوين بالحقوق والواجبات ، بالإضافة إلى رصد حوادث العنف باعتبار أن المرحلة تستوجب نضوج العقلية العملية الواعية لدى العاملين في المجال الإعلامي ، شريطة أن تكون لديهم الرؤية الصائبة والمدرسة للتوعية والتوجيه ، والإحساس بالمسؤولية بطرق مناسبة ومتعددة ، موضوعيًا في إطار المظلة الوطنية وبآفاق منتظمة منهجيًا وبمصداقية عالية الدقة واضحة المعالم ومكشوفة وكاشفة لكل الحقائق ؛ لأن مفهوم الحداثة للإعلام كقريب أمني ، يعني استخدام وسائل الإعلام الموجه والمدرّوس المتزن من دون عوائق وخاصة عندما يتطلب الحدث نشر أخبار هامة ومعالجة الإشاعات وحالات الانحراف^(٢).

المواطن والمشكلات الأمنية

هنا يجب أن لا يترك طبيعة نشر الخبر ذات التأثير السلبي في الجانب المعنوي لدى المواطنين، والسلوك العام لكي تتوفر الحصانة للأمن والمواطن من خلال أمنية الإعلام. مع صيانة الحماية للوطن والمواطن ودعم مسار المؤسسات وتحصين المجتمع ضد الإشاعة ذات الأهداف الشريرة المنبثقة من الإرهاب وزمره، وهنا تتوثق علاقة الحماية الأمنية وتترابط جميع الحلقات بتعاون، ويستكمل ذلك عندما يتشاطر المواطن والجهات الأمنية معاً الأمر الذي يؤدي من حيث الهدف إلى تعزيز الدور الإعلامي لنقل المعلومة والخبر الأمني في آن واحد، وتوثيق نقى وصادق لصالح المصلحة الوطنية من دون إخفاء الحقائق، لعدم وجود ما يمنع من نشر الأخبار بما يحقق التوثيق السليم لإظهار سلامة النوايا الحسنة ولكن من دون التوغل في نشر تفاصيل الجريمة والإشاعة والأخبار السيئة بأسلوب الإثارة ذات المردود السلبي، وبأكثر ممّا فيها من حقائق حتى لا ينعكس سلباً على الحالة العامة. إن نشر أخبار الجريمة والإرهاب من الناحية السيكولوجية يعتبر رادعاً للمجرم والجريمة لتنبه الرأي العام ليكون ذي معرفة مسبقة عمّا يحدث من حوله، وتقوم الوسيلة الإعلامية بالدور المطلوب وبمنهجية مهنية باتجاه المسار العملي للأمن المنضبط وتجنب المغالاة ووضع القيود والتضليل في عرض الأحداث والحقائق، حتى لا يحدث انكماش لدى المواطن ويصاب بالضمور الفكري والتراجع. وعلى الدولة أن تولي اهتمامها بالإعلام الوطني بصورة عامة، وتوثيق الرسائل الإعلامية النبيلة وعلى مختلف أشكالها شريطة أن تكون حرية الإعلام آمنة وملزمة لرفد المصلحة الوطنية بمعايير الخبر الأمني، وتوفر البيانات والمعلومات الضرورية حتى يصاغ الخبر وفق الحدث والظرف السائد في الساحة السياسية؛ لأن ذلك يسهم كثيراً في التوعية الأمنية لدى المواطن ومؤسسات الدولة العامة والخاصة وبالتالي سيتحصن أمن المواطن والوطن ضد الإباحية والفساد والإرهاب والجريمة والتخريب والتزييف بعيداً عن الظلم والتعسف باستخدام القانون^(٣).

إن الإنسان بحكم مفردات مدنية أطباعه يميل بطبعه إلى التعايش مع أفراد جنسه في وحدة مترابطة ومتكاملة يتبادل المنفعة داخل مجتمعه. وعندما ننظر إلى الطبيعة العدوانية للعناصر الشريرة والمأجورة نلاحظ أن هذه الصفة غريزية في بعض الأحيان إلا أن ما يلازم منفذها هدف هدام مخطط له لغرض إدماج حدث مفتعل مدروس مسبقاً وهو عدواني من حيث التخطيط والنتيجة، لأن طبيعة من يصوغه ويبني عليه

أهدافاً هم أفراد من أعداء الإنسانية والتطلعات الوطنية المشروعة بالإضافة إلى ما ينشئه المجتمع من دوافع التنافس والحسد والصراع .

فكل ذلك يقتضي وجود سلطة قوية تكون وظيفتها الأولى هي أن تمنع الناس من التظالم والعدوان وتدفعهم للتعايش السلمي واحترام الحقوق ، وهذه السلطة عندما تكون منبثقة من إرادة الشعب تكون هي الأقوى ، ولكنها ستلاقي المخططات العدوانية في الداخل والخارج ، وعليها الصمود والتحدي ليكون الشعب أكثر تماسكاً ، ولا بُدَّ أن يتداخل المواطن والأمن والإعلام بكل نفاذ وبشكل مترابط كل من موقعه ودون حساسية لتوثيق تماسك سلطة الدولة شريطة أن لا تخرج الدولة عن سلطاتها الدستورية ، ولا رجل الأمن عن آدميته وإلا فإن فشلها بالنتيجة سيكون أمراً يفرضه الواقع ، وسيضحي الحاكم بالمكتسبات التي تحققها القوى الوطنية للشعب إلا أن النظام الدستوري الذي بنيت عليه المؤسسات سيأخذ دوره من خلال توفير الحماية للشعب وللقرار الوطني الدستوري^(٤) .

وهنا تحتم الضرورة دور الأمن المتحرك والمواطن الذي يتعارف على دوره والإعلام الحريص على وقار رسالته البناء باعتبار أن من ضرورات المجتمع الإنساني أن تتحقق مصالح الوطن بوجود الأمن ذاته وإعلام موجه ، وهما يشتركان في بناء الحياة الاجتماعية ومرتكزات الدولة المبرمجة لأمن الإنسان ذاته في مجتمع آمن ومتحضر حتى يستطيع تبادل المنافع والمواقع مع مواطنيه بكل حرية وطمأنينة والتي لا تتحقق دون توفر الأمن الاجتماعي المرادف والموجه ؛ لأن المشكلات بشتى أنواعها لا يمكن علاجها إلا بتعاون المواطن وتظافر الجهود والتنسيق بين المؤسسات التنفيذية ، فالمشكلات الأمنية تعالج بالإعلام الموجه وتعاون المواطن والمؤسسات جميعاً ، لأن تعاون المواطن والالتزام بما ينشره الإعلام الوطني يعزز الأمن ويدعم سلطات الدولة الدستورية ويعطي المواطن صفة القدوة الحسنة لنفسه وذلك بالامتناع عن كل ما يخالف القانون والنظام العام وسيؤدي ذلك من حيث النتيجة إلى إيقاف خطط الأعداء ، وقنص منافذهم والجهة الحاضنة لهم ، يرافقه الابتعاد عن كل مظاهر ثقافة العنف والتحريض للفكري الإرهابي . .

المواطن والحس الأمني الوقائي

من الضروري أن يثقف الفرد على الالتزام باحترام الآداب العامة والنظام العام والأنظمة والقوانين النافذة، لما للأهمية البالغة والحيوية المناطة بالفرد في مجتمع متحضر كركيزة أساسية لدعم وتنمية الحس الأمني والوقائي، حيث إن الأمن لم يعد قاصراً على مكافحة الجريمة، بل أصبح يسعى قبل ذلك إلى الوقاية منها من خلال المناخات التي يوفرها الإعلام الهادف إلى تعاون جميع أفراد المجتمع في حفظ الأمن، بالإضافة إلى أن الإعلام الأمني هو وسيلة لتوسيع آفاق المعرفة ليديم التواصل مع آخر مستجدات الساحة العراقية، وخاصة ما أحدثه التغيير المتطور في وسائل الاتصال وحادثة الإعلام بشكل جذري وعمق مفهوم المسؤولية الأمنية بحيث أصبح الأمن مسؤولية تضامنية تشارك فيها مختلف الجهات الرسمية والأهلية الفاعلة في المجتمع سعياً وراء تحقيق الاستقرار والتنمية والإعمار. وهنا تبرز العلاقة بين كل من الأمن والإعلام والمواطن كعلاقة ارتباطية لكل منهما دوره بوسائل مختلفة كل حسب موقعه، من دون تجاوز القانون وبما يدعم عمل الأجهزة الأمنية على كافة المستويات وتشخيص الخلل بغية إعطاء المعالجة في أداة الجوهر في التوعية لما تخلفه العواقب الوخيمة للجريمة ومخاطرها وعلى مختلف صورها وخاصة كون الأنشطة الأمنية بكافة أشكالها هي معينا لا ينضب، يرفد مؤسساته من دون تقييد أو تداخل من خلال تأصيل الانتماء والولاء للوطن^(٥).

والتعريف بأهمية الثقافة القانونية حتى يعرف المواطن حقوقه وواجباته والحث على احترام القانون والنظام العام وتنمية الثقافة الأمنية للتعرف بخطور الجريمة وأنواعها وأثرها على الفرد والمجتمع، وأهمية مكافحتها والوقاية من الانحراف. كذلك مواجهة الجريمة والتوعية بأساليب المنحرفين والمجرمين والفاستدين والأفعال العدوانية المختلفة وجرائم سرقة المال العام والرشوة والفساد والتبصير بأساليب مواجهة النشاط والسلوك المعادي، لأن الأمن مسؤولية الجميع لذلك يلزم المواطن للإبلاغ عن الجرائم المختلفة وتقديم المعلومات التي تساعد أجهزة الأمن للوصول إلى مرتكبيها والتي تهدد أمنه واقتصاده وأمن الوطن، والحث على مواجهة الشائعات المغرضة والإبلاغ عن مروجيها بغية تحقق الانضباط في الشارع، وهذا يؤدي إلى إزالة الحواجز النفسية بين الأمن والإعلام والمواطن معاً، ويعزز تنمية ثقافة السلم والتفاهم والتعاون والاحترام المتبادل بين رجال الأمن والمواطنين ورجال الإعلام وتحسين تفعيل دور المؤسسات التعليمية والإعلامية

في نفس الوقت الذي يساعد في أداء وظائف الأمن بما يفرضه الواجب الوطني وبشكل متكامل يؤمن تحقيق الأهداف المنشودة بأفضل السبل وأقل التكاليف لتتكامل الجهود مع كل الأجهزة التنفيذية في منظومة أمنية جامعة لأهداف المجتمع وبأسلوب إنساني علمي معاصر حتى تحقق التنمية الشاملة والأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي، لأن القانون وسيلة ضبط اجتماعي يقنن الحلقات ذات الأهداف السلبية داخل محتواها ويضع ضوابط سليمة للسلوك العام مع تأكيد ضرورة عدالة تطبيقية على الجميع، ولا أحد فوق القانون بغية غلق منافذ الانحراف وتجفيف منابع الإجرام والتخريب والانحراف قبل وقوعه، والتصدي للمواقع الفاسدة في المجتمع بعد التعريف بها.

وهكذا سيمكن الأمن من تلبية الحماية الأمنية كحاجة سياسية واقتصادية واجتماعية للوطن. ومن مهام الدولة حفظ الأمن والنظام وتأمين الخدمات الاجتماعية للمواطنين وردم البطالة وتأمين المرافق العامة. وكما هو معروف ومتعارف عليه أن أجهزة الأمن من أولويات ممارستها تحقيق الأمان والاستقرار في المجتمع، والسهر على تنفيذ القوانين والأحكام والتفاعل مع المواقف الأمنية الحرجة بحكمة، والحفاظ على الاقتصاد القومي، والعمل على كسر الحاجز بين الأمن والإعلام والمواطن بعلاقة تكاملية طبقاً للقانون لأن كسر الحاجز هو الهدف المطلوب من أجله أن تتكون علاقة تكاملية بينهما، وخاصة في سبيل الحصول على المعلومة والخبر بما يحقق انسجاماً تاماً ما بين رجل الإعلام ورجل الأمن لتنشيط الحس الأمني لدى المواطن والإعلام بما يعود بالفائدة على جميع المواطنين، وبالرغم من القوة القانونية التي تتمتع بها وسائل الإعلام الأمني الوطني للعمل على تنمية الفكر الأمني^(١).

المواطن ومصادر المعلومات

المواطن يبقى بحاجة دائماً للمصادر التي تزوده بالمعلومات التي تمتلك المعرفة الأمنية؛ لأن الأمن يؤثر تأثيراً خطيراً على المواطن، ويحدث تأثيراً سلبياً يؤدي إلى تقليل أهمية الأجهزة الأمنية وإظهارها بغير مظهرها الحقيقي، الأمر الذي يؤدي إلى زعزعة الثقة في مقدرة أجهزة الأمن على تحقيق أهدافها. فالحاجة تقتضي تنسيق المصلحة المتبادلة بين وسائل الإعلام والأجهزة الأمنية والمواطن وفق سلطة سيادة القانون، ويتجلى ذلك من خلال الرقابة الدستورية التي تعتمد الوسائل الصحيحة والمتبعة بكفاءة وتقنية عالية ونظام

العدالة الجنائية التي تحتم على رجال الأمن ضرورة التوصل إلى العلاقة الطيبة السليمة من دون وضع العراقيل ، بحيث يمكن التغلب على السلبيات بما يساهم في تقدم الأمن الوطني الذي يرتقى إلى مستوى طموح الإعلام والمواطن بمنظار كشف الحدث الذي يضر بالإجراءات القانونية . . ويؤثر على الرأي العام كما يراها العنصر الفاسد . ولكن في حقيقة الأمر أن المواطن لا يهتم سوى المصلحة الوطنية للحصول على تفاصيل كثيرة وجديدة ، تجعل المعلومة الأمنية وظيفتها في النهاية هي خدمة المواطن وتحري الدقة وصولاً إلى الهدف الحقيقي ، وهو إظهار العدل ومحاربة الجريمة ، إلا أننا نذكر أن الحرية الإعلامية غير الملزمة تساعد على نشر البلبلة وتخويف الأُميين ونشر المعلومات المضللة للعدالة وتلفيق الأقاويل التي تؤدي إلى عرقلة العدالة ، إضافة إلى أن الحرية الإعلامية تتشابه مع الكثير من الحريات والحقوق الفردية التي يرى رجال الأمن أنهم مسؤولون عن حمايتها ، وتكمن مشكلة الحرية في الإعلام في فهمه لمعنى الحرية ، حيث يتصور البعض أن الإعلام الحر هو الإعلام الذي يناصب الحكومات العداء ، حيث تكون قاعدته هي الاختلاف مع الحكومة ومصارعتها بأية صورة من الصور ، بينما الحقيقة أن المسؤولية عامة ومشاركة ، ويجب أن يقوم بها كافة أفراد المجتمع ومؤسساته في المجال الإعلامي المهني والتوعية الأمنية ، وفي ظل انتشار القنوات الفضائية والإذاعية والتلفزيونية وشبكات الإنترنت والتي لم يعد بمقدور أي دولة التحكم في سياسة إعلامها الأمني كما كان سابقاً إلا من خلال وسائلها الإعلامية المملوكة فقط ، والتي سوف يترتب عليها عدم مشاهدتها إلا في المناسبات الوطنية المهمة ، لذا فالقيود على الإعلام أو شكت على التلاشي في ظل الأنظمة الدستورية كما هو معمول به في العراق ، حيث لها مطلق الحرية في التعبير ، وقد حل الانفتاح الإعلامي وأصبح إيجاد قنوات فضائية حديثة ومتطورة بأجهزتها ومعدات وألياتها وكوادرها البشرية المؤهلة والمدربة أحد المحاور التي تحاول منافسة القنوات الفضائية الأخرى^(٧) .

وكلنا نعرف أن التعقيم الإعلامي الأمني قد يتسبب أحياناً في انتشار الإشاعات التي تساهم في خلق البلبلة في المجتمعات المغلقة ونظراً للانتشار الواسع لمراسلي وكالات الأنباء ومراسلي الإذاعات والمحطات الفضائية التلفزيونية ، فإنه أصبح من الأفضل بمكان أن تبادر الأجهزة الأمنية بوضع استراتيجية إعلامية يتم من خلالها تقديم المعلومة الأمنية التي لا تخل بالأمن بل تساعد على معرفة الحقيقة والتعامل مع الإشاعات المغرضة التي تكون أضرارها أكثر بكثير من التعرض عنها بشكل عابر ، لأن الجمهور سوف يتعرف

على الحقيقة عاجلاً أم آجلاً، والتي أصبحت مطلباً للمواطن. ويتوقف ذلك على وجود وسائل قادرة وفاعلة وناجحة تعتمد في مدى تعاون المادة العملية بإعدادها في الشكل المناسب بما يحقق تجاوب المواطن، ويسهل عليه الحصول على الخبر الصادق ليتفاعل مع الأفكار المطروحة بنضوج واستقرار وحس أمني فاهم للحقيقة ومتفاعل معها.

المبحث الثاني

العمل التطوعي والمسؤولية الاجتماعية

من الناحية النفسية تعتبر المسؤولية الاجتماعية حاجة اجتماعية، إذ إن المجتمع بأسره في حاجة إلى الفرد المسؤول اجتماعياً ومهنياً وقانونياً، بل إن الحاجة إلى الفرد المسؤول اجتماعياً أشد إلحاحاً في المجتمع؛ لأنه مسؤول عن ذاته. كما أنها حاجة فردية، فما من فرد تستوي شخصيته وتكامل أو تتضح ذاتيته إلا وهو مرتبط بالجماعة. . ارتباط عاطفة وحرص. . وانتماء واهتمام وفهم. . ولا تتوفر للفرد صحته النفسية وتكامله الأخلاقي وتساميه في وجوده إلا بصحة ارتباطه وانتماؤه وتوحده مع الجماعة. كما أن الجهل بالمسؤولية والنقص فيها أشد خطراً على المؤسسات من الجهل بإدارتها وتشغيلها، لأن الجهل أو النقص الأول يدمر قبل أن يعطل، بينما الجهل الآخر يعطل بالقدر الذي يمكن إصلاحه أو تعويضه. وإحساس الفرد بالمسؤولية الاجتماعية يمكنه من تأجيل إشباع ذاته وحاجاته العاجلة ويجعله أكثر قدرة على تحمل أعباء ما يسند إليه من أعمال، ويحرص على إتقان هذه الأعمال، مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى تقديره لذاته ويحقق له احترام الآخرين. وتأسيساً على ذلك فإننا نجد ارتباطاً وثيقاً بين ماهية العمل التطوعي والمسؤولية الاجتماعية من حيث إنهما حاجة اجتماعية وتجدان الانتماء والاهتمام والارتباط العاطفي بالجماعة^(٨). . ولعلّ القاسم المشترك بينهما أي العمل التطوعي والمسؤولية الاجتماعية هو عنصر المشاركة، باعتبارها أحد أنماط السلوك الإنساني الذي يعكس شخصية الإنسان ومدى ثقافته وظروف تنشئته البيئية ودرجة توافقه مع المجتمع الذي يعايشه بتقاليده وعاداته ونظمه السياسية. وتبرز المشاركة كضرورة حيوية في العمل الشرطي الوقائي، حيث تلعب دوراً جوهرياً في نجاح الخطط الأمنية وزيادة فاعليتها في إنقاص حجم الجرائم، والمشاركة باعتبارها أيضاً سلوكاً تربوياً ينشأ عليه الفرد ويؤثر فيه مدى ما اكتسبه من علم وخبرات يمكن اعتبارها أحد عناصر تنمية سلوك

الجماهير تجاه العمل التطوعي في مجال مكافحة الجريمة . وربط بعض الباحثين المسؤولية الاجتماعية بالانتماء إذ يرى بأن عدم الاهتمام بالوطن دليل على انعدام المسؤولية الاجتماعية وضعف التماسك الإنساني ، حيث لا بُدَّ للإنسان أن يحرر عقله ويضاعف انتماءه بدرجة أعلى ، ولا بُدَّ له أن يُنشئ عالمًا يقوم على التمسك الإنساني الشامل وعلى العدالة المطلقة والتعاون البناء .

مفهوم المسؤولية الاجتماعية

يميل بعض الباحثين إلى الربط بين المسؤولية والسواء النفسي (سوية السلوك) ، فالشخص السوي أو حسن التوافق لديهم شخص مسؤول ، أما الشخص غير السوي أو سيئ التوافق فهو إما أن يكون كسولاً أو متردداً في تقبله للمسؤولية وتحمله لها ، أو يكون منقاداً بإحساسه بعدم الكفاية بالاضطلاع بالمسؤولية ، فالشخص السوي يدرك ثقته في قدرته على مواجهة الحياة ومشكلاتها وعلى الاضطلاع بالمسؤوليات الملائمة لعمره ولمستوى قدرته ولحجم معارفه وخبراته ومهاراته . ويرى كثير من الباحثين ومفكري علم النفس في التزام الفرد حيال الآخرين ، قيمة كبيرة^(٩) ، ولأنهم يعتقدون بأن حياة الإنسان تُصبح ذات قيمة ومعنى إن هي كانت تعني بقاء الحياة واستمراريتها وتطويرها بإرادة وحرية ، تلك الحرية التي تقابلها مسؤولية الإنسان عن اختياراته - لأن الذي يختار هو من يتحمل مسؤولية اختياره وهكذا - فعندما يتوافر للأفراد إمكانية الاختيار وهم بالقطع لديهم هذه الإمكانية يكونون عندئذ عرضة للمساءلة والمحاسبة على سلوكهم وتصرفاتهم ، ويمكن تقييم تصرفاتهم في هذه الأحوال وتحديد ما إذا كانت هذه التصرفات تستحق اللوم والاستهجان أو تستحق المدح والاستحسان . وفي هذا ما يفيد بأن المسؤولية الاجتماعية الشاملة بوحدة إطارها الاجتماعي . ونستطيع أن نقول بأنه يمكن أن تكون المسؤولية الاجتماعية بالفعل أسلوباً حضارياً يعيد التوازن إلى تطور الحضارة الإنسانية المعاصرة ، بحيث يصبح مردودها عند تطورها أكثر أمناً وأماناً واتزاناً واستقراراً ، فهي لشدة التصاقها بالظروف والمتغيرات الاجتماعية الداعية إليها ، يمكن أن نجد لها دوراً فاعلاً وسط المجتمعات مهما اختلفت وتصارعت . وتتعدد مفاهيم المسؤولية الاجتماعية باعتبارها أحد مظاهر الإحساس بالمجتمع بأن المسؤولية الاجتماعية هي مسؤولية الفرد أمام ذاته عن الجماعة التي ينتمي إليه^(١٠) .

أهمية العمل التطوعي

يحتل التطوع اهتمامًا خاصًا لدى كافة دول العالم، ولأهميته فقد خصصت الأمم المتحدة عام (٢٠٠١م) عامًا دوليًا للمتطوعين وبعده العمل التطوعي جزءًا مما يدعو إليه ديننا الحنيف ويحض عليه، لارتباطه بكل معاني الخير والعمل الصالح منذ الخليقة. يقول الله سبحانه وتعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خَيْرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شَرًّا يره) ^(١١)، وقوله تعالى: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) ^(١٢). وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من كان عنده فضل فليعد به على من لا ظهر له، ومن عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) ^(١٣).

والتطوع من الموضوعات التي تهتم بها العلوم الاجتماعية والإنسانية وكذلك المجال الأمني كون العمل الاجتماعي قائمًا على التطوع بالوقت والجهد والمال من قبل العاملين في هذا المجال، وبعده الأمن من الضرورات التي يحتاجها الفرد والمجتمع على حد سواء، لذلك تجد أن العلاقة وطيدة بين العمل التطوعي وأمن المجتمع. وتكمن أهمية العمل التطوعي كون الخدمات التي يقدمها تستطيع القيام بثلاث مهام أساسية في نطاق دفع المجتمع على طريق التطور، وتمثل أولى هذه المهام في كونها تشكل إطارًا ينظم من خلاله البشر من أجل المشاركة الفعالة داخل المجتمع، وتمثل المهمة الثانية في أن الخدمات التطوعية تعمل على ترقية أوضاع البشر مما يجعلهم قادرين على المشاركة الفعالة الواعية، فهي تستثير الحافز لديهم للمشاركة أو لتأهيل أنفسهم بل العمل على تأهيل الآخرين، وتمثل المهمة الثالثة في أن الخدمات التطوعية تتم وفقًا لمجالات عديدة من ضمنها النواحي التربوية والاجتماعية والثقافية والأمنية، وفي إطار ذلك تتحقق نجاحات لا تقل أهميتها عن الخدمات التي تقدم من قبل الجهات الحكومية. ويجب أن لا ينظر إلى العمل التطوعي على أنه مجرد إسهام في تحمل نصيب من أعباء وتكاليف مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تخطط لها الدولة فحسب، بل يجب أن ينظر إليه أنه مجموعة من التجارب الوطنية التي تصنع التقدم وتدعمه، ومن هنا يأخذ التطوع في العمل الاجتماعي والأمني بعدًا جديدًا مهمًا فيصبح غاية ووسيلة فهو غاية لأنه يمثل الضريبة الوطنية التي يجب أن يدفعها كل مواطن لمجتمعه، وهو وسيلة لأنه

في صوره المتعددة يمثل ما يشبه مدرسة حياة كبيرة تستوعب المواطنين جميعاً ليكونوا متعلمين ولكون مواقف الحياة بتجاربها هي منهج التعلم ومادته . وبذلك فإن قيمة وأهمية التطوع في العمل الاجتماعي على مختلف أشكاله يجب ألا تقاس على المدى القريب ، بل يجب أن تقاس بالعائد التربوي والثقافي والاجتماعي والأمني على المدى البعيد .

دوافع العمل التطوعي

الدافع الرئيسي للعمل التطوعي هو الرغبة في المشاركة وخدمة الوطن بدون مردود مادي أو جزاء . وإلى جانب هذا الدافع الأساسي توجد العديد من الدوافع ، منها على سبيل المثال (١٤) :

١- الرغبة في تحقيق الذات والدفاع عن القيم ونشر المبادئ التي يؤمن بها الإنسان ، وهذا الدافع مطلب أساسي للنفس البشرية . وقد أشرنا إلى العلاقة الارتباطية بين التطوع والحاجات الإنسانية فكلما شعر أفراد المجتمع بالأمن والطمأنينة وتوفرت حاجاتهم الأساسية ساعد ذلك على تنمية دواعي التطوع لأن الإنسان يخرج من ذاته إلى مساعدة الآخرين .

٢- الرغبة في زيادة احترام الذات ، وتطلع الفرد إلى مزيد من الاحترام والتقدير الذي قد يأتي من جراء العمل التطوعي ، وتكون الرغبة أشد لدى أولئك الذين يعتقدون أن لا يحصلون على التقدير الكافي في أعمالهم .

٣- الرغبة في شغل أوقات الفراغ ، حيث يجد بعض الناس بعد أعمالهم الرسمية الكثير من الوقت الذي قد يتحول إلى فراغ ممل ، فيجدون في التطوع أفضل سبيل للاستفادة من الوقت .

٤- ارتفاع درجة المسؤولية الاجتماعية والتي تجسد مسؤولية الفرد أمام ذاته عن المجتمع الذي يعيش فيه ومدى حاجته لأن يكون مسؤولاً وعنصراً فاعلاً في بناء المجتمع ، إضافة إلى أن المسؤولية الاجتماعية تعتبر مطلباً هاماً لإثراء الشخصية الإيجابية المتفاعلة المتوافقة مع المجتمع .

٥- الرغبة في التعلم واكتساب المعارف الجديدة والنمو الشخصي حيث يدفع هذا الأمر الكثير من الأفراد (رجالاً ونساءً) إلى التطوع بالوقت والجهد فقد يجد البعض أن أعمالهم

ووظائفهم أصبحت روتينية ورتيبة لا تحقق مزيداً من المعرفة ولا تقدم تحديات تستحق العناء .

٦- مشاعر الرضا عن النفس وإحساس المتطوع بأهمية الإيثار من جراء تفعيل خدمة ومساعدة الآخرين دون مقابل ، قد لا تتوفر بالأعمال الرسمية التي تتسم بمسار نظامي محدد مما يدفع بعض الأفراد إلى الرغبة في تقديم مزيد من الخدمات التطوعية ، لكسب الرضا عن النفس .

٧- ترتبط دوافع العمل التطوعي بعمر المتطوع ورغبته في العمل التطوعي ، فكلما تقدم عمر الإنسان تغيرت دوافعه للعمل التطوعي ، فالشباب ، على سبيل المثال ، يرغبون في الانضمام إلى العمل التطوعي للحصول على الرفقة واكتساب المهارات والمعارف الجديدة ، أما متوسطو الأعمار فربما كانت دوافعهم للعمل التطوعي الضيق والتبرم من العمل الرسمي والبحث عن عمل يحررهم من الروتين والرتابة ، وربما البحث عن فرص أكثر لتحقيق الذات والحصول على التقدير والاحترام ، أما بالنسبة للمسنين والمتقاعدين فربما كانت دوافعهم للعمل التطوعي البحث عن دور جديد في الحياة .

٨- الحاجة للاتصال بالآخرين ، حيث تؤدي هذه الحاجة الفطرية لدى الإنسان إلى الانضمام لأعمال التطوع لإتاحة فرصة التعرف على الآخرين من الأقران وتوسيع دائرة العلاقات خاصة فئة الشباب إذ يمكن أن يكون التعرف على الآخرين مفتاحاً لدخول أكبر في المجتمع ، والحصول على مكاسب سواء كانت شخصية أو غيرها .

نظريات العمل التطوعي

برزت نظريات اجتماعية ركزت على العلاقات الاجتماعية المتبادلة وقيمة المشاركة والعمل المتبادل وأهميته بين أعضاء المجتمع . . وتعتمد معظم الدراسات النفسية والاجتماعية التي تتناول العلاقات التبادلية إلى استخدام بعض من النظريات ذات الصلة بهذا الجانب . . وفيما يلي نتناول بعضاً من هذه النظريات على النحو التالي :

١- نظرية التبادل الاجتماعي : وهي من النظريات التي حظيت باهتمام كبير ، وتعاقب على تطويرها عديد من الباحثين المتخصصين ووسعوا إطارها لتشمل المستويات البنائية والثقافية في المجتمع ، والعلاقات التبادلية بين الفرد والمجموعة ، وبين المجموعات بعضها مع بعض ، والتي تعتمد على الأنماط والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع .

ووصل التطور في هذه النظرية إلى الربط بينها وبين نظرية شبكة العلاقات . وتعلق النظرية التبادلية بالتفاعل بين الناس ، وتركز على المكاسب والخسارة التي يجنبها الناس من علاقاتهم التبادلية بعضهم مع بعض . فاستمرار التفاعل بين الناس مرهون باستمرار المكاسب المتبادلة التي يحصلون عليها من جراء التفاعل ، والتفاعل الذي نعنيه بهذه النظرية هو التفاعل الاجتماعي الذي يعتبر الأساس بالنسبة لأي علاقة اجتماعية يمكن أن تنشأ بين الأفراد^(١٥) . ويكمن الإدراك الاجتماعي وراء كل تفاعل ناجح أو فاشل ، ووراء كل مهارة اجتماعية يستخدمها الناس في علاقاتهم بالآخرين ، لأن تلك المهارة لا تصلح دون إدراك اجتماعي صحيح لموقف التفاعل الذي يصل بين الأفراد كما يتضمن التفاعل الاجتماعي نوعاً إيجابياً من التأثير المتبادل ما بين الأفراد في تواصلهم البين شخصي ، وهذا تأثير يعمل على تدعيم تماسك الجماعة والمجتمع وتسهيل مجالات التبادل والمشاركة على المستويين «البين شخصي»^(١٦) والاجتماعي مما يؤدي إلى التفاعل والتواصل . وتجدر الإشارة إلى أن التفاعل الاجتماعي لا يقتضي أو يستلزم تلاشي الفردية أو التقليل من أهميتها ، حيث يمكن استثمار قوة وإمكانات الإنسان كفرد في إطار من الالتزامات المشتركة بحيث تثري الجهود الفردية المتفردة طاقة الجماعة كقوة منتجة . وتتضمن نظرية التبادل الاجتماعي عدة فرضيات تتبلور بالآتي :

١- ارتباط مكاسب العمل أو النشاط الذي يقوم به الفرد بتكرار ذلك العمل والنشاط اعتماداً على المكاسب التي يجنيها الفرد من عمله .

٢- مراعاة عدم وجود فاصل طويل «توقف» بين القيام بالعمل والمكاسب .

٣- المكاسب المنتظمة قد لا تكون مجدية في تشجيع الفرد على تكرار العمل ، مثل المكاسب غير المنتظمة . فحصول الفرد على مكاسب متكررة في فترات متقاربة تقلل من قيمتها ، وهذا يرتبط بعملية الإشباع والحرمان ، فتكرار المكاسب نفسها يحدث إشباعاً للفرد ، لكن إذا زادت قيمة المكاسب التي يحصل عليها الفرد من قيامه بفعل ما زادت احتمالية قيامه بهذا الفعل .

٤- إذا كانت هناك مؤثرات في الماضي أدت إلى وجود مكاسب للفرد ، فإن وجود مؤثرات مشابهة ستدفع الفرد للقيام بالعمل السابق أو بعمل مشابه له .

٥- كلما كان تقييم الفرد لنتائج فعله أو نشاطه إيجابياً زادت احتمالية قيامه بالفعل . فوجود مكاسب على الفعل الذي يقوم به الفرد تزيد من حدوث السلوك المرغوب . وفي المقابل عدم وجود مكاسب للفرد أو وجود عقاب يقلل من احتمالية حدوث السلوك المرغوب ، مع التأكيد على أن العقاب ليس وسيلة فعالة لتغيير السلوك ، كدفع فرد ما للقيام بعمل ، أو الامتناع عن العمل ، لكن من الأفضل حجب المكاسب عن السلوك غير المقبول ، وهذا سيؤدي إلى تلاشيه .

٦- حينما يؤدي الفرد عملاً ولا يحصل على مكاسب - كما كان يتوقع - من جراء ذلك ، أو يوقع عليه عقاب ، فهناك احتمالية كبيرة للقيام بالسلوك المرغوب ، ونتائج هذا السلوك ستصبح ذات قيمة له هذه النظرية تنطبق على العمل التطوعي ، فالمتطوع الذي يحصل على مكاسب معنوية من احترام المجتمع و حبه وتعاطفه واكتساب تقديره ، يدفعه إلى مزيد من العمل التطوعي .

٢- نظرية الدور : وهي تركز على الدور الذي يؤديه الفرد في نشاط أو عمل ما ، باعتبار الدور أحد عناصر التفاعل الاجتماعي ، وهو نمط متكرر من الأفعال المكتسبة التي يؤديها الشخص في موقف معين ، وهذا يوضح الدور البارز الذي يؤديه المتطوع في تفعيل النشاط التطوعي ، والنهوض بخدماته لسد حاجات الأفراد والجماعات . والتطوع قد يأخذ صوراً متعددة ، فقد يكون تبرعاً بالمال ، أو تضحية بالوقت ، كما يحدث في الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية وأعمال الكشافة . ومفهوم تعلم الدور - أي مفهوم سلوك الدور الفردي ، ومفهوم سلوك دور الجماعة - يقود إلى تعدد الأدوار الاجتماعية ، كما أن الفرد بدوره يتعلم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية (التعليم غير المقصود) ، وهو يختلف عن عملية التعلم الرسمي (التعلم المقصود) . وتظهر هذه النظرية مفهوم المركز الاجتماعي ، الذي يرى أن كل شخص من الذين يحتلون هذه المراكز يقوم بأفعال معينة ، أو يقوم بأدوار ترتبط بالمراكز ، وليس بالأشخاص الذين يحتلون هذه المراكز^(١٧) ، وبما أن العمل التطوعي فيه إشباع لحاجة الأفراد والمجتمع على حد سواء ، فهو يعمل على سد الثغرات والنقص ، وبشكل أساسي في عملية التفاعل الاجتماعي القائمة بين الأفراد . ومن مفهوم المركز الاجتماعي يمكن تفسير الدور الذي يؤديه القائمون بالعمل التطوعي انطلاقاً من دوافع الخير ، وهذا الدور في الأساس يقوى من المركز الاجتماعي للمتطوع

٣ - النظرية البنائية: وهذه النظرية تحاول تفسير السلوك الاجتماعي بالرجوع إلى تفسير النتائج التي يحققها هذا السلوك في المجتمع، فالمجتمع في هذه النظرية يمثل أجزاء مترابطة، يؤدي كل منها وظيفة من أجل خدمة أهداف الجميع. وهذه النظرية ترى أن للمجتمع نسق من شبكة العلاقات الاجتماعية، ومن ثم تجمع هذه العلاقات في صور منظمة اجتماعية، وبالتالي ينبغي النظر للمجتمع نظرة كلية، باعتباره نسقاً يحتوي على مجموعة أجزاء مترابطة، كما يترتب على هذه الرؤية التصويرية أن تستند إلى تعدد العوامل الاجتماعية، كما أن التكامل في المجتمع لن يكون تاماً على الإطلاق، وهذا يحدث الخلل أو الانحراف الذي يحدث في الكشف الاجتماعي، وهذه الانحرافات التي يمكن حدوثها في النسق الاجتماعي يمكن أن تستمر لمدة تقصر أو تطول. وهذه النظرية تنطبق على العمل التطوعي باعتباره أحد الأنساق الاجتماعية للحفاظ على استقرار المجتمع وتكامله وبهذا يترابط النسق التطوعي مع الأسري والاقتصادي والتربوي والأمني، ليشكل البناء الاجتماعي، فإذا ما عجز أحد الأنساق الاجتماعية عن القيام بأحد وظائف البناء الاجتماعي، فقد ينشأ الخلل الوظيفي الناتج عن عجز الأعضاء في المؤسسة عن ممارسة الوظائف الاجتماعية، فيأتي العمل التطوعي لسد هذا العجز، ويعيد الضبط الاجتماعي إلى طبيعته^(١٨).

٤ - النظرية الوظيفية: يؤكد أنصار هذه النظرية على وظائف العلاقات المتداخلة في شبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة بالفرد، والتي تعمل على مساندة في الظروف الصعبة التي يواجهها في بيئته، وتركز هذه النظرية على تعزيز أنماط السلوك المتداخل في شبكة هذه العلاقات لزيادة مصادر العمل التطوعي لدى الفرد. وتشير هذه النظرية أيضاً إلى أن العمل التطوعي أو «المساندة الاجتماعية» هو تلك المعلومات التي تؤدي إلى اعتقاد الفرد بأنه محبوب من المحيطين به، وأن يشعر بأنه محاط بالرعاية من الآخرين، وبالانتماء إلى شبكة العلاقات الاجتماعية في البيئة المحيطة، ويشعر بالتقدير والاحترام من مصادر العمل التطوعي القريبة منه، ويشعر أيضاً بواجباته والتزاماته الاجتماعية مع المحيطين به^(١٩). ومن خلال سرد النظريات المفسرة للعمل التطوعي نجد ارتباطها الوثيق بالعمل التطوعي أو ما يسمى بالمساندة الاجتماعية التي تعني المعاونة والمؤازرة والمساعدة على مواجهة المواقف المختلفة، وهي مفهوم أضيق بكثير من مفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية حيث يعتمد العمل التطوعي والمساندة على إدراك الأفراد بشبكاتهم الاجتماعية باعتبارها الأطر التي تشمل أولئك الأفراد الذي يثقون فيهم ويمكن الاعتماد عليهم، وتركز النظريات

في مجملها على التفاعل الاجتماعي الإيجابي المحقق للأمن والانتماء واحترام الذات ومعايير الصحة النفسية السليمة .

المبحث الثالث

الدور الأمني للعمل التطوعي

يتمثل الدور الأمني للعمل التطوعي بمنع الجريمة والانحراف والوقاية منهما، هي مسؤولية الجميع، ولا بُدَّ أن يدفع بجهود المواطنين من خلال التطوع للتساند والتعاقد والتعاون المخلص لمواجهة الجريمة بكافة صورها وأشكالها والحيلولة دون اتساع انتشارها، وبلوغ أثارها جميع أفراد المجتمع بانعكاسات سلبية تمس أيضا النشاطات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع بأسره. ولهذا نجد القائمين على الأمن في مختلف مواقعهم يهتمون بالعمل التطوعي للجمهور كقيمة عملية تجسد أهمية التعاون والمشاركة سواء كانت وقت الأزمات والكوارث وغيرها، وكيفية الإبلاغ عن الجرائم، وكيفية المحافظة على موقع الحادث، وما الأساليب التي يجب أن يتخذها. ومن أجل توسيع وتعميق التعاون والتفاهم المشترك بين أجهزة الأمن والجمهور لا بُدَّ من زيادة الفرص التي تُعمق التفاعل وتحقق للعمل التطوعي دوراً أمنياً ملموساً فإنه ينبغي مراعاة الآتي^(٢٠):

١- إشراك الجمهور في النشاط الأمني، وذلك في بعض المهام كأعمال المرور والدفاع المدني، ويتم تعريفهم ميدانياً على طبيعة هذه الأعمال بما ينعكس عليهم من تعلمهم التعود على النظام وتنمية الشعور بالمسؤولية الاجتماعية برغبة منهم وبطريقة تطوعية.

٢- إشراك رجال الأمن في البرامج الاجتماعية التي تهتم الجمهور، لكي تتسع مساحة التفاهم بينهم.

٣- انخراط رجال الأمن في الجمعيات المختلفة للمواطنين كالجمعيات الاجتماعية والتطوعية، والقيام بدور ملموس، ليتبين بأن لرجال الأمن أدواراً أخرى غير دوره التقليدي المعروف.

٤- إعطاء أفراد المجتمع دوراً أمنياً في حياتهم من خلال ما يسمى (بالشرطة المجتمعية) وهي التي تضع المواطنين بجميع فئاتهم إلى جانب رجال الأمن والمؤسسات الرسمية أو المنظمات الشعبية ذات الدور في تحقيق الأمن مثل الأسرة والجمعيات التطوعية

والمدارس والجامعات وجمعيات أصدقاء الشرطة . كما يتطلب الدور الأمني للعمل التطوعي الاهتمام بعدد من الجوانب من قبل المتطوعين ومراعاتها وإعطائها أهمية بالغة عند ممارسة دورهم التطوعي الأمني ، وتمثل هذه الجوانب بالآتي :

١- عدم إغراء المجرمين على ارتكاب جرائمهم : ويقصد بذلك عدم تحريك الدوافع النفسية للذين لديهم استعداد للانحراف وذلك بإتاحة الفرصة السانحة لهم لتنفيذ جرائمهم مثل إهمال أمن الساكن والمجمعات السكنية الحديثة^(٢١) .

٢- التعامل مع رجال الشرطة : ويكتسب تعامل المتطوعين مع رجال الشرطة أهمية بالغة لأنه مقياس لطبيعة العلاقة الموجودة بين المواطن والشرطة . ويفترض من هذه العلاقة أن تكون منسجمة وقوية ومبنية على احترام النظام وطاعة رجال الأمن ومساعدتهم لأداء مهمتهم على الشكل الأفضل .

٣- من أهم المجالات التي ينبغي على المتطوعين أن يكونوا على وعي بها ، مجابتهم للمجرمين والمشبهين بضرورة الإدلاء بالشهادة الحقيقية عند الحاجة لاكتشاف مرتكبي الجرائم ، وعدم التستر على الفارين من العدالة ، ومحاولة ضبط الشخص الذي يحاول أن يرتكب جريمة عند مشاهدته ، كأن يشاهد سيارة ترتكب حادث دهس ، أو شخصاً يحاول أن يسرق سيارة أو منزلاً .

٤- مشاركة المتطوعين في توعية المواطنين بمخاطر الجريمة ، باعتبار أن التوعية من الوسائل القوية في تحقيق الضبط الاجتماعي والجنائي .

المقومات الأساسية للعمل التطوعي

١- الثقة المتبادلة بين المتطوعين والمنظمة التي يعملون بها من خلال الرجال الذين يمثلونها . فإذا لم يكن لدى المنظمة والرجال الذين يمثلونها القدرة على التعامل الجيد مع المتطوعين فسرعان ما ينفذ هؤلاء المتطوعون ويتركون المنظمة وشأنها . ويتطلب قيام الثقة المتبادلة بينهما مراعاة الجوانب التالية :

- وضوح أهداف استقطاب المتطوعين .

- تعريف المتطوعين على المنظمة وأهدافها وطرق تنظيمها .

- تناسب الأعمال التطوعية لقدرات ومؤهلات المتطوعين .

٢- ضرورة توفر عديد من الصفات في الشخص أو الأشخاص المسؤولين عن استقطاب المتطوعين، إضافة إلى صلاحية البيئة على مستوى المنظمة والعاملين فيها، ومن هذه الصفات:

- القدرة على تحديد الفئات الاجتماعية والعمرية والتخصصية التي يمكن استقطابها.
- فهم المجتمع وأساليب الحياة من أعراف وتقاليد سائدة في المجتمع.
- توفر قاعدة علاقات اجتماعية فاعلة، يمكن تبصيرها بأهداف العمل التطوعي.

٣- التعاون والتكامل في العمل الاجتماعي التطوعي بين الأفراد المنخرطين فيه من خلال الجوانب التالية:

- تفعيل وتأكيد الجانب الأخلاقي وما ينطوي عليه من تأصيل للقيم والمبادئ الإسلامية التي تحث على التعاون والتكافل والتواصل.
- تبادل الخبرات والتجارب بين المتطوعين.

- تحديد مسارات واتجاهات الأعمال التطوعية نحو أهدافها، بما يضمن حمايتها وعدم استغلالها فيما يسيء إليها.

٤- باعتبار الأعمال التطوعية من الحاجات الإنسانية التي تتميز بالاستمرار والتجدد فإنه لا يمكن إشباعها مرة واحدة، وهذا ما يجعل النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للإنسان ينمو ويتجدد باستمرار، ولا بُدَّ للأعمال التطوعية من مواكبة ذلك، وهذا يتطلب أموراً هامة منها:

- تحديد استراتيجيات تراعى ضمن أولوياتها خيارات وبدائل تنمي الأعمال التطوعية.
- وضع قوانين وأنظمة تخدم العمل التطوعي وتحضنه، وتبين آليته وأهدافه وكل ما له صلة بالعمل التطوعي.

٥- التنظيم الجيد المحقق للمواءمة بين الأهداف والإمكانيات. ويؤدي التنظيم الأمثل إلى استثمار وتوظيف كل الطاقات والإمكانيات المتاحة من خلال تولد الرغبة والدافع والحماس لدى كافة الأفراد والجماعات والمنظمات، وتشجيع المبادرات الإبداعية من خلال إزالة العوائق القانونية والتنظيمية التي تحول دون التقدم في مجال العمل التطوعي.

٦- تأصيل مفهوم العمل التطوعي ، من خلال نشر ثقافة التطوع عبر الأنشطة التثقيفية والتوعوية لجهات الخدمات الدينية والتعليمية والتربوية والاجتماعية والأمنية ، وتفعيل وسائط التنشئة الاجتماعية للأبناء كالأسرة والمدرسة والإعلام ودورها في غرس قيم التضحية والإيثار وروح العمل الجماعي في الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة ، والتركيز على جانب تحفيز وتنمية الانتماء للعمل الجماعي .

معوقات العمل التطوعي

للمشاركة الاجتماعية بصورة عامة فوائد عديدة لا حصر لها ، وتتوج القيمة المعنوية للمشاركة عندما تكون في العمل التطوعي بدون أجور مقابل دور المتطوع في المشاركة . ويكون العمل التطوعي سهل المنال يستطيع أن ينخرط فيه أفراد قد لا يتطلب معظمه مهارات محددة ، الأمر الذي يترتب عليه بروز عديد من العوائق تختلف باختلاف الأفراد والبيئة وطبيعة النظم الإدارية والتنفيذية لكل جمعية أو مؤسسة تطوعية ، كما تختلف أيضاً تبعاً لطبيعة الجمهور ومدى تفاعلهم مع الأنشطة الخيرية من عدمه ، ومنها ما يتصل بالجانب المجتمعي من حيث عدم وجود تقدير للمشاركة في العمل التطوعي ، إذ إن التقدير المجتمعي يمثل اعترافاً من المجتمع بأهمية الجهد الذي يبذله المتطوعون في المجتمع مما يشجع الشباب للانخراط في العمل التطوعي^(٢٢) .

ومن أبرز عوامل معوقات العمل التطوعي ما يأتي :

١- ضعف الوعي المجتمعي بدور العمل التطوعي وأهميته في التنمية ، واعتماد الأفراد على جهود الدولة فقط باعتبارها المسؤولة عن تقديم كافة الخدمات للأفراد المجتمع كحق مشروع ، مما أضعف من قيمة العمل التطوعي . رغم أن العمل التطوعي أثبت أهميته ودوره في المجتمعات كمساند للأجهزة الرسمية في الدولة بغض النظر عن الوضع الاقتصادي للدول التي يمارس أفرادها العمل التطوعي .

٢- عدم اقتناع المؤسسات والجهات بدور العمل التطوعي ، وقيام بعضها بوضع معايير للمشاركة في العمل التطوعي هي في الأصل معوقات تحد من المشاركة ، وهذا يعود إلى عدم وجود نظرة محددة وواضحة من قبل المؤسسات لماهية الدور المتوقع القيام به من قبل المتطوعين .

٣- عدم وجود مكافآت أو عوامل تحفيز للعمل التطوعي .

- ٤- عدم وجود التدريب الكافي لدى الجمعيات والمنظمات التطوعية .
- ٥- الروتين في العمل التطوعي ، وشعور المتطوعين بأن عملهم لن يغير في الواقع شيئاً .
- ٦- عدم وجود نظام موحد للتطوع أفقد العمل التطوعي كينونته ، وجعله يسير من غير تخطيط أو تنظيم ، وفي كثير من الأحيان يعتمد على اجتهادات غير عملية مما أدى إلى غياب التنسيق وجعل الجهود التطوعية مشتتة ، وانعكس ذلك سلباً على مكانة العمل التطوعي في المجتمع وتقدير الناس له .
- ٧- عدم معرفة المتطوعين المكان المناسب للعمل التطوعي والزمن الكافي للتطوع .
- ٨- ضعف تجربة المتطوعين وخوفهم من الفشل مقارنة بالعاملين في الجهات التطوعية الذين يأخذون مآلاً مقابلاً عن أعمالهم داخل الجمعيات التطوعية .
- ٩- خلو الأنشطة التعليمية من أي دافع وتطوير لقيمة التطوع ومساعدة المجتمع المحلي .

العمل التطوعي.. والجمعيات الأهلية

ومن الخطوات الضرورية لتفعيل وتطوير العمل التطوعي إنشاء مجالس وطنية تشرف على سير العمل وترسم السياسة العامة للبرامج التطوعية ، وتقوم بالتنسيق وتوحيد الجهود المجتمعية وتحدد الأولويات لتكون بمثابة المظلة التي ينطوي تحتها كافة الجهود والبرامج المجتمعية لضمان وحدة الهدف وتقييم الأداء ، ويتبع إنشاء المجالس الوطنية خطوة أخرى وهي إنشاء (الجمعيات الأهلية) ينخرط فيها المتطوعون ، وإن تعددت مسمياتها وأهدافها لتشمل كافة الأنشطة وغايتها حفظ الأمن وسلامة المجتمع .

وستتناول بالتفصيل خطوات إنشاء الجمعيات الأهلية:

إن من الآليات الضرورية والوسائل المهمة لإشراك المواطن في تحقيق الأمن والسلامة باعتبار ذلك مسؤولية وطنية هو وجود الجمعيات الأهلية ذات الطابع التطوعي الذاتي والأمني ، حيث أصبحت ضرورة يفرضها الواقع والتحديات المعاصرة لتعمل كرافد مهم للأجهزة الأمنية تنبثق من قوى المجتمع وتمارس التأثير في مجريات الأحداث وعلى سياسة المؤسسات الحكومية ذات العلاقة بمكافحة الجريمة ، وأن تلعب دوراً ضمن الأطر

والأساليب المشروعة لتسهم بإيجابية وفعالية مع غيرها من مؤسسات المجتمع في تعزيز الأمن، وتستقطب الكفاءات من المواطنين، وتحقق الإشباع الذاتي والمعنوي لهم. ولقد مر بنا في التجارب الدولية العديد من الجمعيات الأهلية تصل إلى المئات في بعض الدول يلتحق بها مئات آلاف من المتطوعين. ومن مميزات عمل الجمعيات الأهلية أنها تعمل بحرية أكبر بعيدة عن الروتين والبيروقراطية الحكومية وأن أعضائها يعملون من منطلق ودافع ذاتية، فتكون أكثر فاعلية ونجاحًا وتصل رسالتهم وبرامجهم بسهولة إلى الأفراد الموجهة إليهم.

وتتعدد مسميات الجمعيات الأهلية بتعدد أهدافها وغاياتها، إلا أنني في هذا السياق سأقترح عددا من الجمعيات على سبيل المثال لا الحصر، والتي أرى ضرورة تكوينها خلال هذه الفترة والتي تعد من الأولويات المهمة لإشراك المتطوعين في المسؤولية الأمنية نظرًا للحاجة الماسة إليها في الوقت الحاضر، وقد تضم برامجها وأنشطتها معالجة انحرافات سلوكية وقضايا أمنية متنوعة، ومنها:

١- جمعية أصدقاء الشرطة

يتم إنشاء جمعية أهلية تسمى جمعية أصدقاء الشرطة، تكون ذات شخصية مدنية تكتسب شخصيتها الاعتبارية بموافقة دائرة المنظمات غير الحكومية، ويحق لها إنشاء فروع عدة في بغداد وبقية المحافظات والمدن والنواحي وتحدد أهداف جمعية أصدقاء الشرطة فيما يأتي:

١. توثيق عرى التعاون بين المواطنين المتطوعين وأجهزة الشرطة.
٢. العمل على مساعدة رجل الشرطة في أداء مهمته وواجباته بما يحقق أمن المجتمع.
٣. تنمية الوعي الأمني لدى المواطنين بأخطار الجريمة والانحراف وأثرها في الفرد والمجتمع.
٤. تحفيز المواطن على المشاركة والتطوع في البرامج والأنشطة الأمنية.
٥. حث الأجهزة الأمنية على النهوض بمسؤولياتها في تحقيق الوعي الأمني والقيام بأدوارها المجتمعية المطلوبة.

٦ . إعداد برامج وأنشطة أمنية مختلفة تدعم صورة رجل الشرطة وتعزز الوعي الأمني لدى المواطنين بما يحقق التكامل للجهود المشتركة .

٢- جمعية أصدقاء المرور

ويتم إنشاء جمعية أهلية تسمى جمعية أصدقاء المرور، تهدف إلى:

- ١ . تنمية إسهام المواطنين في مجالات المحافظة على أنظمة المرور والالتزام بها .
- ٢ . التأكيد على غرس أخلاقيات القيادة واحترام أنظمة المرور .
- ٣ . إثارة اهتمام أفراد المجتمع وتوعيتهم بخطورة الحوادث المرورية .
- ٤ . تنمية عوامل الثقة والعلاقة الطيبة بين أفراد المجتمع ورجال المرور .
- ٥ . حث الأجهزة المرورية على القيام بواجباتها وأدوارها المجتمعية .
- ٦ . تحفيز وتشجيع المواطنين على مساعدة رجل المرور للمبادرة في الإبلاغ عن المخالفين والخارجين على نظام المرور والحفاظ على أمن وسلامة الطريق .

٣- جمعية الخدمات الاجتماعية

تنشأ جمعية تسمى جمعية الخدمات الاجتماعية وتسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١ . إعداد برامج وقائية تسهم في الحفاظ على القيم الإسلامية والمبادئ الإنسانية للمجتمع وتدعم أواصر التماسك المجتمعي .
- ٢ . العمل على تنمية الاهتمام بدور الأسرة وتماسكها وأهمية الروابط العائلية وأثر ذلك على المجتمع .
- ٣ . العمل على حث الأجهزة الحكومية والقطاعات غير الرسمية ذات العلاقة بالشؤون الاجتماعية والتعليمية على النهوض بمهامها وأدوارها المجتمعية .
- ٤ . العمل على دعم وتقوية عناصر الضبط الاجتماعي بين أفراد المجتمع .
- ٥ . معالجة المشكلات المجتمعية والتنسيق مع مؤسسات المجتمع المختلفة للقضاء عليه .

٦ . إعداد برامج توعية تسهم في توضيح أضرار السلوكيات المنحرفة وأثرها على أمن المجتمع .

٤- جمعية مكافحة الفساد

تنشأ جمعية تسمى جمعية مكافحة الفساد الإداري بكافة أنواعه وتسعى إلى تحقيق الأهداف التالية :

١ . توعية المواطن بأنواع وصور الفساد الإداري والمالي وأخطاره على الاقتصاد الوطني .

٢ . تفعيل التعاون بين الأجهزة الأمنية المختصة وأفراد المجتمع في مجال مكافحة الفساد

٣ . تنظيم وإعداد برامج توعية ثقافية لمكافحة الفساد والممارسات الإدارية والمالية الخاطئة وتبيان أثرها في أمن المجتمع .

ويمكن إنشاء جمعيات أخرى كجمعية مكافحة المخدرات وجمعية مكافحة البطالة وجمعية الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم وجمعية مكافحة جرائم الإنترنت وجمعية مكافحة جرائم الأحداث وجمعية مكافحة التسول وغيرها .

رؤية اجتماعية أمنية لتطوير وتفعيل العمل التطوعي

بناءً على ما تقدم يمكن وضع رؤية اجتماعية أمنية لتطوير وتفعيل العمل التطوعي ، وتوسيع قاعدة انتشاره في مجتمعنا ، وتتضمن :

١- إيجاد نظام موحد للعمل التطوعي في منظمات المجتمع المدني والمؤسسات الحكومية والأهلية ، وتنظيم لوائح خاصة بأعمال التطوع والمتطوعين وحقوقهم ، ومتابعة برامجهم وأنشطتهم .

٢- عقد مؤتمر سنوي بإشراف (وزارة الداخلية) يشارك فيه رجال العلم والفكر بتقديم أطروحات علمية وتجارب ميدانية للعمل التطوعي ، وكل ما من شأنه الرقي بالأداء والأهداف ، ولزيادة الوعي والاهتمام بالعمل التطوعي في المجتمع .

٣- تضمين المناهج الدراسية في القطاع التعليمي ببعض الموضوعات التي تتعلق بالعمل التطوعي بحسب المراحل الدراسية، ومشاركة الطلاب في أعمال تطوعية لخدمة المجتمع ضمن البرامج اللاصفية.

٤- رسم سياسة العمل التطوعي من خلال خطط سنوية واضحة لكل جهة تعنى بالعمل التطوعي تشتمل على برامجها التطوعية، وتنظيم مسيرة العمل التطوعي وعمل قاعدة بيانات بالمتطوعين وسيرهم الذاتية لطلبهم عند الحاجة.

٥- تسهيل إجراءات الراغبين بالعمل التطوعي وتشجيعهم ومنحهم حوافز معنوية من أوسمة وميداليات وشهادات تقديرًا لأهمية دورهم في المجتمع.

٦- العمل على جذب الكفاءات النادرة وإقناعهم بالانضمام للجمعيات التطوعية حتى يسهموا بأفكارهم ومهاراتهم في تطوير العمل التطوعي ورفع مكانته.

٧- على صعيد توظيف العمل التطوعي لخدمة الأمن في المجتمع فإن تحقيق ذلك يتطلب:

أ- العمل على تنمية الشعور بالولاء للوطن والخوف على مصالحه الأمنية.

ب- اتخاذ اللازم نحو إزالة العوائق والعقبات التي تحد من مشاركة المواطنين، وذلك بكسر الحاجز النفسي بين المسؤولين في الأجهزة الأمنية والمواطنين المتطوعين، وتبديد الخوف من تعاونهم مع أجهزة الأمن، والعمل على حمايتهم وزيادة حماسهم وتجاوبهم أثناء عمليات التطوع.

ت- إحاطة المتطوعين بالمشكلات الأمنية الحالية والمستقبلية.

ث- الاهتمام بإثارة دافعية الجمهور للمشاركة في العمل التطوعي، وإشعارهم بالاستياء تجاه الأفعال الإجرامية، وإبراز مدى الحاجة للأمن الاجتماعي.

٨- الاستفادة من تجارب الجمعيات التطوعية في البلدان الأخرى والاستئناس بخططها وروادها لتطوير العمل التطوعي والارتقاء به.

٩- مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيرًا في تعريف أفراد المجتمع بماهية العمل التطوعي، ومدى حاجة المجتمع إليه وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية الأمن والتنمية، وإبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسبهم احترام ذاتهم والآخرين.

١٠- توظيف القيمة السامية للعمل التطوعي في مجال العلاج النفسي والسلوكي للمنحرفين لما يسمى بالعلاج بالعمل من خلال استغلال أمثل لطاقت المنحرفين لمصلحة التنمية الاجتماعية .

المصادر والهوامش

- ١١ - القرآن الكريم ، سورة الزلزلة ، الآية ٧-٨ .
- ١٢ - سورة الأنبياء الآية (٩٠) .
- ١٣ - صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار الفجر للتراث ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥ .
- ١٤ - د. محمد فاروق عبد الحميد ، قواعد العمل الشرطي للتنمية ووعي الجماهير في عمليات الشرطة ، مجلة الفكر الشرطي ، العدد الأول ، المجلد الرابع ، يوليو ١٩٩٥ ، ص ٢٠١ .
- 15 - Bright , J. “ Community safety , Crime Prevention and the local Authority ‘ in P. Willmott (ed) Poling and the community , London PSL , 1987 , p.30.
- 16 - Bright , et al , p.35 .
- ١٧ - عباس أبو شامة ، المعايير النموذجية المطلوبة لرجل الأمن ، مطابع أكاديمية نايف العربية ، الرياض ، ١٩٩٢م ، ص ١١٠ .
- 18 - Fielding N.C. “ Community Policing “ , In Crimology clarendon press , Oxford 1995 , p.25 .
- 19 - Fielding , et al , p.80.
- ٢٠ - محمد صالح بهجت وآخرون ، الخدمات الاجتماعية في التعلم ورعاية الشباب ، الإسكندرية ، المكتب الحديث ، ١٩٨٥م ، ص ٩٩ .
- ٢١ - عماد حسين عبد الله ، إدارة الأمن في المدن الكبرى ، مطابع أكاديمية نايف العربية ، الرياض ، ١٩٩١م ، ص ١٢٠ .
- ٢٢ - عبد الكريم عبد الله الحربي ، الإنترنت والقنوات الفضائية ودورها في الانحراف والجروح ، مطبعة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٤ هـ ، ص ٤٣ .
- ١ - د. الحارث عبد الحميد حسن ، د. غسان حسين ، علم النفس الأمني ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٠٣ .
- ٢ - د. مصطفى البصراوي ، قياس الوعي الأمني لدى الجمهور العربي ، الرياض ، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ، ١٤١٢ هـ ، ص ١٠٦ .
- ٣ - د. محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام ، القاهرة ، مؤسسة عالم الكتب ، ١٩٩٧ ، ص ٤٢ .
- ٤ - ذياب البادانية ، هندرة الثقافة الأمنية والتحصين الاجتماعي ضد الجريمة ، مجلة الفكر الشرطي ، العدد ٢٦ ، ١٩٩٨ ، الشارقة ، الإمارات ، ص ٢٠٣ .
- ٥ - العميد بركة بن زامل الحوشان ، الوعي الأمني ، مركز البحوث والدراسات ، كلية الملك فهد الأمنية ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠٩ .
- ٦ - د. أحمد ضياء الدين خليل ، الحس الأمني ، القاهرة ، كلية الشرطة ، ١٩٩٦ ، ص ٤١ .
- ٧ - محمد عبد الله الحضيف ، كيف تؤثر وسائل الإعلام ، الرياض ، مكتبة البيكان ، ١٩٩٤ ، ص ٨٢ .
- ٨ - د. الحارث عبد الحميد ، د. غسان حسين ، علم النفس الأمني ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .
- ٩ - حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٢٠٦ .
- ١٠ - د. خالد خير مصيلحي ، الدور الاجتماعي للشرطة وأثره في منع الجريمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٩ ، ص ٤٣ .

موازن القوى في ظل التهديدات اللاتماثلية في العراق

م.د. زينب ضياء عبود

جامعة بغداد

المستخلص:

في ضوء معطيات الواقع العراقي ومدى ارتباطه بالعامل الإقليمي والدولي ، أن ثمة أدواراً للحشد الشعبي بغية الحفاظ على توازن القوى العسكرية والأمنية في المنطقة ، والدور العسكري والأمني يتمثل في استمرار تتبع الجماعات الإرهابية التي تم توظيفها كأداة من أجل تحقيق مصالح وأهداف الدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية الحريصة على ضمان تدفق الضغط ، وضمان أمن إسرائيل وحليفاتها في منطقة الشرق الأوسط ، ولو عبر إشاعة الفوضى وتفكيك الدول وتفتيت المنطقة إلى كيانات متناحرة تحقق تلك الأغراض .

Balance of Power in Light of the Asymmetric Threats in Iraq

The researcher concludes from the above in light of the data of the Iraqi reality and the extent of its relation to the regional and international factor, that there are roles for the popular mobilization "PMF" in order to maintain the balance of political, military and security forces in the region, the most important and most prominent of which is the political role after the liquidation of the terrorism file, by confronting political terrorism with the corruption it entails. To the collapse of its security system, which made it easy for terrorist groups to invade its

cities and threaten its political system.

And the military and security role that stems from the continued support for terrorist groups and use as a tool in order to achieve the interests and objectives of the larger countries, foremost of these countries is the United States of America "USA", which is keen to guarantee the flow of pressure and ensure the security of Israel and its allies in the Middle East, even if by spreading chaos, dismantling states and fragmenting the region into rival entities.

المقدمة

بتاريخ ١٣ / حزيران ٢٠١٤ قررت المرجعية العليا في النجف الأشرف أن ينهض العراق بكل قوته المتمثلة بشبابه وعقيدته وإيمانه ومقوماته الاستراتيجية والجيوستراتيجية لمواجهة خطر (داعش) الإرهابي الذي بات يهدد العراق وسيادته وأمنه وأهله في ظل الصراع والتوظيف الدولي والإقليمي للإرهاب والجماعات الإرهابية، حيث كانت أغلب هذه الجماعات تعمل بأسلوب الاحتراب الطائفي وإثارة الفتنة المذهبية حتى تمكنوا من اختراق الحدود العراقية بأكثر من جهة وعبورهم على شكل عصابات متسللة لا يمكن للجيش وحده السيطرة عليها وملاحقتها، ليس ضعفا في وحدات الجيش العراقي بل لخاصية المعارك التي كانوا يتبعونها، فليس لجيش نظامي أن يدخل معارك مع عصابات داخل المدن أشبه ما تكون حرب شوارع، فهنا برزت أهمية وجود الحشد الشعبي الذي تأسس إثر فتوى الجهد الكفائي التي أصدرها سماحة السيد علي السيستاني من النجف الأشرف في ١٣ / حزيران ٢٠١٤

والتي خاطبت الشخصية العراقية لتذكيرها بما لديها من عناصر قوة، منوهة إلى سعة حجم التهديد الذي يواجهه، غير أنه ذكره بمعاني البطولة والشجاعة والإقدام وتحمل المسؤولية ولا سيما في الظروف الصعبة والعصيبة والتي تنهضها والظروف القائمة في العراق.

ولم يقتصر الخطاب عند الفرد العراقي، بل انتقل إلى القوات المسلحة معلقة دعمها وإسنادها لها واصفة دفاعها بالمقدس، لتذكيرهم بضرورة الثبات والدفاع عن حرمت العراق ووحدته وأراضيه وسيادته وحفظ الأمن والاستقرار والذود عن مقدسات المسلمين ولتبشرهم بمقام الشهادة في حال التضحية من أجل هذه المبادئ.

بل أبعد من ذلك كانت الفتوى مساندة للدولة العراقية التي حاولت الأطراف الدولية والإقليمية والمحلية تجريدها من الشرعية، حين وصفت ما حدث بالانتفاضة ضد النظام السياسي، وأن الذي قام بها أبناء العراق من ثوار العشائر وفصائل المقاومة، فأعادت الفتوى للدولة هيبتها وشرعيتها وجندت كافة أبناء الشعب العراقي ضد العدو الذي يستهدفهم جميعاً، الأمر الذي بات اليوم واضحاً للعالم ودول الإقليم وحتى من كان يُحسب على حواضن التنظيمات الإرهابية.

ومن هنا نسلط الضوء في هذا البحث على أهمية دور ووجود الحشد الشعبي ومدى انعكاساته الدولية والإقليمية وقلبه لموازن القوى بما يجعل العراق فاعلاً في التوازن الإقليمي وقادراً على الدفاع عن سيادته ووحدة أراضيه، فمن خلال التعرف على طبيعة التهديدات اللاتماثلية التي تعني الحروب غير التقليدية، سيتم بحث موضوع موازين القوى ودور الحشد الشعبي في الحفاظ على التوازنات الإقليمية.

موازن القوى في ظل التهديدات اللاتماثلية في العراق

أولاً : التهديدات اللاتماثلية (الحروب غير التقليدية)

يعد المفهوم الشامل لتوازنات القوى «الحالة التي تتعادل وتتكافأ عندها المقدرات البنائية والسلوكية والإقليمية لدولة منفردة أو مجموعة من الدول المتحالفة مع غيرها من الوحدات السياسية المتنافسة معها، بحيث تضمن هذه الحالة للدولة أو مجموعة الدول المتحالفة ردع أو مجابهة التهديدات الموجهة ضدها من دولة أخرى أو أكثر، وبما يمكنها أيضاً من التحرك السريع وحرية العمل في جميع المجالات للعودة إلى هذه الحالة عند حدوث أي خلل فيها يحقق الاستقرار، ويطلق على هذا المفهوم أيضاً التوازن الاستراتيجي^(١). ويتميز هذا التوازن بثلاث سمات، هي^(٢):

١ . تكافؤ مجموعة من المتغيرات، فإذا استمر هذا التكافؤ عُرف بـ (التوازن الاستراتيجي المستقر)، وإذا تغيرت حالته سلباً وإيجاباً سُمي بـ (التوازن الاستراتيجي غير المستقر).

٢ . إمكانية تحقيق هذا التوازن بدولة منفردة بصورة كاملة يعتمد على إمكانياتها الذاتية وقدراتها القومية، بحيث تتكافأ مع التهديدات الموجهة ضدها، أو قد يتم من

خلال تحالفات تعباً فيه مقومات القوة القومية للدولة المتحالفة ضد التهديدات الموجهة للتحالف .

٣ . لهذا التوازن ثلاثة أبعاد :

- البعد البنائي الذي يتمثل في القدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية لدولة أو مجموعة دول .
- البعد السلوكي الذي ينبع من مرونة وحركة القوى الفاعلة ، دولية أو إقليمية .
- البعد الذي يقيم من خلاله حالة القيود أو الرفض للقوى الفاعلة .

وعليه فإن مفهوم التوازن هو الحالة المستقرة ، وبالرغم من أنها ليست بالضرورة مثالية دائماً ، لكنها توحي بالاستقرار وعدم التوتر ، ويستخدم علم السياسة مصطلح التوازن للإشارة إلى الحالة المستقرة على أسس عقلانية ، فيقول النظام قائم على توازن السلطات كإشارة إلى نظام لا يخضع لهيمنة سلطة واحدة ، كما يُستخدم مصطلح قوى سياسية متوازنة^(٣)

ويبدو أن مفهوم التوازن ما زال يكتنفه الغموض لدى الكثير من علماء السياسة والعلاقات الدولية ، ويُعزى ذلك إلى عدة أسباب ، منها فهم توازن القوى على أنه نقطة التعادل بين قوتين متعارضتين ، ومنها افتراض جمود توازن القوى وانعدام حركاته أو على الأقل تحركه ببطء شديد ، ومنها أيضاً افتراضه كسياسة دولية مقصودة لذاتها بوصفها إدارة لحفظ الاستقرار الدولي^(٤) .

ومن هنا يذهب أحد الباحثين في العلاقات الدولية^(٥) إلى أن التوازن ينشأ في حالة إمكان دولة واحدة أن تحصل على تفوق ضخم وساحق في قواها ، ما يهدد حرية الدولة الأخرى واستقلالها ، وهذا التحدي هو الذي يدفع الدول المحدودة القوة إلى مواجهة القوة بالقوة عن طريق التجمع في محاور أو ائتلاف قوى مضادة ، وهذه إحدى طرق تكوين التوازن وليست الطريقة الوحيدة .

ويضيف بأن سياسة القوة سياسة ترمز إلى المدرسة الواقعية في السياسة الدولية ، وهي المدرسة التي تُعنى بظاهرة القوة ، وإن الدول حين تسعى للحفاظ على وجودها وأمنها ومركزها الدولي من خلال عملية الصراع على اكتساب القوة ، فإن رائدها في ذلك هو

تحقيق توازن القوى ، وهو في الوقت ذاته سلاح في تنظيم استخدام القوة والسيطرة عليها (٦).

ويعرف كاسلري - أحد وزراء الخارجية البريطانية - ميزان القوى بأنه الإبقاء على حالة من الاتزان بين أعضاء الجماعة الدولية ، حيث لا تتمكن أي من الدول من زيادة قوتها بدرجة كافية لأنّ تمكنها من فرض إرادتها على باقي الدول (٧).

وعلى هذا الأساس فإن تحقيق توازن القوى يقتضي الحيلولة دون تمكين أي دولة من أعضاء المجموعة الدولية من زيادة قواها إلى الحد الذي تصبح معه قادرة على إجبار باقي الدول مجتمعة على الامتثال لإرادتها (٨).

وقد أثبتت أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م على مدى ما وصلت إليه منظمات الإرهاب من استخدام التقنيات الفائقة في التخطيط لعمليات محدودة ، ضد أهداف حيوية هامة ، وتنفيذها مسببة خسائر فادحة في دول كبرى ، تفوق خسائر حرب شاملة بقوات نظامية ، وقد يتعذر على القوات النظامية العسكرية الوصول إلى هذه الأهداف ، الأمر الذي جعل الرئيس الأمريكي - جورج بوش - يطمئن الشعب الأمريكي بأنه سوف لن يتعرض لما تعرض له مرة أخرى معلنا الحرب على الإرهاب في ١٣ أيلول ٢٠٠١م وأن هذه الحروب سوف يستخدم فيها كل الوسائل العسكرية والاقتصادية والسياسية (٩).

فقد استخدمت التنظيمات الارهابية العنف ضد الحكومات وأهداف مختارة من المنشآت أو الأشخاص بهدف بث الرعب ونشر الذعر لتحقيق شعار (ارعب عدوك وانشر قصتك) ، أي أقل عدد من الضحايا وأكبر عدد من الناس (٩). وهكذا أصبح الإرهاب بديلا عن الحرب التقليدية .

وعلى هذا الأساس ظهر ما يُعرف بحرب العصابات الذي ينطوي على أسلوب للقتال المحدود ، يقوم به مجموعة من المقاتلين ، وذلك في ظروف مختلفة عن الظروف المعتادة للحرب ، وبغض النظر عن كون هذه الفئة من المقاتلين من القوات الحكومية أو غير النظامية (١٠).

وأثبتت الدراسات أن ثمة علاقة بين عصابات الجريمة والإرهاب ، وخاصة أنها تشكل خطراً يهدد الأمن الداخلي للدول لا يقل عن الحروب العسكرية من حيث النتائج المروعة (١١).

وعلى صعيد ما تتعرض له الدول - ومنها العراق - من هذه الموجة من الإرهاب فإن هناك مجموعة من العوامل التي أسهمت في استمرار وتنامي شوكة هذه الظاهرة، ومنها كيفية تعامل المنظمات الإرهابية مع البيئة الدولية، وما تسمح متغيراتها الأخرى من التكنولوجيا المتقدمة في الاتصال والسلاح، ومن وجود بعض الدول التي تُعد أراضيها بيئة صالحة لدعم الأنشطة الإرهابية سواء كان دعمها معنوياً بالإيواء أو دعماً سياسياً أو دعماً فنياً كتقديم أموال وذخيرة وسلاح^(١٢).

ويعاني العراق كبعض البلدان العربية - مصر والجزائر وسوريا - من بعض الحركات الإرهابية التي تتخذ من الإرهاب أسلوباً لها لتحقيق أهدافها التي تتمثل في الابتزاز السياسي أو الضغط على بعض الحكومات لتغيير سياساتها وما إلى ذلك من أهداف^(١٣). حيث تدعو بعض هذه الحركات لإقامة ما تسميه بالدولة الإسلامية، إذ تحاول تقويض أركان النظم السياسية.

وقد ساعدها في ذلك الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م على ضوء استراتيجيتها لإعادة رسم الخريطة السياسية لمنطقة الشرق الأوسط وإضعاف العالم العربي لصالح أمن إسرائيل والاقتراب من إيران وسوريا استعداداً لاستئناف الطريق الذي بدأته في أفغانستان^(١٤).

ويتمثل بعض أهداف الاستراتيجية الأمريكية على ضوء الغزو الذي قامت به عام ٢٠٠٣ في الهيمنة على العراق وجعله نقطة الانطلاق المركزية في التحرك الاستراتيجي في الشرق الأوسط، في مقابل توقع حالة من عدم الاستقرار في منطقة الخليج خلال عملية تفكيك بعض الدول وإعادة تركيب أنظمة حكم جديد^(١٥).

ويبدو أن الخطر الأكبر الذي واجه العراق بعد الغزو الأمريكي هو الإرهاب والجماعات المسلحة التي اجتاحت ثلث مساحة العراق وتمكنت من إسقاط ثاني أكبر مدينة - الموصل - ووصولها إلى تخوم بغداد، والتي تمخضت عن صدور فتوى الجهاد الكفائي وتأسيس قوات الحشد الشعبي.

فقد بات من الواضح أن القدرة العسكرية النظامية لا يمكنها التعاطي بصورة فاعلة مع الخطر الإرهابي، لا سيما أن المنظمات الإرهابية في العراق، وفي مقدمتها ما يُعرف بتنظيم (داعش) هو من المنظمات القتالية الشبه عسكرية التي تلعب دور البقاء في الخلف في مواجهة القوات العسكرية.

وتفيد بعض الأبحاث التاريخية خلال الثلاثين سنة الأخيرة لفترة الحرب العالمية الثانية، وما تلاها من أحداث قريبة منها مفادها، أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الشمال الاطلسي وسعيًا منهما بتنسيق مع المحور الرأسمالي في أوروبا إلى خلق ميليشيا يمينية مسلحة سميت بـ «ابق في الخلف» stay behind التي يتركز على تقليص مستوى تأثير اليسار الماركسي في المجتمعات الأوربية، بقصد حاجز فولاذي للالتفاف على الدور السوفياتي في أوروبا^(١٦).

وقد صُممت هذه الجماعات لمواجهة الخصم المتقدم تقنياً والمجهز جيداً، بعكس العلاقة التقليدية بين الجنود والمدنيين. في الحرب التقليدية يخاطر الجنود بحياتهم لحماية المدنيين، أما في العصابات فيضحي المدنيون بحياتهم لحماية العصابات الذين يختبئون بينهم، والذين لا يمكن تمييزهم بسهولة عن المدنيين العاديين^(١٧).

وعليه فإن هذه النزاعات والحروب تخرج عن إطارها التقليدي، ولا سيما أن هذه الجماعات الإرهابية تتخذ المدنيين دروعاً بشرية لتوفر لها الحماية في مقابل القوات العسكرية النظامية، الأمر الذي يتطلب فصائل قتالية شبيهة ومناظرة لهذه الجماعات بهدف تصفيتيها والحيلولة دون استمرار تهديدها للدولة والذي ظهر للعيان في العراق على خلفية تأسيس الحشد الشعبي لمواجهة هذه الجماعات.

والنزاع غير المتماثل يدار بين الفريقين غير المتكافئين بالقوة، إذ يسعى الفريق الأضعف إلى تحييد قوة خصمه، التي تشمل تفوقه التكنولوجي باستثمار النقاط الضعيفة لدى خصمه^(١٨).

وحرب العصابات هي الاستراتيجية الوحيدة التي يمكن استخدامها للتفوق على حكومات قائمة وعلى حليفاتها المتفوقة بالقوة المادية، أما الاستراتيجية الأخرى فهي الإرهاب^(١٩) فالحرب غير التقليدية قديمة مثل الحرب التقليدية وتتميز بإرادة تجاهل تقاليد الحرب، سواء كان ذلك بالسخرية من القيود على شرعية أهداف العنف أو برفض القبول بالنتائج التقليدية للمعارك^(٢٠).

والذي يشهده العراق في ظل معركة الدولة ضد الجماعات الإرهابية هو قتال لا تماثلي غير متجانس من شأنه أن يفوّت على الدولة صلاحياتها السياسية في الداخل وقوتها الاستراتيجية في الخارج^(٢١).

فالقتال الدائر بين (داعش) والجماعات المتحالفة معها يدخل ضمن دائرة الحروب التي تقوم على تجنيد السكان المحليين أو جزء منهم ضد القوات العسكرية للسلطة الحاكمة التي تكون في نظرها أما فاقدة للشرعية أو تخالفها في فكرها ونهجها، وتعرف أيضاً بأنها حرب بأبسط الأشكال وأرخص الأدوات من قبل طرف ضعيف ضد طرف قوي يفوقه في القوة والعدد (٢٢).

وهناك بعض الخصائص والسمات للجماعات التي تمارس هذه الحروب، والتي يتسم بها تنظيم (داعش)، وهي (٢٣):

١. العمل على كسب التأييد الشعبي واستمالاته لصالحها
٢. استثمار تنظيم (داعش) الإخفاقات التي شهدتها العملية السياسية بعد انهيار النظام السابق عام ٢٠٠٣م والمعارضة التي تبنتها بعض القوى والأحزاب المتضررة من هذه العملية لتمارس العنف طيلة الفترة الممتدة من عام ٢٠٠٣ - ٢٠١٧م والذي انتهى بالاعتصامات التي عمت المناطق القريبة، والتي مكنت التنظيم من إيجاد بيئة حاضنة، ولعل شواهد هذه الحواضن كثيرة أبرزها غياب المقاومة من قبل أهالي هذه المحافظات للتنظيم، وينطبق ذلك حتى على مستوى قوى الأمن الداخلي في هذه المناطق، إذ كان في الموصل ٢٧٠٠٠ عنصر أمني، والأنبار ٢٥٠٠٠، ومع ذلك استطاع التنظيم السيطرة على هذه المناطق من دون أي مقاومة.
٣. المباغته وغياب المواجهة المباشرة مع القوات النظامية
- اذ تعتمد الجماعات التي تبني حرب العصابات أسلوب (الكر والفر) من أجل إنهاك واستنزاف الطرف الآخر ومحاولة إلحاق أكبر قدر من الخسائر، وهو ما مارسه القاعدة سابقاً وتنظيم (داعش) حالياً من عمليات استنزاف وإنهاك للدولة العراقية بشتى الأساليب والوسائل المختلفة.
٤. التعبئة العقائدية

تبنى الجماعات المسلحة المذهب السلفي المتطرف، وتحاول أن تستميل أبناء المناطق الغربية الذين يتبنون المذهب ذاته ولكن بشكله المعتدل، وتحاول هذه الجماعات دفعهم باتجاه التطرف والتشدد، مستفيدة من صراعات العملية السياسية الجارية في العراق.

أما بخصوص المراحل التي تمر بها حرب العصابات، فهي ثلاث، توزعت على العملية السياسية العراقية، وعلى الشكل التالي^(٢٤)

المرحلة الأولى: الاستنزاف (الدفاع الاستراتيجي).

مارس التنظيم للفترة الممتدة من (٢٠٠٥ - ٢٠١٢) الإرهاب المنظم، بحيث بلغ عدد ضحايا التنظيم (٧٦٠٠٠٠) من العراقيين، بالإضافة إلى التدمير المادي خلال هذه الفترة. يستخدم التنظيم استراتيجية غير مباشرة لتفاديه الدخول في مواجهات مع العدو، انتظاراً لظروف أكثر ملاءمة من حيث التفوق ليسهل تدميره ودفع الخصم إلى معارك جانبية لاستنزاف موارده وإضعاف إمكانياته في المواجهة الرئيسية^(٢٥).

المرحلة الثانية: التوازن الاستراتيجي:

مارس خلالها تنظيم (داعش) التمرد للفترة من (٢٠١٢ - ٢٠١٤) وتمثل بالتظاهرات والاعتصامات التي استطاع من خلالها تحدي النظام السياسي، ووظف الاعتصامات لإعطاء شرعية للعنف السياسي من جهة، وبت من جهة أخرى التطرف بين أهالي تلك المناطق، وعلى مستوى واسع تمهيداً لمرحلة الحسم^(٢٦)

المرحلة الثالثة: مرحلة الحسم (٢٠١٤ / ٦ / ١٠)

مارس من خلال التنظيم الحرب الداخلية المتمثلة بسيطرته على المحافظات الغربية الأربع وبعض المناطق المحاذية لبغداد، ليلغ عدد ضحايا التنظيم خلال فترة الحسم إلى أعلى مستويات العنف التي شهدتها العراق منذ انبثاق العملية السياسية بعد ٢٠٠٣م والتي تقدر بـ (٢٨٧١٩) ضحية.

وتأسيساً على ما تقدم يكون الحشد الشعبي بوصفه مكوناً تحتياً حيويًا هو الأنسب للمواجهة، لثلاثة اعتبارات أساسية^(٢٧).

- الاعتبار الأول:

إن الحشد الشعبي مكون أساسي قتالي لا تماثلي يشتغل بطبيعته الهوياتية بنفس المنطق القتالي للتنظيمات الإرهابية، مما يجعل الأخيرة وفق القواعد القتالية تنتكس، وخصوصاً أن فلسفة هكذا حرب لم تجد بعد علاجاً قتالياً نظامياً لألقابها.

- الاعتبار الثاني :

إنه بما هو حشد شعبي ذو رؤية جغرافية محلية يتحول إلى منصة قتالية دفاعية أمام أي بؤر جديدة تفتحها التنظيمات الإرهابية، لأنه غير مدخول بسقف الأوليات الحربية التي تكون لدى المؤسسة العسكرية.

- الاعتبار الثالث :

ويمكن اعتباره أكثر أهمية من سابقه كون التنظيمات الإرهابية بصفتها إحدى تمثيلات المؤسسات القتالية غير النظامية التي توظف لتحقيق مشاريع دولية تلعب دور الفيالق المتقدمة لتسيير عملية التقسيم، فيكون الحشد الشعبي المواجه لها بما هو مكون محلي، ليس قادراً على نفس هذه الفيالق المتقدمة فحسب، بل سيكون حامياً للوجود الهوياتي المحلي بشكل يقطع الطريق على المشروع التقسيمي الذي يرتفع في أكثر من منطقة جغرافية في عموم المنطقة^(٢٨).

وعلى هذا الأساس تصبح المواجهة القتالية الشعبية استراتيجية حربية فعالة كونها تسد الثغرة النظرية في الثقافة القتالية النظامية، كما تنهي في الوقت ذاته الوجود العدائي الذي يشتغل لتسيير عملية التقسيم، ما دام البعد الشعبي التلاحمي يقهر الخطوة التطهيرية التي تسعى إلى تحقيقها هذه التنظيمات الإرهابية.

- الاعتبار الرابع :

إن العملية القتالية الشعبية بوصفها حرباً ثانوية دفاعية هي أجلى صور الحروب العادلة والتي لا يمكن لأي مكون حكومي حتى لو كان استكبارياً التنطع بخصوصها، وفي نفس الوقت تلعب دور اللحمة الوطنية والإقليمية على حد سواء.

فعندما أعلنت الإدارة الأمريكية - بزعامة الرئيس الأمريكي جورج بوش - عن استراتيجية الحرب على الإرهاب، إنما فتحت كقوة سياسية وحقوقية تسمح للولايات المتحدة الأمريكية باعتماد سياسة الكراهية على العالم أجمع، وتصفية حساباتها مع أنظمة سياسية بالكامل دون ارتهان إلى القانون الدولي^(٢٩).

وإن استراتيجية الحرب على الإرهاب أدت إلى زعزعة أمن دول كثيرة في المنطقة من الشمال الإفريقي إلى الشرق الأوسط ، بل حتى إنها تتجه قُدماً إلى آسيا الوسطى والمنطقة الأوراسية ، وهو خطر حيوي داهم يهدد الدول بالتفتت الجغرافي^(٣٠) .

وعلى ضوء الحروب التي شنتها التنظيمات الإرهابية المسلحة ضد العملية السياسية وبمراحلها الثلاث ، وهي حروب - كما اتضح مما تقدم - لا يمكن للجيش النظامية مواجهتها أو إيقافها أو حتى الوقوف بوجه زحفها وتقدمها ليرز الحشد الشعبي بصفته القوة الوحيدة - إلى جانبه المؤسسة العسكرية النظامية - التي يسعها الوقوف بوجه هذه الجماعات المسلحة - وبالذات تنظيم (داعش) الخبير بحروب العصابات والحروب غير التقليدية - لجملة أسباب ، أهمها^(٣١) :

- إن الحشد الشعبي قوات مارست الحروب والمعارك غير النظامية ، وتمرست عليه لفترة طويلة ، لا سيما أنها تجيد قتال المدن وحرب الشوارع .

- إنها قوات عقائدية - وبمختلف مكوناتها - تواجه جماعة تحمل عقيدة متطرفة ومن ثم فإن هناك نوعاً من التوازن تتطلبه مثل هذه الحروب وتبدو متعذرة وصعبة على القوات النظامية

- الامتثال لفتوى المرجعية الدينية وما تحمله هذه الفتوى من معاني الجهاد والدفاع عن المقدسات والحرمان .

وتأسيساً على هذه الأسباب تمكنت قوات الحشد الشعبي من تحقيق انتصارات في كافة المعارك التي خاضتها ضد تنظيم (داعش) ، ولم يتمكن هذا التنظيم من الصمود في كافة المواقع ، واستحال عليه استعادة شبر واحد من الأراضي التي كان يحتلها قبل هذه المواجهة المتكافئة .

وتبدو بعض نتائج تلك المعارك اللاتمائية وغير التقليدية في معركة تحرير مناطق حزام بغداد ، ومنها منطقة جرف الصخر ، إذ بدأت عملية تحريرها في (٢٤ / ١٠ / ٢٠١٤م) واستمرت ليومين ، خاضتها القوات الأمنية العراقية والحشد الشعبي ، وكان هدفها استعادة السيطرة على ناحية جرف الصخر الاستراتيجية في محافظة بابل والقريبة من بغداد وكربلاء ، ولما تشكله من خطر على المناطق المقدسة (النجف و كربلاء) التي كانت

مسرحاً للإرهاب داعش والتي تسبقها تهديدات ذلك التنظيم بشن هجمات ضد ملايين الزوار الذين يحيون يوم عاشوراء^(٣٢).

كما تمكن الحشد الشعبي من فك الحصار الذي دام لأكثر من ثمانين يوماً عن ناحية آمرلي التابعة لقضاء طوز خورماتو في محافظة صلاح الدين، وذلك بتاريخ (٢/٩/٢٠١٤م)^(٣٣).

وخاضت قوات الحشد الشعبي معارك عنيفة ضد عصابات (داعش) لاستعادة السيطرة على المناطق التي اجتاحتها، كالسعدية وجلولاء وحوض حميرين ومناطق شمالي المقدادية وشرق المنصورة، لتعلن يوم (٢٦/١/٢٠١٥م) عن تحرير كامل مدينة ديالى^(٣٤).

وتمكنّت قوات الحشد الشعبي بعد أن خاضت عدة معارك عنيفة من دون أي إسناد أو غطاء جوي من استعادة محافظة صلاح الدين، وكان ذلك في (٢٦/١٢/٢٠١٥م)، وليبدأ بعد تلك المعارك العد العكسي لهزيمة هذه الجماعات الإرهابية^(٣٥).

واستمراراً لذلك استطاع الحشد الشعبي تحرير الأنبار بما فيها قضاء الفلوجة معقل الجماعات الإرهابية والتي كانت تنطلق منها لممارسة العنف والإرهاب في العاصمة بغداد، فضلاً عن أن هذه القوات توشك على تحرير الموصل بالكامل، ليسهم هذا الحشد بعد هذه المعارك وتطهير العراق من دنس هذه الجماعات في بناء الدولة العراقية الحديثة وفق معايير حقوق الإنسان والمواطنة ومبادئ الديمقراطية.

لا شك أن الإنجازات والانتصارات التي حققها الحشد الشعبي والتي استطاع من خلالها تحرير غالبية المدن والمناطق التي كان يحتلها تنظيم (داعش)، تثير العديد من التساؤلات بخصوص مستقبل الحشد الشعبي والتحديات التي يواجهها في الداخل، فضلاً عن التحديات الإقليمية والدولية.

فبالرغم من ارتباط هيئة الحشد الشعبي بالقائد العام للقوات المسلحة، وتلقيها الأوامر العسكرية منه، غير أن ثمة ضجة محلية وإقليمية ودولية تهدف إلى النيل من هذه التشكيلات، وربما تنظر إليها وإلى التنظيمات الإرهابية بعين واحدة، الأمر الذي يجعلنا نسلط الضوء على الطبيعة القانونية للحشد الشعبي والتحديات التي تواجهه والمستقبل

الذي سيكون عليه كقوة أساسية في الحفاظ على ميزان التوازنات الأمنية والسياسية في المنطقة الإقليمية والعراق.

ثانياً : الحشد الشعبي قوة التوازن

إن العديد من البلدان ، ومنها الجزائر وفيتنام ، شهدت تجربة الجيوش التي تقوم على أساس جماهيري من غير القوات النظامية العسكرية ، والتي غالباً ما تؤسس من أجل الدفاع عن الوطن ضد الأخطار التي تهدده ومنها الغزو الخارجي باعتبارها قوة بشرية ضاربة ، تمتلك الشرعية الوطنية .

وفي العراق وعلى خلفية سقوط النظام السابق لم تستقر الأوضاع الأمنية في ظل تجاذبات سياسية وإرباك أمني اشتدت وطأته ، فأدى إلى أزمات اجتماعية واقتصادية وطائفية ، جعلت البلد في مواجهة أقوى وأخطر تحدٍ تمثل بالغزو الداعشي لبعض مدن العراق ، والذي استدعى المرجعية الدينية لتحمل مسؤوليتها في الدعوة إلى الجهاد الكفائي .

واستجابة لتلك الدعوة تشكل في العراق جيش جماهيري هدفه الدفاع عن الوطن وتقديم الدعم والإسناد للقوات المسلحة العراقية النظامية ، وكانت بواكير شرعيته أنه وليد فتوى المؤسسة الدينية التي لعبت العديد من الأدوار في حفظ الوطن وديمومة الدولة تجاه مختلف الأخطار التي كانت تهددها .

هذا الجيش الجماهيري هو الحشد الشعبي الذي ضم كافة مكونات المجتمع العراقي ، والذي لم يكذب يتشكل وينتظم حتى ارتفعت معنويات الشعب بصورة عامة وقواته المسلحة بصورة خاصة ، وعلى خلفية امتلاكه الحماس الوطني والتوجه العقائدي المضاد لعقائد التكفير والقتل ونشر الفوضى والعنف والإرهاب ، ليتمكن خلال فترة من دحر الجماعات الإرهابية في العديد من المدن التي احتلتها .

وتبدو الرغبة الإنسانية لمعرفة المستقبل ظاهرة تاريخية عرفها الإنسان في مراحل تطوره المختلفة ، على أن هذه الرغبة لا تقتصر على الأفراد ، بل تشمل السلطة السياسية التي انتشرت في أروقتها محاولات استطلاع المستقبل وما يحمله من احتمالات النصر والهزيمة أو ما يدبره في الخفاء الخصوم السياسية^(٣٦) .

وقد ظهر علم المستقبل الذي يرصد التغيير في ظاهرة معينة ، ويسعى لتحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال معين على غيره (٣٧)

ويعتقد أحد الباحثين^(٣٨) بأن ثمة أهمية للدراسات المستقبلية يمكن خلاصة أبرز محاورها في ما يلي :

- ١ . تحاول الدراسات المستقبلية أن ترسم خريطة كلية للمستقبل من خلال استقراء الاتجاهات الممتدة عبر الأجيال والاتجاهات المحتمل ظهورها في المستقبل والأحداث المفاجئة ، والقوى الدينامية المحكمة للأحداث .
- ٢ . تساعد الدراسات المستقبلية في التخفيف من الأزمات عن طريق التنبؤ بها قبل وقوعها ، والتهيؤ لمواجهتها .
- ٣ . ترشيد عمليات صنع القرار من خلال توفير مرجعيات مستقبلية لصانع القرار ، واقتراح مجموعة متنوعة من الطرق الممكنة لحل المشكلات . . . وتحسين قدرة صانع القرار على التأثير في المستقبل .

والذي تعتقده الباحثة بخصوص مستقبل الحشد في ظل الانتهاء من هزيمة الجماعات الإرهابية وفي مقدمتها تنظيم (داعش) أن الدور العسكري والأمني للحشد سيبقى مستمرا وأعتقد أنه من الواجب على الحشد الشعبي بعد النصر المظفر الذي حققه أبنائه المقاتلون وأنهوا التواجد العسكري لداعش في المدن العراقية ، أن يعدوا العدة ويبدأوا مرحلة مواجهة جديدة ، فلا يمكن أن يتناسوا الخطر الذي دفعوه والقرايين التي قدموها في سبيل صون أرض الوطن وشعبه ، وسيكون لهذا الحشد دور فاعل في منع وقوع المؤامرة مرة أخرى وتكرار سيناريو احتلال داعش لأراض واسعة من العراق

فالحشد الشعبي ليس بالقوة العسكرية التي تقاتل وتراجع إلى الثكنات ، بل الحشد مشروع استراتيجي يعمل على استقرار العراق وتحريره من الإرهاب الفكري والمسلح . فالحشد الشعبي يبرز كمشروع وطني دعت إليه المرجعية الدينية ، من خلال طرح نفسه كمدافع عن أرض العراق وكرامة شعبه ، وقد أثبتت النجاحات العسكرية التي حققها في ساحات القتال لكل العراقيين مدى وطنيته وحرصه على وحدة البلاد وحفظ الأموال

والأعراض والأنفس واستجابة لتوجيهات المرجعية، والحرص على دماء العراقيين من دون أن يميز بينهم على أساس الدين أو المذهب أو العرق^(٣٩).

وفي ظل الأوضاع القائمة، يبقى التهديد الإرهابي حاضراً كونه يتلقى الدعم من الدوائر الدولية والإقليمية التي تشعر بأن الحشد يشكل خطراً على مشاريعها وأهدافها ومصالحها في المنطقة.

فقد ارتكزت المعادلة الأمريكية في العراق على أساس وجود حلفاء وأعداء داخل وخارج العراق، فالولايات المتحدة الأمريكية تسعى للتوفيق بين مصالحها الخاصة ومصالح حلفائها الاستراتيجيين - دول الخليج وإسرائيل وتركيا - في حين يتمثل الأعداء التقليديون للولايات المتحدة بإيران وسوريا والمقاومة الإسلامية بما فيها الحشد الشعبي^(٤٠).

وعلى هذا الأساس وظفت الولايات المتحدة الأمريكية الإرهاب لجعل العراق ساحتها الكبرى في العالم، فظل الأمن والاستقرار في العراق مرتبكاً، بالرغم من جميع الجهود السياسية والأمنية التي بذلت من أجل احتواء الإرهاب، وكان أكبر خرق أمني واجهه العراق سقوط مدينة الموصل بيد أجهت داعش في (١٠/٦/٢٠١٤م).

وفي حديث سابق لعضو هيئة الرأي، القيادي في الحشد الشعبي (كريم النوري) قال:

(إن لداعش خلاياه النائمة التي ما زالت متواجدة وتبادر بين الحين والآخر إلى القيام بعمليات إرهابية تستدعي ضرورة التصدي لها من قبل الحشد الشعبي الذي يحتاج إلى فترة طويلة نسبياً لإخراج هذه الجماعة من دائرة التهديد)^(٤١).

وعليه ستبقى قوات الحشد الشعبي بمثابة القوة الضاربة التي تقف على أهبة الاستعداد على الدوام للتصدي للتهديدات والمخاطر الإرهابية أينما ظهرت في مختلف مدن العراق.

فالحشد الشعبي سيكون صمام الأمان على ضوء تصديه للإرهاب من جهة، ومن جهة أخرى حمايته لكيان الدولة ونظامها السياسي ضد أي خطر يمكن أن تتعرض له.

وقد أثبت الحشد الشعبي أنه القوة الوحيدة - إلى جانب القوات المسلحة العراقية - القادرة على حفظ البلد وسلامته من تمدد داعش، ولا سيما أنه يمتلك العقيدة الدينية الكافية التي استمدت زخمها من فتوى المرجعية الدينية، فضلاً عن الخبرة الواسعة التي

امتلكتها فصائل الحشد في حرب الشوارع، يؤيد ذلك ما تحققه من انتصارات باهرة في كافة المناطق وبمدة قصيرة فاقت تصور حتى الولايات المتحدة الأمريكية.

والحشد الشعبي يمتلك الشرعية القانونية للقوات المسلحة، فقد جاء في قانون رقم (٤٠) لسنة ٢٠١٦ والذي أطلق عليه قانون هيئة الحشد الشعبي ما يلي^(٤٢):

المادة الأولى:

أولاً/ تكون هيئة الحشد الشعبي المعاد تشكيلها بموجب الأمر الديواني المرقم (٩١) في ٢٤/٢/٢٠١٦م تشكيلاً يتمتع بالشخصية المعنوية، ويعد جزءاً من القوات المسلحة العراقية، ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة.

ثانياً/ يكون ما ورد من موارد الأمر الديواني (٩١) جزءاً من هذا القانون، وهي:

١. يكون الحشد الشعبي تشكيلاً عسكرياً مستقلاً وجزءاً من القوات المسلحة العراقية ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة.

٢. يتألف التشكيل من قيادة وهيأة أركان و صنوف وألوية مقاتلة.

٣. يخضع هذا التشكيل ومنتسبوه للقوانين العسكرية النافذة من جميع النواحي.

٤. يتم تكليف منتسبي ومسؤولي وأمري هذا التشكيل وفق السياقات العسكرية من تراتبية ورواتب ومخصصات وعموم الحقوق والواجبات.

ما تجدر الإشارة إليه أن المادة الرابعة من قانون الحماية القانونية للحشد الشعبي الذي أقره البرلمان العراقي بتاريخ ٢٦/١١/٢٠١٦م استناداً إلى أحكام البند من المادة (٦١) والبند (ثالثاً) من المادة (٧٣) من الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥م تنص على ما يلي:

تخول فصائل وتشكيلات الحشد الشعبي بموجب هذا القانون حق استخدام القوة اللازمة، وكذلك تحرير المدن، والقيام بكل ما يلزم لردع التهديدات الأمنية والإرهابية التي يتعرض لها العراق.

كما تلزم المادة الخامسة من القانون الحكومة العراقية ومجلس النواب بتهيئة مستلزمات واحتياجات تشكيلات الحشد الشعبي العسكرية وغيرها، مما يتطلب قيامها بأنشطتها الأمنية والعسكرية في حال وقوع التهديد الأمني للعراق أو ما يتطلبه بقاؤها في حالة الجهوزية التامة لردع تلك التهديدات.

وعلى هذا الأساس لا ترى الباحثة في الدعوات المحلية والإقليمية والدولية بحل تشكيلات الحشد الشعبي، سوى خروج على القانون والشرعية من جهة، ومحاولة الإبقاء على ديمومة التهديد الإرهابي بغية تحقيق مشاريع سلطوية على حساب الأمن والاستقرار.

قائمة المصادر:

- ١ - ديفيد ديوك : أمريكا إسرائيل و ١١ أيلول ٢٠٠١م
و ترجمة : سعد رستم ، دار اليازودي العملية للنشر
والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٧٨
- 2 - JSJUA S. Gold stein (Author), John R. Freeman (Author) Three ways street: strategic Reciprocity in world politics, university of Chicago press, 1990, pp.11-13
- ٣ - محمود عرابي : الاتحاد السوفياتي تحت يادة غوريا تشوف ، الفكر الاستراتيجي العربي و معهد الإنماء العربي ، العدد ٣٨ ، تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩١م ، ص ١٠ - ١١
- ٤ - خليل حسين : قضايا دولية معاصرة ، الفصل الثالث ، القوة الدولية ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ١٥٧ - ١٥٩
- ٥ - إسماعيل صبري مقلد : الاستراتيجية في السياسة الدولية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط ٢ ، ١٩٨٤م ، ص ١٣
- 6 - Chandra, international politics, new Delhi 1982, p149
- 7 - Ed ward Golick, Europe, s classical balance of power, camel university, 1955 p392
- ٨ - خليل حسين : مشروعية أعمال المقاومة في
- القانون الدولي الإنساني ، دراسة قدمت إلى مؤتمر دعم المقاومة ، بيروت ، ١٥ - ١٦ / كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٧م
- 9 - mischief bassoon (author), international terrorism and political crimes, Charles c Thomas pub td, 1975,pp.22.23
- 10- An over view of international terrorist organization, government printing office 2003, pp315-
- ١١ - عبد الناصر حريز : الإرهاب السياسي / دراسة تحليلية ، مكتبة مديولي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٦٨
- 12- Walter Reich (author), Walter liqueur (foreword): origins of terrorism: spy ecologies, theologies. State of mind. Woodrow Wilson center press, its edition, 1998, p.109
- ١٣ - عبد الرحمن بن سليمان : نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٦
- 14- Gerry Schumacher, store Ginseng (Editor), A Bloody Baseness, America's war zone contract actors the occupation of Iraq, zenith pres., 2006, p.2
- ١٥ - محمد حسنين هيكل : الإمبراطورية الأمريكية

- 26- Michael F. optiz, Michael p. ford, Reaching Readers: Flexable and Innovative strategies for Guided Reading, Heine mann, 2001, pp 81 – 92
- ٢٧- عبد العالي العبدوني : الحشد الشعبي كآلية فعالة لمواجهة الجيل الرابع من الحروب و مواجهة الإرهاب العابر للحدود أنموذجا في و مواجهة داعش و مصدر سابق و ص ٣١٢
- ٢٨- إياد عبد الرزاق : النزاع المسلح الدائر في العراق بين القوات الحكومية وتنظيم داعش / دراسة في ضوء القانون الدولي الإنساني ورسالة ماجستير مقدمة لمعهد العلمين للدراسات العليا و ٢٠١٦م و ص ٧٦
- ٢٩- محمود حيدر : لاهوت الغلبة / التأسيس الديني للفلسفة السياسية الأمريكية و دار الفارابي ومركز دلتا للصحافة والأبحاث و ط ١ و ٢٠٠٩م و ص ٨١
- ٣٠- نعموش تشومسكي : الدول المارقة . . . حكم القوة في الشؤون الدولية و دار الكتاب العربي و نينوى للدراسات و دمشق و ط ١ و ٢٠٠٣م و ص ٤٧
- ٣١- عدي فالح حسين : الحشد الشعبي و رهانات إسقاط العملية السياسية في العراق / الخيار الناتج و مجلة دراسات إسلامية العدد ٨ و أيلول ٢٠١٥م و ص ٧٨
- ٣٢- الموقع الإلكتروني لقناة العالم الفضائية www.alaam.ir/news/164360
- ٣٣- الموقع الإلكتروني لقناة العالم الفضائية www.alaam.ir/news/1628552
- ٣٤- الموقع الإلكتروني لوكالة التفسير نيوز http://www.alaam.ir/news.net/index.php
- ٣٥- الموقع الإلكتروني لصحيفة المراقب العراقي http://www.almuraqeb-aliraqi-org
- ٣٦) وليد عبد الحي : الدراسات المستقبلية النشأة والتطور والأهمية, موقع بحوث: الانترنت والإغارة على العراق و دار الشروق و القاهرة و ط ١ و ٢٠٠٣م و ص ١٨
- ١٦- دانييل غانسر : الجيوش السرية للناطو - عملية الخنجر والإرهاب في أوروبا الغربية
- Nato's secret armies – operation gladio and terrorism in western Europe.
- 17- Michel walker, just and un just war, new York: basic, 1992, p. 185.
- 18- Andrew Mack, why big nations lose small world, the politics of Asymmetric conflict, January, 1975, p.175
- 19- Andrew Kurt Cronin behind terrorism, Globalization and international terrorism, lunch, winter, 2002, p.3
- ٢٠- كارينز أزمغست وإيفان م. أريغوين : مبادئ العلاقات الدولية و ترجمة : حسام الدين خضور و دار الفراق للطبع والنشر والتوزيع و دمشق و ط ١ و ٢٠١٣م و ص ٢٧٩
- ٢١- محمد طه بدوي : مدخل إلى علم العلاقات الدولية و دار النهضة العربية و بيروت و ط ١ و ٢٠١٤م و ص ١٣٨
- ٢٢- محمد ناجي صبحة : حرب العصابات بين النظرية والتطبيق الفلسطيني و مؤسسة فلسطين للثقافة و سوريا و ٢٠٠١م و ص ٢٢
- ٢٣- عبد العزيز المقرن : معسكر البتار و العدد الأول و ١٢٤٥هـ و ص ٦٥
- ٢٤- عمار علي حسن : حرب العصابات . . . تعريفها وأشكالها ومخططاتها و مجلة درع الوطن http://www.nationshield.ar/home/details/research.
- 25- Stephen J. Cymbalta: Nuclear Strategy in the Twenty – first Century, Prager publishers, 2000, p.49

<http://gov. gl/wp6rgR>

٣٧- مالك عبد الله المهدي : ماهية مفهوم ودلالات الدراسات المستقبلية , ورقة بحثية , ملتقى الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية , الخرطوم , شباط ٢٠١٥م , ص ١١ , وينظر جمال زهران : المستقبلية في علم السياسة الحديث , المجلس الأعلى للجامعات , اللجنة العلمية للعلوم السياسية والإدارة العامة , القاهرة , ١٩٩٩م , ص ١١٠

٣٨- د. محمد ابراهيم منصور : الدراسات المستقبلية : ماهيتها وأهمية توطينها عربياً , مجلة المستقبل , مركز دراسات المستقبل في جامعة أسيوط , العدد ١٣٢ , ربيع ٢٠١٣م , ص ١٥

٣٩- د. واثق الهاشمي : أداء الحشد الشعبي , صحيفة المواطن , العدد ٣٨٧ , بتاريخ ٢٠١٧/٣/٢١م

٤٠- محمد سامي الجابري : المشروع الأمريكي في العراق , مصدر سابق , ص ٣٨٩

٤١- مقابلة أجرتها الباحثة مع القيادي في الحشد الشعبي كريم النوري بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٥م

٤٢- جريدة الوقائع العراقية , العدد ٤٤٢٩ بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٢٦ .

مستقبل إدارة التنوع وآلياته في العراق

م.م زهراء عبد الأمير الحربي

المستخلص:

تمثل إدارة التنوع واحدة من أهم الآليات التي تتبعها الدول للتعامل مع التعددية الاجتماعية والتنوعات المختلفة داخل دولها، حيث تعمل من خلال سياسات متعددة ذات سمات سياسية ودستورية واجتماعية على تمكين النظام السياسي من استيعاب جميع المكونات والانتماءات التي تتكون منها الدولة. وتجعل عملية التعايش السلمي واحدة من أهم سمات الدولة اجتماعياً وسياسياً.

إن الهدف من تمكين إدارة التنوع كسياسة عامة للنظام السياسي هو توفير البيئة المناسبة للتعددية الثقافية وللانتماءات الفرعية مما يجعل محصلة عمل النظام من خلال السلطة التنفيذية والتشريعية متناسباً مع الأهداف التي يقصدها النظام السياسي خاصة في الدول التي تمر في مراحل انتقالية كالحالة مع العراق، إذ إن ضمان توافر سياسات إدارة التنوع يساعد في استقرار النظام السياسي ودعم سياسات التنمية في البلد.

The Future of Managing Diversity in Iraq and Its Mechanisms

Abstract:

Diversity management represents one of the most important mechanisms that countries follow to deal with social pluralism and diversity within their countries, as it works through multiple policies with political, constitutional and social features to enable the political

system to accommodate all components and affiliations that make up the state. It makes the process of peaceful coexistence one of the most important social and political features of the state. The goal of enabling diversity management as a general policy for the political system is to provide the appropriate environment for cultural pluralism and sub-affiliations, which makes the outcome of the system's work through the executive and legislative authority proportionate with the goals intended by the political system, especially in countries going through transitional phases such as the case of Iraq, as ensuring the availability of diversity management policies help in stabilizing the political system and supporting development policies in the country.

المقدمة

إن التعدد الاجتماعي ظاهرة ملازمة للمجتمع البشري منذ عرف هذا المجتمع ظواهر التبادل السلعي والملكية الخاصة والدولة، بل قبل ذلك وبعده فإن التمايزات الثقافية والعرقية والدينية بما تفرضه من تمايزات في الرؤى والمواقف السياسية هي تمايزات ملازمة لطبيعة المجتمع البشري ذاته.

والتعدد تأكيد، وإقرار، وتسليم لعالم متنوع ومختلف، وغداً أحد ثوابت آلية الحياة المعاصرة، وكيفية إدارته والتعامل والتفاعل معها سيقود بشكل أو بآخر، إلى بلورة الملكية الذاتية والاحترام والتسامح والحوار والمرونة في حوارنا وتعايشنا مع الآخر.

وتعتبر الاختلافات أو التعددات عن ذاتهما في الهويات الثقافية والبرامج الاقتصادية والاعتقادات الدينية والتجمعات الإثنية والأنظمة السياسية وغيرها، فلم يعد كافيًا تشخيص التعدد وإنما كيفية تجسيده عملياً باعتباره حقيقة واقعية حاضراً، كما كانت في الماضي وستكون في المستقبل، ولا تعني الاختلافات أو التعدد علامات الفشل أو دلائل الخطأ أو عدم القدرة في الوصول إلى جواب واحد كما يرى البعض، فالسياق التعددي الثقافي، على سبيل المثال، هو عنصر ضروري لترجمة القيمة الموضوعية في الواقعين السياسي والأخلاقي، كما أن السياق التعددي الاقتصادي، كمثال ثانٍ، هو حالة أساسية لإحداث الحركية في الأسواق المحلية والعالمية.

أهمية البحث

لدراسة ظاهرة التعدد والتنوع في المجتمعات وآليات إدارته في هذا البحث أهمية بالغة وذلك لأن حالة أو ظاهرة التعددية بمعنى: التنوع والاختلاف، هي ظاهرة إيجابية، وحالة صحية في حياة الشعوب والمجتمعات، ولا تمثل أيّة مشكلة، ولا تثير إشكاليّة، لا سيّما إذا ما أحسنا التعامل معها. ولكن تظهر المشكلة حينما يساء التعامل مع هذه التعددية، ونتعامل معها على وفق مفهوم الانقسامية، وذلك طبعاً يؤدي إلى حالة سلبية تهدد أمن المجتمع واستقراره، إذ أصبح حديث الوحدة عبر الاختلاف والتنوع هو الخطاب السياسي السائد بعد أن كان خطاب الوحدة من خلال الانصهار والاندماج هو أسلوب الخطاب السائد في كثير من بلدان العالم.

هدف البحث

وفي سياق البحث العلمي لا بُدّ لنا من مناقشة موضوعة التعددية، وقراءتها قراءة جادة، وموضوعية، إذ تسود العالم اليوم نزعات شرّ تُنذر بخطر اندلاع الحروب الأهلية، والنزاعات الداخلية، ذات الصبغة القومية، أو الدينية والمذهبية، كما شهدتها مجتمعات مختلفة على امتداد دول العالم من تحديات لأنماط إدارة التنوع والاختلاف وما ينجم منها من صراعات في هذه المجتمعات. ومناقشة أهم آليات إدارة هذه المجتمعات التعددية التي تُسهم ببناء مجتمعات متعددة متألّفة بعيداً عن النزاعات وعدم الاستقرار.

إشكاليّة البحث

تنطلق إشكاليّة الدراسة من التساؤل عن مدى قدرة النظام السياسي العراقي على تطبيق آليات وسُبل ناجعة عملية ومدرّوسة لإدارة التنوع في مجتمع متعدد ومتنوع منذ الخليقة عانى الكثير من مشكلات التعايش والاستقرار وفقدانها ثقافة الحوار واحترام الآخر، فضلاً عن عدم الاعتراف بثقافة وهوية الجماعات المتميزة الأخرى، لكن إذا ما أحسن إدارة هذه المجتمعات بآليات تتماهى مع هذا التنوع فهل تنتج مجتمعات مثقفة ومتفاعلة من خلال قبول الآخر واحترام الهوية وخصوصية الجماعات الأخرى؟

فرضية البحث

توجد الكثير من الآليات للتعامل مع المجتمعات المتعددة والعراق مجتمع بأطياف وألوان متميزة مستفيدة من ميزة التنوع فيما إذا تم تطبيقها بالشكل الصحيح منعكسة بأثار إيجابية على نمو هذه المجتمعات .

منهجية البحث

اعتمدت الدراسة على مقتربات تاريخية ومنهج التحليل النظمي .

المبحث الأول

مفهوم التعدد والتنوع وأشكاله

١- مفهوم التعدد:

يعود أصل التعدد للدلالة إلى "عدّ" وتعني حسب وأحصى ، و«عَدَدَ الشيء وأحصاه و«عَدَدَت الشيء جعلته ذا عدد "تَعَادَ القوم: عدَّ بعضهم بعضًا ، «تَعَدَّدت» صار ذا عدد، والعديدة»: الحصة والنصيب ، ويتضح من المعاني السابقة أن الكلمة تعني عدم التفرد. (١)

ولا يختلف الأمر في اللغة الإنجليزية حيث تعني كلمة (Pluralism) أن هناك تعددًا وعدم أحادية في الأصعدة المختلفة. (٢)

على الصعيد الاصطلاحي ، تتعدد التعريفات المقدمة لمفهوم التعدد ، فيذهب قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيعرف التعدد على أنه عبارة عن «تنظيم حياة المجتمع وفق قواعد عامة مشتركة تحترم وجود التنوع والاختلاف في اتجاهات السكان في المجتمعات ذات الأطر الواسعة ، وخاصة المجتمعات الحديثة حيث تختلط الاتجاهات الإيديولوجية والفلسفية والدينية». (٣) وهناك التعريف الفلسفي للتعدد ، كما يرى (دنليفي وأوليري) ، الذي يستند أساسا إلى استحالة فهم الحقيقة عن طريق جوهر واحد أو مبدأ واحد ، أي أنها النقيض من الواحدية. (٤) يمكن إجمال التعريفات المختلفة التي قدمت لمفهوم التعددية في مجموعتين أساسيتين هما :

- ١ . التعريفات الشكلية التي حاولت رسم حدود للمفهوم وبيان معالمه بوجه عام وحاولت الربط بين التعدد والتنوع والاختلاف والربط بين معنى التعدد وبين مجال القانون والدولة ، والتفرقة بين الدور التحرري الهادف لتبرير مطالب جماعة معينة في احترام معتقداتها في مواجهة تعسف الجماعات الأخرى ، والدور السلبي المستخدم لتبرير الاستغلال والتمييز ضد جماعة معينة دون الجماعات الأخرى .
- ٢ . التعريفات الموضوعية وهي التي حاولت أن تنفذ لصميم الظاهرة وبالتالي تنوعت بحسب موضوع التعدد وربطت بين مفهوم التعدد وبين عملية التفاعل بين كتلتين سياسيتين واجتماعيين أو أكثر ، وفي المقابل فإن التعدد السياسي يمكن أن يكون هو ذاته نتاجاً وانعكاساً للتعدد الاجتماعي^(٥).

٢- مفهوم التنوع

إن التنوع هو حقيقة اجتماعية قائمة في الفكر الإنساني سواء كان هذا التنوع ثقافياً أو دينياً أو عرقياً أو قومياً ، ضمن ثقافة واحدة أو مجموعة ثقافات ، فثقافة الاختلاف ، والتعايش معها يمثل القاعدة الإنسانية الصلبة التي تستند إليها المجتمعات المتنوعة في بناء وإدارة هذه المجتمعات المتنوعة ، فقبول الآخر بلا تمايز ديني أو عرقي أو طائفي هي مفاهيم عميقة مؤمنة بالتنوع ومدركة به ، وهناك ضرورة لإدراك هذا التنوع ، لا سيما في عالم غني بالواقع والمعطيات ، وأن قضية التنوع والاختلاف بين أبناء النوع الإنساني من أهم التحديات التي تحول دون التعايش والاندماج وتطوير التجارب الإنسانية الصحيحة والمنتجة ، فطالما كان الاختلاف المؤسس على التنوع سبباً في التناحر والتصادم جراء الفشل في وعي حقيقة الاختلاف ، ومدى استحقاقه الطبيعي ، والحلول المقترحة للحيلولة دون جعله أزمة تشمل الحياة الإنسانية ، وتقضي على إمكانيات إبداع التجارب الإنسانية^(٦) . والتنوع لغةً: يفيد أن مفردة التنوع في معجم المعاني الوجيز تعني الاختلاف بالقول (تَنَوَّعَ - يَتَنَوَّعُ - تَنَوُّعًا - فهو متنوع) تنوع الشيء اختلف ، وتصنف ، فتنوع الصور اختلاف ألوانها واشكالها وأحجامها^(٧) . بيد أن التنوع هنا لا يعني الاختلاف الجذري والشامل في أصل الأنواع ، وإنما الاختلاف في بعض الصفات والتشابه في أخرى .

أما اصطلاحاً فقد وردت عدة تعاريف لمفردة التنوع حيث تم تعريفه كصفة من صفات الخصائص البشرية ، وهذا التنوع يشتمل على التباين في العوامل الديموغرافية كالعمر

والنوع والحالة الاجتماعية، و العوامل الثقافية كالعرق والجنس واللغة والديانة . وبهذا يمكن النظر إلى التنوع بأنه ينطبق على جميع أفراد المجتمع ، ولا ينحصر في بعض الاختلافات التعسفية ، ولا يختص بطائفة معينة وإنما يشمل جميع الاختلافات الفردية التي تميز كل شخص عن الآخر ، لذلك لا يمكن التعامل مع التنوع على أنه يخص الفروق العنصرية الدينية أو العرقية ، بل يتعدى ليشمل كل الاختلافات المجتمعية ثقافياً واجتماعياً وسياسياً^(٨) . كما أن مفهومي التنوع والاختلاف هما مرادفان للتعدد والتنوع تحمل معاني متشابهة في كل مظاهر الحياة ولذلك فالحديث عن التنوع يقترب كثيراً من الحديث عن التعددية إن لم تكن هذه المفردة هي بعينها من مرادفات التعددية^(٩) ، لذا يصح القول لمجموعة معينة إنها متعددة ومترادفة للتنوع يرادف التعدد وكلاهما يرادف الاختلاف ، من حيث إن الاختلاف يقتضي التعدد في الشيء أو الفكر لكون الاختلاف ضد الاتفاق .

٣- التعدد والتنوع المجتمعي:

المجتمعات المنفتحة تتمتع بدرجة عالية من التداخل المصلحي وبدرجة عالية من العضويات المتداخلة (Overlapping Memberships) ، أي أن الأفراد هم غالباً أعضاء في عدة منظمات وجمعيات طوعية ، فيصبح سلوكهم أكثر اعتدالاً لأنهم مرغمون على التوافق بين عدة مصالح ، هم أعضاء في مؤسسات لها ، أما المجتمعات التعددية فتتصف بأربع مميزات وهي:^(١٠)

- ١ . تباينات تتمتع بدرجة متفاوتة من الثبات لا تتبدل كتبدل الرأي العام .
 - ٢ . تصنيف اجتماعي لبعض المجموعات بسبب الاختلاف الديني أو اللغوي أو العرقي .
 - ٣ . تنظيم هذه المجموعات ضمن مؤسسات تحتية تربية واجتماعية وإعلامية ودينية وغيرها تتوفر عدة أسس لقياس درجات التعدد في المجتمع .
- إن المجتمع التعددي هو المجتمع المجزأ بفعل الانقسامات الدينية أو الأيديولوجية أو اللغوية أو الجهوية أو الثقافية أو العرقية ، كما أنه المجتمع الذي تنتظم بداخله الأحزاب السياسية ، ومجموعات المصالح ، ووسائل الإعلام والمدارس ، والجمعيات التطوعية ، على أساس الانقسامات المميزة له ، ويعرف البعض المجتمع التعددي على أنه نقيض المجتمع الوطني المنصهر ، فهو مجتمع كوّن من عدة طوائف في إطار سياسي واحد.^(١١)

٤ - آليات إدارة التنوع

تشكل مسألة إدارة التنوع تحديًا كبيرًا للعديد من البلدان التي تفتقر إلى آليات لحسن إدارته، الأمر الذي يولد لدى المجتمعات التعددية بلا أدنى شك إحساسًا بالغبن والشعور بعدم الانتماء، وغالبًا ما يؤدي ذلك إلى اندلاع الثورات وحركات التمرد، لذا ينبغي أن يكون نظام الحكم وشكله ومضمونه متوافقًا مع تطلعات وآمال التعددية المكونة للوحدة السياسية، وعليه سنتناول في هذا المبحث آليات إدارة التنوع وهي:

١- الآليات الاستيعابية.

٢- آليات متعلقة بالسياسة العامة.

تُعد آليات الاستيعاب إحدى السبل لإدارة التنوع، يسعى النظام السياسي من خلاله إلى تقليص الخلافات بالتركيز على القواسم المشتركة وإعطائها قيمة تفوق الاختلاف، وحفظ الحقوق والمشاركة للمكونات جميعها في المسؤولية والبناء التنموي، ويقصد بآلية الاستيعاب تنازل أو فقدان مجموعة من الصفات أو العادات أو الولاءات لجزء معين من هويتها الأصلية عن طريق تشجيعها للاعتماد على لغة الأكثرية وثقافتها كثقافة عامة^(١٢).

أ- آليات الاستيعاب والدمج: وتعني محاولة الدولة التعامل مع الاختلاف والتنوع بطرق سلمية تساومية و بإشراك جميع الأطراف المتنوعة والتي تتمثل أبرز آلياتها بما يلي:

- الاستيعاب الثقافي: ويعني إذابة الثقافات المختلفة في إطار الثقافة العامة السائدة وترتكز هذه الآلية على أدوات نظام الحكم كإنشاء نظام تعليمي واحد، وإخضاع كافة المواطنين لمناهج تربوية واحدة الأمر الذي يؤدي إلى خلق أجيال جديدة بلغة وتقاليد وثقافة واحدة مما يؤدي لاختفاء الجماعة المستهدفة مع مرور الزمن، وصهر مختلف التنوعات والاختلافات الثقافية في قالب واحد يمثل ثقافة الدولة^(١٣).

- الاستيعاب المادي: الاستيعاب المادي ويهدف هذا النوع إلى صهر الهوية المختلفة داخل الهوية القائمة والمسيطرة أو إنشاء هوية جديدة هي الهوية الوطنية غالبًا، وذلك من خلال استخدام أساليب اجتماعية قائمة على بناء علاقات التزاوج والمصاهرة والاختلاط الاجتماعي.

• الاستيعاب المؤسسي: الذي يقوم على تكوين مؤسسات سياسية يشارك فيها أبناء مختلف الجماعات على أسس وطنية ورفض إنشاء هذه المؤسسات السياسية والاجتماعية استناداً إلى معايير وأسس وعوامل الاختلاف، ويعد هذا النوع هو الأهم من الاستيعاب لأنه يساهم في إشراك أغلب أفراد الجماعات المتنوعة في كافة الأنشطة والبياديين^(١٤).

ب - آليات قسرية: وهذا النوع من الآليات ينطلق من فرضية النموذج الصراعى للمجتمع المتنوع التي تقوم على وجود جماعات مهيمنة، لذا فإنها تتخذ من أساليب القسر والإكراه منهجاً للتعامل مع التعدد انطلاقاً من هذه الفرضية وتتخذ إستراتيجيات عدة:

• إستراتيجية هيمنة الوحدة في التنوع: ويقصد بها إيجاد ثقافة مهيمنة في المجتمع مع الحفاظ على خصوصية الثقافات الأخرى، وعندما تتبع هذه الإستراتيجية فهذا يعني أن هنالك تمييزاً على أسس إثنية أو قومية أو دينية، وأن هنالك محاولة لتذويب الجماعات المختلفة ضمن الجماعة الأم^(١٥). وفي المقابل فإن الجماعة المستهدفة بالهيمنة تتعامل مع هذه الإستراتيجية بطرق عدة، فقد تلجأ هذه الجماعة إلى خيار الاستسلام والاستيعاب والذوبان داخل الأغلبية، وقد تلجأ في حالات أخرى إلى رفض الهيمنة ومحاولة اللجوء إلى الطرق التفاوضية للتعايش السلمي عن طريق الحصول على استقلال ذاتي في بعض القضايا كاللغة أو الدين^(١٦).

• إستراتيجية التطهير الإثني والعرقى: وهي من الإستراتيجيات التقليدية التي كانت تتبعها الأنظمة القديمة وتهدف إلى القضاء على الجماعات المختلفة عن تركيبة المجتمع من خلال القضاء المادي المباشر أو بسياسة التهجير القسري إلى مناطق بعيدة في أطراف الدولة، وتؤكد التجارب التاريخية فشل هذه الإستراتيجية في حل مشاكل التنوع الذي لا يمكن أن يقوم على إنكار وجود الآخر بل من خلال إجراءات دستورية قائمة على بناء هوية وطنية قوامها العدالة والمساواة وضمن حقوق كافة المكونات^(١٧).

آلية التقسيم: إن المطالب الانفصالية للمكونات تمثل تهديداً كبيراً للنظام السياسي في ضوء ما تطرحه من تحدٍ لوحدة الدولة، إلا أن النظام السياسي لا يجد أحياناً من سبيل أمامه إلا التعامل مع هذه المطالب والإقرار بها والاستجابة لها ويعتبر الأخذ بمبدأ حق تقرير المصير هو الصورة الشائعة لتطبيق سياسة التقسيم^(١٨).

٢- آليات متعلقة بالسياسة العامة: وهي السياسات العامة التي تتبعها الدول المتعددة والمتنوعة قومياً ودينياً، فنجاح هذه السياسات في تحقيق تنمية المجتمع والارتقاء به على المستويات الاقتصادية والثقافية والسياسية، ينعكس إيجابياً على الاستقرار في المجتمع والدولة، لذلك سنتطرق إلى السياسات العامة التي تتبعها الدول في إدارة مجتمعاتها التعددية، وكما يأتي:

- السياسات الاستخراجية: وهي قدرة النظام السياسي على تعبئة الموارد المادية والبشرية من البيئة الداخلية أو الخارجية، وتمارس كل النظم بلا استثناء تلك السياسة. وتعتبر الضرائب والخدمة العسكرية أكثر السياسات الاستخراجية شيوعاً حيث إنه بالإضافة إلى دورها في تعبئة الموارد التي يستلزمها الإنفاق العام فإن الضرائب تعتبر أداة هامة لإعادة توزيع الدخل ووسيلة لكبح جماح التضخم وزيادة فرص النمو، وترتبط حصيلة الإيرادات الضريبية بدرجة تقدم المجتمع ومدى كفاءة الجهاز الضريبي، وهي أيضاً تتوقف على طبيعة توزيع الثروة والدخل، إضافة إلى المذهب السياسي الذي يساعد في تبرير كيف ومتى وعلى ماذا تفرض الضرائب؟. فضلاً عن تحفيز وجلب الاستثمارات الخارجية والداخلية ودعم المنتج المحلي لتعديل الميزان التجاري للدولة بعيداً عن الواردات الخارجية. أما الإيرادات الخارجية المتمثلة بالمنح أو القروض التي تحصل عليها الدولة تكون مصدراً هاماً لتمويل خططها الإنمائية، وهذه المعونات يمكن أن يكون مصدرها دولاً أو منظمات دولية (كالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي)^(١٩)، إذ يعد نجاح الدولة في تلك السياسة عاملاً إيجابياً في زيادة الناتج القومي الذي بدوره ينعكس على الوضع العام للدولة، والذي يتضح بصور عدة ومنها، تحقيق تسريع النمو الاقتصادي، خلق فرص عمل جديدة، رفع مستوى الدخل للفرد، وهذه العوامل تؤدي بدورها الإيجابي في إدارة التنوع المجتمعي.

- السياسات التوزيعية: وهي عملية توزيع القيم سواء المادية أو المعنوية على مكونات المجتمع المختلفة، إذ تمثل القيم المادية إعانات مالية كضمانات اجتماعية أو السلع والخدمات، فيما تمثل القيم المعنوية (الترقيات، الجوائز، الأوسمة)، والفرص الوظيفية والتعليمية على الأفراد ومكونات المجتمع ومراعاة العلاقة بين الاحتياجات البشرية والتوزيعات الحكومية لغرض تلبية تلك الحاجات

(٢٠). ومن أكثر الأمثلة شيوعاً باستخدام تلك السياسات وتحديدًا مع نخب تلك المكونات هو الميل لتخصيص مواقع اقتصادية وسياسية وحدده على أسس إثنية وهو ما يعرف بالهندسة الإثنية أو التوازن الإثني. وتقوم الدول أيضًا بسياسات لإعادة توزيع الموارد والقيم على الجماعات الأقل نصيبًا في الدولة عبر برامج تنمية وتخص كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والصحية، وفي نفس الوقت لا تهدف تلك السياسات إلى الاقتراع من نصيب جماعات معينة لصالح أخرى، وإنما توسيع عملية توزيع القيم إلى الجماعات التي لم تحظ باهتمام، كسياسة إعادة توزيع الأراضي في الدول التي تعرضت للاستعمار (٢١). ويتحقق ذلك بأكمل وجه حين تتم التغييرات في هياكل الإنتاج ونوعية السلع والخدمات المنتجة، بشرط أن تكون مصحوبة بتغيير في توزيع الدخل لصالح المواطنين الأقل دخلًا، وتلك المفاهيم ترتبط بعوامل لا بُدَّ لها أن تتوفر لإنجاحها ومنها (٢٢):

- إدخال التكنولوجيا الحديثة في القطاعات الصناعية والزراعية والخدمات.
- تحسين كفاءة العمال وأوضاعهم الاجتماعية لزيادة إنتاجية العمل.
- الاعتماد على الإنتاج المحلي للمواد الأولية.
- معالجة التفاوتات في توزيع الثروة والدخل.
- سياسات رمزية: ويقصد بها ابتكار وإيجاد واستخدام الرموز السياسية بمختلف مستوياتها (دينية، عسكرية، ثقافية، اجتماعية) لدعم الشعور بالموطنة والهوية الوطنية، وتغذي الإحساس بالولاء الوطني، وهي سياسة لتحشيد الرأي العام حول مواضيع القومية والوطنية وتعزيز الوحدة الوطنية بين أفراد المجتمع مثل، النشيد الوطني للدولة أو العلم أو شخصيات، فالدول تهتم بآثارها وتنشئ المتاحف لتذكير الناس بأجدادهم التاريخية التي يتضمنها تاريخ الأمة، إلا أن فاعلية السياسة الرمزية تتوقف في جانب منها على مدى فاعلية الاتصال بين النخبة الحاكمة والجماهير، في حال استخدم نظام الحكم رسالة رمزية لا يفهمها أو لا يعترف بها أبناء الجماعة أو جماعات معينة، قد تأتي بأثر عكسي في حال فهمها بشكل خاطئ من قبل الجماعة المستهدفة، الأمر الذي يتطلب ضرورة وعي النظام السياسي بواقع المجتمع ومتطلباته (٢٣).

• السياسة التنظيمية: وهي قدرة النظام السياسي في الرقابة على سلوك المواطنين والجماعات المختلفة في المجتمع، عبر تنظيم القوانين التي يتقيد بها الحاكمون والمحكومون ويرافقها الجبرية القانونية أو التهديد بها وحضور الدولة الدائم، وشعور المواطن بقدرتها وجدية جهازها المؤسسي في ممارسة مهامه^(٢٤).

• السياسات التنموية: برزت سياسات التنمية منذ الحرب العالمية الثانية، وفي بواكيرها ارتكزت على التنمية الاقتصادية بصورة رئيسية، إذ تسعى الدول عبر مجالات السياسات التنموية لاستيعاب أغلب متطلبات مكونات المجتمع المختلفة وما تمثله هذه السياسات من عامل إيجابي في إدارة التنوع ومن هذه المجالات:

١- المجالات السياسية: حيث تهدف الدول ذات المجتمعات المتعددة إلى غايات متعددة سعياً منها لتحسين آلية إدارة التنوع عبر ترسيخ فكرة المواطنة، باستخدام عوامل عدة منها زيادة مشاركة أفراد المجتمع في الحياة السياسية، وتعزيز سيادة الدولة من خلال تطبيق قوانينها وفعاليتها، فضلاً عن إضفاء الشرعية القانونية فيما يتصل بممارستها، مع مراعاة مبدأ الفصل بين السلطات وتوفير الوسائل الكفيلة بتحقيق الرقابة المتبادلة بين الهيئات، وترتبط تلك المفاهيم بعوامل لا بُدَّ من توافرها ومنها^(٢٥):

أ. تفعيل التعبئة والمشاركة الشعبية في الحياة العامة للدولة.

ب. تطوير النظام الإداري والقانوني في الدولة، بما يتناسب مع التحديات والظروف المتغيرة

ت. تبني الديمقراطية كنظام سياسي وتطوير آليات التنشئة السياسية.

ث. تحقيق الاستقرار السياسي بضمان التداول السلمي للسلطة.

٢- المجالات الاجتماعية: تستهدف هذه المجالات إلى ربط الجماعة القومية والدينية والعرقية جميعها في المجتمع، عبر إيجاد وسيلة للانسجام بينها، ومن ثم إيجاد نوع من الاتفاق حول القيم الضرورية للحفاظ على كيان الدولة العام، وتلك المفاهيم ترتبط بعوامل لا بُدَّ لها أن تتوافر ومنها تخفيف الفقر والقضاء على البطالة وتحسين جودة التعليم والصحة والرفاهية والنهوض بواقع المرأة اقتصادياً وعلمياً^(٢٦).

يتضح لنا مما سبق، أنه لا يوجد نموذج قابل للتعميم في آليات إدارة التنوع، لذلك فإن الدول تعمل بآليات وسياسات مختلفة ومتنوعة من أجل حسن إدارة التنوع في مجتمعاتها،

إلا أن أغلب الدول ذات المجتمعات المتنوعة اتجهت صوب الآليات الاستيعابية والتوافقية في إدارتها للتنوع، ولا يخفى دور التنمية الذي شمل أغلب القطاعات والمجالات في استيعاب كافة المكونات المتعددة للمجتمع، مما أسهم وبدور كبير في إنجاح عملية إدارة التنوع.

المبحث الثاني

الآليات المتبعة لإدارة التنوع في العراق

إن المجتمع العراقي متنوع لذا تحتم على النظام السياسي اتباع آليات تتماهى مع أهمية التنوع وكيفية إدارته، لذلك اتخذ النظام السياسي العديد من الآليات منها المتعلقة بشكل النظام السياسي كالفدرالية والديمقراطية التوافقية ومنها متعلق بالسياسات العامة المتبعة في إدارة المجتمعات المتنوعة لقدرتها على تحقيق أعلى مستوى من مطالب وطموح المكونات المجتمعية نتناولها في هذا المبحث.

آلية الفدرالية: أعتد النظام الفيدرالي كآلية من آليات إدارة التنوع في العراق وذلك بموجب دستور جمهورية العراق الدائم لسنة (٢٠٠٥)، وحيث إن الدستور هو انعكاس للواقع السياسي والاجتماعي الذي يعيشه البلد فقد جاءت الفيدرالية كترسيخ للواقع العراقي، توجد عدة أسباب تبرر اعتماد الفدرالية كخيار إستراتيجي لبناء نظام سياسي فاعل، ولإدارة التنوع في العراق وتتمثل فيما يأتي^(٢٧):

- تنوع المجتمع العراقي كونه لا يمثل طيفاً ثقافياً واحداً بل هو عبارة عن فسيفساء متعددة الألوان.

- وجود الاستقطاب الثقافي بين المكونات حيث تتميز مكونات المجتمع العراقي بوجود رغبة عالية من الاستقطاب الذاتي والرغبة في تأكيد الهوية الخاصة لكل منها، نتيجة لسطوة السلطة المركزية وإنكارها للمكونات العراقية.

- مواقف المكونات الثلاثة الرئيسية في العراق من الخيار الفدرالي المختلفة من هذا النظام والتي تمثلت بين مؤيد من قبل الشيعة ورافض من قبل السنة ومؤيد بشدة من قبل الأكراد.

وعلى الرغم من التجارب الفدرالية الناجحة في أغلب المجتمعات التعددية، إلا أن صيغة الفيدرالية العراقية التي طرحت، بأحكام وصور لم تكن معروفة في تجارب الدول الفيدرالية السابقة وغير منسجمة مع الواقع العراقي، لكون صيغة الفيدرالية في العراق أقرب إلى الكونفدرالية منها إلى الفيدرالية لذا عانت هذه الآلية من إشكاليات متعددة ومنها:

إشكالية مجلس الاتحاد

تتكون السلطة التشريعية في الدولة الاتحادية وكقاعدة عامة من مجلسين هما: مجلس الشعب ويسمى غالباً بمجلس النواب، وتوزع مقاعدهُ حسب عدد سكان كل ولاية، ويعد هذا المجلس أكثر تمثيلاً للشعب. أما المجلس الثاني فمجلس الولايات وفيه تمثل الولايات على قدم المساواة إذ يعطى كل ولاية عدد متساوٍ من الممثلين. فنظام المجلسين يعد من مقتضيات الاتحاد المركزي لضرورة حفظ التوازن بين مصالح دولة الاتحاد ومصالح الولايات^(٢٨). وبما أن العراق دولة اتحادية كما جاء في المادة الأولى^(٢٩) من الباب الأول من الدستور، وإقراره لمجلس الاتحاد في المادة (٦٥)^(٣٠)، إلا أن المشرع قد أهمل أهمية هذا المجلس لما جاء في المادة (٤٨) من الفصل الأول من الباب الثالث الخاص بسلطات الاتحاد، تتكون السلطة التشريعية الاتحادية من مجلس النواب ومجلس الاتحاد (مجلسين)، إن ترك مسألة تشكيل مجلس الاتحاد وعضويته وكيفية تمثيل الأقاليم فيه واختصاصاته إلى مجلس النواب أمر في غاية الخطورة؛ لأنه من المفروض أن يتساوى المجلسان في سلطة التشريع^(٣١). من جانب آخر فإنه إعطاء لمجلس النواب صلاحية تكوين هيئة تشريعية (كجزء من السلطة التشريعية) بقانون يخالف مبادئ القانون الدستوري، لأن الدستور هو الذي يختص بذلك وليس القانون العادي، وهذا ما يشكل حالة عدم التوازن الاتحادي ما بين السلطة الاتحادية والأقاليم في الدولة العراقية^(٣٢). الإشكالية الأخرى التي تثير الاستغراب بشأن مجلس الاتحاد أن المادة (١٣٧) من الدستور تؤجل العمل بأحكام المواد الخاصة بمجلس الاتحاد أينما وردت في هذا الدستور إلى حين صدور قرار من مجلس النواب^(٣٣)، وهذا ما يدفع البرلمان بالتأني في كتابة التشريع الخاص بمجلس الاتحاد.

- إشكالية تأسيس الأقاليم: تماهى الدستور العراقي لعام (٢٠٠٥) مع سمة التنوع والتعدد في المجتمع، حيث وضع الفدرالية (الاتحادية) كمبدأ شامل للعراق الجديد، ويتكون النظام الاتحادي بحسب المادة (١١٦) من عاصمة وأقاليم ومحافظة لامركزية وإدارات محلية^(٣٤). إلا أن المادة (١١٧) الفقرة الأولى أقرت مسبقاً بإقليم كردستان وسلطاته القائمة إقليمياً اتحادياً، أما الفقرة الثانية من المادة نفسها فأقرت بالأقاليم الجديدة التي تؤسس وفقاً لأحكامها، هنا تكمن إشكالية المشرع فكيف يمكن إيجاد تقسيم للأقاليم يخرج عن تأثير الكتل والتيارات المتناقضة في مجلس النواب نفسه؟، وهو ما حدث بالفعل عندما تعالت الدعوات لتشكيل الأقاليم جراء الخلافات والانقسامات بين الكتل السياسية، وكانت الدعوات لإقامة إقليم الوسط والجنوب الذي يضم جميع محافظات الوسط والجنوب بما فيها بغداد الذي طرحها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، لكن رفض التيار الصدري خشية تقسيم العراق حال دون ذلك. وأيضاً تعالت الأصوات من الإقليم الغربي ويقصد به محافظات (الأنبار وصلاح الدين والموصل)، وقد طرح من قبل محافظ الأنبار (فصال الكعود)، لكنه تعرض هو الآخر للنقد والرفض من قبل المحافظات الثلاث^(٣٥). أما المادة (١١٨) فتثير إشكالية أخرى، أنه بإمكان مجلس النواب وبالأغلبية البسيطة للأعضاء الحاضرين أن يقرروا القانون الذي يحدد الإجراءات الخاصة بتكوين الإقليم^(٣٦)، هذه المادة تعد استهانة بمسألة مهمة وهي تقسيم البلاد، أي بإمكان التيارات والكتل أن تضع القوانين المناسبة لها وفق الشروط والضوابط التي لا تعارض مصالحها بلا النظر إلى مصالح مكونات المجتمع المتعددة، وبهذا يمكن الموافقة على تكوين إقليم حتى وإن كان إقليمياً على أساس طائفي. من جهة أخرى نجد أن المادة (١١٩) أجازت السهولة في تكوين إقليم حيث نصّت على أنه يحق لكل محافظة أو أكثر أن تكون إقليمياً بناءً على طلب بالاستفتاء عليه^(٣٧). هنا نجد أن الفدرالية في العراق تخرج عن كونها اتحاداً طوعياً بين القوميات المتنوعة في البلد الواحد، إنما تتعداه إلى ما يمكن أن يؤدي إلى فدرالية طائفية.

- إشكالية توزيع السلطات: أثار دستور العراق (٢٠٠٥) الدائم في الباب الرابع منه إشكاليات عديدة في توزيع الاختصاصات بين سلطة الاتحاد وسلطات الأقاليم وحدودها وطبيعتها ومنها:

أ- جرى الفقه الدستوري على أن تنظم الدساتير الفيدرالية السلطات بين الحكومات الاتحادية والحكومات المحلية من خلال عدة أساليب فالبعض منها يذكر صلاحيات السلطات الاتحادية على سبيل الحصر، ويترك بقية الصلاحيات للحكومات المحلية، بينما يذكر البعض الآخر من الدساتير صلاحيات السلطات المحلية ويترك ما عداها للحكومة الاتحادية، فيما تفصل دساتير أخرى صلاحيات كل من الحكومتين الاتحادية والمحلية بالتفصيل، وقد أخذ دستور جمهورية العراق لعام (٢٠٠٥) بتوزيع الصلاحيات من خلال ذكر صلاحيات الحكومة الاتحادية كما في المادة (١١٠) وترك بقية الصلاحيات لحكومة الإقليم مع تناوله لبعض الصلاحيات باعتبارها صلاحيات مشتركة بين المركز والإقليم كما نصّت المادة (١١٤)^(٣٨) وبذلك فإن الصلاحيات الأكبر قد منحت للإقليم وهي من المسائل التي تنطوي على خطورة واضحة قد تؤدي إلى تقسيم البلاد^(٣٩)، خصوصاً مع عدم توافر الخبرة في مسألة الفيدرالية كونها أسلوباً يطبق للمرة الأولى في العراق، فإن منح السلطات المحلية صلاحيات واسعة قد يؤدي إلى التأثير على الوحدة الوطنية، لا سيما وأن فيدرالية الإقليم تعتمد الأساس القومي أو الطائفي قبل الجغرافي. مشتركة بين المركز والإقليم كما نصّت المادة (١١٤)^(٤٠) وبذلك فإن الصلاحيات الأكبر قد منحت للإقليم وهي من المسائل التي تنطوي على خطورة واضحة قد تؤدي إلى تقسيم البلاد^(٤١)، خصوصاً مع عدم توافر الخبرة في مسألة الفيدرالية كونها أسلوباً يطبق للمرة الأولى في العراق، فإن منح السلطات المحلية صلاحيات واسعة قد يؤدي إلى التأثير على الوحدة الوطنية، ولا سيما أن فيدرالية الإقليم تعتمد الأساس القومي أو الطائفي قبل الجغرافي.

ب- تناولت المادة (١١٥) من الدستور في حالة حصول خلاف ما بين قانون السلطة الاتحادية لقانون الإقليم، حيث أعطت المادة المذكورة الأولوية لقانون الإقليم، أي أنها وسعت من اختصاصات السلطات المحلية على حساب السلطات الاتحادية، إلا أن الدستور لم يمنح السلطة الاتحادية حق إجراء تعديل في الدستور يقلل من صلاحيات الأقاليم إلا بموافقة السلطة التشريعية في الإقليم وأغلبية سكانه^(٤٢)، وهذا النص ولد ميتاً لأنه ليس من المنطقي أن تصل سلطات الإقليم إلى مرحلة عالية من الإيثار لتسمح بتقليص الصلاحيات الممنوحة لها دستورياً.

ت- ما يثير الاستغراب هو ما تناولته المادة (١٢١) وفقراتها الأولى والرابعة والخامسة، حيث أعطت في فقرتها الأولى الحق للأقاليم في ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية

والقضائية، والتي من الممكن ان تؤدي إلى سن قوانين ذات طابع طائفي في إقليم ما، كما ذهب الدستور إلى أبعد من ذلك في الفقرة الثانية، عندما منح الإقليم صلاحية تعديل القوانين الاتحادية في حالة وجود تعارض بين القانون الاتحادي وقانون الإقليم وهذا ما يعد تناقضاً مع نص المادة (١٣/ أولاً) التي نصّت على (يعد هذا القانون الأسمى والأعلى في العراق ويكون ملزماً في أنحاءه كافة ومن دون استثناء)^(٤٣)، وكذلك يناقض المادة (١٣/ ثانياً) التي نصّت (لا يجوز سن قانون يتعارض مع هذا الدستور، ويعد باطلاً كل نص يرد في دساتير الأقاليم أو أي نص آخر يتعارض معه)^(٤٤). أما الفقرة الرابعة فنصّت على (حق كل إقليم بفتح فروع له في السفارات والممثلات الدبلوماسية العراقية لمتابعة القضايا الإنمائية والثقافية والاجتماعية)^(٤٥). وهذا يعني فتح سفارات لكل إقليم في المستقبل الأمر الذي يخالف ما سارت عليه التجارب العالمية في الفيدرالية ويتعارض مع سمات الفدرالية التي تعتبر ممارسة الشؤون الخارجية من الصلاحيات الخاصة بالسلطات الاتحادية حصراً^(٤٦). أما الفقرة خامساً والتي منحت حكومة الإقليم صلاحيات مطلقة لإدارة الإقليم وبوجه خاص إنشاء وتنظيم قوى الأمن الداخلي كالشرطة وحرس الحدود، فمثل هذه الفقرة قد تسمح بتحويل الميليشيات إلى قوى أمن في الأقاليم التي تسيطر عليها، ومن جهة أخرى أن منح هذه الصلاحيات للأقاليم، سوف يتعارض مع سياسة الأمن الوطني ويعزز في نفس الوقت النزعة الإقليمية، بدلاً من تعزيز الوحدة الوطنية^(٤٧)، وهذا ما يتنافى مع سمات الفدرالية التي تتطلب وجود جيش قومي وموحد.

من خلال ما تقدم نجد أن الدستور وضع تصوراً لإدارة التنوع في المجتمع العراقي من خلال آلية الفدرالية في الحكم، إلا أن عدم الوصول إلى اتفاق وطني وإنصاف كافة المكونات، وعدم المضي بالأغلبية والأقلية وإنما التعامل مع المكونات على أساس وجودها والمحافظة على وجودها في بوتقة هوية وطنية، ويبدو أن النظام الاتحادي في العراق يراد له أن لا يكون اتحاداً فدرالياً، كما هو شأن الاتحادات الفدرالية في العالم، التي تقوي البلاد وتحافظ على وحدتها وسلامتها، إنما اتحاد مختلط يجمع بين الفدرالية والكونفدرالية.

٢- آلية الديمقراطية التوافقية في إدارة التنوع: تعد الديمقراطية التوافقية من آليات إدارة التنوع السلمية في البلدان ذات التعدد الطائفي والقومي والمذهبي، وقد استخدمت هذه الآلية في العديد من الدول منها النمسا وماليزيا، هي الوسيلة التي يمكن من خلالها أن

يشارك الجميع في الحكم الديمقراطي للمجتمع المتعدد - فالتجانس الاجتماعي والإجماع السياسي يعتبران شرطين مسبقين للإدارة الناجحة للتنوع، ومن خلالهما يتحقق مضمون التوافق بين الجماعات المتنوعة، وقد تم اعتمادها في العراق بعد عام (٢٠٠٣) لحاجة عملية أفرزها واقع الحياة السياسية وطبيعة بناءها بعد (٢٠٠٣). هنالك مجموعة من العوامل التي ساهمت مجتمعة في الدفع باتجاه الأخذ بالديمقراطية التوافقية في العراق بعد (٢٠٠٣)، ورغم تباين تأثيرها فإنها كانت جميعها ذات دور مهم في ترسيخ هذا المبدأ، وأهم هذه العوامل هي:

أ - طبيعة التنوع داخل المجتمع العراقي: يتميز العراق شأنه شأن أغلب دول العالم بتنوعه الذي يجمع بين القومي والديني والمذهبي، وعلى الرغم من أن العراق قد أُلِفَ التعايش السلمي بين مكوناته، وإن كان مفروضاً بحكم سياسات الإكراه التي مارستها الحكومات المركزية التي تعاقبت على حكمه إلا أنه بعد (٢٠٠٣) وتغيير النظام عن طريق الاحتلال الأجنبي وبناء العراق الجديد وارتفاع أصوات المكونات التي ظلمت من ممارسات الأنظمة السابقة، والتي طالبت بحقها في المشاركة السياسية وإدارة البلاد^(٤٨): استدعت الحاجة إلى الأخذ بهذا اللون من الديمقراطية.

ب- توافق القوى السياسية قبل سقوط النظام: اتفقت أغلب القوى السياسية التي كان لها دور في بناء العملية السياسية في العراق بعد (٢٠٠٣) أثناء فترة المعارضة ومن خلال المؤتمرات التي عقدت على ضرورة الأخذ بهذا الشكل من الديمقراطية، وتكون إدارة البلاد بطريقة التوافق واقتسام الحصص الحكومية بين المكونات لتوحيد الأطراف المتنازعة داخل العراق^(٤٩).

ت- دور الولايات المتحدة في ترسيخ التوافقية في العراق: عملت الإدارة الأمريكية منذ إسقاطها للنظام في ٩ / ٤ / (٢٠٠٣) على التعامل مع القوى السياسية العراقية باعتبارها مجموعة مكونات وليس كياناً واحداً، فقسمت العراق إلى ثلاث قوى رئيسية هي الشيعة والسنة والأكراد، وركزت جهودها على أن تكون التوافقية هي الطريقة المتبعة في إدارة البلاد من قبل هذه الأطراف، بحيث يشعر كل طرف بصعوبة التفرد والاستئثار بالسلطة وبدأت بترسيخ هذا المبدأ من خلال مجلس الحكم الذي تم تشكيله في عام (٢٠٠٤) من (٢٥) عضواً، مقسم بواقع (١٣) عضواً من الشيعة، وخمسة أعضاء من السنة، وخمسة أعضاء من الأكراد، وعضوين أحدهما مسيحي، والآخر تركماني، ويكون هذا المجلس

اللبنة الأولى في البناء التوافقي في العراق^(٥٠). وبتطبيق الديمقراطية التوافقية عانت من الكثير من الإشكاليات منها:

- إشكالية الأغلبية المجتمعية والأغلبية السياسية: التعريف العام للديمقراطية أنها حكم الأغلبية، لكن الأغلبية بمعناها السياسي وليس بمعناها المجتمعي فالأغلبية السياسية أغلبية أفقية أي أغلبية حزبية تمتد على مساحة الوطن بكل اتجاهاته، لها قواعد ولها مناصرون من مختلف الطوائف والقوميات - بينما الأغلبية المجتمعة، أغلبية عمودية تقسم المجتمع على أساس الانتماءات القومية والدينية والمذهبية، واستقطاب الأحزاب يتم حسب هذا المنظور، فالحكم إن كان للأغلبية المجتمعية في مجتمع ما، فيكون مثلاً الحكم شيعياً إن كانت الأغلبية شيعة أو سُنياً إن كانت الأغلبية سُنية، مع ضرورة حضور الأقلية أو تمثيل لهم بغض النظر عن مكاسبهم الانتخابية هذا إن كان من الجانب الديني، أما من الجانب القومي فمن الطبيعي يكون أن الحكم للعرب إن كانت الأغلبية عربية، أو للكرد إن كانت الأغلبية كردية^(٥١). فالأغلبية المجتمعية تناقض الأصول الفكرية للديمقراطية، كما هي ممثلة في معظم الأشكال الأوروبية أو في الولايات المتحدة الأمريكية التي تركز على الولاء للوطن، وقيم المواطنة والتساوي القانوني والسياسي في حقوق وواجبات المواطن جميعاً أمام القانون، دون النظر إلى المنحدر الاجتماعي والديني والطائفي، فأمركا التي يشكل البروتستانت (٧٠٪) من سكانها تنتخب كيندي الكاثوليكي، لا يوجد من وصف كيندي اجتماعياً بالكاثوليكي، إنما ديمقراطي. أيضاً لم يصنف "أوباما" على أنه من العرق الأسود، و ماكين من العرق الأبيض، بل إن الأول ديمقراطي (من الحزب الديمقراطي)، والثاني جمهوري (من الحزب الجمهوري). في المثال العراقي بعد عام (٢٠٠٣)، نجد أن النزعة المجتمعية في تأسيس مجلس الحكم كانت واضحة جداً، والذي انسحبت على منواله كل التشكيلات والتشريعات السياسية، وشكل الدولة، وفلسفة الدستور، والتمثيل في الحكومة وهيئاتها، والتي اعتمدت الشكل التوافقي بين مكونات سياسية مجتمعية^(٥٢).

- إشكالية بناء الهوية الوطنية والمواطنة: لغة تعني الهوية حقيقة الشيء المطلقة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، واصطلاحاً تعني السمة الجوهرية العامة لثقافة من الثقافات دون أن تكون هذه السمة ثابتة أو متغيرة، وهو ما يعطيها خاصية النمو والتطور، ولما كانت في شكلها المادي الذي يعني الحقوق القانونية التي تنظم الجماعة البشرية الساكنة في إقليم معين، أو ما اصطلح عليه بالجنسية - فالهوية ترتبط بفكرة المواطنة في

الدولة من ناحية الجنسية كمبدأ قانوني ، وكما ترتبط بالأبعاد الثقافية للشخص والمجتمع وتتصل أيضًا بالانتماء السياسي للدولة ، وهي بالنتيجة تعني الانتماء السياسي والاجتماعي والجغرافي للإنسان إلى وطن يتألف من مجتمع معين والإقليم الذي يقيم عليه ، والسلطة التي تحكمه وتمتعه بحكم هذا الانتماء بحقوق محدودة وواجبات^(٥٣) . أما الديمقراطية التوافقية فذات بناء مجتمعي عمودي ، أي أنها تؤكد على الثقافات والانتماءات الفرعية بوصفها الأساس ، فالهوية الوطنية إشكالية تنشق منها إشكالية المواطنة أهي الفرد داخل وطن ، أم الفرد المنصهر في الجماعة ، التي تهدف إلى دمج الفرد في الجماعة الأولية^(٥٤) . في الحالة العراقية نجد أن الهوية الوطنية مزقت إلى مكونات من خلال تحول المكون الاجتماعي إلى انتماء سياسي أو حزب سياسي . أي أحزاب سياسية لها صفة اجتماعية حصراً ، أحزاب الشيعة وثانية للسنة وأخرى للكرد ، في ظاهرة استقطاب عمودي تشجع للتمايز وتثبته وتعيق شيوع مفهوم المواطنة والمواطن . فالهوية الوطنية شعور بالانتماء إلى أرض وبناء سياسي جمعي أعلى يتغذى من الثقافات والهويات الفرعية ويحاول أن يربطها بأواصر ومشاركات سياسية عليا تخترق الجماعات الفرعية ، دون إلغاء لها . بينما الديمقراطية التوافقية عملت على العكس من ذلك بالاعتماد على الجماعات والهويات الفرعية بوصفها الأساس وبكونها تعبيراً سياسياً^(٥٥) .

- إشكالية بناء الدولة والمحاصصة : في النظرية الحديثة للنيابة ، تكون القاعدة أن النائب في المؤسسة التشريعية ممثلاً لجميع الشعب وليس لناخيه وحدهم ، أي أن النائب ممثلاً لمجموع الوطن وليس للجماعة التي انتخبته بصرف النظر عن النظام الانتخابي إن كان بأسلوب الدائرة الواحدة أو الدوائر المتعددة ، وللنائب حصانة في إبداء الرأي والحرية في طرح وجهات النظر في الاتجاه الذي يصب في مصلحة الوطن دون التقييد بوجهات نظر حزبه ، لكن في الديمقراطية التوافقية يكون النائب ممثلاً لجماعته الطائفية أو الدينية ، وفي حال كان لنائب أو لمجموعة نواب وجهات نظر تتناقض مع الكتلة أو الجماعة الاجتماعية ، فإنها لا بُدَّ أن تنسلخ عن الرأي والتكتل الجمعي للجماعة الاجتماعية^(٥٦) . وفي التصويت ينتظر الجميع رأي رئيس الكتلة ، لذلك فإن القرار التشريعي وبالتحديد في القرارات المهمة لا يتم وفق قاعدة أغلبية الأصوات ، بل من خلال توافقات بين قادة الجماعات أو الطوائف ، ومحكومة بالتوازنات واستجابة لمصالح الجماعة الاجتماعية^(٥٧) . لا سيّما أن شرط التوافق في المؤسسة التشريعية يكون حاضراً في تشريع كل القوانين وبدوره يعد معطلاً للدور الرقابي الذي يعد من صلب المؤسسة التشريعية ، إذ رسخ النمط التوافقي

القناعة لدى القوى السياسية كافة، بأن سياسة المحاصصة تمثل استحقاقاً كميّاً لتلك الجماعات الفرعية من جانب، واستحقاقاً وطنياً للمكونات الاجتماعية المضطهدة في زمن النظام السابق، وتعويضاً لما لحقها من أضرار في تلك الحقبة، لذا تم رسم الخارطة السياسية على أساس المكونات الاجتماعية بعيداً عن الهوية الوطنية و المواطنة^(٥٨). ولما كانت صيغة النظام الديمقراطي التوافقي الذي تناوله (آرنت ليبهارت) قائماً على أساس المشاركة، إلا أن النظام التوافقي بصيغته العراقية، أصبح قائماً على أساس المحاصصة بين القوى والأحزاب السياسية، مجسدة بذلك المحاصصة السياسية والطائفية والقومية على حساب الطابع الوطني، لا سيما بإدارة مؤسسات الدولة وشخصتها من خلال إسناد مهامها و وظائفها إلى القوى والأحزاب السياسية، والتي سرعان ما تقوم بفرض توجهاتها الحزبية وفرض قياداتها الإدارية بما يتلاءم مع توجهاتها الطائفية أو الحزبية^(٥٩).

– إشكالية تعطيل القرار السياسي وغياب المعارضة: تعتمد النظم البرلمانية في أساسها على التعاون والتوازن بين السلطات (التنفيذية والتشريعية) والتعاون هنا يعني مراقبة هذه السلطات إحداها للأخرى، ولما كان النظام السياسي العراقي هو نظاماً برلمانياً ديمقراطياً كما أقره دستوره الدائم لعام (٢٠٠٥) في مادته الأولى، فلا بُدَّ من وجود مؤسسة تشريعية تقوم بدورها الصحيح. إلا أن النظام البرلماني العراقي شهد غياباً واضحاً للمعارضة البرلمانية من داخله من جهة، وغياب ثقافة سياسية تؤمن بأهمية المعارضة من النخب السياسية من جهة أخرى، ففي النظم الديمقراطية تعني المعارضة أن الحزب الذي لا يحقق فوزاً يضمن له تشكيل الحكومة يلجأ إلى المعارضة، ويعمل على نقد الحكومة وتشخيص أخطائها، فتضطر الحكومة لتعديل سلوكها وهكذا تعود المنفعة للشعب^(٦٠).

أما في التجربة البرلمانية العراقية فنلاحظ الغياب التام للمعارضة البرلمانية، فالأحزاب والائتلافات والكتل، لكل منها حصته في الحكومة لذلك فلا يوجد من يعارض وبهذا يبدو أن اعتماد التوافقية أدى إلى غياب المعارضة البرلمانية، مما أدى إلى نقص كبير في بناء الدولة الديمقراطية وانعدام إمكانية المحاسبة والمراقبة، أي جعل مبدأ المحاسبة والمراقبة يخضع إلى التوافقات السياسية بين القوى والأحزاب السياسية^(٦١). شرط التوافق في المؤسسة التشريعية يعد آلية لتعطيل القرار السياسي أيضاً، كمثال لذلك، ما جرى في مجلس النواب العراقي في بداية العام (٢٠٠٨)، حيث كانت ثلاث تشريعات تنتظر الإقرار بعد مناقشتها مع وجود خلافات بشأنها بين الكتل السياسية وهي إقرار الموازنة المعطل من قبل كتلة التحالف الكردستاني بسبب حصة الإقليم، وقانون العفو العام المؤيد من

قبل جبهة التوافق المعطل من قبل الائتلاف العراقي الموحد، وقانون انتخابات مجالس المحافظات المعطل من قبل جبهة التوافق نتيجة لانعدام الثقة بين الكتل البرلمانية والولاء الحزبي وضآلة التعاون الحكومي^(٦٢).

بهذا نجد أن النموذج التوافقي العراقي أدى إلى حالة من الضعف في أحيان كثيرة والعجز عن اتخاذ الكثير من التشريعات والقرارات السياسية المهمة، ووضوح المساومات النفعية التي تجريها الأحزاب والكتل من أجل تشكيل حكومات ائتلافية وبالتالي تكون خاضعة لرغبات وميول الكتل والقوى السياسية.

خلاصة القول إن الديمقراطية التوافقية تقوم على خلفية واقع التباين أو التنوع بين أبناء الشعب الواحد، كما في حالة الشأن العراقي، لأنها تقوم على أساس المشاركة السياسية في الحكم الديمقراطي للمجتمع المتعدد، وهي آلية لإدارة التنوع بالتعاون والوفاق بين مختلف الأطراف بدلاً من اتخاذ القرارات بالأكثرية، إلا أن صعوبة اعتماد الديمقراطية التوافقية في بلد يتسم بضعف ممتلكاته الديمقراطية اللازمة لنجاح هذا النوع من الديمقراطية كضعف المجتمع المدني وعدم رسوخ الحياة الحزبية وقلة المشاركة السياسية الفاعلة أدى إلى إخفاق الديمقراطية التوافقية في تخفيف حالة الانقسام الطائفي في العراق، إذ أصبحت هذه الديمقراطية معطلة لعملية صنع القرارات السياسية، وتعطيل العملية الرقابية التي هي من أهم ركائز النظام البرلماني مما أدى إلى شيوع حالات الفساد الإداري والمال.

الخاتمة

إن التعدد لا يعتبر مشكلة في حد ذاته، بل إنه يتيح فرصاً لإثراء المجتمع إذا وجد إدارة فعالة له، حيث إن التعدد يتقبل ويتعامل مع وجود دوائر الانتماءات المختلفة وتزيد من تماسك هذا السيفساء في «كل» قومي وتحول دون شرذمته التعددية تعني إعطاء حيز للآخر (السياسي والطائفي والحمولي) بداخل الدائرة القومية وتعني أن تحل قيم التقبل والاحترام المتبادل محل قيم التعصب من جهة ونهج الموقف الأحادي الذي يفرض على الجميع من جهة أخرى. والاعتراف بوجود تنوع في مجتمع ما بفعل وجود عدة دوائر انتماء فيه ضمن هويته الواحدة واحترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من خلاف أو اختلاف في العقائد والألسنة والمصالح وأنماط الحياة والاهتمامات، ومن ثم الأوليات،

وإيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك كله بحرية في إطار مناسب وبالْحَسَنَى بشكل يحول دون نشوب صراع يهدد سلامة المجتمع . وبذات الأمر بالعراق فإنه عانى منذ نشأة الدولة العراقية المدنية في عام (١٩٢١) من خضوعه للعديد من الأنظمة السياسية التي تميزت بتعاملها الطائفي أو القومي مع أبناء العراق ، واستخدامها لأساليب القسر والاستبداد ومحاولة إخضاع كل مكونات الشعب وصبغها بصبغة واحدة من خلال إلغاء التمييز وعدم الاعتراف بالآخر ، إلا أن ذلك كان مجرد مسألة قسرية فاشلة فقد بقيت الهويات الفرعية نشطة في نفوس العراقيين ، مما جعل كل المكونات تصر على التمسك بهويتها والبوح بمظلوميتها . وعلى النظام السياسي العراقي أن لا يكتفي بالاعتراف بالتعدد والتنوع فقط وإنما عليه إيجاد وتطبيق طرق التعامل معه أيضا ، وهذه ليست بالمشكلة التي تواجه عددا قليلا من الأمم والدول ، وإنما أصبحت مشكلة واسعة لمعظم الدول بشكل أو بآخر .

الاستنتاجات

١ . إن التناقض بين الهويات ليس أمراً حتمياً ، ولا يمكن تخيل أن هناك شعباً في العالم يعيش في حالة انتماء أحادي ، ذلك أن تعدد دوائر الانتماء والهويات هو أمر إنساني عام ، ولو أنه تغلب في ظرف معين هوية ما على غيرها من الهويات منذ أقدم العصور كان العراق وما يزال بلدا متعدد القوميات والأديان والطوائف ، وقد يكون لهذا التنوع إيجابيات أو سلبيات نابعة من طرق إدارته وليس من التنوع نفسه .

٢ . على الرغم من أن مرحلة ما بعد عام (٢٠٠٣) تعد من أفضل الفترات بالنسبة لإدارة التنوع ، من خلال الاعتراف الصريح والضماني بأطياف الشعب العراقي وتنوعاته ، إلا أن إخفاق النظام السياسي بتطبيق بعض آليات إدارة هذا التنوع ، بسبب عوامل عديدة منها ضعف الإدارة المركزية وضعف سيادة القانون وهشاشة الهوية الوطنية وتغليب الانتماءات الجهوية الفرعية .

٣ . من ميزات نظام التعددية الحزبية أنه يؤدي إلى تمثيل جميع الآراء والتوجهات السياسية لمختلف المكونات ويدعم حرية الفكر ، إلا أنه في الحالة العراقية أدت التعددية الحزبية إلى التشرذم وتشكيل هذه الأحزاب على مستوى عمودي قومي

ومذهبي وليس على أساس أفقي يشمل كل مكونات المجتمع على أساس فكري وقيم المواطنة والتنوع الديني والقومي داخل كل حزب سياسي .

٤ . أفرز تطبيق الديمقراطية التوافقية العديد من الإشكاليات التي أثرت بشكل أو بآخر على بناء الهوية الوطنية وتغيب المواطنة بوصفهما أساس بناء الدولة الحديثة، المعتمدة على المساواة بين المواطنين وصناعة هوية وطنية تخترق جميع الولاءات والانتماءات المذهبية والدينية، وذلك لأن الديمقراطية التوافقية ذات بناء واستقطاب مجتمعي عمودي تؤكد على الروابط الأولية وتعظمها على حساب الرابط المجتمعي الوطني .

المصادر والمراجع

- ٥ . دستور جمهورية العراق الدائم لعام ٢٠٠٥ .
- ٦ . المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ط ١، ١٩٩٤، المجمع العربي
- ٧ . معجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٥ .
- ٨ . مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ج ٢، ط ٣، ١٩٨٥ .
- ٩ . أحمد ثابت: التعددية السياسية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠
- ١٠ . أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦
- ١١ . أزهار الشихلي، اللامركزية السياسية والهيئات الاتحادية، أوراق عراقية، العدد ٤، ٢٠٠٥ .
- ١٢ . أكرم الحكيم، المشكلات الطائفية والخيار الفدرالي في العراق، مجلة العهد، مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية والعربية، العدد الثاني، لندن، ٢٠٠٨ .
- ١٣ . أنطوان نصري مسره، إدارة التنوع في أنظمة الحكم العربية: التعددية السياسية والتعددية الاجتماعية، إطار نظري وتطبيق على الواقع العربي، في: ندوة التعددية السياسية في الوطن العربي، ٢٤-٢٦/٣/١٩٨٩

- ١٤ . إيدابير أحمد، التعددية الإثنية والأمن المجتمعي: دراسة حالة مالي، رسالة ماجستير غير منشوره كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢،
- ١٥ . إيناس محمد اسماعيل، إدارة التنوع والاحتواء للموارد البشرية إدارة الفسيفساء، اتجاهات حديثة في إدارة الموارد البشرية، عباد الرحمن للطباعة، ط ١، ٢٠١٨
- ١٦ . جابر سعيد عوض، مفهوم التعددية في الأدبيات المعاصرة: مراجعة نقدية، بحث مقدم لندوة التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٩٣
- ١٧ . جيمس أندرسون، صنع السياسات العامة، ترجمة عامر الكبيسي، دار المسيرة، عمان، ٢٥ ١٩٩٩
- ١٨ . حسين درويش العادلي، المواطنة بين ضرورات الواقع وجدليات المدارس، كتاب الصباح الثقافي، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٩ . حسين علي الحمداني، الديمقراطية التوافقية في العراق، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ ١٢/٢/٢٠٠٨، على الموقع الإلكتروني <https://www.ahewar.org> تأريخ الزيارة في ٢٥/١٢/٢٠٢٠.
- ٢٠ . حسين علي عبيد، المجتمعات المتعددة (الأقليات وإشكالية التعايش)، دار المنهل اللبناني، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٤.
- ٢١ . رغد علي حسين، جدلية العلاقة بين تطبيق الفدرالية والديمقراطية التوافقية في العراق، مجلة كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة، المجلد الثالث، العدد ٣، لسنة ٢٠١٩.
- ٢٢ . سامي ذبيان (محرر)، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٩.
- ٢٣ . شاكر عبد الكريم فاضل، المعارضة البرلمانية وإشكالية الديمقراطية التوافقية في العراق، مجلة العلوم القانونية والسياسية، بلا مجلد، العدد الثاني/ ٢٠١٣.

٢٤. طه العنكي وآخرون، أداء البرلمان العراقي رؤية تقييمية، التقرير الإستراتيجي العراقي ٢٠١٠-٢٠١١، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد.
٢٥. عامر إبراهيم أحمد الشمري، الإدارة اللامركزية الإقليمية في القانون العراقي دراسة مقارنة مع القانون الإماراتي، مكتبة زين الحقوقية والأدبية، بيروت، ٢٠١٣.
٢٦. عامر حسن فياض وآخرون، ولايات الشر المتأسلم، دار العرب للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠١٥.
٢٧. عبد الوهاب رشيد، التحول الديمقراطي في العراق الموارث التاريخية والأسس الثقافية والمحددات الخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦.
٢٨. عزيز قادر الصمانجي، قطار المعارضة العراقية من بيروت (١٩٩١) إلى بغداد (٢٠٠٣)، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٩.
٢٩. على عباس مراد، التنمية السياسية وأزمة المشاركة (مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث)، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.
٣٠. علي محمد علوان و خضر عباس عطوان، أداء البرلمان السياسي أفكار أساسية لعمل برلمان رشيد، مجلة الحكمة، العدد ٥١، بيت الحكمة، بغداد، لسنة ٢٠١١.
٣١. فوزية لبادي، إشكالية إدارة التنوع الإثني (العراقي) في العالم العربي منذ نهاية الحرب الباردة دراسة حالتي السودان والعراق، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٥-٢٠١٦.
٣٢. قحطان أحمد سليمان الحمداني، النظام الاتحادي في العراق الجذور-القانون-الممارسة، مجلة دراسات عراقية، مركز العراق للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العدد ٥٥، ٢٠٠٥.
٣٣. ليث عبد الحسين الزبيدي و كاظم علي مهدي، مجلس الاتحاد والتوازن التشريعي في العراق، بحث منشور، مجلة قضايا سياسية، العلوم السياسية، جامعة النهدين، بلا مجلد، العدد ٣٧-٣٨، ٢٠١٤.

٣٤. مالك دحام متعب، العلاقة الجدلية بين التنمية الشاملة والاستقرار السياسي (دراسة تحليلية)، مجلة قضايا سياسية، العددان (٣٧-٣٨)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين، ٢٠١٤، ص ٥٠٨.
٣٥. محمد عمر مولود، الفيدرالية وإمكانية تطبيقها في العراق، العراق، مؤسسة موكداني للطباعة والنشر، (٢٠٠٣).
٣٦. محمد مهدي عاشور، التعددية الإثنية: إدارة الصراعات وإستراتيجيات التسوية، عمان، المركز العالمي للدراسات السياسية، ٢٠٠٢،
٣٧. محمود أبو العينين، إدارة الصراعات العرقية في إفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد ٥٩، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ٢٠٠٢،
٣٨. ناثن براون، ملاحظات تحليلية حول الدستور، مآزق الدستور نقد وتحليل، في مجموعة مؤلفين، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد، ٢٠٠٦.
٣٩. نبهان سالم مرزق، الديمقراطية التوافقية وانعكاساتها على إدارة التنوع الإثني، مجلة الأكاديمية العربية في الدنمارك، العدد ٢٤، السنة الثانية عشرة، ٢٠٢٠.
٤٠. نيفين عبد الخالق، الأبعاد السياسية لمفهوم التعددية: قراءة في واقع الدول القطرية واستقرار لمستقبلها، بحث مقدم لندوة التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٣.
٤١. ويل كميلكا، أوديسا التعددية الثقافية، ج ١، ترجمة إمام عبد الفتاح، سلسلة كتب ثقافية، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١١.
٤٢. ياسين سعد محمد البكري، إشكاليات الديمقراطية التوافقية وانعكاساتها على التجربة العراقية، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، بلا مجلد، العدد ٢٧، لسنة ٢٠٠٩.

34. C.t.Oninons(ed) The Shorter Oxford English Dictionary, The Clarendon Pr ess,Oxford,1956,P1528.

الهوامش:

- والعلوم السياسية، ٢٠١٥ - ٢٠١٦، ص ٥٥.
- ١٠- أنطوان نصري مسرة، إدارة التنوع في أنظمة الحكم العربية: التعددية السياسية والتعددية الاجتماعية، إطار نظري وتطبيق على الواقع العربي، في: ندوة التعددية السياسية في الوطن العربي، ٢٤-٢٦/٣/١٩٨٩، ص ٣.
- ١١- محمد عمر مولود، مرجع سابق، ص ٣٧٠.
- ١٢- ويل كميلكا، أوديسا التعددية الثقافية، ج ١، ترجمة إمام عبد الفتاح، سلسلة كتب ثقافية، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١١، ص ٢٧١.
- ١٣- إيديبير أحمد، التعددية الإثنية والأمن المجتمعي: دراسة حالة مالي، رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢، ص ٤٣.
- ١٤- إيديبير أحمد، التعددية الإثنية والأمن المجتمعي: دراسة حالة مالي، المصدر السابق، ص ٤٦.
- ١٥- محمود أبو العينين، إدارة الصراعات العرقية في أفريقيا، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد ٥٩، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩٠.
- ١٦- محمود أبو العينين، إدارة الصراعات العرقية في أفريقيا، المصدر السابق، ص ٩٠.
- ١٧- محمود أبو العينين، المصدر نفسه، ص ٩٥.
- ١٨- إيديبير أحمد، التعددية الإثنية والأمن المجتمعي: دراسة حالة مالي، المصدر السابق، ص ٥٠.
- ١٩- محمد مهدي عاشور، التعددية الإثنية: إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، عمان، المركز العالمي للدراسات السياسية، ٢٠٠٢، ص ١٦١.
- ٢٠- جيمس أندرسون، صنع السياسات العامة، ترجمة عامر الكبيسي، دار المسيرة، عمان، ١٩٩٩، ص ٢٥.
- ٢١- المصدر نفسه، ص ٢٧.
- ١ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ج ٢، ط ٣، ١٩٨٥. ص ٦٠٨.
- 2 - C.t.Oninons(ed) The Shorter Oxford English Dictionary, The Clarendon Press, Oxford, 1956, P1528.
- ٣ - سامي زيبان (محرر)، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٩، ص ١٣٨-١٣٩.
- ٤ - نيفين عبد الخالق، الأبعاد السياسية لمفهوم التعددية: قراءة في واقع الدول القطرية واستقرار مستقبلها، بحث مقدم لندوة التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٣، ص ٥. أنظر أيضاً: أحمد ثابت: التعددية السياسية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠، ص ١٦.
- ٥ - محمد عمر مولود، الفيدرالية وإمكانية تطبيقها في العراق، العراق، مؤسسة موكداني للطباعة والنشر، (٢٠٠٣)، ص ٥-٧.
- ٦ - حسين درويش العادلي، المواطنة بين ضرورات الواقع وجدليات المدارس، كتاب الصباح الثقافي، بغداد، ٢٠٠٧، ص ١٢٢.
- ٧ - المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ط ١، ١٩٩٤، المجمع العربي، ص ٧٥.
- ٨ - إيناس محمد إسماعيل، إدارة التنوع والاحتواء للموارد البشرية إدارة الفيسفساء، اتجاهات حديثة في إدارة الموارد البشرية، عباد الرحمن للطباعة، ط ١، ٢٠١٨، ص ١٠.
- ٩ - فوزية لبادي، إشكالية إدارة التنوع الإثني (العراقي) في العالم العربي منذ نهاية الحرب الباردة دراسة حالي السودان والعراق، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر - بسكرة -، كلية الحقوق

- ٢٢- علي عباس مراد، التنمية السياسية وأزمة المشاركة (مشكلات وتجارب التمية في العالم الثالث)، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠، ص ٦٨.
- ٢٣- محمد مهدي عاشور، التعددية الإثنية وإدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، المصدر السابق، ص ١٦٧.
- ٢٤- علي عباس مراد، التنمية السياسية وأزمة المشاركة (مشكلات وتجارب التمية في العالم الثالث)، المصدر السابق، ص ٧٠.
- ٢٥- مالك دحام متعب، العلاقة الجدلية بين التنمية الشاملة والاستقرار السياسي (دراسة تحليلية)، مجلة قضايا سياسية، العددان (٣٧-٣٨)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهريين، ٢٠١٤، ص ٥٠٨.
- ٢٦- المصدر نفسه، ص ٥١٠.
- ٢٧- أكرم الحكيم، المشكلات الطائفية والخيار الفدرالي في العراق، مجلة العهد، مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية والعربية، العدد الثاني، لندن، ٢٠٠٨، ص ٢٣٦.
- ٢٨- أزهار الشخلي، اللامركزية السياسية - والهيئات الاتحادية، أوراق عراقية، العدد ٤، ٢٠٠٥، ص ٢١.
- ٢٩- ينظر إلى: المادة الأولى من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥.
- ٣٠- ينظر إلى: المادة (٦٥) من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥.
- ٣١- ليث عبد الحسين الزبيدي و كاظم علي مهدي، مجلس الاتحاد والتوازن التشريعي في العراق، بحث منشور، مجلة قضايا سياسية، العلوم السياسية، جامعة النهريين، بلا مجلد، العدد ٣٧، ٣٨، ٢٠١٤، ص ٩٠.
- ٣٢- المصدر نفسه ص ٩١.
- ٣٣- ينظر المادة ١٣٧ من الدستور العراقي.
- ٣٤- ينظر المادة ١١٦ من الدستور العراقي .
- ٣٥- قحطان أحمد سليمان الحمداني، النظام الاتحادي في العراق الجذور-القانون-الممارسة، مجلة دراسات عراقية، مركز العراق للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العدد ٥٥، ٢٠٠٥، ص ٣٩.
- ٣٦- ينظر إلى المادة ١١٨ من الدستور العراقي .
- ٣٧- ينظر إلى المادة ١١٩ من الدستور العراقي .
- ٣٨- ينظر إلى: المادة ١١٠ و ١١٤ من الدستور العراقي .
- ٣٩- سحر حربي عبد الأمير، الدولة وإدارة التنوع الإثني مع الإشارة إلى النموذج العراقي، المصدر السابق، ص ٢٨٢.
- ٤٠- ينظر إلى: المادة ١١٠ و ١١٤ من الدستور العراقي .
- ٤١- سحر حربي عبد الأمير، الدولة وإدارة التنوع الإثني مع الإشارة إلى النموذج العراقي، المصدر السابق، ص ٢٨٢.
- ٤٢- عامر إبراهيم أحمد الشمري، الإدارة اللامركزية الإقليمية في القانون العراقي دراسة مقارنة مع القانون الإماراتي، مكتبة زين الحقوقية والأدبية، بيروت، ٢٠١٣، ص ٢٤٥.
- ٤٣- المادة ١٣ الفقرة أولاً دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
- ٤٤- المصدر نفسه، المادة ١٣ الفقرة ثانياً.
- ٤٥- دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، المادة ١١٦.
- ٤٦- قحطان أحمد سليمان الحمداني، النظام الاتحادي في العراق الجذور-القانون - الممارسة، المصدر السابق، ص ٢٢.
- ٤٧- ناثان براون، ملاحظات تحليلية حول الدستور، مآزق الدستور نقد وتحليل، في مجموعة مؤلفين،

- مجلد الحكمة، العدد ٥١، بيت الحكمة، بغداد، لسنة ٢٠١١، ص ١١.
- ٥٧- رغد علي حسين، جدلية العلاقة بين تطبيق الفدرالية والديمقراطية التوافقية في العراق، مجلة كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة، المجلد الثالث، العدد ٣، لسنة ٢٠١٩، ص ٢٤٣.
- ٥٨- عامر حسن فياض وآخرون، ولايات الشر المتأسلم، دار العرب للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٥، ص ٨٩.
- ٥٩- حسين علي عبيد، المجتمعات المتعددة (الأقليات وإشكالية التعايش)، المصدر السابق، ص ٢٢٨.
- ٦٠- شاكر عبد الكريم فاضل، المعارضة البرلمانية وإشكالية الديمقراطية التوافقية في العراق، مجلة العلوم القانونية والسياسية، بلا مجلد، العدد الثاني/٢٠١٣، ص ١٠٦.
- ٦١- طه العنبيكي وآخرون، أداء البرلمان العراقي رؤية تقييمية، التقرير الاستراتيجي العراقي ٢٠١٠-٢٠١١، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد، ص ٧٢.
- ٦٢- رغد علي حسين، جدلية العلاقة بين تطبيق الفدرالية والديمقراطية التوافقية في العراق، المصدر السابق، ص ٢٤٥.
- معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٥٥.
- ٤٨- عبد الوهاب رشيد، التحول الديمقراطي في العراق الموارث التاريخية والأسس الثقافية والمحددات الخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦، ص ٢٥٧.
- ٤٩- عزيز قادر الصمانجي، قطار المعارضة العراقية من بيروت ١٩٩١ إلى بغداد (٢٠٠٣)، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٩، ص ٥٢٥.
- ٥٠- سحر حربي عبد الأمير، انتخابات الجمعية الوطنية التأسيسية العراقية ٣٠/ كانون الثاني / ٢٠٠٥، رسالة ماجستير، المصدر السابق، ص ٧٩.
- ٥١- ياسين سعد محمد البكري، إشكاليات الديمقراطية التوافقية وانعكاساتها على التجربة العراقية، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، بلا مجلد، العدد ٢٧، لسنة ٢٠٠٩، ص ٦٣.
- ٥٢- حسين علي الحمداني، الديمقراطية التوافقية في العراق، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ ٢٠٠٨/٢/١٢، على الموقع الإلكتروني <https://www.ahewar.org> تاريخ الزيارة في ٢٠٢٠/١٢/٢٥.
- ٥٣- نيهان سالم مرزق، الديمقراطية التوافقية وانعكاساتها على إدارة التنوع الإثني، مجلة الأكاديمية العربية في الدنمارك، العدد ٢٤، السنة الثانية عشر، ٢٠٢٠، ص ١٥.
- ٥٤- حسين علي عبيد، المجتمعات المتعددة (الأقليات وإشكالية التعايش)، دار المنهل اللبناني، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٤، ص ٢٥٤-٢٥٥.
- ٥٥- ياسين سعد محمد البكري، إشكاليات الديمقراطية التوافقية وانعكاساتها على التجربة العراقية، المصدر السابق، ص ٦٦.
- ٥٦- علي محمد علوان و خضر عباس عطوان، أداء البرلمان السياسي أفكار أساسية لعمل برلمان رشيد،

مستقبل الحكومة الذكية في العراق

هند شاكر محمود

طالبة دكتوراه علوم سياسية/ النظم السياسية والسياسات العامة/ جامعة النهريين

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد أثر الحكومة الذكية على المجتمع ومكوناته مستقبلاً، فالحكومة الذكية هي نظام حديث تتبناه الحكومات باستخدام التقنيات الحديثة، ووضع المعلومة في متناول الأفراد، وذلك لخلق علاقة شفافة تتصف بالسرعة والدقة، تهدف للارتقاء بجودة الأداء الحكومي، وتوسيع المشاركة المدنية، والتخلص من البيروقراطية التي تكون عائقاً أمام التطور السريع للخدمات الحكومية، عن طريق توفير الداتا(Data) الحكومية والحاسبات الشخصية والنقالة والأجهزة الذكية والاتصالات السلكية واللاسلكية.

The Future of Smart Government in Iraq

Abstract:

This study aims to monitor the impact of the smart government on society and its components in the future. The smart government is a modern system adopted by governments using modern technologies, and putting information within the individuals reach, in order to create a transparent relationship characterized by speed and accuracy, aiming to improve the quality of government performance and expand civil participation and get rid of bureaucracy that is an obstacle to the rapid development of government services, by providing government data, personal and mobile computers, smart devices, and

telecommunications.

المقدمة:

شهد العالم العصري الحالي تطوراً في ثورة الاتصالات والمعلومات وأثر ذلك على اختزال المسافات والحدود الجغرافية بوجود عالم افتراضي فعّال في المستقبل، مما أدى إلى تقليص المساحات الواقعية، وظهور نمط جديد على العلاقات الاجتماعية كافة، وحلول الواقع الافتراضي التكنولوجي جزءاً ليس من حياة الأفراد فحسب وإنما أصبح جزءاً من عمل الحكومات العالمية، وخاصةً بعد جائحة كورونا (٢٠١٩) التي اجتاحت العالم، والانتقال من الحكومات التقليدية مروراً بالإلكترونية، ووصولاً إلى الحكومات الذكية مستقبلاً، والاستعانة بالخبرات السابقة للدول من جراء تطبيق الحكومة الذكية، والمنافسة ما بين الشركات المتعددة الجنسيات، وكذلك التحوّل ليس من الجانب الآلي فقط، وإنما إيجاد مجتمع معلوماتي قادر على التعامل مع المعلومات التقنية لجعلها واقعاً ملموساً.

مشكلة البحث: تتمثل بالتساؤلات الآتية:

١. ما الحكومة الذكية، وما المفاهيم المقاربة لها؟ وما هي خصائصها؟ وما هي أهدافها؟
٢. ما آليات العمل وفق الحكومة الذكية؟
٣. ما هي المحددات التي تعيق عملية تطور الحكومة الذكية؟
٤. ما هو مستقبل الحكومة الذكية في العراق؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها أن ظهور التطورات في العصر الحديث هو نتاج لبروز العقول الذكية في عملية تطور التكنولوجيا الحديثة، ومساهمتها الفعالة في حياة الأفراد وتطور مجتمعات العالم أجمع من أجل النهوض بواقعها نحو الأفضل، وأيضاً تطبيقاً لتحقيق أهداف التنمية المستدامة (٢٠٣٠).

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في ما يتعلق بالبنية التحتية الأساسية، إضافة إلى العنصر البشري، وضرورة مشاركة جميع الأطراف في عملية صنع قرارات السياسة العامة،

وهذا يعتمد على آليات الحوكمة الرشيدة، والتطور في مجال الاتصالات والمعلومات، وتحديث الحكومة التي يطالها التطور أيضاً، والتحول من الكلاسيكية إلى الإلكترونية وصولاً إلى الحكومة الذكية.

منهج البحث: من أجل التحقق من صحة الفرضية التي يقوم عليها البحث تم الاعتماد على مجموعة من المناهج ومنها، المنهج التاريخي لسرد وتتبع تأريخ وتطورات الحكومة الذكية في العراق، والمنهج الوظيفي لدراسة أداء الدولة وتقييمها للوصول إلى رؤيا واضحة على مدى تطبيق هذا النوع من الحكومات في العراق بالمستقبل القريب.

هيكلية البحث: تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب كالاتي:

المطلب الأول: ماهية الحكومة الذكية: خصائصها والمفاهيم المتداخلة.

المطلب الثاني: الحكومة الذكية وتطبيقاتها في العراق.

المطلب الثالث: مستقبل الحكومة الذكية في ضوء أهداف التنمية المستدامة في العراق.

المطلب الأول

ماهية الحكومة الذكية؟: خصائصها والمفاهيم المتداخلة.

أولاً: ماهية الحكومة الذكية؟.

بدأت التجربة للحكومة الإلكترونية في أواسط الثمانينات في الدول الإسكندنافية، وتمثلت في ربط القرى البعيدة، وأطلق عليها اسم القرى الإلكترونية (electronic village)، وفي المملكة المتحدة بدأت عام (١٩٨٩) في مشروع قرية مانشستر وبدأ المشروع فعلياً (١٩٩١)، وفي العام (١٩٩٢) عقد مؤتمر الأكواخ البعيدة في المملكة المتحدة، وقد تبني مجلس لندن مشروع بونتيل «الاتصالات البعيدة التقنية»، والتأكد من نشر وتنمية المعلومات بوسائل كالبريد الإلكتروني والوصول عن بعد للمعلومات، وقد استخدم مصطلح «الحكومة الإلكترونية» في خطاب الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» عام (١٩٩٢)، وربط مختلف المؤسسات الحكومية بالشبكة العنكبوتية بالتزامن مع المجتمع، فالتطور الطبيعي للحكومة الإلكترونية إلى الحكومة الذكية استناداً إلى تحقيق الرفاهية والمعرفة لدى الأفراد، فلم تعد المشكلة في الإدارة الكلاسيكية وإنما في إدارة التغيير

المستمر الذي يحدث داخل الحكومات نتيجة الاعتماد على الإدارة الذكية، ولا سيّما في أزمة كورونا عام (٢٠١٩)، وانتهاج المنهج الإلكتروني عن طريق الأجهزة الجوّالة الذكية، والتفاعل المباشر مع الدلتا المنتشرة في المواقع الإلكترونية لتقديم خدمة للمجتمع ومكوناته الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والسياسية، فالحكومة الذكية بحاجة إلى أفراد أذكياء، وتعليم ذكي، وحياة متطورة وذكية للعيش برفاهية، ويكمن ذلك عن طريق جهات تقنية وإدارية وتشريعية وتنظيمية من أجل مجازاة النقلة الذكية في العصر الحديث والى الكثير من التعديلات على إطار الحكومة الكلاسيكية والإلكترونية وصولاً للحكومة الذكية^١. وتعرف «الحكومة الذكية» هي حكومة متطورة تقدم الخدمة للمستخدمين للاستفادة والمشاركة من خدماتها الإلكترونية والاتصال في أي وقت ومكان من الهاتف المتنقل عن طريق تكامل التقنيات الذكية والخدمات الإلكترونية^٢. لذلك تأتي الحكومة الذكية لتكمل ما تم بناؤه من قبل الحكومة الإلكترونية، والاقتراب أكثر من المواطنين، والتفاعل المباشر مع الدلتا المنتشرة في المجتمع ومكوناته، فمن الضروري أن تتماشى الحكومة مع النظام الاجتماعي الجديد إذ كانت تطمح للتطور مع بقية أرجاء العالم وتحافظ على وجودها في العالم الافتراضي وكما في الواقعي. وعلى وفق ما تم ذكره لا بُدّ من وجود «إستراتيجية إلكترونية اجتماعية» توضح الأهداف العامة من جراء تطبيق الحكومة الذكية، وأيضاً مجموعة سياسات للاستخدام وكيفية إدارة الحسابات الاجتماعية الرسمية والأشخاص المخولين بالنشر في تلك المواقع، وأن استخدام الهيئات الحكومية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يعمل على رفع مستوى الفاعلية والكفاءة للحكومة ويؤشر على علاقتها بالمواطن، لذلك تنشأ الحكومة الذكية عن طريق^٣:

١. التواصل الذكي.

٢. الخدمات الذكية.

٣. الإدارة الذكية.

لذا فالحكومة الذكية تدفع بالحكومات إلى توصيل خدمة بجودة وكفاءة عالية، وتتسم بالشفافية والديمقراطية كأداة للتمكين والتواصل مع المواطن بأقل تكلفة وأفضل خدمة بواسطة الأجهزة المحمولة والتابلت وعبر التطبيقات الذكية، وعليه

نرى دعم برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للدول العربية، عن طريق الانضمام للعولمة الإلكترونية وضمن الالتزام السياسي الفعال لعمليات الإصلاح.

ثانياً: أهداف وخصائص الحكومة الذكية

للحكومة الذكية أهداف تمتاز بها، منها:

- ١ . تقليل تكلفة الإجراءات الحكومية فيما يتعلق بعمليات الإدارية .
- ٢ . زيادة عمل كفاءة الحكومة من خلال التعامل مع المواطنين وقطاع الأعمال .
- ٣ . الحوكمة والشفافية والمشاركة المجتمعية
- ٤ . تحقيق الريادة في المجال التقني والمتطور إقليمياً وعالمياً .
- ٥ . تعزيز الشفافية والمساءلة والديمقراطية .
- ٦ . التخلص من الفساد الإداري في إنجاز المعاملات ، وعدم استغلال الأفراد في إنجاز خدماتهم بالإضافة إلى تبسيط الإجراءات وتوفير المعلومات وزيادة الاتقان في العمل .
- ٧ . تشجيع وتعزيز تطبيق القانون .

أما الخصائص الشاملة للحكومة الذكية فتتمثل بالآتي °:

- ١ . سرعة أداء الخدمات الحكومية .
- ٢ . انخفاض التكاليف .
- ٣ . اختصار الإجراءات الإدارية .
- ٤ . الجودة ودقة الخدمة المقدمة .
- ٥ . القضاء على الفساد الإداري .

ثالثاً: المفاهيم المتداخلة

إن مفهوم الحكومة الذكية من المصطلحات الحديثة نسبياً فهناك اهتمام من قبل الباحثين في تطور الحكومات فظهرت مجموعة من المصطلحات المتقاربة من الحكومة الذكية عبر مراحل تطورها الثلاث، وفي الممارسة يتم تطبيق هذه المصطلحات بشكل غير متسق لذلك يمكن تعريفها، والفرق فيما بينها بالشكل الآتي^٦:

١. الحكومة الكلاسيكية: ويقصد بها التقليدية غير الإلكترونية: وهي خدمات يجري الحصول عليها شخصياً، إذ يتعين على المتعامل التوجه إلى مقر الجهة الحكومية أو مزودي الخدمة، طرف ثالث محدد من قبل الجهة الحكومية، أو خدمات تباشرها الجهة وتكون تنفيذية من حيث تنفيذها ومن حيث طبيعتها وإلا يتم توفيرها إلكترونياً. ويمكن أن تكون هذه الخدمات معلوماتية أو تفاعلية أو إجرائية أو تنفيذية. لذلك طورت الحكومات من إدارتها نتيجة اعتناق التكنولوجيا المعلومات التي غيرت المجتمع فقد عانت الكثير من الشركات والمؤسسات بسبب عدم القدرة على الاستجابة السريعة للتطور، لذلك أصبحت ثورة المعلومات والاتصالات تدخل في جميع المجالات التي تخص القطاع العام والخاص والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية، ومن الممكن أن تكون شكلاً من أشكال العدالة الاجتماعية.

٢. الحكومة الإلكترونية: وهي الحكومة التي تشكل طريقة القطاع العام في استخدام التكنولوجيا لتطبيق مبادئ الإدارة العامة وتيسير أعمال الحكومة عبر قنوات إلكترونية مبتكرة (شبكة الإنترنت، أو الشبكات الداخلية، أو الأجهزة المحمولة) الرسائل النصية القصيرة، ونظام التطبيقات اللاسلكية (WAP)، والمساعِد الرقمي الشخصي (PDA) وشاشات اللمس، والبريد الإلكتروني، والرد الصوتي التفاعلي، وتكون الخدمة المتاحة سواء كانت كلاسيكية أو إلكترونية من ثلاثة عناصر (الوصول للخدمة، وتنفيذها، والحصول عليها)، وتعريف البنك الدولي للحكومة الإلكترونية وفحواه^٧، هي تكنولوجيا المعلومات التي تمتلك قدرة تحويل العلاقة مع المواطنين والأعمال وغيرها من أجنحة الدولة إلى التوصل لأجود الخدمات وتعود بالفائدة التالية: تقليل الفساد، زيادة الشفافية نمو الدخل الحكومي، تخفيض التكاليف» لذلك من أبرز التطبيقات الإلكترونية

هي التحول نحو الحكومة الذكية، ويرى البعض أن الحكومة الذكية هي البديل عن الحكومة الإلكترونية لكن في الواقع أنها تكملها وتعمل على تعزيز الأنظمة والخدمات القائمة على جميع الأجهزة الذكية والمتطورة.

المطلب الثاني

الحكومة الذكية وتطبيقاتها في العراق

أولاً: الحكومة الذكية

من أهم إستراتيجيات التحول هي تحول الحكومات من الإلكترونية إلى الذكية وسهولة إجراء الخدمات للأفراد، لكي تكمل ما تم بناؤه واستثماره والتزامن مع هذا التصنيف من الحكومات عبر البيانات (الداتا)، والاتصال عن طريق الأجهزة الذكية المحمولة التي تعتمد على (GPS) ويتم ذلك بتحويل مباشر لبعض خدمات بوابة الحكومة الإلكترونية، وأتمتة القوى الميدانية، وساعات العمل المرنة، وتقليل الأخطاء الإدارية البشرية التي يكون الأفراد المتسبب فيها، والتكامل الاقتصادي بين القطاعين العام والخاص ودعم الاقتصاد والتنمية والابتكار^١. لذلك هناك تطبيقات عملت عليها الحكومة عن طريق الظروف التي واجهت البلاد ولا بُدَّ من اتخاذ التدابير اللازمة لتخطي الأزمات، وكانت من أبرز هذه الأزمات التي حصلت في عام (٢٠١٤)، أثر دخول داعش الإرهابي للعديد من المناطق العراقية والاستيلاء عليها، كانت للتكنولوجيا الدور البارز في ذلك عن طريق تفعيل أجهزة الاستشعار الذكية والكاميرات الليلية والأقمار الصناعية لضرب أوكار العدو واستخدام الأجهزة الإلكترونية الأمنية في تتبع الهجمات الإلكترونية الداعشية، وبذلك تمكن العراق عن طريق هذه الحرب من تفعيل الحكومة الإلكترونية وتطبيقها على أرض الواقع . .

ثانياً: تطبيقات الحكومة الذكية في العراق

ونأخذ جزءاً من هذه الجوانب المطبقة في العراق، منها:

١. الجانب الأمني (الأمن السيبراني): بعد الثورة الإلكترونية أصبح هناك الإرهاب الإلكتروني الذي يعتمد على التطور التقني والمعلومات الإلكترونية وبتبها عن

طريق الأجهزة الذكية، وتكون أمام المتلقي مباشرًا، وهذا ما يطلق عليه (بالإرهاب السيبراني)، وكانت بداية استخدام هذا المصطلح على يد (بارلي كولين) (*٩)، وعرفه على أنه «هجمة إلكترونية، غرضها تهديد الحكومات أو العدوان عليها، سعيًا لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو أيديولوجية، وأن الهجمة يجب أن تكون ذات أثر مدمر وتخريبي مكافئ للأفعال المادية للإرهاب»، إذ نلاحظ عن طريق التعريف أعلاه: أنه إختراق للفضاء الإلكتروني للدولة من الجماعات المسلحة للمؤسسات الحكومية، وسرقة بياناتها عبر الإنترنت، مثل: (سرقة بيانات وزارة الدفاع، ووزارة الداخلية، وبيانات المصارف . . . وغيرها)، ويرجع ذلك إلى ضعف الحماية الحكومية للبيانات، واستغلالها لمصلحة التنظيم، لذلك من الضروري تحديث أنظمة حماية المستهلك لتضمن متطلبات الأمن السيبراني، وخلق قدرات وطنية لإدارة الحوادث والمساعدة على وضع السياسة الحمائية الوطنية، ومحاربة ذلك النوع من الإرهاب^(١٠). وكانت تلك التنظيمات تحصل على أموالها عن طريق التبرعات من المنظمات غير الهادفة للربح، فكان لمواقع التواصل الاجتماعي عبر الأجهزة الذكية آثار في تمويلهم بشكل غير مباشر، لذلك تعاضم تحرك داعش الإرهابي في العراق ونذكر تمويله من مصادر أساسية منها: تجارة الطاقة، تجارة الآثار، الفدية والاتجار بالبشر رأس المال البشري، الدعم والتمويل الدوليين^{١١}، وبذلك نلاحظ من خلال ما سبق أن المواقع الإلكترونية والأجهزة الذكية كانت حاضرة في المعارك التي حصلت مع داعش الإرهابي، وكانت من ضمن الخطة الهجومية لضرب البلدان إلكترونيًا من خلال الأفكار والاعتقادات التي تنشر على المواقع الإلكترونية، ومقابل ذلك كانت الحكومة تتخذ الإجراءات اللازمة لحجب هذه المواقع والإبلاغ عنها، ويتضح لنا القول بأن الحكومة الذكية يمكن استخدامها لتطور وابتكار الجانب الأمني، والحذر في هذا المجال من التهديدات الإلكترونية المالية، والاختراق والجريمة المنظمة، والقرصنة، والاستغلال المعلوماتي.

٢. الجانب الصحي والتعليمي (وأزمة كورونا) استعراضًا لما سبق، للحكومة الذكية أثران وهما: توفير خدمات بصورة أسرع وتكلفة أقل، ودمج وتكامل قواعد المعلومات للهيئات الحكومية، وبذلك فالحكومة الذكية لها ثلاثة أبعاد^{١٢}:

- من الحكومة إلى المواطن (G2C).
- من الحكومة إلى رجال الأعمال (G2B).
- من الحكومة إلى الحكومة (G2G).

لذلك نأخذ الجابين من خلال رؤية الحكومة الذكية وتطبيقاتها في أثناء الأزمة وما بعدها ويكمن ذلك في:

أ. الجانب الصحي: إن الحكومة الإلكترونية يقتضي المزج فيها بين إستراتيجية تنفيذ المهام وإستراتيجية تكنولوجيا المعلومات واتجاهاتها العالمية الحالية والمستقبلية عند وضع السياسات العامة للدولة، واتخاذ السياسات البديلة والطارئة، عند حدوث أي أزمة كما حصل في العام (٢٠١٩ أزمة كورونا)، والانتقال السريع إلى العالم الرقمي خشية تفشي الوباء، فالحكومة تتأثر في بيئتها وتؤثر بها والتفاعل مع كافة عناصرها لذلك من الضروري مراعاة البنية التحتية، وتوافر التطبيقات الذكية للتواصل، والتدريب وبناء القدرات، ومستوى مناسب للتمويل، وأيضاً وجود الإدارة السياسية، والأمن الإلكتروني والسري في حفظ معلومات المواطن، ويتطلب ما تم ذكره نظماً خبيرة وذكية عن طريق هيمنة التأثير الهندسي من قبل المهندسين (تايلور، وفايلول)^{١٣*} استمرار تأثيرهما إلى الوقت الحاضر. ويكون ذلك عبر إحلال التفاعل الآلي محل الإنساني والذكاء الاصطناعي محل الذكاء الإنساني، للإحاطة علمياً بأن أزمة كورونا غير المسبوقه برهنت على الدور الحيوي للتكنولوجيا الرقمية في الحصول على الرعاية الصحية والسلع والخدمات الأساسية، وبذلك أكد (ماريوروما) المدير العام لسياسة الصحة الرقمية في شركة انتل (Intel) أن هناك بالفعل مجموعة من التطبيقات الذكية للصحة الإلكترونية الجديدة، وإضافة إلى ذلك قبل حدوث الجائحة اكتشفت التكنولوجيا عبر شركة (Blue dot) الكندية أول «إشارات رقمية» بشأن فيروس كورونا في ووهان في الأيام الأخيرة من (٢٠١٩)، وكذلك نموذج مستشفى في الهند مخصص لعلاج كوفيد، إن الذكاء الاصطناعي يطابق أداء أطباء الأشعة البشرية في اكتشاف وجود الفيروس، عن طريق الأشعة السينية على الصدر، لذلك كل مرة نستخدم فيها الهاتف الذكي في التطبيقات الصحية يزيد ذلك الحكومات الذكية تطوراً، وبالنظر إلى أن حدوث أزمة غير معرفة مماثلة لأزمة كورونا ليس مستحيلاً في المستقبل،

لذا على واضعي السياسات العامة إنشاء بنية تحتية مناسبة لنشر الحلول الضرورية الذكية واعتمادها من قِبَل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية^{١٤}.

ب. الجانب التعليمي: عندما تكون الأزمة شاملة وفوضوية يتولد شعور بعدم الأمان لدى أفراد المجتمع ويمكن أن يتحول إلى شعور باليأس والإحباط خوفاً مما سيحدث مستقبلاً، وهذا ما حصل عندما جاءت أزمة كورونا والمطلوب من الحكومات وصانعي القرار الاستجابة السريعة للأزمة ووضع المعالجات المناسبة، وكانت التطبيقات الإلكترونية الذكية إحدى السياسات البديلة لمواجهة الأزمة عبر الهواتف المحمولة الذكية والحاسبات... إلخ، عن طريق الإجراءات الوطنية للاستجابة السريعة وتشمل السياسات التعليمية والصحية والاقتصادية (المالية والنقدية)، وكانت السياسات التعليمية المتبعة في العراق عن طريق التعليم الإلكتروني للمدارس والجامعات أو بثّ برامج تعليمية عبر القنوات التعليمية أو عبر تطبيقات البرامج الذكية عن بعد مثل: (ZOOM_MEET_CLASSROOM... .)° ويكون ذلك وفق إجراءات عبر الإنترنت في بيئة افتراضية تُعرف بالمدرسة الرقمية: وهي البيئة التعليمية التي تهدف إلى استخدام التكنولوجيا الحديثة في التعليم مثل الحواسيب والوسائط المتعددة وبوابات إلكترونية، أما المعلم الرقمي: وهو الشخص الذي يمتلك معلومات في مجال تخصصي معين وكذلك لديه خبرات في مجال التقنيات الحديثة والتكنولوجيا المتطورة بحيث يستطيع دمج هذه التقنيات والتكنولوجيا في البيئة الصفية، بالصورة التي تلبى احتياجات المتعلمين بحيث يستطيع تنمية تعليمهم، أما الطالب الرقمي: وهو بشكل عام أي شخص حقق استفادة من التعليم الذكي دون عمر وجنس معينين. فمن الضروري التمييز ما بين التعليم الرقمي الذكي والتعليم الإلكتروني، فالأول هو استخدام الأجهزة الذكية المحمولة والإنترنت، أما الثاني: فهو استخدام الوسائط الإلكترونية، فقد كانت توقعات لمبيعات الهواتف الذكية العام (٢٠٢٠) قدرت بـ (٤٨٤) مليار دولار أمريكي، بزيادة نسبتها (٥,٨٪) عن العام (٢٠١٩)، وبعد الجائحة هناك توقع في نمو سوق الهواتف الذكية والمنتجات المصاحبة لها بشكل أسرع، لكن كان هناك التباطؤ بشأن شرائح الذكاء الاصطناعي بسبب عدم احتواء جميع الهواتف على شرائح مخصصة للذكاء الاصطناعي (وحدات المعالجة العصبية NPU)، ولا تزال التوقعات لعام (٢٠٢٤) بمبيعات (١,٦) مليار من شرائح

الذكاء الاصطناعي المتقدمة، لكن يمكن أن تنخفض الأرقام لوجود شرائح أصغر وأرخص من وحدات المعالجة العصبية لهواتف الذكية، وبذلك لن تكون هذه الشرائح داخل الهواتف للتعليم فقط، وإنما ستكون داخل الملايين من أجهزة الاستشعار وآلات الإنترنت وحلول المدينة الذكية والمنزل الذكي^{١٦}. بالرغم من المشكلات التي يعاني منها التعليم الذكي يمكن أن نوضحها كالآتي^{١٧}:

- الحاجة إلى أجهزة ذكية حديثة ذات جودة عالية.
- ضرورة وجود مختصين في المجال الإلكتروني والرقمي الذكي.
- عدم توفر الإنترنت لبعض الطلبة من الطبقة الفقيرة مادياً.
- عدم معرفة البعض الولوج إلى عمليات التعليم الرقمي.

لذلك من الضروري أن نكون على استعداد للتغييرات الطارئة في العالم ومواجهتها بالسياسات البديلة وبناء مرونة في المؤسسات التعليمية، فالعالم لا يخلو من الحوادث والأزمات المجهولة مستقبلاً وينبغي على كل معلم أن يضع خمس مهمات لنقل المحتوى الإلكتروني الذكي وهي^{١٨}:

- التعليم.
- المحتوى.
- التحفيز.
- التواصل.
- والصحة العقلية.

المطلب الثالث

مستقبل الحكومة الذكية في ضوء أهداف التنمية المستدامة في العراق

من أهم التحديات في عالمنا، في الوقت الحاضر لسنوات عديدة سيكون التعامل بين المؤسسات الحكومية وغير الحكومية عن طريق الأجهزة الذكية وهذا بفضل التطورات التكنولوجية الحديثة، لكن هناك ثلاث مشاهدات في غمار هذا الموضوع تكمن عن طريق:

أولاً: معوقات مستقبل الحكومة الذكية في العراق

في بداية الحديث يمكن تعريف الدراسات المستقبلية بأنها^{١٩}: «مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية، والعمل على إيجاد حلول عملية لها، كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث، وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث في المستقبل. والمقصود بذلك لا تتوقف الحكومة الذكية على الخدمات البسيطة أو تنفيذ مخططات من أجل تيسير العمل الحكومي، وإنما هي أداة للتنمية المستدامة، لتعزيز بيئة وإجراءات العمل الذكي والمشاركة في صنع القرار في الإطار القانوني وشفافية ونزاهة ومساواة وعدالة لتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد. فالتطبيقات التكنولوجية الحديثة تدعم التنمية المستدامة في المجالات كافة، كالإدارة العامة والأعمال التجارية إلى جانب التعليم والصحة... إلخ، لذا يستحق الاتجاه نحو الحداثة والعولمة اهتماماً خاصاً، يبدأ بـ^{٢٠}:

- نمو التكتلات الإقليمية مثل منظمة التجارة العالمية.
- تهميش فئات معينة من السكان بسبب عدم تواصلهم الذكي وهذا يسبب خطراً في كونهم جزءاً من طبقة متدنية هيكلياً.
- تآكل سيادة الدولة التي تجاوزت الحدود الوطنية، وزيادة الانكشاف على العالم الخارجي.
- زيادة العولمة تعني زيادة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مثل الجريمة المنظمة، والإرهاب الرقمي غسيل الأموال إلكترونياً.

ومن خلال ما تم التطرق له، سيكون التعامل مع الحكومة الذكية وفق إستراتيجية معدة للتغلب على المعوقات من قبل خبراء اختصاص ليس في السياسة وحسب، وإنما في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لمواكبة التطورات العالمية وحماية البيانات الحكومية عن طريق الأمن الذكي، وهندسة الحكومات وتعزيز إدارة التغلب على رباعية العناقيد (الفساد والإرهاب والمحاصصة وكورونا) وفق معايير صحيحة للتحويل الذكي، ويبدأ ذلك من المواطن؛ لأنه الهدف والغاية، الإنسان هو المحور الأساسي للتنمية^{٢١}.

ثانياً: إمكانات الحكومة الذكية في العراق ومستقبلها

يكمن أن نتوقع خلال السنوات القادمة في المدى القصير والمتوسط الخروج من تطبيقات الحكومة التقليدية والانتقال بقوة إلى الحكومة الذكية، عن طريق القيادات التكنولوجية وتنفيذ الإستراتيجيات والبنى التحتية ورسم السياسات الحكومية، وتعتبر عملية تحول الحكومة إلى ذكية عبر محطات تقوم على ستة محاور، ويمكن أن تكون بداية التحول الذكي، أما عن أهم توجهات التحول الذكي تكمن كالاتي^{٢٢}:

- ١ . التجارة الذكية وتنمية الخدمات العامة المستدامة ونجاح الثورة الصناعية الرابعة .
- ٢ . المدن الذكية والحكومة الذكية .
- ٣ . والسياحة الذكية .
- ٤ . رعاية جيل المستقبل .
- ٥ . النظام الإيكولوجي الغرف الصفية في المستقبل .
- ٦ . والتنقل الذكي .

وستتمكن الحكومات بفضل الخدمة الذكية المقدمة عبر الأجهزة بعيدة مرتبطة بشبكة متنقلة من تعزيز السلامة الشخصية والاستدامة والصحة والرفاهية ومبادئ الصحة العامة . ومن المتوقع أن يشهد مفهوم الحكومة الذكية في العالم موجة جديدة من التحولات الجذرية، فهناك الكثير من الفرص الواعدة التي تنتظر أن يكشفها لإحداث نقلة نوعية في الحكومات الذكية . وتزداد وتيرة المنافسة بين مختلف دول العالم إذ توفر المنافسة الإقليمية والدولية تخفيف العبء عن الميزانية من جهة، وتحسين تجربة المستخدم من جهة أخرى، وخير دليل على ذلك نجاح الأسواق للدول الناشئة مثل، كوريا الجنوبية، والإمارات، وسنغافورة، وأستونيا، وحددت ديلويت في تقريرها العالمي الصادر مؤخراً بعنوان «الحكومات ٢٠٢٠: رحلة إلى مستقبل الحكومات» أهم (٢٠٤) توجهات في القطاع العام منها (٣٧) توجهًا مع القطاعات الأخرى و(١٦٧) توجهًا متعلقًا بالجانب الاجتماعي وتحدد هذه التوجهات ملامح المستقبل في السنوات القليلة القادمة .

ثالثاً: الفرص المتاحة والآثار الإيجابية المستقبلية للحكومة الذكية

من أبرز الفرص المتاحة في مجال الحكومة الذكية هي كآلاتي^{٢٣}:

- ١ . تقنية إنترنت الأشياء وشبكة الجيل الخامس أو السادس وخدمات الشبكة ذات النطاق العريض ، إضافة إلى الخدمات ومراكز البيانات والخدمات السحابية .
- ٢ . المنصة الوطنية المتكاملة ستوفر الحلول المتوافقة مع المنصات المشتركة المتكاملة لتلبي الطلب المتزايد على الأنظمة والحلول ضمن الجديدة وتطوير الخدمات المتوفرة حالياً في مختلف الهيئات الحكومية .
- ٣ . البيانات الضخمة ستطرح المبادرات الحكومية الذكية كمًا هائلاً من البيانات الضخمة وستوفر سوقاً جديداً ومزدهراً لخدمات تخزين البيانات ومشاركتها وتحليلها .
- ٤ . الذكاء الاصطناعي والروبوتات سيزيد الطلب على الكفاءة التشغيلية واسعة النطاق ضمن العديد من الهيئات الحكومية وسيطلب توفير الخدمات وجود عمليات ذاتية قائمة على الذكاء الاصطناعي (مثل اعتماد «شات بوت» في مراكز الخدمات) .
ومن أهم الآثار الإيجابية المستقبلية في مجالات عديدة للحكومة الذكية هي^{٢٤}:

أ- المجال الاقتصادي ويتضمن :

- زيادة الإنتاجية وتحسين النتائج
- تخفيض كبير في نفقات التشغيل الخاصة بالخدمات
- العامة (مثل طاقم العمل)
- تخفيض نفقات رأس المال المطلوب لتوفير الأصول
- مراكز البيانات
- تحفيز النمو في قطاع تقنية المعلومات والاتصالات

ب- المجال الاجتماعي ويتضمن :

- وصول أسهل وأسرع وأقل تكلفة إلى الخدمات الحكومية .
- توفير فرص العمل الجديدة (مثل مدراء الروبوت) .

- زيادة نسبة الشفافية والمصداقية في الخدمات .
- زيادة مستوى رضا المواطنين والرفاهية .
- ج- مجال الاستدامة ويتضمن :
 - التوثيق الإلكتروني بعيداً عن الورق .
 - تخفيض حجم الهدر باعتماد عمليات حكومية أكثر فاعلية (مثل الزمن والمرافق الخدمية والتجهيزات)
 - تخفيض نسبة المساهمة في انبعاثات الغازات (تقليل الحاجة إلى زيارة المكاتب الحكومية).

ومن خلال ما تم تحليله من الدراسة تبين لنا أن التقنيات والتطورات التي حصلت في العالم اليوم لا بُدَّ من مواكبتها لمعرفة مواجهة الأزمات الطارئة وخاصةً بعد التطور التقني الحديث لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، وضمن مبادرة الحكومة الذكية مستقبلاً في العراق والانتقال من الحكومة الإلكترونية إلى الحكومة الذكية واستخدام الهواتف الذكية في مختلف الجوانب من قبل الأفراد والمؤسسات والمجالات الحياتية المتعددة ومنها : التجاري والسياسي والتربوي والصحي ، ولها تأثير إيجابي وفوائد تعود على الأفراد في تسهيل حياتهم اليومية والمهنية ومنها الخصوصية والقدرة على الاتصال من الأماكن البعيدة ، والتنظيم ، والتعلم ، والترفيه ، ومصدر للأخبار وتقريب التواصل ما بين المجتمع والحكومة ، لذلك تُعد الحكومة الذكية من أبرز التقنيات الابداعية للمستقبل في العراق .

وختاماً : بعد أن تطرقنا إلى واقع الحكومة الذكية ينتج لدينا عدة تساؤلات بهذا الصدد : هل إن العراق سوف يحقق أهداف التنمية المستدامة؟ ولو بعض الأهداف بالشكل المطلوب العمل فيه عالمياً؟ أم أن هناك عوامل داخلية تحد من تكيفها مع الواقع التقني الافتراضي؟ وهل الحكومات جادة فعلاً ومؤمنة بقضية تغيير الحكومة من تقليدية إلى حكومة ذكية؟ يمكننا القول بأن العراق يشهد تحولات في المجالات الكافة ، لكن غير معروف كم هدفاً من أهداف التنمية المستدامة سيحقق مستقبلاً ، وهل تكون الحكومة الذكية مطبقة في الوقت القريب ، وما نستمد من الدراسة في الواقع هناك استجابة ضئيلة للمضي في تحقيق الأهداف المستدامة ، وليس من المعقول تحقيق ولو نصف الأهداف في غضون ثماني سنوات!! ، وذلك بسبب ما شهدته العراق من أحداث وأزمات ولا سيّما

الأزمات السياسية والقيادات السياسية المتحكمة بمصير البلاد، لذا هناك مجموعة من التوصيات التي ترد على الأسئلة السابقة المطروحة، وتكمن الإجابة فيها عن طريق:

١. تطوير البنية الأساسية للبيانات والاتصالات .
٢. الأمن الذكي ويشمل الأمن المعلوماتي والأمن الوقائي والبحث الجنائي الإلكتروني .
٣. رغبة سياسية كافية من قبل القيادات الحاكمة في تبني هذا النوع من الحكومات الذكية ومؤمنة بالتغيير التقني .
٤. تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في التكنولوجيا والسماح بتطويرها .
٥. ترشيد السياسة العامة والقانون .
٦. سد الفجوة الرقمية .
٧. الحفاظ على الخصوصية والأمان .
٨. بناء الثقة بين المجتمع والحكومة الذكية .
٩. تنمية رأس المال البشري
١٠. حكومة ذكية + تنمية مستدامة = حكم رشيد
١١. تهيئة مناخ مناسب للأعمال الإلكترونية الذكية .
١٢. استعداد المواطنين للتغيرات التقنية المتطورة .

المصادر

أولاً: الكتب

١. صادق علي حسن، الهياكل المالية للتنظيمات الإرهابية العراق أنموذجاً، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٨ .
٢. عامر حسن فياض، العراق وحلم الدولة، إنكي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠٢١ .

٣. عبد العظيم جبر حافظ ، استشراف المستقبل في النظم السياسية (دراسة نظرية ونماذج تطبيقية) ، جامعة النهرين كلية العلوم السياسية ، بغداد، ٢٠١٨ .
٤. عباس بدران ، عصر الفرص الجديدة الحكومة الذكية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٤ .
٥. عبد الحميد بسيوني ، الحكومة الإلكترونية ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع - القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
٦. محمود القدوة ، الحكومة الإلكترونية والإدارة المعاصرة ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠ .
٧. هند شاكر محمود ، المؤسسات المالية الدولية وأثرها في صنع السياسة العامة ، دار أمجد للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٢١ .

ثانياً : المجالات والدوريات :

١. محمد منصور أبو جليل ، وآخرون ، أثر تطبيق مبادرة الحكومة الذكية لدولة الإمارات العربية المتحدة على سعادة المستخدمين جودة الخدمة متغيراً وسيطاً ، مجلة العالمية للاقتصاد والأعمال ، pdf .
٢. سلمان عبور زبار ، الحكومة الذكية وتطبيقاتها في النقل الذكي دراسة تحليلية في آراء عينة من العاملين في المنظمات العراقية ، المجلة العراقية للعلوم الإدارية ، المجلد ١٥ ، العدد ٥٩ .
٣. مجموعة البنك الدولي ، حماية الإنسان والاقتصاد : استجابات متكاملة على صعيد السياسات لجهود مكافحة فيروس كورونا المستجد (COVID-19) ، ٢٠٢ .
٤. المعهد الديمقراطي الوطني ، دليل عملي للسياسيين للتعامل مع جائحة كورونا المستجد (Covid-19) ، خطة التعامل مع الأزمة ، ٢٠٢٠ .
٥. سليم مزهود ، آفاق التعليم الرقمي والإلكتروني في ظل جائحة كوفيد-١٩ ؛ المشكلات والحلول ، مجلة المداد ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف ، ميله (الجزائر) ، ٢٠٢٠ .

٦. جنات رجم، الطاهر راجعي، تقنيات الهواتف الذكية وتطوير الإبداع الصحفي لدى الصحفيين، مجلة البحوث والدراسات في الميديا الجديدة، المجلد ١، عدد ١، بلا سنة.

ثالثاً: شبكة الإنترنت :

١. ديلويت، التحول الوطني في الشرق الأوسط / رحلة رقمية، pdf، متوفر على الموقع الإلكتروني، تأريخ زيارة الموقع ٢٥ / ١ / ٢٠٢٢ . file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/National%20Transformation

٢. حكومة دبي الإلكترونية، سياسات التحول إلى الحكومة الذكية، دائرة حكومة دبي الذكية، ٢٠١٤، pdf، تأريخ زيارة الموقع في ٢٢ / ١ / ٢٠٢٢ . file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/.pdf

٣. حكومة دبي الإلكترونية، سياسات التحول إلى الحكومة الذكية، دائرة حكومة دبي الذكية، ٢٠١٤، pdf، تأريخ زيارة الموقع في ٢٢ / ١ / ٢٠٢٢ . file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/.pdf

٤. د. أحمد يوسف الجميلي، القدرات السيبرانية سلاح روسيا ضد الخصوم، مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والإستراتيجية، ٢٠١٨. متاح على الموقع : . https://www.makingpolicies.org تأريخ الزيارة ٢٢ / ١ / ٢٠٢٢ .

٥. الخطة الموجهة للحكومة الإلكترونية والتحول الذكية (٢٠١٦-٢٠٢٠)، برج الاتصالات، السودان، pdf، متوفر على الموقع الإلكتروني تأريخ الزيارة في ٢٤ / ١ / ٢٠٢٢ . file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/.pdf

٦. مقارنة بين نظرية فايول وتايلور، متاح إلى الموقع الإلكتروني، تأريخ زيارة الموقع ٢٤ / ١ / ٢٠٢٢ . https://hrdiscussion.com/hr124752.html?s=6f46b841ac62bd944ae08fd04f6a9699

٧. هند مهداوي، الحكومة الإلكترونية آلية لتحقيق الحوكمة الذكية، بحث pdf، تأريخ زيارة الموقع في ٢١ / ١ / ٢٠٢٢ . file:///C:/Users/cent-aljwadin/Desktop/.pdf

٨. ديلويت، التحول الوطني في الشرق الأوسط / رحلة رقمية، pdf، متوفر على الموقع الإلكتروني، تأريخ زيارة الموقع ٢٥ / ١ / ٢٠٢٢. file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/National%20Transformation

رابعاً : المصادر الأجنبية :

1. ITU News, Technology and the Corona pandemic (Covid-19) crisis management, Magazine, 2020.
2. Huang, R.H, et al.(2020).Handbook on facilitating flexible learning during educational disruption: The Chinese experience in maintaining undisrupted learning in COVID-19 outbreak. Smart Learning, Institute of Beijing Normal University.

الهوامش

- ١ — محمود القدوة، الحكومة الإلكترونية والإدارة المعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٠، ص ١٦.
 - ٢ — محمد منصور أبو جليل، وآخرون، أثر تطبيق مبادرة الحكومة الذكية لدولة الإمارات العربية المتحدة على سعادة المستخدمين جودة الخدمة متغيراً وسيطاً، مجلة العالمية للاقتصاد والأعمال، pdf.
 - ٣ — عباس بدران، عصر الفرص الجديدة الحكومة الذكية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠١٤، ص ٧١.
 - ٤ — عبد الحميد بسيوني، الحكومة الإلكترونية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص ١١٤.
 - ٥ - مهداوي هند، الحكومة الإلكترونية آلية لتحقيق الحكومة الذكية، بحث pdf، تأريخ زيارة الموقع في ٢١ / ١ / ٢٠٢٢. file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/pdf
 - ٦ — حكومة دبي الإلكترونية، سياسات التحول إلى الحكومة الذكية، دائرة حكومة دبي الذكية،
- ٢٠١٤، pdf، تأريخ زيارة الموقع في ٢٢ / ١ / ٢٠٢٢. file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/pdf
- ٧ - عبد الحميد بسيوني، الحكومة الإلكترونية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.
- ٨ - سلمان عبور زبار، الحكومة الذكية وتطبيقاتها في النقل الذكي دراسة تحليلية في آراء عينة من العاملين في المنظمات العراقية، المجلة العراقية للعلوم الإدارية، المجلد ١٥، العدد ٥٩، ص ١١
- ٩ (*)باري كولن: باحث أقدم في معهد الاستخبارات والأمن بجامعة كاليفورنيا، أطلق مصطلح (الإرهاب السيبراني) على: طريقة دمج الكلمات الفيزيائية والافتراضية، والمتعلقة ببعض جوانب الإرهاب، وقد استخدم ذلك المصطلح بسرعة على نطاق واسع من رجال القانون والأكاديميين ووسائل الإعلام. للمزيد ينظر: د. أحمد يوسف الجميلي، القدرات السيبرانية سلاح روسيا ضد الخصوم، مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والإستراتيجية، ٢٠١٨. متاح على الموقع: https://www.makingpolicies.org تأريخ الزيارة ٢٢ / ١ / ٢٠٢٢.

- ١٠ - هند شاكر محمود، المؤسسات المالية الدولية وأثرها في صنع السياسة العامة، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٢١، ص ١٧٥ - ١٧٦.
- ١١ - صادق علي حسن، الهياكل المالية للتنظيمات الإرهابية العراق أمودجًا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٨، ص ٧٢-٨٩.
- ١٢ - الحطة الموجهة للحكومة الإلكترونية والتحول الذكية (٢٠١٦ - ٢٠٢٠)، برج الاتصالات، السودان، pdf، متوفر على الموقع الإلكتروني تأريخ الزيارة في ٢٤ / ١ / ٢٠٢٢. <file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/pdf>
- ١٣ (*) هنري فايول، المعروف باسم «الأب الروحي لنظرية الإدارة الحديثة»، كما قدم التفكير الشامل في فلسفة الإدارة. طرح نظرية الإدارة العامة التي يتم تطبيقها في كل منظمة بالمساواة وفي كل مجال. يتم استخدام مبادئ الإدارة التي وضعها فايول المديرون لتنسيق الأنشطة الداخلية للشركة. ريدريك وينسلو تايلور، أو تايلور المعروف شعبياً باسم «بالأب الروحي للإدارة العلمية» الذي أثبت باستخدام التجارب أن المنهجية العلمية يمكن تطبيقها على الإدارة. وتألّف العملية العلمية من الملاحظات والتجارب والتحليلات والاستدلالات التي يريد تايلور تطبيقها في الإدارة لتطوير علاقة السبب و التأثير. فرديريك وينسلو تايلور، أو تايلور المعروف شعبياً باسم «بالأب الروحي للإدارة العلمية» الذي أثبت باستخدام التجارب أن المنهجية العلمية يمكن تطبيقها على الإدارة لدى كل من مُفكري الإدارة مساهمة هائلة في مجال الإدارة، والتي ليست متناقضة ولكن تكميلية. في حين أن هنري فايول مؤيد متحمس لوحدة القيادة، يرى تايلور أنه ليس من المهم أن يتلقى الموظف أوامر تحت إشراف وظيفي من رؤساء مُتعددين. مقارنة بين نظرية فايول وتايلور، متاح إلى الموقع الإلكتروني، تأريخ زيارة الموقع ٢٤ / ١ / ٢٠٢٢. <https://hrdiscussion.com/hr124752.html?s=6f46b841ac62bd944ae08fd04f6a9699>
- ١٤ - مجموعة البنك الدولي، حماية الإنسان والاقتصاد: استجابات متكاملة على صعيد السياسات لجهود مكافحة فيروس كورونا المستجد (COVID-19)، ٢٠٢٠، ص ١٨.
- ١٥ - المعهد الديمقراطي الوطني، دليل عملي للسياسيين للتعامل مع جائحة كورونا المستجد Covid-19، خطة التعامل مع الأزمة، ٢٠٢٠، ص ٦.
- ١٦ - ITU News, Technology and the Corona - crisis management, (١٩-pandemic (Covid Magazine, ٢٠٢٠, p ٢١.
- ١٧ - سليم مزهود، آفاق التعليم الرقمي والإلكتروني في ظل جائحة كوفيد-١٩؛ المشكلات والحلول، مجلة المداد، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف، ميله (الجزائر)، ٢٠٢٠، ص ١٤.
- 18 -Huang ,R.H, et al.(2020).Handbook on facilitating flexible learning during educational disruption: The Chinese experience in maintaining undisrupted learning in COVID-19 outbreak. Smart Learning, Institute of Beijing Normal University.
- ١٩ - عبد العظيم جبر حافظ، استشراف المستقبل في النظم السياسية (دراسة نظرية ونماذج تطبيقية)، جامعة النهريين كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠١٨، ص ١١٧.
- ٢٠ - عبد الحميد بسيوني، الحكومة الإلكترونية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٠.
- ٢١ - د. عامر حسن فياض، العراق وحلم الدولة، إنكي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠٢١، ص ٢٣٢.
- ٢٢ - ديلويت، التحول الوطني في الشرق الأوسط / رحلة رقمية، pdf، متوفر على الموقع الإلكتروني، تأريخ زيارة الموقع ٢٥ / ١ / ٢٠٢٢. <file:///C:/Users/center-aljwadin/Desktop/National%20Transformation>
- ٢٣ - جنات رجم، الطاهر راجعي، تقنيات الهواتف الذكية وتطوير الإبداع الصحفي لدى الصحفيين، مجلة البحوث والدراسات في الميديا الجديدة، المجلد ١، عدد ١، بلا سنة، ص ١١٠.
- ٢٤ - عباس بدران، الحكومة الذكية، مصدر سبق ذكره، ص ١١١ - ص ١٢٣.

دور الجامعات في تعزيز الأمن الفكري

أ.د طارق هاشم خميس

أستاذ الفلسفة في جامعة تكريت

إن مسؤولية مواجهة التطرف والانحراف ليست مسؤولية الأجهزة الأمنية فحسب، بل إن هذه المسؤولية تتعدى إلى جميع المؤسسات المجتمعية الأخرى ومن أهمها، المؤسسات التعليمية الجامعات والمعاهد والمدارس على اختلاف مستوياتها، وذلك أن هذه المؤسسات من شأنها إرساء القيم المختلفة الروحية منها والأخلاقية، وما تتضمنه هذه القيم من عظات تربوية و تسامح واعتدال .

ومن هذا المنطلق أصبح لزاماً على هذه المؤسسات أن تكشف مشاركتها من أجل تحصين أذهان الشباب ضد الهجمات الفكرية التي تشنها التيارات المنحرفة . .

ولعلّ المستهدف الأول في حديثنا هنا هي الجامعات، تلك المؤسسات التربوية التي تعد من أكبر عوامل التحصين وتعزيز الأمن الفكري، وذلك من خلال رفع مستوى الشعور بالمسؤولية لدى شريحة واسعة ومهمة ألا وهي شريحة الطلبة، وكذلك في رفع الوعي الأمني والثقافي، والإسهام الفاعل في توجيههم الوجهة السليمة لإبعادهم عن الانحراف بعيداً عن جادة الالتزام بالأنظمة والقيم والعادات السليمة وحمايتهم من الوقوع في الخطأ والزلل .

لقد استشعرنا الخطر المحدق بالشباب العراقي لما لمسناه من ظهور أنواع من الانحرافات الفكرية، التي كان من نتائجها تقهقر مستوى الأمن الفكري لدى الطلبة خاصة، والمجتمع بصورة عامة، وقد حاولنا تتبع المسببات التي تقف وراء ذلك فوجدنا أن تقصير المؤسسات التربوية ومنها الجامعات في تعزيز الأمن الفكري هو أحد أبرز تلك المسببات .

فعلى الرغم من سعي بعض الباحثين الذين قاموا بالدراسات التي استهدفت إظهار دور المؤسسات التعليمية ومنها الجامعات في تعزيز الأمن الفكري، إلا أننا وجدنا أنه دور خجول ويتسم بالعشوائية واللامبالاة، ولا يرقى إلى أن يكون جهداً صادقاً ومنظماً ومهنيًا علميًا من أجل الاهتمام بهذه الشريحة وتحسينها من الانحراف .

من نتائج تلك الدراسات أنها كشفت الضعف الواضح في معالجة المناهج والمقررات الدراسية لمسألة الأمن الفكري، إذ لم تتضمن هذه المناهج والمقررات أي إشارة إلى الاهتمام بهذا الموضوع، وكان هناك ضعف واضح في فاعلية المؤسسات التعليمية لمعالجته .

إن بناء مشروع أكاديمي ممنهج لتعزيز الأمن الفكري عند طلبة الجامعات هو الضمان الحقيقي لاستمرارية تفعيل دور الجامعات في تعزيز الأمن الفكري حتى لا تصبح هذه المؤسسات الكبيرة ضمن المهتدات العديدة للأمن الفكري أو أن تصبح معوقًا وتحديًا مستقبليًا مضافًا . .

والآن دعوني أتساءل؛ ما حقيقة وواقع فاعلية الجامعات في تعزيز الأمن الفكري؟

وأتبعه بتساؤل آخر؛ ما الحلول المقترحة لتعزيز الأمن الفكري عند طلبة الجامعات؟

للإجابة عن هذين التساؤلين لا بُدَّ من أن نطلق أولاً من تأشير ما ينبغي أن تقوم به الجامعات في سبيل تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها، وهل هنالك مؤشرات على أرض الواقع باتجاه التوعية الشاملة لتحسين وتعزيز أفكار الطلبة؟

إن الإجابة عن هذين التساؤلين ستوضح لنا أهميتهما وذلك لمجموعة من الأسباب منها:

١ . النتائج التي سنتوصل إليها ستساعد المسؤولين عن صنع القرار التربوي لبناء مشروع لتعزيز الأمن الفكري في الجامعات .

٢ . إننا سنلقي الضوء على أهمية تعزيز الأمن الفكري لدى الطلبة في الجامعة وخارجها .

٣ . سنساعد بالتعرف بشكل مباشر على واقع فاعلية الجامعات في تعزيز الأمن الفكري .

٤ . السعي إلى بناء مشروع لتعزيز الأمن الفكري في الجامعات .

إن قراءة بسيطة للجهود الخجولة للجامعات في معالجة تداعيات الانحرافات الفكرية المعاصرة على سلوك الطلبة، تعطينا صورة قاتمة عن ضعف مفهوم الأمن الفكري، ذلك أن بعض الجهود المتمثلة بإقامة ندوات على نطاق ضيق تناولت أهمية الأمن الفكري وسبل مواجهة الانحرافات الفكرية، بينما انصبّت جهود أخرى على مفهوم وأسباب وآثار الانحرافات على المجتمع، بينما يغيب عنها الدور الحقيقي الذي يجب أن تؤديه الجامعات في تعزيز الأمن الفكري.

إن أبسط تعريف لمفهوم الأمن الفكري هو أنه مجموعة من الدعائم الفكرية يؤسسها الفرد ضد التطرف والانحراف من خلال التزام الوسطية والاعتدال عند الخوض في القضايا الاجتماعية والفكرية والدينية والسياسية التي يؤدي تجاهلها إلى زعزعة الأمن بكل مجالاته. وبعبارة أخرى من الممكن أن يظهر الأمن الفكري على أنه «التصورات والقيم التي تكفل صيانة الفكر وحفظه من عوامل الشطط وبواعث الانحراف التي تميل به عن الجادة وتخرجه عن وظيفته الأساسية، التي تتمثل في إثراء الحياة بالسلوك القويم والآثار النافعة، وحفظ الضروريات، فيغدو عامل تخريب وتهديد لكل ضروريات المجتمع.

تحديد مهددات الأمن الفكري:

مما لا شك فيه أن هنالك أسباباً معروفة تقف وراء ظهور أي انحراف فكري يهدد الأمن، ويبقى خطره مستمراً إذا لم يتم معالجته وتذليل الصعوبات لإيجاد الحلول لإزالته. ومن خلال عملنا في سلك التعليم الجامعي لعقدين ونيف من الزمن أصبح لدينا تصور واضح عن بعض ما يهدد الأمن الفكري سنستعرضه مختصراً..

أولاً/ المهددات العقائدية: تتمثل في قصور واضح في فهم النصوص الدينية وتفسيرها وتأويلها وتحميلها بما لا تحتمل، مما يتسبب في حصول فجوة بين من يفسر ويؤوّل النصوص، وبين المتلقي لها، وهذا معناه أن هنالك خللاً في الطرفين، خلل في التفسير وخلل في منهج التلقي، وهنا يبرز دور الجامعات في معالجة هذا الاختلال عن طريق المحاضرات والندوات، واللقاءات لإشاعة روح الوسطية والاعتدال وقبول الآخر.

ثانياً / المهددات المجتمعية :

إن وجود التناقض الواضح في نظام حياة أي مجتمع من المجتمعات يؤدي إلى حصول مفارقات واضحة في الفهم لما يدور، وهذا التناقض يدفع مكونات المجتمع إلى نوع من العدائية والتطرف أو محاولة التخندق والاصطفاف كل مع جهته الأمر الذي يجعل التفاهم والانسجام مستحيلًا، فتستطيع الجامعات هنا أن تعمل على رآب الصدع بين المكونات وتفعيل حالة من الانسجام المجتمعي الضروري لتعزيز الأمن الفكري .

ثالثاً / المهددات الاقتصادية :

لا يخفى أن اقتصاد أي مجتمع من الممكن أن يكون سلاحاً ذا حدين، فقوة الاقتصاد تساهم في تعزيز الأمن الفكري، بينما يكون ضعف الاقتصاد مهدداً خطيراً من مهددات الأمن الفكري انطلاقاً من حقيقة أن عدم سد احتياجات الإنسان الضرورية تدفع إلى التعصب، وتجعل المجتمع رافضاً للآخر، لذلك فإن الجامعات مطالبة بتأهيل مخرجاتها تأهيلاً مثاليًا لمواجهة الأزمات الاقتصادية على الصعيدين الفردي والجماعي، ومحاولة خلق جو العمل والإنتاج تجنباً للبطالة التي تعد مهدداً آخر من مهددات الأمن الفكري .

رابعاً / المهددات السياسية :

تؤثر السياسات التعسفية التي تمارسها السلطات ضد المواطنين مثل تسليط نوع من الكبت على الحريات أو تهميش الأفراد، وعدم إعطائهم المساحة الكافية لإبداء الرأي والمشاركة في صنع القرار في إضعاف الأمن الفكري، دور المواطن وتغييبه عن المشاركة السياسية أو انتهاك حقوقه مما يشعر معه بأنه مهمل ولا دور له .

ختاماً لا بُدَّ لنا من التأكيد بوضوح على المهام الكبيرة التي يجب أن تضطلع بها الجامعات لتعزيز الأمن الفكري، ذلك أنها يجب أن تكون منهلاً لتزويد الطلاب بالمهارات والخبرات الاجتماعية والخلقية، مثل التعاون وتحمل المسؤولية والقيادة واحترام الآخرين، وكذلك تفتح أفق التعاون بينها وبين مؤسسات المجتمع الأخرى بما يعود بالنفع عليهما معاً، وكذلك العمل على تنمية مهارات تحمل المسؤولية والعمل التعاوني لدى الطلبة بما ينعكس على أفعالهم الاجتماعية .

الصين تصب الأموال في العراق مع انسحاب الولايات المتحدة من الشرق الأوسط

«بكين تعزز من روابطها الإقليمية بالرغم من الانحدار الكلي للاستثمارات في مبادرة الحزام والطريق»

الفاينانشيال تايمز/ أدوارد وايت واندرو انكيلند

تاريخ النشر: ٢ شباط ٢٠٢٢

العراق أصبح لأحد أكبر المستفيدين من مبادرة (الحزام والطريق) التي أطلقها الرئيس الصيني (شي جين بينغ)، حيث تعمق الصين علاقاتها الاقتصادية في جميع أنحاء الشرق الأوسط من خلال عقود بناء وعقود طاقة بمليارات الدولارات. وأبرمت بكين صفقات بناء جديدة بقيمة (٥, ١٠) مليار دولار في العراق العام الماضي، كجزء من «التحول القوي» في مشاركتها تجاه الشرق الأوسط على الرغم من التراجع الأوسع في الاستثمار الصيني في الخارج.

تم الكشف عن النتائج في تقرير نشر مؤخراً من قبل مركز التمويل والتنمية الخضراء في جامعة (فودان) في (شنغهاي) وراجعته صحيفة (فاينانشيال تايمز).

وتتزامن جهود بكين لتعزيز العلاقات الاقتصادية الأعمق مع العراق، ثاني أكبر منتج للنفط في منظمة أوبك، مع تصور متزايد بين القادة العرب بأن الولايات المتحدة بدأت تنفصل وتبتعد عن الشرق الأوسط.

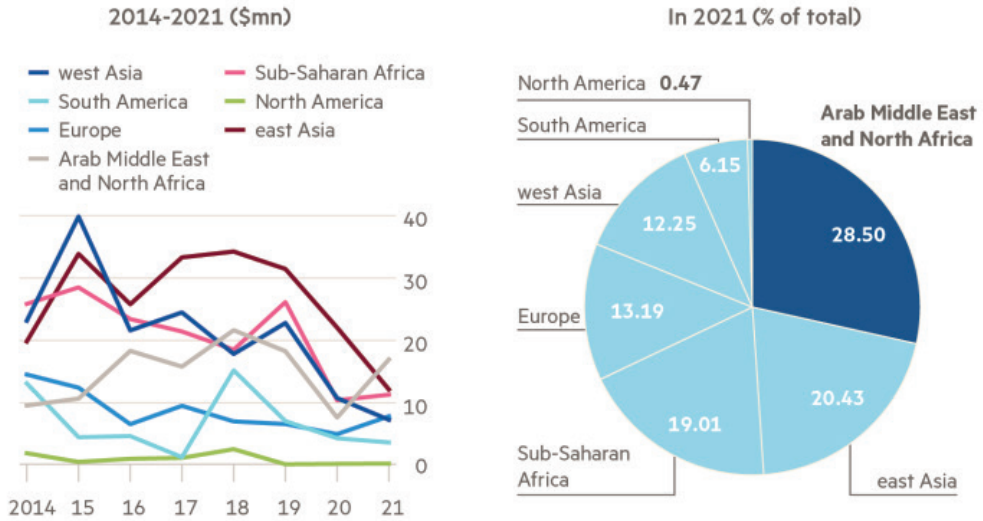
وأشار الباحثون إلى أن الخطة الخمسية لوزارة التجارة الصينية حتى عام (٢٠٢٥) وعدت بالاستثمار في الخارج، بما في ذلك المشاريع غير التابعة لمبادرة (الحزام والطريق) بقيمة بلغت (٥٥٠) مليار دولار، أي بانخفاض بمقدار (٢٥٪) من القيمة التي أنفقت في السنوات (٢٠١٦-٢٠٢١) والتي بلغت (٧٤٠) مليار دولار. لكن في دول الشرق الأوسط

والدول العربية، ارتفع مستوى استثمارات وعقود البناء بنسبة (٣٦٠٪) و (١١٦٪) وكانت معظم تلك الاستثمارات الصينية في البنية التحتية للطاقة والنقل.

وقال (كريستوف نيدوبيل وانج)، مدير مركز التمويل والتنمية الخضراء إن الباحثين «فوجئوا» بمدى مشاركة الصين مع الشرق الأوسط والدول العربية. وقال: «كنا نعتقد أن التركيز سيكون أكثر بكثير على جنوب شرق آسيا، بما في ذلك البنية التحتية». لكنه في الواقع كان مدفوعاً بشكل خاص في العراق... والتحول القوي نحو إفريقيا ودول الشرق الأوسط.»

Beijing deepens engagement in Middle East

Chinese finance and construction projects by different BRI regions



Source: Green Finance & Development Center at Fudan University
© FT

عززت الصين مكانتها في المنطقة في نفس العام الذي أنهى فيه الرئيس (جو بايدن) رسمياً المهتمات القتالية الأمريكية في العراق واستعادت طالبان السيطرة على أفغانستان بعد الخروج الفوضوي لقوات التحالف من تلك البلاد، وتحفظ الولايات المتحدة بحوالي (٢٥٠٠) جندي في العراق، حيث كانوا جزءاً لا يتجزأ من محاربة مقاتلي تنظيم داعش، لكنهم انتقلوا إلى دور التدريب والاستشارة.

وبينما تعتمد (بكين) على الشرق الأوسط في معظم وارداتها من الطاقة، تعمل الدول العربية على توسيع العلاقة مع الصين، والاستفادة من التكنولوجيا الصينية وتوسيع العلاقات التجارية مع ثاني أكبر اقتصاد في العالم. فيما تعززت العلاقات بين بكين وبغداد في عهد (عادل عبد المهدي)، رئيس الوزراء العراقي السابق، الذي وصف العلاقات الصينية العراقية في عام (٢٠١٩) بأنها مهياة لـ «نقلة نوعية». والعراق بالفعل ثالث أكبر مصدر للنفط للصين، لكن المسؤولين في بغداد حرصوا على تأمين استثمارات صينية للمساعدة في تطوير البنية التحتية المتدهورة. إذ كانت العديد من الشركات الغربية مترددة في الاستثمار في البلاد، التي لا تزال تعاني من عدم الاستقرار السياسي ونوبات العنف المتفرقة، خارج قطاعي النفط والغاز.

وتشمل الصفقات الجديدة الموقعة بين المجموعات الصينية والعراقية، (محطة الخيرات الكبيرة) لتوليد الكهرباء من النفط الثقيل في محافظة كربلاء، وإعادة بناء المطار الدولي في الناصرية، وتطوير حقل المنصورية للغاز بالقرب من الحدود الإيرانية. وفي كانون الأول وقع العراق اتفاقية مع شركتي (باور كونستركشن كوبريشن) الصينية «Power Construction Corporation» وشركة (سانوتيج) «Sinotech» لبناء (١٠٠٠) مدرسة والتي سيتم دفع تكاليفها من خلال المنتجات النفطية. وقال كيرك سويل صاحب نشرة «Iraq Politics Inside» إن العراق يسعى إلى زيادة العلاقات مع الصين في السنوات الأخيرة ولكن «ليس الأمر كما لو أن العراق أصبح مستعمرة اقتصادية للصين». وأضاف أن «القلق بين منتقدي الاتفاقيات الصينية حول مقدار ما يتم رهنه من نفط العراق لدفع ثمن الاستثمار الصيني في البلاد فإن هذا سؤال لا نعرف إجابته».

أطلق الرئيس الصيني مبادرة (الحزام والطريق) في عام (٢٠١٣)، ولكن بعد سنوات من النمو السريع، تباطأت وتيرة الإقراض للمبادرة مؤخرًا. وكان هناك ما مجموعه (٥٩, ٥) مليار دولار في الاستثمارات المالية الصينية والتعاون المتعاقد عليه عبر (١٤٤) دولة في مبادرة (الحزام والطريق) في عام (٢٠٢١)، وشهد العام (٢٠٢٠) انخفاضًا في الاستثمارات إلى (٦٠, ٥) مليار دولار، وفقًا لتقرير مركز التمويل والتنمية الخضراء. ووصلت أرقام العقود إلى (٤٥, ٦) مليار دولار ارتفاعًا من (٣٧) مليار دولار، حيث تقلصت الاستثمارات إلى (١٣, ٩) مليار دولار من (٢٣, ٤) مليار دولار.

لا يزال إجمالي المشاركة في مبادرة الحزام والطريق منخفضاً بنحو (٤٨٪) عن تلك المستويات ما قبل الجائحة. ولا يتوقع باحثو جامعة (فودان) عودة مبادرة الحزام والطريق إلى ذروتها خلال أواخر عقد (٢٠١٠)، بسبب التدقيق الوثيق في الصفقات في العديد من رؤوس الأموال الأجنبية بالإضافة إلى تشديد الضوابط في بكين على الاستثمار الخارجي. ووفقاً للتقرير، لم تتلق أي من مشاريع الفحم الجديدة تمويلاً أو استثمارات في عام (٢٠٢١)، بينما زادت صفقات الطاقة الخضراء بشكل طفيف إلى مستوى قياسي بلغ (٦,٣) مليار دولار. وقال الباحثون إن هذا يعكس أيضاً تفضيلاً لمشاريع أصغر وأكثر استدامة. وجاءت أحدث بيانات مبادرة الحزام والطريق وسط جدل دولي متجدد حول ما إذا كانت الصين تدفع البلدان النامية إلى ما يسمى بفخاخ الديون، والتي بموجبها يمكن لبكين مصادرة الأصول عندما تكون مدينة بأموال. وقد دفع القلق بشأن الهيمنة الدولية المتزايدة للصين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي خلال العام الماضي إلى محاولة مواجهة مبادرة (الحزام والطريق) بجهود تمويل التنمية الدولية الجديدة.

<https://www.ft.com/content/f2ef2f3f-c6634-ce882-d88-c95ba23de97>

العراق بصدد تشكيل حكومة جديدة لكن الوصول إليها سيكون أمراً معقداً

أتلانتك كانسل / بقلم عباس كاظم

تاريخ النشر: ٣ شباط ٢٠٢٢

عقد مجلس النواب العراقي المنتخب في (١٠) تشرين الأول (٢٠٢١) جلسته الأولى في (٩) كانون الثاني لتدشين الفصل التشريعي الخامس . بعد بداية شعبية من الكتل السياسية الشيعية ونزاع عنيف حول تسجيل الكتلة الأكبر في مجلس النواب ، الأمر الذي أرسل رئيس مجلس النواب الأكبر سناً محمود المشهداني إلى المستشفى ، استؤنفت الجلسة من جديد من خلال الرئيس الثاني الأكبر عمراً خالد الدراجي - الذي أصبح أرضية لقضية استثنائية في المحكمة العليا . وأصدرت المحكمة أمراً مؤقتاً بوقف سلطات الرئيس المنتخب حديثاً محمد الحلبوسي ونائبه . حتى فصلت المحكمة العليا في القضيتين في جلسة كان من المقرر عقدها في (٢٥) كانون الثاني ، ولم يكن من الممكن إجراء أي عمل تشريعي . ومع ذلك ، وعدت المحكمة بإصدار حكمها في الوقت المناسب لتجنب أي اضطراب في الجدول الزمني الدستوري لتعيين الرئيس ، ثم تشكيل الحكومة لاحقاً . رفضت المحكمة العليا في النهاية كلتا الحالتين وأكدت دستورية إجراءات الجلسة الأولى لمجلس النواب . ومع ذلك ، هناك قضية أخرى ذات صلة تحتاج إلى الفصل في صلاحية تسجيل الكتلة الأكبر في مجلس النواب ، والتي سيكون لها الحق في ترشيح رئيس الوزراء المقبل وفقاً للدستور العراقي . تم تأجيل هذه القضية إلى (٣) شباط ، ورغم أن مصيرها لن يؤثر على المواعيد الدستورية ، إلا أنه قد تعقد تشكيل الحكومة ويتمدد إطارها الزمني ، إذا قررت المحكمة أن التيار الصدري بزعامة مقتدى الصدر ليس الكتلة الأكبر في مجلس النواب العراقي .

ليس من المستغرب أن يكون آخر رئيس لمجلس النواب ، محمد الحلبوسي ، قد حصل على عدد كافٍ من الأصوات للاحتفاظ بمنصبه وأصبح أول رئيس لفترتين في حقبة ما بعد (٢٠٠٣). نتجت إعادة انتخاب الحلبوسي عن إجراء الترتيبين الآتيين :

١ . تنسيقه مع التيار الصدري الذي فاز بثلاثة وسبعين مقعداً في الانتخابات البرلمانية في تشرين الأول (٢٠٢١) ، وكذلك الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي حصل على (٣١) مقعداً ، ليكون بمثابة . جبهة طائفية .

٢ . والأهم من ذلك نجاحه في حشد جميع الأصوات السنوية البالغ عددها (٥١) تقريباً وراء ترشيحه .

وبعد أن وجدت المحكمة العليا عدم وجود أي خرق أو شائبة في القضية التي رفعها عضو في مجلس النواب يدعو إلى تنحية الحلبوسي ، تم التأكيد على منصبه رئيساً لمجلس النواب . كما حصل عضو التيار الصدري ، حكيم الزامل ، على منصب النائب الأول لرئيس مجلس النواب ، وذهب منصب النائب الثاني إلى شاخوان عبد الله من الحزب الديمقراطي الكردستاني . تم انتخاب كليهما خلال الجلسة الأولى لمجلس النواب في (٩) كانون الثاني .

إن منصب رئيس مجلس النواب ، الذي يجب أن يتم تعيينه تقليدياً ومنحه الى عربي سني وفقاً للترتيب السياسي العراقي غير الدستوري ، لن يختم توزيع المناصب السياسية العليا الأخرى في ضوء الانقسامات الكردية والشيعية .

سيكون تشكيل الحكومة المنافسة الرئيسية في الأسابيع المقبلة . فالكتل السياسية الشيعية التي تشكل الأغلبية والتي من المقرر أن ترشح رئيس الوزراء ، تشهد أسوأ أوضاعها السياسية منذ عام (٢٠٠٣) ، حيث تبدو خلافاتهم الشخصية غير قابلة للتوفيق تقريباً . إذا فشلوا في إيجاد قضية مشتركة من الآن وحتى انتخاب الرئيس العراقي الجديد ، فإن انقساماتهم ستحدد الفصل التشريعي المقبل .

ولن يؤثر التمثيل الشيعي من قبل فصائل صغيرة على التمثيل الشيعي في الحكومة ، حيث يتم تحديد عدد الوزارات لكل مجموعة عرقية طائفية وستذهب الوزارات الشيعية إلى الفصيل الشيعي الذي هو جزء من الائتلاف العابر للطوائف . . ومع ذلك ، فإن النتائج السلبية للانقسام الشيعي ستكون على نتائج العملية التشريعية . وسيؤدي الافتقار إلى مكانة

الكتلة الأكبر في مجلس النواب إلى إزالة التأثير الشيعي من الأجندة التشريعية لمجلس النواب وهو ما يطغى عليه رئيس مجلس النواب بالفعل . وستقرر الأغلبية الجديدة التخصيصات المالية وقرارات إعادة الإعمار والخدمات والقرارات الفيدرالية الأخرى حيث يشكل الشيعة شريكاً صغيراً .

إيران التي امتنعت عن التدخل العلني في عملية ما بعد الانتخابات حتى انتخابات قيادة مجلس النواب ، قامت بتغيير سريع في الموقف ووضعت إصبعها مؤخراً في الميزان . في (١٦) كانون الثاني وصل قائد فيلق القدس اللواء إسماعيل قآني إلى العراق ، حيث قام بزيارة العديد من القادة الشيعة العراقيين في نداء من أجل التخلي عن لعبة محصلتها الصفرية بين الشيعة وتشكيل تحالف شيعي يضم العديد من الكتل السياسية قادر على التفاوض لتشكيل الحكومة . ولم تؤد زيارة قآني إلى بغداد والنجف إلى النتائج المرجوة ، فعاد إلى العراق للمرة الثانية في (٢٩) كانون الثاني ليأخذ نهجاً مختلفاً بأن يطلب من بارزاني التوسط بين الصدر وخصومه الشيعة . وقام البارزاني بأرسال وفد - بما في ذلك رئيس حكومة إقليم كردستان نيجيرفان بارزاني ورئيس مجلس النواب الحلبوسي لإقناع الصدر باحتضان جميع الكتل الشيعية في الحكومة المقبلة . لم يتضح بعد ما إذا كانوا قد نجحوا في إقناع الجانبين - ولا سيما مقتدى الصدر . ويود الصدر زيادة عدد أعضاء ائتلافه من خلال إضافة عدد من منافسيه الشيعة ، لكنه يعارض بشدة التحالف مع رئيس الوزراء السابق نوري المالكي ، الذي يضم ائتلاف دولة القانون التابع له حالياً ثمانية وثلاثين مقعداً في مجلس النواب . وقد نجح المالكي في تأمين تجديد ولايته كرئيس لحزب الدعوة في (١٥) كانون الثاني ويبدو أنه تمكن من الحفاظ على تحالفه الكبير غير الصدري (حتى الآن) ، على الرغم من المحاولات المتعددة التي قام بها الصدر لمحاكمة بعض حلفاء المالكي .

مهما كانت نتيجة المفاوضات الجارية ، فإن آفاق الحكومة المقبلة ستعتمد على ظروف العلاقات بين الشيعة . في حين أن الخروج من نظام الوضع الراهن (الجميع جزء من الحكومة ولا أحد يخضع للمساءلة) هو تطور مرحب به ، إلا أنه ليس مضموناً لإصلاح الأوضاع السياسية المتدهورة في العراق . رئيس الوزراء الذي لديه نظام دعم يتكون من أقلية بين الشيعة سيحاصر بين عداء معارضته الشيعية والمطالب التي لا تنتهي لحلفائه من غير الشيعة . وفي الوقت نفسه ، فإن كتلة معارضة في مجلس النواب مكونة أساساً من

فصيل عرقي طائفي واحد وهم الشيعة بالتحديد لن يوفر للعملية السياسية العراقية التوازن الذي تحتاجه بشدة. وسوف تأخذ مثل هذه المعارضة دور المفسد بدون الأدوات اللازمة لممارسة رقابة قوية وبناءة.

أيًا كان الرئيس المقبل، فإنه يجب أن يحصل تعيينه من خلال الضوء الأخضر الذي يمنحه مسعود بارزاني، زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي قد يكون مرشحه المفضل للرئاسة في الجولة الثانية من التصويت، الأمر الذي يتطلب أغلبية بسيطة من الأصوات (يجب أن يفوز المرشح بثلاثي الأصوات ليصبح رئيسًا من الجولة الأولى). لكن جبهة الصدر - البرزاني - الحلبوسي ستكون عصية على الحل في الجولة الثانية. وقد أعلن مجلس النواب العراقي عن قائمة المرشحين المعتمدين التي تضمنت المرشحين الرئيسيين: الرئيس الحالي برهم صالح المدعوم من الاتحاد الوطني الكردستاني، ووزير المالية السابق هوشيار زيباري، مرشح الحزب الديمقراطي الكردستاني. وكان من المفترض أن يمهد التخصيص الأخير للنائب الثاني لرئيس مجلس النواب للحزب الديمقراطي الكردستاني الطريق أمام الاتحاد الوطني الكردستاني للمطالبة بالرئاسة العراقية لمرشح من اختيارهم، على أن يكون الرئيس الحالي صالح هو المرشح الأول. في ظل الوضع الراهن، ينقسم الحزبان الكرديان بشدة حول الرئاسة، حيث يدعي الاتحاد الوطني الكردستاني سيطرته التقليدية على الرئاسة في مقابل سيطرة الحزب الديمقراطي الكردستاني على الحكومة المحلية، وحكومة إقليم كردستان، والموقع الثاني في مجلس النواب. وقد رشح الاتحاد الوطني الكوردستاني الرئيس الحالي برهم صالح لولاية ثانية. وفي هذه الأثناء يلعب الحزب الديمقراطي الكردستاني لعبة محصلتها (صفر) من خلال توليه الرئاسة بالإضافة إلى نائب رئيس مجلس النواب الذي يشغلهم حاليًا. مرشحهم هو هوشيار زيباري، الذي شغل منصب وزير الخارجية العراقي ووزير المالية قبل عزله من منصبه بتصويت مجلس النواب في عام (٢٠١٦) بسبب اتهامات بإهدار الأموال العامة ومن بينها تهمة أخرى.

<https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/iraq-is-forming-a-new-government-but-getting-there-will-be-complicated/>



توظيف القوة السيبرانية في استراتيجيات الدول الكبرى

(الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية أنموذجًا)

تأليف: د. حازم جري الشمري

صدر هذا الكتاب عن دار (إنكي) للنشر والتوزيع بطبعته الأولى عام (٢٠٢٢) . تُعد الثورة التكنولوجية أساس التغير الحاصل في البيئة الاستراتيجية العالمية، فقد أثرت في مفاصل مهمة في الحياة الإنسانية نقلت البشرية من نطاق صناعي- تكنولوجي إلى نطاق حضاري معرفي رقمي . يعد الذكاء المرتكز الأساسي الذي ينطلق منه، ويتسم بالسرعة والدقة والغموض . إذ لم يكن التغير في شكل التفاعلات وأنماطها وطبيعتها فقط بل أيضا في زيادة الفاعلين فيها، فضلا عن التغير الحاصل في أدوات القوة وطريقة توظيفها، فقد تراجعت القوة التقليدية لحساب القوة الجديدة، ولم تعد مكانة الدولة تقتصر على ما تمتلكه من مقومات قوة تقليدية، وإنما على درجة انتقالها الحضاري نحو الرقمية .

يعد هذا الكتاب من الدراسات المهمة التي حاولت البحث في أصل التغير الرقمي وتأثيره في القوة الوطنية ومدى الاستجابة الوطنية لهذا التحول عبر دراسة نماذج التوظيف . إن المتعارف عليه أن مصادر القوة وأشكالها تتغير تبعاً لتطور العلم والمعرفة والتي بدورها تلبى احتياجات ومتطلبات الإنسان ، فالانتقال من القوة العسكرية والاقتصادية لم يكن سهلاً نحو قوة الإقناع والترغيب أو ما تعرف بالقوة الناعمة ، كذا الحال مع القوة السيبرانية التي نقلت القوة من الفضاء المادي الصلب الملموس إلى الفضاء السيبراني المحسوس .

اجتهد الكاتب في إيجاد تعريف للفضاء السيبراني ، وعده بيئة تفاعلية حديثة تتضمن عناصر غير مادية مكونة من أنظمة وشبكات وبرامجيات وتقنيات يمكن بسهولة امتلاكها ، إلا أن درجة تأثيرها تكون عالية ومكلفة جداً متجاوزة حدود الزمان والمكان والتأثير ، مقارنة لتطور القنبلة النووية في وقتها .

يشير الكتاب إلى أن القوة السيبرانية لم تعد مقتصرة على الدول ، إذ يسهل امتلاكها من قبل فاعلين آخرين قد تصل لمستوى الفرد الواحد ، وهذا يؤثر على النظام والاستقرار الأمني والسياسي ، وقد يؤدي إلى حالة الفوضى ، بمعنى آخر تهديد جديد في أغلبه يكون غير معروف المصدر مما يزيد من حالة الشك وعدم اليقين في النظام الدولي ، وقد يؤدي بذلك إلى مزيد من الصراعات والحروب .

يحاول الكاتب أن يبين اعتماد الدول على الفضاء السيبراني بعده مورد القوة الوطنية ، فانتقال مفهوم القوة والتبديل الذي طرأ عليها جعل التفكير بالفضاء السيبراني مجالاً جديداً للتنافس والصراع بين الدول ، وعلى النحو الذي يدعم قدرات الدولة وتأثيرها في نطاق التفاعلات الدولية ، إذ أصبح الفضاء السيبراني يشكل هاجساً أمنياً للدول الكبرى بسبب فاعليته في التأثير والردع ، فضلاً عن اعتماده كإستراتيجية من قبل الدول الكبرى من أجل زيادة فرص تأثيرها في التفاعلات الدولية ، فالتأثير الذي تركه السيبرانية في مجال الأمن والاستخبارات يعزز من قدرة الدولة على إعادة تقييم الخيارات الإستراتيجية المتبعة في التعامل مع الأطراف التي تحيط بها .

يتضمن الكتاب مقارنة إستراتيجية بين القوة السيبرانية وإستراتيجية الأمن القومي للدول ، فيحاول أن يبين أهميتها ودورها بكونها هدفاً ووسيلة ، هدف تسعى الدول إلى امتلاكه

والتمكين منه لتحقيق التفوق والهيمنة - الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا، وتوظيفه باعتباره وسيلة من وسائل القوة الجديدة عالية التأثير قليلة الكلفة، وهذا يعتمد على مدى فهم وإدراك العلاقة بين تطور التكنولوجيا بعدّها إحدى متغيرات القوة وبين إدراك صانع القرار لأهمية القوة السيبرانية في إدارة التفاعلات الاستراتيجية للدولة، وعدّها كذلك إحدى مقومات ديمومة مكانة الدولة في البيئة الإقليمية والعالمية.

سعى الكتاب إلى البحث في التطبيقات العالمية لتوظيف القوة السيبرانية إثباتاً لفرضيته التي تنطلق نحو إثبات العلاقة التكاملية بين تطور القوة وتبدلاتها وتطور الاستراتيجية الشاملة للدولة، وتأثيرها في تطور استراتيجيات الصراع بين الدول الكبرى من حيث التفكير والتوظيف واحتمالية الانتقال من الصراع السيبراني إلى الحرب السيبرانية. فكان النموذج الأمريكي أفضل نموذج يمكن الأخذ به، فالولايات المتحدة الطامحة لاستمرار هيمنتها والتي تتحقق عبر الاستمرار في التفوق الاستراتيجي عن منافسيها الصين وروسيا، بعدّ القوة السيبرانية أحد مصادر التفوق الاستراتيجي الأمريكي.

قدم الكاتب مقترحات وتوصيات نحو ضرورة سعي العراق إلى امتلاك المعرفة السيبرانية والقوة السيبرانية أسوة بدول الجوار التي باتت اليوم تمتلك القوة السيبرانية وتعتبرها من استراتيجيات الردع والتمكين، بالإشارة إلى إيران والسعودية وتركيا، إذ قدم الكتاب رؤية استراتيجية لبناء مجلس أمن سيبراني، ووضع مقترح استراتيجية وطنية تحدد الأدوار والمسؤوليات مع تقديم هيكلية لقيادة مجلس الأمن السيبراني العراقي المقترح.



استرداد المطلوبين جزائياً في جرائم الفساد، العراق أنموذجاً

تأليف: طيف عدنان هادي

صدر هذا الكتاب عن دار (إنكي) للنشر والتوزيع بطبعته الأولى عام (٢٠٢٢)

الجريمة سلوك فردي ينطوي على مخالفة القانون المطبق على الإقليم الذي وقعت في نطاقه، ويرتب جزاءً لجزر مرتكبه وردع غيره. كما تعد الجريمة ظاهرة قديمة على ظهر الكرة الأرضية منذ بدء الخليقة، عندما قتل قابيل أخاه هايل. ومع تطور الحياة البشرية وظهور التنظيمات القانونية، أصبح قانون العقوبات يعبر عن جوهر القواعد المنظمة للتجريم والعقاب، والتي تهدف إلى منع وقوع الجريمة وتطبيق العقوبة في حالة ارتكابها. إلا أن الجريمة لم تعد بعد تطورها مشكلة محدودة الأثر حتى تستطيع أي دولة معالجتها بمعزل عن الدول الأخرى؛ لأن تطبيق المبدأ الإقليمي المطلق للقانون الجزائي يؤدي إلى نتائج لا تتفق ومقتضيات العصر، وتتعارض مع فكرة التعاون الدولي لمكافحة الجريمة وتحقيق العدالة على الوجه الأمثل، ومن ثمّ وجب في سبيل حسن سير العدالة الجنائية أن تنهار أسطورة الحدود التي يتخذها المجرمون دروعاً واقية للإفلات من العقاب، فتمسك الدول بسيادتها يجب ألا يتعارض مع وظيفة القانون الجنائي الذي يهدف إلى حماية كيان

الدولة وسيادتها. ومن أجل المحافظة على سلام وأمن البشرية، ودرءاً لأعمال العدوان ومنع الانتهاكات الواسعة للحقوق والحريات الأساسية، أصبح التعاون الدولي لمكافحة الجريمة ضرورة حتمية هدفها مقاضاة المجرمين، وجعل العالم بأكمله دولة واحدة في منظومة تحقيق العدالة الجنائية من خلال تكاتف الجهود الدولية في هذا الصدد.

وقد تناول الكاتب موضوع الاسترداد باعتبار أن نظام الاسترداد يعتبر من أهم صور التعاون الدولي في مجال مكافحة الجريمة وأكثرها شيوعاً، فالاسترداد هو تعبير صريح عن رغبة الدول في تحقيق هذا التعاون، لا سيما في الوقت الحاضر؛ إذ لم تعد قيود الزمان والمكان عائقاً أمام المجرم، فبأدوات بسيطة وآليات غير مكلفة وبأزمة قصيرة، يستطيع المجرم أن يجوب العالم بأسره بفعل ما نشهده من تقدم مذهل ومتسارع في تكنولوجيا الاتصالات والمواصلات.

إن متطلبات دراسة موضوع الاسترداد تقتضي التطرق إلى تعريف موضوع الاسترداد وتطوره التاريخي، ودراسة جوانبه الموضوعية والإجرائية التي تشكل هيكل هذا النظام، علاوة على دراسة الاستثناءات الواردة عليه وصولاً إلى الاعتبارات السياسية التي تمتزج بإطاره القانوني ليتبلور نظام الاسترداد بالصورة التي تتعامل بها الدول.

ويهدف الكتاب إلى دراسة الاسترداد بشكل عام وتطبيقه على جرائم الفساد، متخذاً من العراق أنموذجاً، ومعرفة الوسائل والآليات المتبعة في العراق لاسترداد المتهمين والمطلوبين في هذه الجرائم، بالإضافة إلى دراسة المشاكل والمعوقات التي تعيق سير عمل الاسترداد، وإيجاد الحلول المناسبة لها، والتي تساهم في مكافحة جرائم الفساد، ومنع المجرمين من ارتكاب هذه الجرائم إذا ما علموا بوجود نظام قانوني متكامل سيضمن القبض عليهم، واستعادتهم في حال هروبهم من البلد، علاوة على تقديم النتائج والتوصيات المستخلصة، ممزوجة بالمعلومات والمسائل العملية التي استخلصها المؤلف من عمله كمسؤول لملف الاسترداد في وزارة الخارجية العراقية.

وينطلق الكاتب في كتابه إلى الاجابة عن التساؤلات التي تُطرح بهذا الصدد، والتي تعتبر الإجابة عنها بداية الطريق نحو تشكيل نظام قانوني يهدف إلى ضمان استرداد المطلوبين جزائياً الفارين خارج العراق بسهولة وانسيابية، لا سيما مرتكبي جرائم الفساد، وتسليم المطلوبين اللاجئيين إليه، وهي كالاتي:

- ما هو الاسترداد؟
- ماهي مصادر الاسترداد؟ وهل هي وطنية أم دولية؟
- هل إجراءات الاسترداد واحدة في كل دول العالم؟
- هل الاسترداد يمس بسيادة الدول ويعتبر تدخلاً في شؤونها الداخلية؟
- ماهي الجرائم المستثناة من الاسترداد؟
- هل إن اختلاف الدول في تكييف الجرائم يؤثر في عمل الاسترداد؟
- ما مدى التشابه والاختلاف بين الاسترداد والاختطاف؟
- هل إن المعوقات التي تواجه الاسترداد تؤثر على عمله؟
- ما دور العامل السياسي في نجاح نظام الاسترداد في القيام بمهمته؟
- هل للاسترداد دور فاعل في مكافحة الجريمة وبالخصوص جرائم الفساد؟
- هل إن النظام القانوني للاسترداد في العراق يتناسب مع حجم الجريمة والمطلوبين الفارين خارج العراق؟

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب يتناول موضوع الاسترداد من الناحية الفقهية، بالاستناد إلى الكثير من الآراء الفقهية لكبار فقهاء القانون من أغلب دول العالم، ودراسته من الناحية العملية معززاً بالكثير من القرارات القضائية الحديثة بهذا الشأن.

وخطة البحث في هذا الكتاب تتضمن مقدمة وثلاثة فصول، الأول يتناول الإطار المفاهيمي، والثاني الإطار الموضوعي، والثالث الإطار الإجرائي، علاوة على الخاتمة والنتائج والتوصيات. كما إن أهم ما يميز هذا الكتاب هو استعانة الكاتب بمصادر جديدة لم يتم التطرق لها من قبل، أهمها الكتب السرية والمطالعات الوثائق الخاصة بقسم الاسترداد في وزارة الخارجية.

المؤلف :

مؤلف الكتاب، طيف عدنان هادي، دبلوماسي في وزارة الخارجية، حاصل على شهادة الماجستير، وشهادة معهد الخدمة الخارجية، ومشارك في العديد من الدورات والندوات ذات الصلة، بالإضافة إلى عمله كقنصل في العديد من السفارات والقنصليات العراقية في الخارج.



**for the Humanities
and Social Sciences**

Issued by Strategic Research & Studies Center in Iraq with Enkl Scientific Association

Chief Editor

Prof. Dr. Amer Hassan Fayyadh

Managing Editor

Dr. Noor Ali Al-Kinani

Editorial Board:

Prof. Dr. Kamil H. Alqayim, College of Literature- Babylon University

Prof. Dr. Qasim Mohammed Abd, College of Political Science – Al-Nahrain University

Prof. Dr. Shirzad Ahmed Al-Najjar, Professor of Political Science in Salahaddin University- Erbil

Prof. Dr. Jamal Abdulmanuiam Al- Zawi- prof of Media and International Relations, Libya

Prof. Dr. Mahmood Haider, Reasercher and Thinker in Political Philosophy and Theology of Religious – Lebanon

Prof. Dr. Sabreen Zaghoul Elsayd - Ain-Shams University- Faculty of Wome-Egypt

Prof. Dr. thouraya Ben mesmia-Institut supérieur de théologie - elzitouna University-tunis

Prof. Dr.Zuhair Mohammed Ali, Ibn Rushed College - University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Adel AlBedwai, College of Political Science- University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Ali Faris Hameed, College of Political Science – Al-Nahrain University

Assist. Prof. Dr. Musadeq Adel Talib, College of Law- University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Suhad Ismael Khaleel, College of Political Science – Al-Nahrain University

Assist. Prof. Dr. Muntasser Majeed Hameed, College of Political Science- University of Baghdad

Assist. Dr. Firas Abdulkareem Mohammed AlBayati, College of Political Science – Al-Nahrain University

Assist. Prof. Dr. Salam Jabbar Shahab, Applied Sciences Department – University of Technology

Dr. Ahmed Kareem Alwan AL Aliwai, Director of Iraqi Manuscripts Department

Dr. Ali AlYaqoobi, Al Mansour University College, Law Department

Proofreading:

Prof. Dr.Zuhair Mohammed Ali, Ibn Rushed College - University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Salam Jabbar Shahab, Applied Sciences Department – University of Technology

Administration Director:

Kawther Hameed Lttayef AlGhourabi

Financial and Administrational Supervision:

Dhurgham Mohammed AlJubouri

Maria Baligh Abu Galal

Cover Design:

Noor Faiz Al- Araji